



التابع لمؤسسة الامام الهادي عليه السلام

معالم في الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي

إسلامياً - وفلسفياً

الأستاذ الدكتور

السيد حسن أحمد الحياوي

نائب عميد كلية التربية

جامعة اليرموك

الطبعة الأولى - ٢٠٠١م

دار الأمل للنشر والنزيع

اريد - تلفاكس ٧٢٧٦١٧٤

ص. ب ٤٦٩

الأردن

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٠/٧/١٣٠٨)

٢٦٩,٣١

حيا الحياي. حسن

معالم في الفكر التربوي للمجتمع الإسلامي

(٤٧٠) ص

و.ر.أ (٢٠٠٠/٧/١٣٠٨)

١-المجتمع الإسلامي

*تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الصف والخراج الضوئي .
مركز الفهد للخدمات الطلابية
الاردن - اربد - دوار جامعة اليرموك
خلوي (٠٧٩ / ٦١٧٠١٨)

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن
نَزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ^{٥٩} أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ
وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَاكًا بَعِيدًا
﴿وَإِذِ قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ
الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ ^{٦٠}

-دعاء-

اللَّهُمَّ إِنَّ الظُّلْمَةَ جَحَدُوا آيَاتِكَ وَكَفَرُوا بِكِتَابِكَ وَكَذَّبُوا رُسُلَكَ
وَاسْتَنكَفُوا عَنْ عِبَادَتِكَ وَمَرَّغِبُوا عَنْ مِلَّةِ خَلْقِكَ وَبَدَّلُوا مَا جَاءَ بِهِمُ رَسُولِكَ وَشَرَّعُوا غَيْرَ
دِينِكَ وَاقْتَدُوا بِغَيْرِ هُدَاكَ وَاسْتَنُّوا بِغَيْرِ سُنَّتِكَ، وَتَعَدَّوْا حُدُودَكَ وَسَعَوْا مُعَاجِزِينَ فِي آيَاتِكَ
وَتَعَاوَنُوا عَلَى اطْفَاءِ نُورِكَ وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِكَ وَكَفَرُوا نِعْمَاءَكَ وَشَاقُوا وِلَاةَ أَمْرِكَ
وَوَالُوا أَعْدَاءَكَ وَعَادُوا أَوْلِيَاءَكَ وَعَرَفُوا نِعْمَتَكَ وَلَمْ يَذْكُرُوا آلاءَكَ وَأَمَنُوا بِمَكْرِكَ
وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ عَنْ ذِكْرِكَ وَاسْتَحَلُّوا حُرَامَكَ وَحَرَّمُوا حَلَالَكَ . . .

اللَّهُمَّ اكْفُفْ بِأَسْهُمِ وَأَفْلَلْ حُدُومَهُمْ وَأَوْهِنْ كَيْدَهُمْ وَاشْمِتْ عَدُوَّهُمْ
وَاشْفِ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُمَّ انْهَمْ أَضَاعُوا الصَّلَوَاتِ فَخْذِهِم بِالْبَلِيَّاتِ وَأَحْلِلْ بِهِمُ
الْوِيْلَاتِ وَأَمْرِهِمُ الْحُسْرَاتِ يَا اللَّهُ يَا إِلَهَ الْأَرْضِينَ وَالسَّمَاوَاتِ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ
مُحَمَّدٍ وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . . .

الإهداء

إنه لمن دواعي الغبطة والسرور بالنسبة لي أن أتشرف بإهداء ثمرة هذا الجهد إلى رسول الهدى والمحبة والإنسانية والأئمة البررة من آل بيته الأطهار الذين اختارهم الحق سبحانه وتعالى ليكونوا قدوة للعالمين .

وإلى من قرن الحق سبحانه وتعالى مرضاه برضاهما، اللذين ينتظران في برزخهما لحظة المشول أمام الحق سبحانه وتعالى، هذه الثمرة من ابنهما وهويلهج لسانه بالدعاء والتضرع إلى الغفور الرحيم أن يجعلهما من الكرام البررة ويغفر لهما ويلحقهما بالصالحين من عباده، وإلى السائرين على نهج الحق سبحانه وتعالى المتمثل بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته الأطهار .

اللهم كفى بي فخراً "أن تكون لي رباً" وكفى بي عزاً أن أكون لك عبداً .

المؤلف

الأستاذ الدكتور

السيد حسن أحمد الحيارى

المقدمة

لقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يخلق الأنس والجن دون سائر المخلوقات لعبادته تشريعاً وليس تكويناً مثل بقية مخلوقاته، لذلك وهب الإنسان حرية الاختيار في تحديد معتقداته وأفكاره بعد أن بين له سبحانه وتعالى سبيل الحق وطرق الضلالة، عن طريق كنبه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً. إن هذا الخلق التشريعي للإنسان، جعله يتميز عن سائر المخلوقات بعدة صفات منها: فطرة الإنسان على دين التوحيد، وحرية الاختيار بين طريق الخير وبين طريق الشر، وحب الشهوات، وتركيب الإنسان وما يحتوي عليه من جانبي الفجور والتقوى، وتقرير الاختبار على الإنسان في الحياة الدنيا، والمثول للحساب في اليوم الآخر بناء على ما قدم الإنسان لنفسه في الحياة الدنيا.

لذلك كان الهدف من خلق عالم الشهادة وما يحتوي عليه من موجودات هو ممارسة الإنسان لحرية، التي تشكل أحد المعالم الأساسية لكيانه البشري الفريد. ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن جميع السمات الإنسانية تم تأسيسها على هذا الأساس، وهو حرية الإنسان، لذلك فإن جميع الأصول والمبادئ التزيوية الإسلامية شيدت أيضاً على هذا الأساس. وبناء على رحمة الباري عز وجل وتلطفه بالإنسان، فانه لم يكمل الإنسان لقدراته المحدودة في الوصول إلى سدرة الصواب في هذا الوجود، والتصدي لعدوه اللدود إبليس والتحرر من أحيائه وتسويلاته، فانه بعث للإنسان رسالة الإسلام عن طريق الأنبياء والرسل هدى ورحمة للناس في الدنيا والآخرة، ولقد نادى بهذه الرسالة الأنبياء والرسل كافة على مدار التاريخ البشري فما وجدوا من أقوامهم إلا الإنكار والتكذيب والتشريد وإثارة الشكوك والأقويل الهابطة، هذا بجانب السخرية والاستهزاء بهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، وقد شاءت حكمته جل وتعالى شأنه ان يختم رسالته ويتم نعمته على الناس، على يد خاتم الانبياء والمرسلين -محمد- صلى الله عليه وآله وسلم، ومن شدة لطفه وترحمه على الناس سبحانه وتعالى انه وعد بحفظ هذه الرسالة الغراء من ان تنال منها أيدي العابثين والمتأبطين شراً.

وقد استطاعت الأمة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان ترقى إلى قمة القمم بين سائر الأمم، عندما سارت في ضوء رسالة الإسلام الوضاعة وهي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، ولكن عندما ابتعد الناس بالتدريج عن اتباع الهدى الإسلامي المنير، مؤثرين بذلك اتباع شهواتهم ورغبات أسيادهم، وما رافق ذلك الانحراف من تأويلات جائرة للنصوص القرآنية الكريمة،

وسياسة الدس والوضع في الأحاديث النبوية الشريفة من قبل فقهاء السلاطين ومن وشجت عروقه على طريقتهم، حتى وصلنا إلى المستوى الهابط الذي نعيشه في هذه الأيام، إن المتأمل لتاريخ المسلمين وحاضرهم، يكاد أن يصاب بالمس أو الدهول، عندما يريد أن يصل إلى الأسباب الحقيقية، التي أدت إلى هبوطهم من المرتبة الأولى بين سائر الناس، إلى ما وصلت إليه حالهم، كيف لا؟ وكل محاولة جادة من قبل الخبراء والعلماء الباحثين عن الحق والحقيقة، للوصول إلى الأسباب الأساسية، التي أدت إلى هذا التردّي لتشخيص الأمور وتنظيمها وتخطيطها، للنهوض بأمة المسلمين إلى المرتبة التي تليق بفكرها ونهجها الإلهي المنير، تواجه بالمقدسات التراثية التي تعج بالتناقضات والمخالفات للنهج الإلهي الحكيم، والفتاوى الجائرة التي شكلت القواعد الأساسية لنشوء المذاهب والطوائف المتعددة، ومجموعة الأكاذيب التي تم وضعها على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته النبوية المباركة، والاحتجاج بأعمال بعض من سبقنا من السلف، بالرغم من مخالفتها للنصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة، هذا بجانب الإرهاب الفكري والإداري، الذي تم ترويض المسلمين عليه، على امتداد تاريخهم الطويل وحاضرهم.

لذلك ليس غريباً، أن نجد خير أمة أخرجت للناس، كما وصفها الحق سبحانه وتعالى في كتابه المنير في عهد النبوة، قد انحدرت من هذه المكانة السامية، إلى وضع لا تحسد عليه، حتى أمست نزهة للظالمين ومذقة للشاربين، تتداعى عليها الأمم كتداعى الأكلة على قصعتها، ومن الجدير ذكره في هذا المقام، أن السبب الأول لهذا التردّي، والذي اثبتت عنه بقية الأسباب، يكمن في مخالفة عدد من المسلمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الخميس، عندما أراد أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً.

والشيء المخجل حقاً، والذي يؤسف له كثيراً، وتشيب له الوالدان، ويندى له الجبين وتشيب له النواصي أن يشار إلى هذه المخالفة، بالاجتهاد المقدس.

ومنذ تلك اللحظة، شق الاجتهاد طريقه في مخالفة النصوص القرآنية، ومحاصرة السنة النبوية وإحراقها أكثر من مرة، وحوصر بيت الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها مباشرة، بدلاً من تقلم الولائم والعزاء لهذا البيت الطاهر، كما استبيحت حرمت آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبيت الله الحرام، والمدينة الفاضلة، واستعر القتال بين المسلمين إلى يومنا هذا.

وجميع هذه المخالفات تمت تحت وطأة الاجتهاد، للوصول إلى ما تشرّب له النفوس، في توطيد دعائم الخلافة والإمارة لمن لا يستحقها، مخالفين بذلك تعليمات القرآن الحكيم وسنة سيد الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ويحضرني في هذا المقام قولٌ سديدٌ لسيد الأوصياء الطاهرين، أمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام حين قال في نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٤: ترد على أحدهم القضية في

حكم، فيحكم فيها برأيه، ثم ترد القضية على غيره، فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك، عند الإمام الذي استقضاهم، فيصوّب آراءهم جميعاً، وإلهمم واحد، ونبيهم واحد، وكتابتهم واحد، فأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء له فلم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله ديناً تاماً، فقصر الرسول صلى الله عليه وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ فيه تبيان كل شيء، وذكر أن الكتاب يصدق

بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

أَخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ لذلك يبدوا بوضوح وجللاء، أن موضوع الاجتهاد والاختلافات فيه وحوله، أدت إلى نشوء مذاهب ومدارس وطوائف، جميعها تدعي القدسية، والالتزام بالنهج الإلهي المنير، وسيرة نبيه الأمين، حتى وصل الأمر إلى وصف مدرسة النبي وآل بيته الأطهار، بمذهب يتنافس مع بقية المذاهب، على امتداد الحقب التاريخية، ليعترف به المسلمون مذهباً كبقية المذاهب، ومن المذهل حقاً، أن كافة المحاولات المعاصرة، تقوم على هذا الأساس، وهذا العمل يمثل ذروة الانتحار الفكري والإداري، لحقيقة النهج الإلهي من جهة، وتوسيع بذور الفرقة والاختلاف بين المسلمين من جهة أخرى، مما يؤدي إلى صعوبة توحيد معالم الوحدة بين المسلمين. فإذا ما تأملنا المجتمعات التي تعلن عن ذاتها أمام المجتمع الدولي أنها إسلامية فإننا نجد قمة التناقضات الفكرية مستقرة في أذهان الناس، هذا بجانب الانقسام الحاد بين الأفكار التي تلوكها الألسن والأنماط السلوكية في شتى مناحي الحياة، أضف إلى ذلك المخالفات الصريحة للمبادئ الإسلامية الأساسية في جميع القضايا الحياتية، مما أدى إلى تشويه صورة الفكر التربوي الإسلامي في أذهان الناس على المستويين المحلي والدولي، ظنا من الناس كافة أن ما يورثه في هذه المجتمعات المتخلفة يمثل حقيقة الإسلام وانعكاساً لتعليماته التربوية، والحق ان جميع ما يجري في هذه المجتمعات لا يمثل ذلك، إن مبادئ الفكر التربوي الإسلامي تدعو إلى العدل، وإزالة الظلم والمساواة، وإطلاق الحريات، والإخاء والتعاون، وعدم الاستغلال وتحريم الربا وعدم الغش، والابتعاد عن الفتنة والنميمة، وتأمر بالصدق وتنهى عن الكذب وتأمر بالأمانة والابتعاد عن شهادة الزور، وتدعو إلى التماسك والوحدة وتنهى عن التفتت والفرقة وتأمر بالإخلاص والولاء وإتقان العمل، فأين المجتمعات الإسلامية وما يجري فيها من هذه الأخلاق الكريمة التي أمر الفكر التربوي الإسلامي بها؟

إن حقيقة هذه المجتمعات وما يجري فيها، يكمن في أنها أصبحت مستودعا تصب فيه الشهوات الفردية وانعكاساتها التأويلية والسلوكية، وانتشار الأفكار الفلسفية المتضادة ذاتياً من جهة ومع تعليمات الإسلام من جهة أخرى، هذا بجانب الغزو الثقافي الحالي لتلك المجتمعات وما صاحبه من شعارات قومية وإقليمية، زادت في إثارة الزواجر الفكرية وانتشار الخلل والتناقض في الأنماط السلوكية داخل المجتمع الواحد.

لقد جاء هذا الكتاب بفصوله الأحد عشر ليبيّن للقارئ العزيز، كيف تكون التربية وأصولها الأساسية، تنبثق من المبادئ الفكرية التي تميز مجتمعنا عن آخر، في وقت تعيش فيه أغلب المجتمعات المسماة بالإسلامية بلا هوية سواء على المستوى الأيديولوجي أو المستوى

التربوي، راجياً الباري عز وجل أن يكون في هذا الكتاب من الخير ما يساعد أمتي في النهوض من سباتها العميق، والعودة الصادقة إلى النهج الذي جعل منها في السابق خير أمة أخرجت للناس.

والله ولي التوفيق ..

الأستاذ الدكتور السيد حسن الحيارى

أربد - أيلول ٢٠٠١

رقم الصفحة	المحتويات
هـ	دعاء
ز	الإهداء
ح-م	المحتويات
س-ع	المقدمة
٣١-١	الفصل الأول: الأبعاد الفكرية لمفهوم الحياة الدنيا
٣	الأبعاد الفكرية لمفهوم الحياة الدنيا
٥	-مقدمة
٧	-المفهوم الإسلامي للحياة الدنيا
٢٢	-الحياة الدنيا في ضوء المدارس الفكرية البشرية
٢٣	١-الفلسفة الطبيعية
٢٥	٢-الفلسفة المثالية
٢٥	٣-الفلسفة الواقعية
٢٦	٤-الفلسفة النفعية، البراجماتية
٢٦	٥-الفلسفة الوجودية
٢٧	٦-الفلسفة الشيوعية
٣١	-المراجع العربية
٣١	-المراجع الأجنبية
٣٣	الفصل الثاني: ماهية القيم التربوية وأنواعها
٣٥	-مقدمة
٣٨	-الدراسات السابقة
٤١	-أهمية الدراسة
٤٢	-أهداف الدراسة وأستلثها
٤٣	-نتائج الدراسة وعلاقة القيم بالعلم
٤٧	-ما أنواع القيم

٤٩	-المسائل التي تركز عليها القيم في المدرسة الإسلامية
٥٠	-مناقشة النتائج
٥٣	-التوصيات
٥٤	-المراجع العربية
٥٦	-المراجع الأجنبية
١١٣-٥٧	الفصل الثالث: حقيقة العلاقة بين الشورى والاجتهاد في التربية الإسلامية
٥٩	-مفهوم الشورى في التربية الإسلامية
٧٨	-أهمية الدراسة
٨٠	-الدراسات السابقة
٨٩	-أهداف الدراسة وأسئلتها
٨٩	-أسلوب ونتائج الدراسة
٩٦	-الخلاصة
٩٧	-الاجتهاد في التربية الإسلامية
١٠١	-مفهوم الاجتهاد في التربية الإسلامية
١٠٥	-مناقشة النتائج
١٠٨	-حقيقة العلاقة بين مفهومي الشورى والاجتهاد
١١٠	-المصادر والمراجع
١٧٠-١١٥	الفصل الرابع: فلسفة التعليم في المجتمع الإسلامي
١١٧	-خلفية الدراسة
١٢٢	-الأدب النظري والدراسات السابقة
١٢٢	١- دور المدرسة في المجتمع الإسلامي
١٢٧	٢- دور الجامعة في المجتمع الإسلامي
١٣٢	٣- الدور التربوي للمعلم في المجتمع الإسلامي
١٣٧	-مشكلة الدراسة
١٣٧	-أهمية الدراسة
١٣٨	-أهداف ومحددات ونتائج الدراسة
١٦٨	-المراجع

١٩٥-١٧١	الفصل الخامس: حقيقة النفس الإنسانية
١٧٤	-المقدمة
١٧٤	-آراء الفلاسفة والعلماء حول النفس الإنسانية
١٨٢	-النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم
١٩٥	-المراجع
٢٣٢-١٩٧	الفصل السادس: طبيعة الذات الإنسانية ومكوناتها
٢٠٠	-المقدمة
٢٠٠	-الدراسات الإنسانية للإنسان
٢٠٩	-طبيعة النفس الإنسانية وتكوينها في ضوء القرآن الكريم
٢٠٩	-القضية الأولى: خلق الإنسان
٢١٤	-القضية الثانية: الذات الإنسانية والهدف من خلقها
٢١٥	-القضية الثالثة: الذات الإنسانية والفطرة
٢١٦	-القضية الرابعة: الذات الإنسانية وجانب الخير والشر
٢١٦	-القضية الخامسة: الذات الإنسانية وحرية الاختيار
٢١٨	-قضية السادسة: حالات الذات الإنسانية اعتقاداً وسلوكاً
٢٢٣	-القضية السابعة: حالات الذات الإنسانية وقدرتها الذاتية
٢٢٦	-القضية الثامنة: الذات وحب الشهوات
٢٢٧	-القضية التاسعة: الذات الإنسانية والموت
٢٢٨	-القضية العاشرة والأخيرة: الذات الإنسانية والبعث والخلود
٢٣١	-المراجع العربية
٢٣٢	-المراجع الأجنبية
٢٧٣-٢٣٣	الفصل السابع: حرية الإنسان في ضوء المشيئة الإلهية
٢٣٦	-مقدمة
٢٣٧	-أهمية الدراسة
٢٣٨	-الدراسات السابقة
٢٤٤	-هدف الدراسة
٢٤٤	-أسئلة الدراسة

٢٤٥	-محددات الدراسة
٢٤٥	المشيمة الإلهية
٢٤٨	-علم الله
٢٥٣	-الإنسان وحرية الاختيار
٢٥٦	-المسألة الأولى
٢٥٧	-المسألة الثانية
٢٥٨	-المسألة الثالثة
٢٥٩	-المسألة الرابعة
٢٦١	-المسألة الخامسة
٢٦٣	-المسألة السادسة
٢٦٤	-المسألة السابعة
٢٦٩	-المسألة الثامنة والأخيرة
٢٧٠	-نتائج الدراسة
٢٧٢	-المراجع
٣٥٤-٢٧٥	الفصل الثامن: حقيقة العلاقة بين الإسلام والقومية
٢٧٨	-المقدمة
٢٨٠	-حقيقة الإسلام
٢٨٤	-الدليل الأول
٢٨٤	-الدليل الثاني
٢٨٥	-الدليل الثالث
٢٨٥	-الدليل الرابع
٢٨٦	-الدليل الخامس
٢٨٦	-الدليل السادس
٢٨٦	-الدليل السابع <u>ك</u>
٢٨٧	-الدليل الثامن
٢٨٧	-الدليل التاسع
٢٨٩	-الدليل العاشر
٣٠٤	-القومية
٣١٠	-الإسلام وعلاقته بالقومية

٣٥٣	-المراجع
٣٨٢-٣٥٥	الفصل التاسع: التربية المقارنة
٣٥٨	-الأبعاد الفكرية والفلسفية للتربية
٣٥٩	-ماهية التربية وغرضها
٣٦١	-فلسفة التربية
٣٦٣	-الممارس الفكرية والفلسفية للتربية
٣٦٥	١- التربية في ضوء الفلسفة الطبيعية
٣٦٦	٢- التربية في ضوء الفلسفة المثالية
٣٦٧	٣- التربية في ضوء الفلسفة الواقعية
٣٦٨	٤- التربية في ضوء الفلسفة الوجودية
٣٦٩	٥- التربية في ضوء الفلسفة البراهماتية
٣٦٩	٦- التربية في ضوء الفلسفة الشيوعية
٣٧٠	٧- التربية في ضوء النهج الإسلامي
٣٧٩	-أهداف التربية الإسلامية
٣٨١	-المراجع العربية
٣٨٢	-المراجع الأجنبية
٤٢٦-٣٨٣	-الفصل الثامن: الفكر الإداري المقارن
٣٨٦	-مقدمة
٣٨٦	-الإنسان والإدارة
٣٨٧	-هدف الدراسة
٣٨٨	-أسلوب الدراسة
٣٨٨	-الإدارة في ضوء الفكر الإنساني
٣٩٢	-نظرية الإدارة العلمية ل
٣٩٢	-نظرية x ونظرية y
٣٩٤	--نظرية الحاجات الإنسانية
٣٩٤	-نظرية هيرزنج
٣٩٥	-نظرية ERG
٣٩٦	-نظرية المساواة
٣٩٦	١-الأسلوب العلمي في الإدارة
٣٩٩	٢-الأسلوب الإنساني
٤٠١	٣-أسلوب الإدارة بواسطة الأهداف

٤٠٤	٤- أسلوب تخطيط البرامج وتحديد ميزانيتها
٤٠٤	٥-الاسلوب الدكتاتوري في الإدارة
٤٠٤	٦-الأسلوب الديمقراطي في الإدارة
٤٠٥	-الإدارة في ضوء الفكر الإسلامي
٤١٣	-الأسلوب الإداري في ضوء الفكر الإسلامي
٤١٨	-نتائج الدراسة
٤٢٤	-المراجع العربية
٤٢٥	-المراجع الأجنبية
٤٤٧-٤٢٧	الفصل الحادي عشر: ماهية الحكمة وأنواعها
٤٣٠	-المقدمة
٤٣٠	-تعريف الحكمة
٤٣١	-أنواع الحكمة
٤٣٣	-أهمية الحكمة
٤٣٤	-العلم والحكمة
٤٤٠	-مصادر الحكمة
٤٤٣	-الحكمة والدعوة
٤٤٦	-الخلاصة
٤٤٧	-المراجع

الفصل الأول
الأبعاد الفكرية لمفهوم الحياة الدنيا

الأبعاد الفكرية لمفهوم الحياة الدنيا

منذ اللحظة الأولى التي وجد الإنسان فيها نفسه على هذا الكوكب ذهب لبحث عن حقيقة وجوده وما يتصل به من حقائق توضح له حقيقة الحياة الدنيا وما يرتبط بها من حقائق ومفاهيم تقوده إلى التسليم لبعض الأفكار والمبادئ التي تشكل الإطار الفكري لتربيته في أموره الحياتية كافة. وقد هدفت هذه الدراسة لتوضيح المفهوم الحقيقي للحياة الدنيا وذلك عن طريق طرح جميع الأسس والمبادئ الفكرية التي استطاع أن يصوغها الإنسان وفق ما توصل إليه من تأمل، وتفكير، وبحث حول الحياة الدنيا.

كما بيّننا قول الحق سبحانه وتعالى حول حقيقة الحياة الدنيا كونها تشكل جزءاً يسيراً من الوجود الإنساني في الوجود الكوني العام، فقد تبين أن هناك مفهومين متضادين للحياة الدنيا. ففي الوقت الذي اعتقد فيه الإنسان أن الحياة الدنيا تشكل نهاية طموحاته، وأهدافه، ومبلغ علمه، نجد أن الحق سبحانه وتعالى بيّن حقيقة الدنيا على أنها دار اختبار وفناء، كما أنها تعد مقدمة للحياة الأخرى. وهذا ما توصلت إليه هذه الدراسة.

الأبعاد الفكرية لمفهوم الحياة الدنيا

مقدمة:

تعد الحياة الدنيا وما يتصل بها من أسرار من أهم الأمور التي شغلت الإنسان عبر تاريخه. فقد شغلته وهو في طوره البدائي كما شدد انتباهه بشكل قوي وكبير وهو يقوم بنسج تاريخه الحضاري، وما تزال تشغله وتجذب اهتماماته في هذه المرحلة المادية التي تشكل أوج حضارته الإنسانية. وستبقى الحياة الدنيا وأسرارها محطة أنظار الباحثين والعلماء في مختلف اهتماماتهم الفكرية وتخصصاتهم العلمية حتى يرث الحق سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها. هذا بجانب اهتمام الإنسان العادي بهذه المعضلات التي تلف حقيقة الحياة الدنيا لما لها من آثار واسعة النطاق على مجريات أموره الحياتية وتطلعاته المصيرية ومبادئه التربوية.

لقد حاول الإنسان الوصول إلى أبواب القضايا المهمة التي شغلته منذ فجر تاريخه عن طريق جهوده الذاتية بعد أن صدف عن النهج الإلهي الذي أرسله الحق سبحانه وتعالى هدىً ورحمةً للناس أجمعين. وهذا التوجه الإنساني نحو التعرف إلى أسرار الوجود بالاعتماد الكلي على قدراته أطلق عليه الفكر الفلسفي. ومن أبرز الفلسفات التي كان لها تأثيرها العميق في تشكيل المفاهيم والمعتقدات الإنسانية حول الحياة الدنيا وأسرارها الفلسفة اليونانية.

وقد استطاع الإنسان عبر تاريخه الطويل أن يكوّن عدة مفاهيم ومعتقدات حول الحياة الدنيا وما يتصل بها من أسرار. وقد تتفق بعض هذه المفاهيم والمعتقدات مع بعض في عدة جوانب وتختلف في جوانب أخرى. وهذا يعود إلى مصادر المعرفة التي قصدها الإنسان للوصول إلى تصور دقيق لمفهوم الحياة الدنيا. هذا بجانب الاهتمامات الذاتية والشهوية للإنسان في مختلف مراحل وجوده الذاتي عبر التاريخ ومدى تأثيرها عليه وهو يسعى جاهداً للوصول إلى حقيقة الحياة الدنيا.

وقد اتجه الإنسان منذ فجر تاريخه حتى يومنا هذا للبحث في بعض القضايا الأساسية التي تقوده بدورها إلى تشكيل مفهوم خاص للحياة الدنيا. ومن أهم القضايا التي طرقها الإنسان بحثاً وتحليلاً، وتأملاً: فكرة الألوهية، وطبيعة الكون، وحقيقة الموت، والبعث

والخلود، وطبيعة الذات الإنسانية، ومكانة الإنسان في الكون، والخير والشر، وعلاقة الفرد بالجماعة.

وقد اختلفت الآراء البشرية في هذه القضايا الأساسية بشكل واسع مما أدى إلى تَكوّن فلسفات متعددة ومذاهب فكرية نتج عنها تشكيل تجمعات إنسانية فكرية لكل منها تصورها الخاص للحياة الدنيا في ضوء مفهومها للقضايا الأساسية السالفة الذكر. لذلك أمسى لكل تجمع إنساني من هذه التجمعات الفكرية عقائده، ومثله، وعاداته، وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها جميعاً من خلال تربية أبناء المجتمع الواحد وفق إطارهم الفكري العام للحياة الدنيا.

ولكن الحق سبحانه وتعالى بحكمته، وعزته، وجلاله، وتلطفه بعباده، ومعرفته التامة الدقيقة للإنسان، وما جسّد فيه من قدرات محدودة، لا تمكنه من الوصول إلى سدرة الصواب في تلك الأمور الأساسية، التي شددت انتباهه عبر تاريخه، فقد وعد الله سبحانه وتعالى الإنسان، أن يبعث له الحق المبين الذي ينطق بكل ما يحتاجه من أمور وقضايا أساسية، تنير له أسس التفكير والاعتقاد السليم للمعضلات كافة، التي لا يستطيع الإنسان بقدراته المحدودة، أن يسبر غورها ويصل إلى مكنوناتها، لأنها خارج طوق وسائله وقدراته. وقد اختار الحق سبحانه وتعالى أصفياءه من البشر، من أنبياء ورسّل لتبليغ هذا الحق المنير، أساس الهداية والرشد إلى الإنسان في عدة حقب من تاريخه، لكي لا يكون للإنسان على الله حجة، يوم المثل أمام الحق سبحانه وتعالى. وقد بدأ هذا النور في الوصول إلى الإنسان، ليضيء له السبل كافة والقضايا التي يحتاجها منذ سيدنا نوح عليه السلام، واكمل هذا النور المبين برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي ضوء ما تقدم، نستطيع أن نذكر أن هناك مفهوميّن أساسيين للحياة الدنيا، فالمفهوم الأول يمثل ما وضحه لنا الحق سبحانه وتعالى عن طريق الأنبياء والرسّل وما صاحبهم من كتب سماوية. أما المفهوم الآخر فتمثله الآراء المتعددة كافة التي وصل إليها الإنسان عن طريق بحوثه، وتأملاته حول الحياة الدنيا وما يتعلق بها من أسرار ومكنونات. وسوف نبين في هذه الدراسة كلا المفهوميّن للحياة الدنيا مبتدئين بالمفهوم الإسلامي لأنه لازم الإنسان منذ بداية وجوده على هذا الكوكب. ويبدو ذلك واضحاً جلياً في قوله تعالى:

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا
هُم يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

[سورة البقرة، آية ٣٩، ٣٨]

وقال تعالى:

قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُمْلُونٌ فَهَمَزَ ١١٢٣

اتَّبِعْ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١١٢٣﴾

المفهوم الإسلامي للحياة الدنيا

حسبنا نحن البشر أن نعلم جميعاً أن المفهوم الإسلامي للحياة الدنيا، يمثل قول الحق سبحانه وتعالى، حول بعض ما خلق في هذا الوجود، بجانبه الفيزيقي والميتافيزيقي، رحمةً وتظلاً منه بعباده من الإنس، لعلمه التام والدقيق، أن الإنسان لن يقوى على الوصول إلى سدة الصواب، في هذا الموضوع باعتماده على قدراته المحدودة التي جسدها فيه سبحانه وتعالى.

ويلزمنا أن نعلم علم اليقين، أن الحق سبحانه وتعالى وصف لنا الحياة الدنيا وبيدنا لنا دقها في الوجود الكلي للوجود، في ضوء علمه الشامل والمحيط بكل شيء، وحكمته التامة، وقدرته المطلقة، وذلّقه لكل شيء في هذا الوجود. لذلك فإن هذا المفهوم الساطع بؤني على حقائق وعلم ثابت لا يشوبه أي زلل أو خطأ. كطبيدنا لنا سبحانه وتعالى كيف سينظر الإنسان إلى الحياة الدنيا، وما سيؤول إليه مصيره في دار الخلود، وفق نظرتة للحياة الدنيا وسلوكه في ضوء ذلك. فالإنسان الذي جعل الحياة الدنيا مبلغ علمه ونهاية طموحاته وأهدافه، يكون قد أخفق في فهم حقيقتها، اما الإنسان الذي فهم الحياة الدنيا انها جزءاً محدوداً من الوجود، وخلقت من أجل اختباره يكون قد أصاب حقيقتها.

إن المفهوم الإسلامي للحياة الدنيا ينطوي على ثلاث قضايا أساسية هامة توضح لنا المفهومين الكلي والجزئي للحياة الدنيا.

فالقضية الأولى تمثل وصف الحق سبحانه وتعالى لطبيعة الحياة الدنيا وما تجسد فيها من متع شهوية، وزخارف، ومفاتن جعلتها تتصف بالغرور، ويغوى بها ويؤفتن من جعلها

مبلغ علمه ومركز اهتماماته. ويشهد على ذلك قوله عز من قائل في الآيات القرآنية
الحكيمة التالية:

قال تعالى:

وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

[الأنعام، آية ٣٢]

وقال تعالى:

وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

[سورة العنكبوت، آية ٦٤]

وقال تعالى:

إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾

[سورة محمد الآية: ٣٦]

وقال تعالى:

أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكِبَارٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فِتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ﴿٢٠﴾
وَفِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴿٢٠﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾

[سورة الحديد الآية: ٢٠]

وقال تعالى:

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحِرَ عَنِ النَّارِ
وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٨٥]

إن هذا النداء اللطيف، الذي يوجهه الله سبحانه وتعالى إلى أحد مخلوقاته، وهو الإنسان في الآيات
السابقة، التي تنطوي على حقيقة الحياة الدنيا، يدل على رحمة الحق سبحانه وتعالى وتلطفه بهذا الإنسان، الذي
كرمه على سائر المخلوقات، إذ كشف له حقيقة هذه الحياة الدنيا، وما تجسد بين ثناياها من متع، وزخارف،
مفانن، تجعل الإنسان الذي صدف عن الخط الرسالي مخدوعاً بهذه المتع والزخارف الدنيوية ومنساقاً وراءها، حتى

يجد نفسه مائلاً أمام الحق سبحانه وتعالى، ليعلم علم اليقين يوم لا تنفع توبة ولا ندم، إنه ذهب ضحية هذه الدنيا ومفاتها.

حسبنا أن نعلم أن الحق سبحانه وتعالى عندما يصف لنا حقيقة الحياة الدنيا إنما يصف شيئاً من مخلوقات خلقها، وهو العالمُ الوحيد بأسرارها ومقدارها في هذا الوجود الذي خلقه، ويجهل الإنسان قسماً كبيراً منه، ولكن الحق سبحانه وتعالى هو الذي خلق هذه الحياة الدنيا، ليضع الإنسان في موقع الاختيار، بعد أن وهب الملكة العقلية التي تميز بها عن سائر المخلوقات. ولكن الباري عز وجل لم يكل الإنسان لقدراته العقلية فقط للوصول إلى أسرار الحياة ومكنوناتها، لعلمه التام بالإنسان لا يقوى على هذه المهمة، لأنه خلقه وجسد فيه من القدرات التي يعلمها تماماً أنها عاجزة عن أن تسبر غور أسرار الحياة الدنيا ومكنوناتها. لذلك بعث الأنبياء والمرسلين لهذا الإنسان بالكتاب والحكمة، ليأخذوا بيده إلى الطريق القويم، الذي ينير لأتباعه حقيقة الحياة الدنيا، من أجل أن يسلكوا في شتى ميادين الحياة وفق هذا المفهوم الساطع للحياة الدنيا. وعندما يعي الإنسان حقيقة الحياة الدنيا يجب أن يسير في ضوء ذلك في مجالات الحياة كافة، لذلك نجد أن الباري عز وجل خاطب قسماً من المؤمنين الذين تخاذلوا عن القيام بواجب الجهاد وكأنهم قد روا الحياة الدنيا أكثر مما تستحق إذ قدموها على الآخرة من حيث القيمة، فإن فعلوا ذلك فأنهم يستحقون العذاب الأليم.

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
قَلِيلٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا
تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

[سورة التوبة الآيات: ٣٩، ٣٨]

نعم إن الذي يخشى الجهاد ويتقاعس عن النفير في سبيل الله، يكون قد أخطأ حقيقة الحياة الدنيا، وأعطاها وزناً مكيح حقيقتها، لأنه لو عرف أنها زائلة على أي وجه كان، وما يستفيد الإنسان منها إلا كل ما يُقرّ به زلفى إلى الله سبحانه وتعالى، ليسعد بذلك في الحياة الآخرة، لما تردّد لحظة واحدة في الخروج إلى ساحة الجهاد، إلى الباب الذي جعله الله مفتوحاً على مدار الساعة لخاصة أوليائه، من أجل أن يستشهدوا في سبيله، ويكونوا من الفائزين في الدنيا والآخرة، أما الذين يخشون الانتقال إلى الحياة الآخرة، دار الخلود والسلام، فهم الذين استطاعت الحياة الدنيا أن تفتنهم بزخارفها ومفاتها، التي تلاقي إقبالاً شديداً عند الإنسان الذي تسيطر عليه شهواته، وإذا انساق الإنسان وراء هذا التوجه، فإن الحياة الدنيا تسيطر على تفكيره ومعتقداته وجميع أنواع سلوكه، إذ تتشكل أهدافه وغاياته في ضوء

هذا المفهوم، الذي لا يتعدى الحياة الدنيا، وعندما تكون الحياة الدنيا مبلغ علم هذا الإنسان، تكون في نظره الوجود بأكمله، بدلاً من أن تكون جزءاً منه، وكم من الإنس والجن أصبحوا عبيداً للحياة الدنيا عندما انساقوا وراء مفاتنها ومحاسنها وأدبروا عن جادة الطريق.

قال تعالى:

يَمَعَّشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

[سورة الأنعام الآية : ١٣٠]

كَافِرِينَ

فالحياة الدنيا بما احتوت من ملذات، وتجسد فيها من مفاتن وزخارف، جعلت الإنسان ينشأ مدُّ إليها، لأنها تتفق مع شهواته التي تنازع عميلاً ونهاراً على غشيانها، تاركاً وراءه نصح الله سبحانه وتعالى، الذي تتجسد فيه الرسالات الإلهية، التي جاءتنا عن طريق الرسل. لذلك فإن الحق سبحانه وتعالى ينصح الإنسان بأن لا يغتر بالحياة الدنيا ومفاتنها ويعرض عن حقيقتها لأخطار ابتلاء وفناء، وما يُقدمه الإنسان فيها من خير أو شر سوف يلاقيه أمامه عندما يمثّل أمام الحق سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ

[سورة فاطر الآية: ٥]

لذلك فإن الباري عز وجل طلب من عباده الأوفياء، أن يستخدموا جميع ما وهبهم الله من نعم مختلفة في ضوء الحقيقة التي وضّحها لهم في كتابه العزيز، بخصوص الحياة الدنيا والحياة الآخرة، على أن الحياة الدنيا هي دار الابتلاء والفناء، وما يعملها الإنسان في الحياة الدنيا سوف يؤهله للحياة في دار الخلود، إما في الجنة التي وعد بها المتّقون، وإما في نار جهنم مصير الذين ابتعدوا عن النهج الإلهي القويم. وفي ضوء ذلك جاءت الآية الكريمة، التي تحث الإنسان على أن يسعى في حياته الدنيا، إلى طلب الآخرة بكل قوة وما أوتي من عزم، وألا ينسى نصيبه من الحياة الدنيا، بعد أن يكون قد جدّد وأجتهد وتغافى في طلب الحياة الآخرة. ولكن طلب الدنيا أيضاً يجب أن يكون وفق مفهومه للآخرة وما يقربه منها حسب ما وضحه لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز.

قال تعالى:

وَابْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

[سورة القصص الآية: ٧٧]

أما القضية الثانية فتكمن في نظرة الإنسان نحو الحياة الدنيا. فمن الناس من عرف كنه الحياة الدنيا وأهلها ولم يعطها سوى قدرها، فأعطاها ما تستحق وأخذ منها ما يُقوّي موقفه وينير مستقبله في الحياة الآخرة، يوم المثول أمام الحق سبحانه وتعالى. فهذا النوع من البشر يكون قد استخدم الحياة الدنيا، وغنم منها ما يؤهله للخلود في جنات النعيم. وهؤلاء هم الذين استقاموا على النهج الإلهي، وساروا في ضوئه وتفيؤوا ظلاله في أمورهم الحياتية كافة، وكان همهم الوحيد في الحياة الدنيا، النجاح في دار الابتلاء للفوز في الدار الآخرة. انهم اتصلوا بالرحمن عن طريق تصديقهم رسله، واتباع الذكر الحكيم الذي بُعث إليهم لينير طريقهم، فمن القرآن الكريم عرفوا أن الله سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة ليبلوا الإنسان ماذا سيفعل في الحياة الدنيا، وفي ضوء عمله في هذه الحياة سيؤول مصيره في الحياة الآخرة.

قال تعالى:

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ

[سورة الملك الآية: ٢]

أما القسم الآخر من الناس فقد أعرضوا عن ذكر الله، ونظروا إلى الحياة الدنيا بمنظار ذاتي شهوي، إذ أصبحت الدنيا مبلغ علمهم ومحور اهتماماتهم وحماية غاياتهم وآمالهم، بدلاً من أن يستخدموا الدنيا لمصالحهم وأهدافهم، وهذا هو الأساس الذي يركز عليه نجاحهم في دار الاختبار والفناء. فالإنسان عند الحق سبحانه وتعالى أكرم من الحياة الدنيا، التي خلقت هي والموت فقط من أجل اختبارها، ولكن هيهات أن يفقه الإنسان مكانته السامقة، التي وهبها إياها الخالق جلّت وتعالّت قدرته، فذهب هذا القسم من البشر ليتنازل عن مكانته، من سيادة الحياة الدنيا واستخدامها لتحقيق غاياته وأهدافه، إلى عبادة الحياة الدنيا وما تنطوي عليها من زخارف ومفانن، حتى أمسى هذا النوع من البشر عبيداً لهذه الحياة الدنيا، فجميع تصوراتهم واهتماماتهم وقضاياهم المتعددة لا تتعدى حدود الحياة الدنيا، إنما ملكتهم بزخرفها وغرورها، كيف لا؟ وهم عبيد شهواتهم قبل أن يكونوا عبيداً للحياة الدنيا. إنهم أدبروا عن الحق المبين الذي جاء به الرسل والأنبياء، لأنه لا يتناسب وأهواءهم وشهواتهم، فأصبحوا ضحايا للحياة الدنيا تسوقهم أهواؤهم وشهواتهم فقط نحو مفاتنها وزخرفها.

وقد خاطب الحق سبحانه وتعالى الإنسان، من خلال الآيات القرآنية الحكيمة، ليستخدم دنياه من أجل الآخرة. ولكن سماً من الناس لا يريدون إلا الحياة الدنيا وما فيها من شهوات، والقسم الآخر من الناس يريد الحياة الدنيا، كوسيلة توصله إلى الفوز العظيم في اليوم الآخر، يوم المشول أمام الباري عز وجل. وتبدو النظرة الانسانية المزدوجة للحياة الدنيا "نظرة الإنسان الذي اقتصر فقط على الحياة الدنيا ونظرة الإنسان الذي فهم الحياة الدنيا على أساس أنها مقدمة للآخرة" واضحة جلية في الآية الكريمة التالية:

قال تعالى:

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ
وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلْتُمْ مَاتُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ
يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ
عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

أما الذين غفلوا عن حقيقة الحياة الدنيا وصلوا في سعيهم إذ عدّوها هدفاً منشوداً فإن الحق سبحانه وتعالى وصفهم بأنهم عرفوا فقط ظاهر الحياة الدنيا، ولم يجتولوا حقيقتها، كما أنهم غفلوا تماماً عن حقيقة الآخرة والتي تعدّ غاية كل إنسان لبيب.

قال تعالى:

يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ [سورة الروم الآية: ٧]

إن اختلاف فهم الجنس البشري لمفهوم الحياة الدنيا، أدى إلى نشوء فريقين من الناس كل فريق يسعى إلى تحقيق أهدافه وغاياته على اختلاف مستوياتها وفق مفهومه للحياة الدنيا، مما أدى إلى اختلافات جوهرية بين الفريقين في الجوانب الفكرية والتربوية والسلوكية. لذلك نجد الذين ارتبطت آمالهم وغاياتهم بالحياة الدنيا فقط، يسيطر على أنماطهم السلوكية مع الذين ينافسونهم في طلب الحياة الدنيا وأغراضها، الاستكبار، والقسوة، والشك، والجزع، والانتقام، والحقد، والعجلة، والجهل، والغلظة، والحرص، والطمع، والقنوط، والنفاق، والتكذيب، والغدر، والعقوق، والظلم، والبخل، والنميمة وإلى غيرها من الصفات التي تساعدهم على إشباع أغراضهم وغاياتهم من الحياة الدنيا. أما الفريق الآخر من الناس، فإنهم يطلبون الحياة الدنيا وما فيها في ضوء الهدى الإلهي المبين، ليفوزوا برضى الحق سبحانه وتعالى لدخول الجنة في اليوم الآخر، لذلك فإنهم يتصفون بالقناعة، والوفاء، والطاعة، والإيمان، والخير، والتصديق، والإخلاص، والبر، والعدل، والرجاء، والحكمة، والشكر، والتوكل، والرأفة، والعلم، والتواضع، والحلم، والرحمة، واليقين، والصبر، والصفح وإلى غيرها من الصفات التي تؤهلهم للفوز برضى الحق سبحانه وتعالى ودخول جنته في اليوم الآخر.

أما القضية الثالثة والأخيرة فتكمن في مصير الإنسان في ضوء نظرتة للحياة الدنيا. فالإنسان الذي فهم حقيقة الدنيا وسار في ضوء ذلك في شتى أموره الحياتية، فإنه يكون قد استخدم الحياة الدنيا وما فيها من متع ومظاهر للوصول إلى الهدف الأسنى، وهو الفوز في دار الابتلاء (الحياة الدنيا)، ليكون مصيره في الآخرة في جنات النعيم، التي أعدت لهؤلاء الذين كانوا على درجة عالية من التبصر والتفكير، واستخدموا ملكتهم العقلية بأفضل وأنجح السبل، فأصبحت الحياة الدنيا بالنسبة لهم وسيلة توصلهم إلى جنات النعيم.

أما القسم الآخر من البشر، فهم الذين ضلوا الطريق، بسبب بعدهم عن النور الإلهي المبين، هذا إلى جانب عدم استخدامهم الملكة العقلية التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان بالصورة الصحيحة. لذلك فإنهم نظروا للحياة الدنيا على أنها غاية وليست وسيلة، فملكتمهم بمظاهرها البراقة، ومفاتها الخادعة، ومتعها الزائلة، ليغدوا عبيداً لها، بالرغم من أن الله سبحانه وتعالى مكّن الإنسان من أن يملك الحياة الدنيا ويسير بها وفق أهدافه النبيلة.

والشيء العجيب الذي لا يتعداه عجب، أن هؤلاء الذين ملكتهم الحياة الدنيا، لسوء استخدامهم الهبة الإلهية المتمثلة بالملكة العقلية، ذهبوا لينالوا من الذين ملكوا الحياة الدنيا، واتخذوها وسيلة للوصول إلى غاياتهم النبيلة، لحسن استخدامهم لعقولهم واتباعهم تحج الله القويم، عن طريق إثارة الخرافات والأوهام والترهات، فتارة ينعنونهم أنهم لم يستخدموا عقولهم، وتارة أخرى يصفونهم بالرجعية والتخلف، وأنهم ليس لهم علم بسياسة واقتصاد، وادارة وإرشاد، ولا في فنون الحرب وإدارة شؤون البلاد. نعم كل هذه التهم المغرضة، وغيرها من المهارات

التي نطق بها هؤلاء، الذين ملكتهم الدنيا لتعلقهم المفرط بشهواتهم، التي وشجت عليها نفوسهم، جميعها جاءت لتتم عن جهل هؤلاء القوم بحقيقة الإنسان وحقيقة دنيا الإنسان، ومكانة هذا الإنسان في الوجود. إن العجب ألاّ يذهب هؤلاء الناس إلى كيل التهم وإثارة العبارات الجوفاء حول الدين عرفوا حقيقة الحياة الدنيا من خلال نظرتهم الكلية للوجود، فأصبحت الحياة الدنيا جزءاً من كل، وليست كل شيء كما خُدع بها عبيدها. إنهم عندما يذهبون إلى إشاعة هذه الأقاويل الوضعية، ينطلقون من مفاهيمهم الفجة، وإدراكهم المحدود، وشهواتهم المتعددة والمتغيرة حسب الظروف والمناسبات، لذلك تجدهم ينظرون إلى كل شيء في الوجود من خلال شهواتهم، حتى أصبحت عقولهم تشبهواهم المتقلبة والتي تتلوّن حسب الظروف. ألم يكفهم أنهم جعلوا العقل مقوداً لشهواتهم بدلاً من أن يكون هتداً لسلوكهم! واستخدمتهم الدنيا بدلاً من أن يستخدموها. فذهبوا إلى إثارة الإشاعات والتهم المغرضة حول الدين عرفوا حقيقة الحياة الدنيا وحقيقة العقل الإنساني، وتصرفوا في ضوء ذلك، فساقوا الدنيا وما فيها لتحقيق غاياتهم النبيلة، وجعلوا من العقل قائداً لتصرفاتهم وسلوكهم.

فمن هذا الموقع نحب أن نوجه مجموعة من الأسئلة والاستفسارات، لهؤلاء الذين ضلوا الحقيقة التي تتعلق بكيانهم ووجودهم الدنيوي والأخروي، وأتهموا الطرف الآخر الذي اجتلى حقيقة ما فاتهم، بأنهم متخلفون ورجعيون وإلى غيرها من التهم.

- هل الإنسان الحر الذي يستخدم الدنيا لتحقيق أهدافه وغاياته أم الذي تستخدمه الدنيا ليغدوا عبداً من عبيدها؟

- هل الإنسان المتخلف الجاهل الذي يملك الدنيا أم الذي تملكه الدنيا؟

- هل إنسان العالم الذي يعلم حقيقة الحياة الدنيا ويسوقها لتحقيق أهدافه أم الذي ينجر وراء مآثرها الزائلة؟

- هل الإنسان المفكر العالم الذي يصل إلى حقيقة مكانة الإنسان في الكون ويتصرف في ضوء ذلك، أم الذي يسلب الإنسان مكانته السامية في الوجود ويهوي به إلى رتبة وضعية لا يضاويه فيها مخلوق؟

- من هو الذي يكرم العقل الإنساني ويعلي من شأنه الذي يجعله تابعاً لشهواته أم الذي جعل منه قائداً لسلوكه وتصرفاته؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة لا تحتاج إلى علم غزير أو فراسة عالية، فهي واضحة بوضوح أسألتهما، هذا إذا ما أراد الإنسان ألا يمارس هوايته الجدلالية للالتفاف على الحقائق الساطعة.

في الوقت الذي ستكون فيه الجنة هي المأوى للذين اجتلوا حقيقة الحياة الدنيا وسلكوا في ضوئها شتى مناحي الحياة، فإن جهنم ستكون الموئل للذين وقعوا في شباك الحياة الدنيا، وغرّتهم بمفاتها ومحاسنها ومتعتها الزائلة، حتى أصبحت مبلغ علمهم ومركز اهتماماتهم. ويبدو ذلك واضحاً جلياً في قوله سبحانه وتعالى:

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾

[سورة النحل الآيات: ١٠٧-١٠٩]

وقال تعالى:

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْقِفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ
 يُنصَرُونَ ﴿١٠٧﴾

[سورة البقرة الآية: ١٨٦]

وقال تعالى:

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُ مَا كُنَّا نَسِيئًا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَا كُنَّا نَمُوتُ بِكُمْ مِنْ نَصْرِنَا ﴿٣٥﴾ ذَٰلِكُمْ
 بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَأَلْوَيْتُمْ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ
 يُسْعَبُونَ ﴿٣٥﴾

[سورة العنكبوت الآيات: ٣٥، ٣٤]

وقال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَارٍ وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا
 غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ نَارٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ
 النَّعِيمِ ﴿٩﴾

[سورة يونس الآيات: ٧-٩]

نعم هذا هو الفرق الشاسع بين الفريقين من حيث المصير الذي سيؤول إليه كل طرف في الآخرة. إنه المستقبل الخالد للإنسان، إما في جنات النعيم، وإما في نار جهنم، فهذا المستقبل الذي يجب أن يشد انتباه الناس من حيث الفكر والمعتقد والسلوك، والتضحية بالمال والنفس، وليس المستقبل الذي يتحدث عنه أغلب الناس في هذه الأيام. فكلهم يريد أن يشيّد مستقبله الدنيوي بكل ما أعطي من قوة، بالطرق والأساليب المعروفة كافة لدى البشر، ظناً منهم أنه لا يوجد مستقبل سوى هذا النوع. فمن المخجل والمؤسف حقاً، أن نجد أغلب الذين يظهرهم إسلامهم في المجتمعات الشرقية يذهبون إلى هذا النوع الهابط من أنواع المستقبل، فشدتهم الدنيا إلى زخرفها وجمالها ومتعتها الزائلة، فأصبحت محور اهتمامهم ومبلغ علمهم، ومن هنا برز الفرق الشاسع بين معتقداتهم ومجموعة سلوكياتهم المناقضة لتلك

المعتقدات، وفي ضوء ذلك نستطيع أن نفهم قول الحق سبحانه وتعالى الذي خاطب فيه المؤمنين الذين لا يريدون أن يخرجوا إلى الجهاد في سبيله وكيف كان الوعيد لهم إن لم يخرجوا للجهاد وكيف يجب أن ينظروا إلى الحياة الدنيا على أنها مقدمة للأخرة.

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى
الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

[سورة التوبة الآيتان: ٣٨، ٣٩]

وبعد إظهار الفرق بين متاع الحياة الدنيا وبين الآخرة وما يجب على المؤمن في ضوء ذلك من تصرف وسلوك فقد وجه الحق سبحانه وتعالى أنظار المؤمنين إلى طريق الخير والصواب، حين خاطبهم بقوله عز من قائل:

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

[سورة التوبة الآية: ٤١]

وهناك العدد الهائل من الأحاديث النبوية الشريفة، التي حث الرسول فيها أصحابه وأتباعه وأبناء أمته المسلمة على فهم الحياة الدنيا على حقيقتها وعدم الاهتمام بما أكثر من قدرها. والعمل فيها ليس من أجلها ولكن للوصول إلى الآخرة ونعيمها. ولكثرة هذه الأحاديث الشريفة سوف نورد نماذج منها لتحقيق المراد دون الإطالة والإسهاب. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر وجلسنا حوله، فقال: إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها". (متفق عليه، رياض الصالحين، ١٦٦).

وعن أنس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة" (متفق عليه).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الدنيا لحوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء" (رواه مسلم، رياض الصالحين).

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما، قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل" (رواه البخاري، رياض الصالحين).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" (رواه مسلم، رياض الصالحين).

ومن المفيد جداً أن نرى معاً كيف فهم ابن القرآن، وفارس الإسلام، وريب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام الحياة الدنيا، وكيف كان يصفها لأصحابه ويحذرهم منها. ولكنرة الخطب التي تناول فيها إمام البررة والمتقين الحياة الدنيا، فإننا سوف نورد بعضاً منها لتوضيح المراد دون الإطالة والإطناب.

قال الإمام علي -عليه السلام- إحدى خطبه واصفاً الدنيا: "ما أصفُ من دارٍ أوْهُنَاءُ" وآخرها فناءٌ، في حالها حسابٌ، وفي حرامها عقابٌ، من استغنى فيها فُتِنَ ومن افتقر فيها حزن، ومن ساعاها (جرى معها في مطالبها) فاتقن، قعد عنها واتتهُ ومن أبصر بما (استخدمها لآخرته) بصرَ تهُ ومن أبصر اليها (أصبحت مبلغ علمه واهتمامه) أعمته" (نهج البلاغة، الجزء الأول، ص ١٣٠-١٣١).

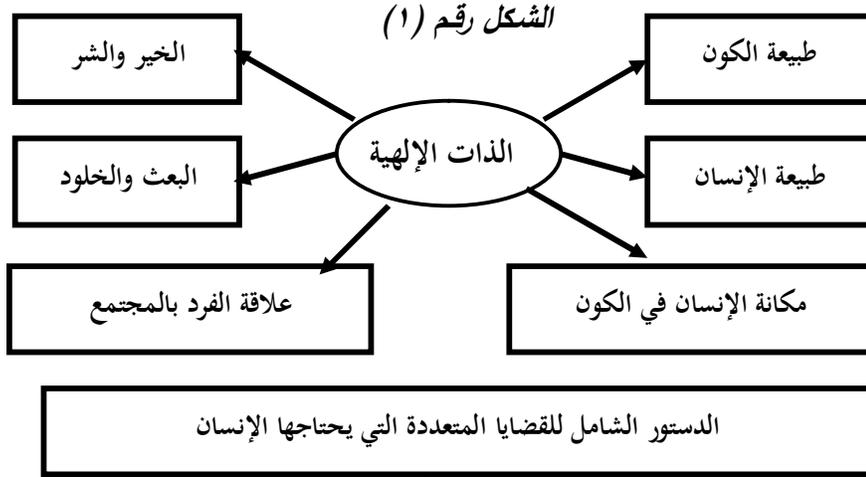
وفي خطبته الغراء يقول عليه السلام: "... أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقّت لكم الآجال، وألبسكم الرياش وأرفع لكم المعاش وأحاطكم بالإحصاء، وأرصد لكم الجزاء، وأتركم بالنعم السوانع والرّفَدِ الروافع، وأنذركم بلحجج البوالغ وأحصاكم عدداً. ووظف لكم مدداً في قرار خيرة ودار عبرة. أنتم محتدرون والفاثينها رويحاً مستقيون متطيها فلانديغ مشرعها، يُونِيقُ منظرها ويُوْبِقُ مخبرها. غرور حائل وظل زائل، وسناد مائل، حتى إذا أنس نافرُها واطمأن ناكِرُها قمصت بأرجاء، لموقهتصت بأحِبُ لمها وأقصدت بأسهْمُ لها وأعلقت المرء أوهاق المنية. قائدةٌ له إلى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل" (نهج البلاغة، الجزء الأول، ص ١٣٣-١٣٤).

وفي خطبة أخرى يقول فيها: "عباد الله أوصيكمُ بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تحبوا تركها، والمبلية لأجسامكم وإن كنتم تجبونها هـ. ا. فإن مَثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه، وأمّوا علماً فكأنهم بلغوه وكم عسى المرّيح إلى الغاية ان يجري إليها حتى يبلغها. وما عسى أن يكون بقاءٌ من له يوم لا يعدوه وطالبٌ حثيثٌ يحده في الدنيا حتى يفارقها.

فلا تنافسوا في عز لخدنيهلولا ولا تعجبوا بزينةها ونعيمها، ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها. فإن عزها وفخرها إلى انتظيغ، موائليليلة نهال وضراءها وبؤسها إلى نفاذ. وكل مدة فيها إلى انتهاء، وكل حي فيها إلى أظليان لكم في آثار الأولين مـ زجر، وفي آباءكم الماضين تبصرة ومعتبر. إن كنتم تعقلون. أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخلف الباقيين لا يبقون. اولستم ترون أهل الدنيا يصبجون ويمسجون على أحوال شتى فميت يـ بكى وآخر يـ عزّي وصريع مبتلى. وعائدوا يهود بنفسه يوجد، وطالبٌ للدنيا والموت يُطلبه، وغافلٌ وليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي" (نهج البلاغة، الجزء الأول، ص ١٩١-١٩٢).

إن ما ذكره الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبه البليغة الحكيمة حول الدنيا وصفاتها وكيف يجب أن ننظر إليها ونتعامل معها، ينبثق من فهمه الصائب الدقيق لكتاب الله وسنة رسولنا الأمين. هذا الفهم المتميز يبين لنا آثار المدرسة النبوية الشريفة في تفكير الإمام كرم الله وجهه. وما أوحنا معشر المسلمين في هذه الأيام إلى أن نعي حقيقة وجودنا، وحقيقة دنيانا، وطبيعة نخجنا الإسلامي المنير، وأسس ومعالم مدرسة رسولنا الكريم، لنصلح ما فسد من عقائدنا وأنماط سلوكنا، وننهض من سباتنا العميق، على حين تتداعى علينا الأمم كتداعي الأكلة على قصعتها، إننا في أمس الحاجة للانتظام في المدرسة القرآنية الحكيمة، والتي خرج منها رسولنا الكريم أصحابه البررة الطاهرين، الذين شكل جمعهم الكريم خير أمة أخرجت للناس يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر. إن هذه المدرسة الطاهرة، زودت أبناءها بمشاعل النور والمعرفة، وساروا في ضوء ذلك في طلب الدنيا وما فيها بمدف الفوز في الآخرة. لذلك ليس غريباً أن نجد إمام المتقين وسلياً وصياء الطاهرين علي عليه السلام يتحدى الدنيا قائلاً "يا دنيا يا دنيا البك عني، أبي تعرضت، أم إلي تشوقت. لا حان حينك، هيهات غري غري. لا حاجة لي فيك. قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها. فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير. آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد" (نهج البلاغة، الجزء الرابع، ١٦-١٧).

الشكل رقم (١) يوضح حقيقة الحياة الدنيا في ضوء النهج الإلهي، كما يبين طريقة الفهم للقضايا الأساسية المتصلة بالحياة الدنيا والمصدر الذي انبثقت منه، ويوضح أيضاً أن الأهداف العامة والخاصة للإنسان تتكون من خلال الفهم الدقيق للحياة الدنيا. ويسعى الإنسان إلى اختيار الأسس والأساليب التربوية لتحقيق أهدافه بما ينسجم مع فهمه ومعتقداته للحياة الدنيا والمرتكزات التي أسس عليها هذا الفهم.



الحياة الدنيا في ضوء المدارس الفكرية البشرية

بعد أن عرضنا في الصفحات السابقة، المفهوم الإسلامي للحياة الدنيا وما ينعكس عنه من حقائق وجودية هامة، وكيف واجه الإنسان تلك الحقائق، لا بد لنا من أن نعطف بنظرنا، إلى ما وصل اليه الإنسان بقدراته الذاتية حول هذا الموضوع، إذ استخدم الإنسان الوسائل والطرق كافة عبر تاريخه، ليبحث ويتأمل الحقائق الوجودية الهامة ليسير في ضوء ما توصل اليه من حقائق وأوهام حول تلك القضايا. وتجدر الإشارة إلى أن الإنسان الذي أدير عن النهج الإلهي لم يأخذ بأية حقيقة من الحقائق الأولى والهامة التي بينها للناس الحق سبحانه وتعالى. فالإنسان لم يعط أدنى اهتمام إلى حقيقة خلق آدم وهو أصل البشر، في عالم الغيب، ولا إلى حقيقة وجود آدم وحواء وتجربتهما مع عدو البشرية ابليس. ولا إلى حقيقة هبوط آدم وحواء إلى هذا الكوكب مع عدوهما اللدود، ولا إلى حقيقة أن النهج الإلهي بعثه الحق سبحانه وتعالى ليحرر الإنسان من وساوس وتسويلات عدوه الأشر ابليس، ويقوده إلى طريق الحق المبين. فجميع هذه الحقائق وضعت في عالم النسيان عند الإنسان الذي صدف عن النهج الإلهي، وذهب ليبحث بطريقته الخاصة معتمداً على قدراته الذاتية، للوصول إلى ما تصبوا اليه النفوس، وما يداعب ما في الصدور من هوى ومجموعة شهوات تدفعه ليلاً نهاراً على غشيانها.

وإذا أمعنا النظر عبر تاريخ البشرية، فإننا نجد الإنسان الذي نأى بجانبه عن طريق الحق، قد آمن بعدة أوهام وأساطير، رافقته وهو ينسج حضارته الإنسانية عبر تاريخه المديد. وقد كانت انعكاسات هذه الأوهام والأساطير، تشكل خطراً جسيماً على مكانة هذا الإنسان في الوجود، لذلك فإن الإنسان عبر تاريخه أعلن عبوديته إلى الأنهار والبحار، والشمس والنار، وإلى بعض أنواع الحيوانات، وإلى الحجارة التي كان ينحتها بيده وأكوام التمر التي كان يرصها بيده، كما أذعن إلى عبودية إنسان مثله والالتزام بكل شيء تعكسه هذه العبودية على سلوكه، إضافة إلى أن قسماً من الناس ذهب ليعبد هواه، وبذل أقصى طاقاته في تحقيق كل ما يفرضه عليه اتباع الهوى من أهداف متعددة تتغير حسب الظروف والمناسبات. وكل إنسان سنحت له الظروف أن يجتلي تاريخ الإنسان عبر القرون السالفة، سيجد أن الإنسان الذي ابتعد عن النهج الإلهي القويم، عاش هذه الفترة من تاريخه، وهو يجهل حقيقة نفسه، وحقيقة حياته ومستقبله الوجودي، كما جهل الحقائق الوجودية كافة التي تنير له الدرب في صنع مستقبله الأخرى. لذلك فإن هذا الإنسان، ذهب ليكون مفاهيم متعددة متباينة حول الحياة الدنيا، بسبب الأوهام والأساطير التي استقرت في ذهنه عبر تاريخه الطويل، وقد كلفته الشيء الكثير من المعاناة

والآلام، والحروب الشرسة التي جرت الولايات والمصائب على كاهل هذا الإنسان، هذا فضلاً عن مستقبله الوجودي المظلم، الذي لم يعد له شيئاً بسبب غفلته وانشغاله باتباع أهوائه، عن المصير الذي سيؤول إليه باتباع الدنيا وما فيها من متع شهوية.

لقد جاءت المحاولات والدراسات البشرية حول الحياة الدنيا والقضايا الوجودية، عبر تاريخ هذا الإنسان ضمن فلسفات ومدارس فكرية، تشابه بعضها مع بعض في نقاط واختلفت في نقاط أخرى. لذلك فإننا نرى لكل فلسفة أو مدرسة فكرية طابعها الخاص الذي يميزها عن بقية المدارس الأخرى. وهذا الاختلاف يعود إلى طبيعة الإنسان واختلاف الأهواء من شخص إلى آخر ومن وقت إلى آخر. وقد اتبع كل فلسفة أو مدرسة فكرية قسم من الناس، على أساس أن هذه المدرسة هي التي تنطق بالحق والحقيقة، وتتاسب الإنسان في ظروفه وطموحاته كافة، وقد استخدم اتباع كل مدرسة فكرية، جميع قدراتهم المتعددة للذود والدفاع عن المبادئ الأساسية، التي تنادي بها مدرستهم ومدى صلاحيتها للإنسان في جميع ظروفه وأزمانه المتعددة. وسوف نورد المبادئ الأساسية لكل فلسفة من هذه الفلسفات، لنرى معاً كيف اختلفت هذه الفلسفات بعضها مع بعض حول القضايا الأساسية، التي شغلت الإنسان عبر تاريخه، وكيف فهم اتباع كل فلسفة الحياة الدنيا من خلال مبادئ مدرستهم الفكرية.

١. الفلسفة الطبيعية (Naturalism)

تعدُّ الفلسفة الطبيعية النبع الذي انبثقت منه سائر الفلسفات الأخرى، إذ انعكست مبادئ هذه الفلسفة على بقية الفلسفات الأخرى بنسب متفاوتة. ويرجع تاريخ هذه الفلسفة إلى القرن السادس قبل الميلاد، على يد فلاسفة ملسان الذين كانوا يقطنون في شرق تركيا، والذين كانوا أول من حاول البحث عن حقائق الأشياء بالاعتماد كلية على الطبيعة. وزعيمهم ثالس (Thales) طرح بضرورة الماء لكل شيء، حيث يُعدُّ العامل المشترك بين جميع الأشياء في الطبيعة. وقد تطورت هذه الفلسفة في القرن الخامس قبل الميلاد على يد الفيلسوفين الشهيرين لوسيبوس (Leucippus) وديمقريطس (Democritus) اللذان كانا يقطنان في جزيرة قبرص. وقد صرح هذان الفيلسوفان أن كل شيء في هذه الطبيعة يمكن تقسيمه إلى أجزاء صغيرة أو ذرات متناهية لا يمكن تحطيمها أو تجهتها. كما أنهما لا يعتقدان بالمصادفة، فكل شيء في هذه الطبيعة مكوّن من ذرات مرتبة بطريقة منظمة، فعلى الإنسان أن يعيش بانسجام تام مع هذه الطبيعة المنظمة.

وقد وصلت الفلسفة الطبيعية القديمة القمة على يد الفيلسوف ابيقورس (Epicurus) في القرن الرابع قبل الميلاد، الذي كان ينادي بالحياة السعيدة الخالية من الألم والخوف. وقد اعتقد بقانون المصادفة في حركة الذرات في تكوين بعض العناصر، دون المساس في تحديد حقيقة الأشياء.

ويعد الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو رائد هذه الفلسفة في ضوء ما قدم من أفكار في كتاباته: نظرية العقد الاجتماعي وإميل. ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة (Clark, 1957):

١. الشيء الوحيد الحقيقي في هذا الكون الطبيعة.
٢. الطبيعة هي مفتاح الحياة، وان كل شيء نعمله هو جزء من الطبيعة.
٣. كل شيء في هذه الحياة يتحرك حسب قوانين الطبيعة.
٤. الطبيعة لا تتغير لذلك يمكن الاعتماد عليها.
٥. إن كل فرد يعد أهم من المجتمع، إن أهداف المجتمع تعد ثانوية إذا ما قورنت بأهداف الفرد.
٦. الأنظمة الاجتماعية مقبولة لأنها تمنع الفوضى وليس لأنها جيدة.

٢. الفلسفة المثالية (Idealism)

على الرغم من أن السومريين وقدماء المصريين كانوا يعتقدون بجزء كبير من أفكار الفلسفة المثالية، إلا أن تاريخ هذه الفلسفة يعود إلى سقراط (B.C. 339, 469) الذي كان ينادي بأفكار الفلسفة المثالية، ولكن اقترن اسم هذه الفلسفة باسم أفلاطون (Plato. 426-347, B.C) الذي هو الذي دوّنّها ورَتَّبَها بشكل منظم. ومن أهم مبادئ الفلسفة المثالية (Butler, 1969):

١. وجود الإنسان في هذه الحياة يتركز تماماً على العقل.
٢. جميع الأشياء الحقيقية تأتي من العقل.
٣. إن الإنسان يترجم ويحلل كل شيء بواسطة العقل.
٤. إن الإنسان أهم من الطبيعة.
٥. إن القيم الخلقية لا تتأثر بسلوك الأفراد، فهي ثابتة لا تتغير حسب الظروف.
٦. إن الإنسان لديه الحرية في أن يختار بين الصواب والخطأ.
٧. العقل يعد القوة الأساسية التي تساعد الإنسان لكشف أسرار الكون، ويمكن استخدام المنطق والتحليل إلى جانب الأسلوب العلمي لكشف أسرار الكون.

٣. الفلسفة الواقعية (Realism)

يعد أرسطو (Aristote, 384-332 B.C) زعيم الفلسفة الواقعية كما أنه أحد تلامذة أفلاطون ومن أبرز خصومه اللاحقين إذ رفض تماماً فكرة افلاطون عن عالم المثل والأفكار. ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة (Charles, 1975):

١. أن عالم الحس حقيقي وهو كما نحسه ونراه.
٢. ان العالم جزء من الطبيعة ويمكن التعرف إلى أسراره عن طريق الأحاسيس والخبرات.
٣. جميع الأشياء المادية التي تحدث في هذا العالم تعتمد على القوانين الطبيعية.
٤. القوانين الطبيعية تسيطر على حركة الكون.
٥. يمكن للإنسان معرفة الحقيقة عن طريق الأسلوب العلمي والوسائل التجريبية، علماً أن الإنسان لا يستطيع ان يعرف كل شيء.
٦. لا يمكن فصل العقل عن الجسم، كما انه لا يوجد أي سيطرة لأحدهما على الآخر، ولكن هناك علاقة منسجمة بين الاثنين.
٧. يحق للفرد أن يحدد اعتقاداته بنفسه.

٤ . الفلسفة النفعية، البراجماتية (Pragmatism)

تعد هذه الفلسفة المشاركة الأمريكية الجادة في الفكر الفلسفي، ويعود الفضل في هذا الفكر الفلسفي إلى كل من:

أ) تشارلز بيرس (Charles S. Perice- 1839-1914)

ب) وليام جيمس (William James- 1842-1910)

ج) جون ديوي (John Dewey – 1859-1952)

ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة (Zeigler, 1964):

- ١ . كل شيء في هذه الحياة قابل للتغيير ما عدا الموت، ذلك أن الصفة السائدة لكل شيء هي التغيير.
- ٢ . كل فرد يعد جزءاً من المجتمع وله دور معين فيه، وان تصرفات الفرد تؤثر في المجتمع.
- ٣ . أهداف الفرد وأهداف المجتمع يجب أن تكون في خط واتجاه واحد.
- ٤ . ان الطريقة المثلى لمعرفة قيمة النظرية والحكم على الحقيقة هو البرهان عن طريق العمل، فإذا ثبت نجاحه فإن القيمة تعطى على هذا الأساس.

٥ . الفلسفة الوجودية (Existentialism)

برز الفكر الفلسفي الوجودي إلى حيز الوجود على يد الفيلسوف الدنماركي (Soren Kier

Kegaard, 1813-1855) ومن زعماء هذه المدرسة الفيلسوف الألماني المعاصر (Martin Heidegger

١٩٧٦-١٨٨٧) ومن أشهر زعماء هذه الفلسفة الفيلسوف الفرنسي سارتر.

ومن أهم المبادئ الأساسية لهذه الفلسفة (Brubache, 1968):

- ١ . ان الوجود الإنساني هو الحقيقة الوحيدة في هذا الكون.
- ٢ . كل إنسان له الحق أن يحدد القيم الحياتية لنفسه.
- ٣ . يعد الفرد أهم من المجتمع، لذلك يجب التركيز على أهداف الفرد.
- ٤ . إن الأشياء السيئة لا يمكن تغييرها.

٦ . الفلسفة الشيوعية (Communism)

تعطي الفلسفة الشيوعية مفهوماً مادياً للحياة بطريقة دياكتكية (جدلية)، ومن زعماء هذه الفلسفة لينين

(Lenin, 1870-1924) وستالين (Stalin, 1879-1953) ومن أشهر رواد هذه الفلسفة الفيلسوف

الألماني الشهير كارل ماركس (١٨٨٣-١٨١٨) ومن أبرز مذاهب هذه الفلسفة المذهب الاشتراكي.

ولكن عندما استطاع زعماء هذه الفلسفة الوصول إلى السلطة أثر الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ وحاولوا جاهدين تطبيق الفكر الفلسفي الشيوعي، لم يتسن لهم ذلك للتعارض الواضح بين الفكر المراد تطبيقه من جهة، والنزعات والدوافع الإنسانية الفردية من جهة أخرى. لذلك كان لا بد من إقامة نظام اشتراكي مرحلي، حتى يتم تطوير الإنسليمة من حيث الدوافع، والنزعات والأفكار الفردية لتصبح دوافع ونزعات وأفكاراً جماعية بعد الانتهاء من المرحلة الاشتراكية، ومن ثم ستطبق المبادئ الشيوعية بالكامل.

يتضح مما سبق أن الإنسان الذي ابتعد عن النهج الإلهي القويم، منكراً عبوديته للحق سبحانه وتعالى، في ضوء حرية الاختيار التي وهبها الحق سبحانه وتعالى للإنس والجن دون سائر المخلوقات، ذهب قسم من هؤلاء ليعبد هواه، كما فعل فرعون ومن سار على نمجه من الإنس، ليظلم نفسه وغيره من الناس باستغلاله عليهم واستخفافه بعقولهم ليدينوا له بالطاعة والعبودية، وهذا ما فعله جميع القادة المستكبرين مع شعوبهم عبر تاريخ الإنسانية. أما القسم الآخر من الذين صدقوا عن النهج الإلهي المنير فقد اتبعوا المدارس الفلسفية والمذاهب الفكرية التي اختلقها الإنسان من تأملاته، وتخيلاته، ومجونه لتنسجم بشكل تام مع أهوائه ورغباته في الحياة الدنيا. لأن الحياة الدنيا من وجهة نظرهم تعادل الوجود بأكمله، بل هي الوجود بعينه. وقد تبين بوضوح بعد تلك المدارس الفلسفية عن حقيقة القضايا الوجودية الهامة.

فالإنسان ذهب في هذه الحياة الدنيا ليشيد حضارته على معالم فكرية، وقوانين ودساتير وضعية، وأنماط سلوكية جميعها تقوده إلى تحقيق أهدافه وطموحاته، في هذه الحياة الدنيا وفق مفهومه الخاص لها. أما بالنسبة للإنسان الذي أناب للنهج الإلهي، فإنه ينظم جميع أموره الحياتية، في ضوء تعليمات النهج المنير، وما يعكسه في نفوس اتباعه من معتقدات، وأنماط سلوكه، وقوانين اجتماعية وقضائية، ومعالم تربوية وخلقية، لذلك فإن الفرق شاسع وعظيم بين الفريقين في أغلب مجالات الحياة، كيف لا ونحن نعلم ان سر الاختلاف بينهما يعود إلى فهم كل طرف للحياة الدنيا بصورة خاصة. فثنتان ما بين الذين يريدون من الحياة الدنيا ما يقرهم إلى رضى الله سبحانه وتعالى في اليوم الآخر، وبين الذين لا يريدون الا متاع الحياة الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق. لذلك يبدو بوضوح ما تحدف إليه المدارس الفلسفية والمذاهب الفكرية التي ابتدعها الإنسان لتوصله إلى متاع الحياة الدنيا فقط، وللنهج الإلهي الذي أرسله الحق سبحانه وتعالى هدىً ورحمةً للناس جميعاً ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويبين لهم ان يطلبوا الآخرة بقدراتهم كافة، التي حسدها فيهم وألا ينسوا نصيبهم من الدنيا. لأن الدنيا في ضوء هذا النهج هي مقدمة للآخرة. وعلى الإنسان اللبيب أن يشتري آخرته بدنياه، ويتعامل مع الحياة الدنيا على حقيقتها وهي دار الفناء والابتلاء. والشيء المذهل والعجيب أن نجد قسماً من الناس يقارنون بين الإسلام وبين غيره من المدارس الفكرية والفلسفية فيما قدم كل منهما للإنسان من تحقيق أهداف مادية متعلقة فقط بالحياة الدنيا. فهذا العمل يسلب الإسلام أهدافه الأولى وقيمه السامية التي بعثه الحق سبحانه وتعالى من أجلها.

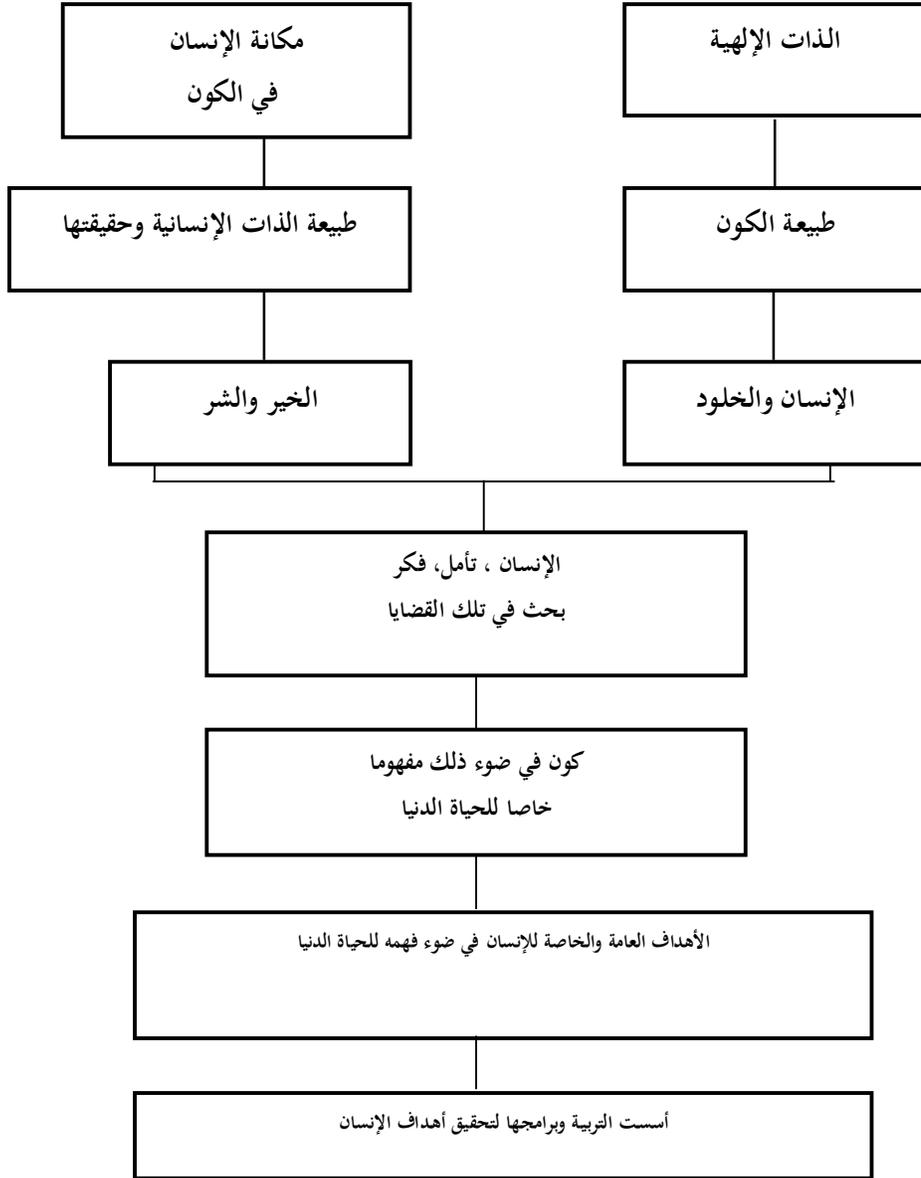
وهناك عديد من الفلاسفة، والشعراء والعلماء، الذين شدتحم الدنيا إلى مفاتنها وزخارفها فذهبوا إلى تزيين الحياة الدنيا وما فيها من شهوات في نفوس العامة عن طريق الفكر والشعر، ولكنهم ذهبوا في نهاية الأمر إلى وصف الحياة الدنيا على حقيقتها. وقد اخترنا من هؤلاء الفيلسوف الشاعر عمر الخيام حيث يصف لنا الحياة الدنيا في الأبيات التالية (عمر الخيام، ترجمه احمد رامى):

وأمرنا فيها حديث يطول
وطالب الدنيا نديم التدم
فكل ما فيها شقاء وهم
ويزرع الأرض يريد الغنى
في كده أحوال هذي الدني
لا شيء يبقى غير طيب العمل
وحررت فيه بين شتى الفكر
أدرك لماذا جئت أين المفر
وتطلب النفس حمى طاعتك
صحت بالآمال في رحمتك
فإنني أطمع في رحمتك
قد عشت لا أشرك في وحدتك
وأنت يا رب شديد المحال
خجلان من علمك سوء الفعال
يا كاشف الضر عن البائسين
ظلك فاقبل توبة التائبين

وإنما الدنيا خيال يزول
زخارف الدنيا أساس الألم
فكن خلي البال من أمرها
من يحسب المال أحب المنى
يفارق الدنيا ولم يختبر
وكل ما في عيشنا زائل
لبست ثوب العيش لم أستشر
وسوف أنضو الثوب عنى ولم
يا من يحار الفهم في قدرتك
أسكرني الإثم ولكنني
إن لم أكن أخلصت في طاعتك
وإنما يشفع لي أنني
بينى وبين النفس حرب سجل
أنظرو العفو ولكنني
يا عالم الأسرار علم اليقين
يا قابل الأعذار فتننا إلى

يوضح الشكل رقم (٢) النهج الفلسفي البشري في فهم حقيقة الحياة الدنيا عن طريق الاعتماد الكلي على القدرات الإنسانية في التفكير، والبحث، والتأمل في الأمور والقضايا الوجودية المتعلقة بالكون الفيزيقي والميتافيزيقي. ظناً من الإنسان ان قدراته توصله إلى لباب الأمور في تلك القضايا. وفي ضوء هذا الفهم الخاص للحياة الدنيا ذهب الإنسان ليصوغ بنفسه جميع الدساتير والقوانين المتعلقة بأموره الحياتية كافة. وقد وضع أساساً خاصة للتربية لتوصله إلى تحقيق أهدافه وفق مفهومه الخاص للحياة الدنيا.

الشكل رقم (٢)



المراجع العربية

١. القرآن الكريم.
٢. أبو زكريا النووي، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.
٣. السيد محمد حسين الطباطبائي، أسس الفلسفة والمذهب الواقعي، دار المعارف للمطبوعات، بيروت.
٤. الغزالي، بين الفلسفة والدين، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٧.
٥. الغزالي، تهافت الفلاسفة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢.
٦. بشار عبد الهادي، الحياة بعد الموت، دار ابن رشد، عمان، ١٩٨٤.
٧. تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة د. محمد أبو ريدة، بيروت، ١٩٨١.
٨. حسن الحيازي، التصور الإسلامي للوجود، دار البشير، عمان، ١٩٨٩.
٩. حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٥.
١٠. رؤوف عبيد، الإنسان روح لا جسد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧١.
١١. عمر الخيام، ترجمة احمد رامي، رباعيات الخيام، مكتبة غريب، القاهرة.
١٢. محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨١.
١٣. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢.
١٥. نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

المراجع الأجنبية:

١. Brubache, Johns. Modern Philosophies of Education, 4th ed. Mc, Graw-Hill New York, 1968.
٢. Butler, J. Donald. Four Philosophies and Their Practice in Education and Religion, 3rd ed. Harper and Row, New Yori, 1969.
٣. Charles A. Bucher, Foundations of Physical Education, 7th ed. C.V Mosby. St, Louis, 1975.
٤. Clark, Gordon H. thales to Dewey, A History of Philosophy Houghton Mifflin, Boston, 1957.
٥. Earle f. Zeigler, Philosophical Foundations for Physical Health and Recreation Education, Prentice-Hall, Engle wood cliffs, N.J. 1964.

الفصل الثاني
ماهية القيم التربوية وأنواعها

ماهية القيم وأنواعها

مقدمة:

إن الحديث عن القيم ليس من الأمور اليسيرة على الإنسان لما لهذا الموضوع من صلات مباشرة بجميع المسائل الوجودية دون استثناء . فإن الفهم الحقيقي الدقيق لماهية القيم وطبيعتها يتطلب من الباحث فهماً دقيقاً للذات الإلهية، وطبيعة الكون، وحقيقة الحياة الدنيا، وطبيعة الذات الإنسانية وسر وجودها ومصيرها في هذا الكون .

لقد لازم مفهوم القيم الإنسانية الإنسان منذ بداية خلقه ويبقى هذا الاتصال الوثيق بين الإنسان والقيم كونها المحرك الأساسي لسلوكات الإنسان حتى يرث الحق سبحانه وتعالى الأرض وفي عليها من البشر . وإيماءة إلى استفادة الإنسان من القيم الحقيقية التي تشكل قواعد الانطلاق لمسيرته في الحياة الدنيا فإنها سوف تعود بالفوائد الجمة عليه في اليوم الآخر .

تجدر الإشارة إلى أن الحق سبحانه وتعالى خلق الإنسان لغايتين نبيلتين كل واحدة منهما ذات قيمة كبيرة. لقد خلق الباري عز وجل الإنسان تكويناً ليكون خليفة الله في الأرض ويبدو ذلك جلياً في قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[سورة البقرة الآية : ٣٠]

إن الآية الكريمة تعطي دلالات ثلاثاً، أولاً: أن الحق سبحانه وتعالى أخبر الملائكة أنه سيجعل الإنسان خليفة في الأرض. والدلالة الثانية موقف الملائكة من هذا الخليفة، إذ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء- أما الدلالة الأخيرة فهي رغبة الملائكة في الخلافة في الأرض وتبدو واضحة جلية في نهاية الآية الكريمة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك-.

وهذا جميعه يشير إلى القيمة العظيمة لهذه المكانة للإنسان في هذا الوجود. لذلك عندما أمر الحق سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لسيدنا آدم سجد الملائكة على اختلاف فصائلهم كونها خلقت تكويناً للطاعة إلا فصيل إبليس الذي خلق تشريعاً للطاعة.

قال تعالى:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾

[سورة البقرة الآية: ٣٤]

قال تعالى:

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٨﴾

[سورة الأعراف الآيتان: ١١، ١٢]

واشارة إلى الغاية الأخرى من خلق الإنسان فهي الخلق التشريعي لعبادة الحق سبحانه وتعالى. قال تعالى:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

[سورة الذاريات الآية: ٥٦]

إن القيمة الحقيقية لهذا الخلق التشريعي لعبادة الله تقود الإنسان ليكون خليفة الله في الأرض في الحياة الدنيا وفي منزلة عليين في اليوم الآخر، وهي المكانة التي أَرادها الحق سبحانه وتعالى لأفضل مخلوقاته. وكون هذا الخلق لهذه الغاية تشريعاً فإن الإنسان يملك الإرادة الكاملة في عبادة الله وطاعته أم عدم عبادته ومخالفته، وستكون منزلة الأذليين للذين خالفوا الغاية التشريعية من خلقهم.

كما تجدر الإشارة إلى أن الذات الإنسانية مخلوقة غائية وقد فطرها البارئ عز وجل على الغرائز والشهوات الإنسانية والقدرات العقلية لتمارس غايتها في شتى أمورها الحياتية.

إن هذه الغائبة التي وشجت عليها النفس الإنسانية تجعل موضوع القيم ذا معنى كبير وله أهميته البالغة بالنسبة للإنسان لأنه سيقوم بترتيب غاياته حسب قيم هذه الغايات التي توجه قدراته العقلية وتضبط أنماطه السلوكية لتحقيق تلك الغايات حسب أهميتها قيماً.

ولقد مارس الإنسان التفضيل بين الغايات حسب قيمتها قبل أن تلمس قدماء سطح الكرة الأرضية وهو يعيش في علم الغيب ويبدو ذلك جلياً في قوله تعالى:

وَبَقَادُمْ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيْكَمَا لِمَنْ التَّصْحِيحُ ﴿٢١﴾ فَذَلَّهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

[سورة الأعراف الآيات: ١٩-٢٢]

قال تعالى:

فَقُلْنَا يَتَّادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَقَ ﴿١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا مَجُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٩﴾ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبَلَى ﴿٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا لَهْمًا سَوْءًا تَيْهَمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٢١﴾

[سورة طه الآيات: ١١٧-١٢١]

تدل الآيات الحكيمة السابقة على موازنة وتقويم آدم وحواء لقول الحق سبحانه وتعالى مقابل قول الشيطان ليريا أي القولين يدرُّ عليهما فوائد أكثر وقيماً أعلى دون أن يلتفتا إلى حقيقة القولين وماهية مصدرهما. لذلك وجدا أن القيمة الأعلى تكمن في قول الشيطان فسلكا في ضوء ذلك، فتبين لهما خطئهما تجريبياً فتوجها إلى البارئ عز وجل طلباً للتوبة والمغفرة.

قال تعالى

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾

[سورة الأعراف الآية: ٢٣]

وأخيراً تجدر الإشارة إلى أن القيم تشكل الدوافع الحقيقية للإنسان للمفاضلة بين الأشياء بغض النظر عن كونها بنيت على حقائق أم أوهام. أما الإنسان الحكيم فإنه يميز بين حقائق الأمور وأوهامها قبل أن ينظر إلى قيمها، لأنه ليس من الحكمة أن نقارن ونوازن قيمياً بين أمرين أحدهما يستند إلى حقيقة والآخر يستند إلى الوهم والخرافة.

الدراسات السابقة:

تستقر القيم وتتشكل عند الإنسان استناداً إلى قدرته على فهم الحقائق المتصلة بالمسائل الوجودية سواء الفيزيقية منها أم الميتافيزيقية. لذلك يعود اختلاف الإنسان حول موضوع القيم إلى قدرته على فهم الحقائق ومدى مصداقية المصادر المعرفية التي اعتمد عليها. ومن أبرز الأدلة على ذلك اختلاف الآراء الإنسانية حول مفهوم قيمة الحياة الدنيا بالنسبة للإنسان.

"حين يتحدث الناس عن أمر ما، فانهم يعبرون عن جانبيين، هما: مجموعة الظروف المتصلة بهذا الأمر، ثم ما ينبغي أن يكون عليه. فالجانب الأول يستعمل للدلالة على الحقائق، والجانب الثاني يستعمل للدلالة على القيم. وفي محاولة لسبر غور القيم وتعريفها، يجد المرء صعوبة في بلورة تعريف واحد للقيم، إلى درجة أن البعض يرى أن تعريف القيم يشبه في صعوبته تعريف الحقيقة، من هنا كثرت وجهات النظر بشأن تحديد مفهوم القيم" (هندي وآخرون، ١٩٩٠).

"يرى بعض الباحثين أن القيم: هي القواعد أو الأسس التي يستطيع الناس من خلالها وبواسطتها أن يستمدوا آمالهم ويوجهوا تصرفاتهم" (خوري، ١٩٨٣).

"بينما يرى بركات أن القيم هي: مجموعة من القوانين والمقاييس تنبثق من جماعة ما، وتتخذ معايير للحكم على الأعمال والأفعال والتصرفات، وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة

الإلزام والضرورة والعمومية، وأي خروج عليها أو انحراف عن اتجاهاتها يُعدّ خروجاً عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومثلها العليا" (بركات، ١٩٨٣).

"يرى نيلر أن الاهتمام بدراسة القيم وإخضاعها للبحث العلمي من جانب العلماء والباحثين لم يرس النور إلا في العقود الأخيرة من هذا القرن. وتُعدّ دراسة القيم بثلاث مسائل رئيسة هي: (١) هل القيم ذاتية أم موضوعية؟، (٢) هل القيم متغيرة أم ثابتة؟، (٣) هل هناك سلالم متدرجة للقيمة؟".

"لقد بذل الفلاسفة على اختلاف مدارسهم الفلسفية جهوداً عالية للوصول إلى قيم الأشياء التي تتصل بالإنسان ويسعى نحوها باستمرار. وقد أبرز كل فيلسوف أو مدرسة رأيه في القيم حسب فهمه للوجود والحقائق المنبثقة عنه، ومن أبرز الحقائق التي كان لها أثر قوي في تشكيل مفهوم القيم في ذهن الفيلسوف، نظرته إلى قيمة الحياة الدنيا وحقيقتها في قاموسه الفكري، لذلك تعددت آراء المدارس الفلسفية حول موضوع القيم لاختلافهم حول المفاهيم الأولية عن الوجود ومكوناته، وحول حقيقة الحياة الدنيا على وجه الخصوص" (الحياري، ١٩٩٤).

"تعد القيم من قبل نزعاء الفلسفة المثالية أمراً مطلقاً، فقيم الخير والحق والجمال لا تختلف عن ذواتها بمرور الزمن، كما أنها لا تختلف مع مرور الأجيال والمجتمعات، وذلك لكونها ليست من صنع الإنسان، وإنما هي جزء من العالم والكون" (وليم وآخرون، ١٩٧٦).

"هناك فروقات كبيرة وآراء متباينة بين مدارس الفلسفة الواقعية حول موضوع القيم. فزعاء المدرسة الواقعية العلمية يرون أنه على الرغم من وجود فروقات واختلافات بين التركيبات الاجتماعية في عالمنا، فإن هناك قيماً أساسية تشترك هذه الجماعات في إعلاء شأنها ولا دخل لله في هذه القيم، فما اتصل بطبيعتنا كان خيراً وما كان غرباً عنها كان شراً، أما أقطاب المدرسة الكلاسيكية فيعتقدون أن هناك قانوناً أخلاقياً عالمياً يخضع للمنطق وهو ملزم لنا جميعاً، ويتفق مع هذا التوجه أصحاب المدرسة الواقعية المسيحية، إلا أنهم يقولون أن مصدر هذا القانون الأخلاقي هو الإله الذي نرودنا بالقدرة على استخدام المنطق لفهم هذا القانون، وأنه

بإمكاننا فهم هذا القانون بدون المساعدة الإلهية . إلا أننا وبسبب فساد طبيعتنا لم نعد نستطيع فهمه دون خلاص الأرواح ولا يتم هذا إلا بتعليم الأطفال كيف يسمون بأرواحهم بابتعادهم عن الخطيئة وادراك الخير" (وليم وآخرون، ١٩٧٣).

" يختلف زعماء الفلسفة البراجماتية مع بقية الفلاسفة في نظرتهم للقيم، إذ تعد القيم في ضوء مدرستهم أمراً نسبياً يتوقف على الظروف، والأشخاص، والخبرات، فالحكم على القيم لا يختلف عن الحكم على أي شيء آخر من حيث اعتماده على الحقائق، وبما أن الحقائق أمر نسبي يختلف من ظرف لآخر، أو من خبرة لأخرى، فإن القيم أمر نسبي أيضاً، ويركز أقطاب هذه المدرسة على القيم الاجتماعية تأكيداً لدور المجتمع وأهميته. وقد ذكّر به جون ديوي وأسماه بالذكاء الاجتماعي، وهو القدرة على ملاحظة وفهم المواقف الاجتماعية المتعددة واختيار أفضلها والعمل بها من أجل الحصول على القوة الاجتماعية لتحقيق أهداف المجتمع وتطلعاته، والقيم الأخلاقية أيضاً تخضع للتجربة ويتم التوصل للحقيقي منها عن طريق الاختيار الناقد للنتائج والتبعات المختلفة المترتبة على كل قيمة" (وليم وآخرون، ١٩٧٣).

"تفرض المدرسة الوجودية جميع القيم المفروضة على الفرد من قبل المجتمع أو من مسلمات العلوم والأديان، لأن في ذلك تعطيلاً لأهم ما يميز الإنسان، وهو حرته في الاختيار. فالفرد يعد المسؤول الأول والأخير عن بناء سلم أولويات القيم لذاته. وهو يعلم أن إيجاد هذه القيم الذاتية والتعامل معها يدمر منفعة له وللآخرين، لأنها تبع من وعي شخصي داخلي ناضج مسؤول" (المرجع السابق).

"مثلما اختلفت نظرة المدرسة الإسلامية للمعرفة عن بقية الفلسفات الأخرى فإنها تختلف أيضاً عن بقية المدارس الفلسفية فيما يتعلق بالقيم. إن الحق سبحانه وتعالى بيدنا لنا سبيل الخير وأمرنا باتباعها كما بين لنا سبيل الشر ونهانا عن اتباعها. فسبيل الخير في ضوء المدرسة الإسلامية يشمل الخير في الحياة الدنيا والحياة الآخرة. وكذلك بالنسبة إلى سبيل الشر. لذلك فإن قيم الأشياء والأمور وضحتها لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز

وبينها رسوله الكريم في سذته النبوية الطاهرة كما تبدو واضحة جلية في الأنظمة والقوانين والتشريعات الإسلامية" (الحياري، ١٩٩٤).

أهمية الدراسة:

على الرغم من ملازمة موضوع القيم للإنسان منذ وجوده بسبب ملاءمته للغائية التي وشجت عليها النفس الإنسانية، إلا أنه يشار عادة إلى موضوع القيم بطريقة تنقصها الدقة والوضوح، لكونه أحد المسائل الفلسفية الأربع الرئيسية، التي اختلفت حولها الآراء وتشعبت المفاهيم الإنسانية بتحديدتها استناداً إلى المصادر المعرفية المتعددة التي اعتمدها الإنسان، وتتوع المنطلقات الفكرية والفلسفية التي اعتقدها، وهو ينسج تاريخه الحضاري ويخطط مستقبله الطموح في هذا الوجود. وكون الأساس الفلسفي المتعلق بالقيم يتأثر بصورة مباشرة بالأسس الفلسفية الأخرى، أدى ذلك إلى تباين آراء الفلاسفة والمفكرين. أضف إلى ذلك ما يعكسه هذا الموضوع على حياة الإنسان في وجوده الفيزيقي والميتافيزيقي من آثار واسعة النطاق على مجريات الحياة كافة. لذلك اختلفت المدارس الفلسفية حول موضوع القيم فيما بينها، كما اختلفت جميعها مع المدرسة الإسلامية حول طبيعة القيم وماهيتها وأنواعها وعلاقتها بالعلم، مما أدى بالتالي إلى نشوء تربيّات متعددة وثقافات مختلفة وقوانين وأنظمة متباينة ونظم أخلاقية متفاوتة.

كما تسعى التربية باستمرار ضمن عملية ديناميكية دوّوب إلى تحقيق أغراضها في المجتمع الإنساني بما يتلائم مع القيم الإنسانية السائدة في ذلك المجتمع. ومن الاستحالة على العملية التربوية، أن تشق طريقها في أي مجتمع إنساني، بصورة علمية سليمة، إذا لم تكن القيم الإنسانية واضحة المعالم في مفهومها ومضامينها التربوية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

إن المجتمع الإنساني الذي يطفو على أجوائه التربوية والثقافية تخبط وتناقض في قيمه الإنسانية يؤدي ذلك إلى ظهور الانقسام الفكري، والنفاق الاجتماعي، والعملية التربوية المتضادة، والثقافة الهلامية في نفوس أبنائه ليتكون بالتالي جيل "إنساني" فاقد لهويته الفكرية وفلسفته التربوية وثقافته الفكرية والاجتماعية.

أضف إلى ذلك أن القوانين الإنسانية المتعددة تصاغ في ضوء القيم السائدة في المجتمع الإنساني الواحد، وتعد القوانين الحارس الأمين عليها والقوة الفاعلة الأولى لترسيخها في أذهان الناس بما يتلاءم مع التقدم العلمي المتواصل.

وخلاصة الأمر أن للقيم آثاراً واسعة النطاق على حياة الإنسان في وجوده الفيزيقي والميتافيزيقي في كافة المراحل وينشأ عنها قانونا الخير والشر، ومفهوم الأخلاق، ويصاغ في ضوءها أهداف الإنسان حسب أهميتها ويؤسس عليها العملية التربوية للإنسان ويبني عليها الإنسان صرحه الثقافي والحضاري بصورة متماسكة تتسجم مع بقية مسائله الفكرية والوجدية.

أهداف الدراسة وأسئلتها:

تسعى هذه الدراسة إلى توضيح ماهية القيم وطبيعتها ولتحقيق هذا الهدف لا بد من الإجابة عن أسئلة الدراسة التالية:

١. ما علاقة القيم بالعلم؟
٢. ما أنواع القيم؟
٣. ما المسائل الوجدية التي تركز عليها القيم في المدرسة الإسلامية؟
٣. ما القيمة الأولى التي يسعى الإنسان المسلم نحوها؟

أسلوب الدراسة:

يعتمد الباحث في دراسته على الأسلوب التحليلي مع التركيز على الاستقراء والاستنباط لملائمته لطبيعة الدراسة.

التعريفات الإجرائية:

يكون للكلمات التالية المعنى المقابل لكل منها أينما وردت في الدراسة.

- الخلق التشريعي: يدل على المخلوق الذي خلقه الحق سبحانه وتعالى لعبادته باتباع الشرع الذي بينه الحق له، ويملك هذا المخلوق الحرية في اتباع شرع الله أو الابتعاد عنه.
- الخلق التكويني: يشار إلى المخلوق الذي خلقه الله لعبادته وطاعته دون أن يكون لهذا المخلوق حرية في القبول أو الرفض لذلك.
- العلم: يعني العلم بالشيء أي معرفته على حقيقته دون أدنى لبس أو شك أو التباس أو ظن.
- الوجود الفيزيقي: وجود الإنسان في عالم الشهادة أو عالم الحس.
- الوجود الميتافيزيقي: وجود الإنسان في عالم الغيب.
- القيم: كلمة تدل على جمع قيمة، وقيمة الشيء تعني ما يعكسه على الإنسان من فوائد ومكاسب مادية ومعنوية.

نتائج الدراسة:

السؤال الأول: ما علاقة القيم بالعلم؟

إن المتأمل لجميع المسائل المتعلقة بالوجود الكوني بشكل عام والمسائل المتعلقة بالوجود الإنساني بشكل خاص يجد ببسر وسهولة أن الإنسان بحاجة إلى علم ثابت الدلالة حول أي مسألة يود أن يجتلي قيمتها وما تدر عليه من فوائد بصورة دقيقة، وقد يؤدي

نقصان العلم حول الموضوع قيد التقييم إلى إعطاء الإنسان قيمة غير حقيقية له سواء أكان زيادة أم نقصاً في قيمته.

إن الحق سبحانه وتعالى خلق كل شيء في الوجود الفيزيقي والميتافيزيقي بمواصفات معينة وقدرات محدودة لكل خلق من مخلوقاته، ولكل منها مزايا ومواصفات تتشابه وتختلف في القدرات والصفات، إلا أن هناك صفة مشتركة بين سائر المخلوقات، وهي صفة التناهي، وهي أن لكل مخلوق قدرات محدودة لا يستطيع أن يتجاوزها.

ومن بين المخلوقات التي خلقها الباري عز وجل، الإنسان بشكله المنظم المرتب، المعقد التركيب، وقدراته العقلية ذاتية القصور التي مكنته أن يتبوأ مكانة الخلافة في الأرض. وقد علم الإنسان وهو يعيش في عالم الأمر يقيناً أن قدراته محدودة وأن نقصان العلم يؤدي به إلى التخبط في فهم الأمور وما تحتوي عليه من قيم. ويبدو ذلك جلياً في قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبٰلٰسَۙ اَبٰنَۙ فَاَقْبَلْنَا يَنْۢعٰدَمُۙ
اِنَّ هٰذَا عَدُوٌّ لِّكَ وَلِرٰوَجِكَۗ فَلَآ يُخْرِجُكَمۡ مِّنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفٰىۙ اِنَّ لَكَ اَلَّاۤيٰتُجُوعَۙ فِیْهَا
وَلَا تَعْرِىۙ وَاَنَّكَ لَا تَظْمُؤُۤا فِیْهَا وَلَا تَضْحٰىۙ فَاَوْسَسُوۤاۤ اِلَیْهِ الشَّیْطٰنُۙ قَالَ یٰۤاٰدَمُ
هَلْ اَدْرٰکَ عَلٰی شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكِ لَآیِلٰنِۙ فَاٰكَلَاۤ مِنْهَا فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوَۤءٌۭۤ اَتُهُمَا
وَطَفِیْقًا یَّخْصِفٰنِ عَلَیْهِمَاۙ مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصٰۤیۙ اٰدَمُ رَبِّهٖۙ فَغَوٰىۙ ثُمَّ اٰجَبْنٰهُ رَبُّهُۙ فَاَبَّ
عَلَیْهِۙ وَهَدٰىۙ ﴿۱۱۶﴾

[سورة طه الآيات: ۱۱۶-۱۲۲]

تدل الآيات السابقة على أن قدرات آدم وحواء الذاتية لم تمكنهما من الفصل والتمييز بين قول الحق سبحانه وتعالى وبين قول عدوهما الشيطان عندما تمت المفاضلة وتقييم الأمر بين ما عرضه الحق وعرضه العدو، كما أنهما لم يميزا بين قول الخالق الرحيم وقول العدو الأليم، لذلك وقعا في الخطأ الجسيم وتوجها بطلب التوبة والمغفرة من الحق سبحانه وتعالى، ويبدو ذلك جلياً في قوله تعالى:

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾

[سورة الأعراف الآية: ٢٣]

وقد تاب الحق سبحانه وتعالى على سيدنا آدم عليه السلام في قوله جل شأنه:

فَنَلَقَّ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ [سورة البقرة الآية: ٣٧]

واستناداً إلى رحمة الحق سبحانه وتعالى بالإنسان وعلمه التام بقدراته الذاتية المحدودة، بعث الحق سبحانه وتعالى للإنسان هدىً يهتدي بنوره في حياته المؤقتة في الحياة الدنيا ليمارس دور الخلافة بأفضل الوسائل والطرق التي توصله إلى تحقيق الغاية من خلقه وتحقيق الهدف الأسمى من خلافته في الأرض.

قال تعالى:

قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ [سورة البقرة الآية: ٣٨]

تجدر الإشارة إلى أن الهدى الذي وعد به الباري عز وجل الإنسان سيصل إليه عن طريق الأنبياء والمرسلين، قال تعالى:

يَبْنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ [سورة الأعراف الآيتان: ٣٥، ٣٦]

إن هذا الهدى يُمَكِّنُ الإنسان من الوقوف على حقيقة المسائل الوجودية التي تنير له الطريق في كلتا الحياتين الأولى والآخرة، كما يحتوي على معلومات لا يستطيع أن يسبر غورها الإنسان معتمداً على قدراته الذاتية، ودلالة ذلك أن الإنسان يقف عاجزاً أمام أن يتعرف على حقيقة وماهية ما يسكن بين جنباته وهي الروح عندما أراد الحق سبحانه وتعالى أن لا يطلع الإنسان الا على المعلومات البسيطة حولها، ويبدو ذلك جلياً في قوله تعالى:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

[سورة الإسراء الآية: ٨٥]

لذلك علم الحق سبحانه وتعالى الإنسان علوماً لم يكن الإنسان ليصل إلى لبابها والتعرف على حقيقتها لولا ان علمه الحق سبحانه وتعالى إياها، ودلالة ذلك في قوله عز من قائل:

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ﴿٥﴾ [سورة العلق الآية: ٥]

أضف إلى ذلك أن الإنسان لا يستطيع الوصول إلى علم الله سبحانه وتعالى أو نصيب منه إلا إذا شاء الحق سبحانه وتعالى ذلك، ويبدو ذلك ساطعاً في قوله تبارك وتعالى:

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٥٥]

وفي ضوء ما تقدم فإن الإنسان يحتاج بجانب قدراته العقلية في الوصول إلى العلوم المتعددة إلى ما جاءه من عند الباري عز وجل لتتسع دائرة معارفه حول جميع المسائل التي تؤثر على مجريات حياته ليتمكن بالتالي من إعطاء كافة الأمور المحيطة به قيمها الحقيقية من أجل ترتيبها حسب أهميتها والتخطيط السليم لتحقيقها حسب أولوياتها القيمة بالنسبة له. وخالصة الأمر أن الإنسان يحتاج إلى علم ثابت يقيني لا يشوبه شك أو ريب حول طبيعة وجوده، والغاية من خلقه، ومستقبله في الوجود بنوعيه الفيزيقي والميتافيزيقي، وحقيقة الذات الإلهية، وطبيعة الكون، والمفهوم الحقيقي للحياة الدنيا إذا ما أراد أن يعرف القيم المتصلة بالهدف من خلقه، وقيمة حياته في الدارين الأولى والآخرة وجميع القيم المتصلة بالأمور التي يتعامل معها في الحياة الدنيا.

وقد نبّهه الباري عز وجل الإنسان إلى التأكد والتيقن من المعلومات التي تقدم له قبل أن يقيم الأمور لكي لا يفتن بالأوهام والإغراءات التي تبعده عن القيم الحقيقية للأشياء وتقوده إلى قيم وهمية تضله عن جادة الطريق. ويبدو ذلك واضحاً جلياً في قوله تعالى:

يَبْقَىٰ آدَمَ لَا يَفْنَىٰكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرْتِكِبُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

[سورة الأعراف الآية: ٢٧]



السؤال الثاني: ما أنواع القيم؟

إن جميع المعلومات التي وردت في الإجابة عن السؤال الأول تدل على ان هناك نوعين من القيم لكونها تعتمد بشكل مباشر وقوي على العلم الثابت الدلالة. فالنوع الأول من القيم هو الذي لا يستطيع ان يصل اليه الإنسان عن طريق قدراته الذاتية مهما بلغ من درجات علمية وأساليب بحثية متقدمة، فلا بد من الاعتماد على ما جاء من عند الله سبحانه وتعالى من آيات بينات. وهناك أمور كثيرة تندرج تحت هذا النوع من القيم نذكر منها للبيان وليس للحصر، قيمة خلق الإنسان، قيمة الحياة الدنيا، قيمة التضحية بالمال والنفس. ودلالة هذه القيم الثلاث تبدو جلية واضحة في قوله عز من قائل:

[سورة الذاريات الآية: ٥٦]



وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
قال تعالى: الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ

[سورة الملك الآية: ٢]

واشارة إلى قيمة التضحية بالمال والنفس فتبدو في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتِ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَنِّلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنَلُونَ وَيَقْنَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾

[سورة التوبة الآية: ١١١]



وتجدر الإشارة إلى أن علم الحق سبحانه وتعالى مكن سيدنا آدم عليه السلام وهو في عالم الأمر أن يفوق علم الملائكة جميعاً بما فيهم فصيل إبليس، بينما استطاع إبليس وحده أن

يحرفه عن جادة الطريق عندما ابتعد عن علم الحق سبحانه وتعالى واكتفى بعلمه ليقدم بين ما عرضه عليه الرحمن الرحيم من جهة وقول الشيطان الرجيم من جهة أخرى.

قال تعالى:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَّكُمُ الَّذِينَ أَنْبِئْتَهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ عَلَّمْتُ غَيْبَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ [سورة البقرة الآيات ٣١-٣٣]

وإيماءة إلى النوع الثاني من القيم، فهي القيم التي يستطيع الإنسان أن يصل إلى قيمتها الحقيقية وما تدر عليه من فوائد استناداً إلى قدراته الذاتية وأساليبه العلمية وتقنياته البحثية، ويندرج تحت هذا النوع جميع القيم المادية للأشياء التي يمتلكها الإنسان من مركبات فضائية، وأجهزة إلكترونية، وقنابل نووية، وأجهزة طبية وبرامج اقتصادية وآلات زراعية ومشاريع تجارية وغيرها من وسائل الحياة المادية.

لذلك نستطيع أن نقول أن النوع الأول من القيم مصدره الحق سبحانه وتعالى استناداً إلى علمه الكامل المحيط بكل شيء في السموات والأرض. والنوع الثاني مصدره الإنسان كونه يستطيع أن يصل إلى المستوى العلمي والمعرفي المتقدم لإعطاء الأمور التي تندرج تحت هذا النوع قيمها الحقيقية.

وهناك ملاحظة هامة لا بد لنا من الإشارة إليها، وهي أن الإنسان يجب أن يفهم النوع الأول من القيم كما هي دون زيادة أو نقصان عليها أو تأويل لها. لأن سوء الفهم يؤدي إلى ظهور الخلل في القيمة الحقيقية لها. أما بالنسبة للنوع الثاني من القيم فالإنسان يمتلك الحرية الكاملة بإجراء عملية النقص والزيادة عليها حسب ظروفه وإمكاناته المادية والسياسية والفكرية والاقتصادية.

السؤال الثالث: ما المسائل الوجودية التي تركز عليها القيم في المدرسة الإسلامية؟

كذاً قد أشرنا إلى القيم في ضوء المدارس الفكرية عندما تحدثنا عن الدراسات السابقة. وقد تبين أن هناك تفاوتاً كبيراً في نظرة كل مدرسة فكرية للقيم عن المدرسة الأخرى. لأن كل مدرسة نظرت إلى القيم استناداً إلى مفهومها الخاص للمسائل الوجودية المتعلقة بالعالمين الفيزيقي والميتافيزيقي هذا بجانب نظرتها الخاصة للإنسان وطبيعته وحاضره ومستقبله في الوجود بنوعيه.

لقد اختلفت المدرسة الإسلامية في نظرتها للقيم عن نظيراتها في المدارس الفكرية الأخرى، لأن المدرسة الإسلامية تستند إلى علم العليم الخبير في فهم المسائل الوجودية وما ينتج عنها من قيم تهتم الإنسان وتشد انتباهه وتضبط سلوكه. فطالما أن علم الله سبحانه وتعالى مطلق في مضمونه وكامل الثبات في دلالاته، فإن القيم في ضوء المدرسة الإسلامية أسست على علم يقيني ثابت لا يشوبه شك، أو ظن مما أدى إلى استقرارها وثباتها على مر الزمان وتقدم العلوم وازدهار الحضارة الإنسانية.

تجدر الإشارة إلى أن الإنسان يجب عليه أن يفهم تلك المسائل الوجودية كما بينها البصير العليم دون محاولة الزيادة عليها من معلومات أو انقاص منها، لأن ذلك يؤدي إلى تشويه القيم الناتجة عنها.

كما يجب الاعتماد على جميع المسائل الوجودية دون إسقاط أو إغفال أي منها، لأن ذلك يقود إلى خلل في القيمة الأولى وما ينتج عنها من قيم. وتبدو المسائل الوجودية التي تعتمد عليها المدرسة الإسلامية كما في الشكل رقم (١). وهي: حقيقة الله سبحانه وتعالى، وحقيقة خلق الإنسان والهدف من خلقه، وحقيقة الحياة الدنيا والهدف من خلقها، وحقيقة الحياة الآخرة ومستقبل الإنسان فيها.

حقيقة الحياة الآخرة ومستقبل الإنسان فيها	حقيقة الحياة الدنيا والهدف من خلقها	حقيقة خلق الإنسان والهدف من خلقه	حقيقة الله سبحانه وتعالى
- الجنة - عليين - النار - الأذلين	- ابتلاء الإنسان وامتحانه	- عبادة الله - الخلافة في الأرض - الملكة العقلية - حرية الاختيار	- الرحمن الرحيم - - - شديد العقاب

إن الإنسان الذي ينتمي إلى المدرسة الإسلامية، لا مندوحة له من فهم المسائل الوجودية الأربع كما هي ويعي بصورة دقيقة جميع الحقائق الأخرى التي تنطوي عليها كل مسألة، ليصل بالتالي إلى حقيقة مفادها أن القيمة الأولى التي يسعى إليها، هي دخول الجنة، وأن جميع القيم الأخرى من، صدق، وتعاون، وإيثار، وإخاء، وزكاة، وصلاة، وحج، وصدقة، وجهاد، وقول الحق، والتضحية بالمال والنفس.. الخ، تقود الإنسان إلى تحقيق القيمة الأولى.

السؤال الرابع: ما القيمة الأولى التي يسعى الإنسان المسلم نحوها؟

إن المتأمل لنهج الله سبحانه وتعالى الذي أرسله هدىً ورحمةً للعالمين بما يحتوي من أوامر ونواهٍ موجهة للإنسان وهو يمارس دور الخلافة في الحياة الدنيا، سوف يجد أن جميع الأوامر والنواهي تحتوي على قيم كثيرة تقود الإنسان المسلم نحو تحقيق هدف أسنى يمثل القيمة الأولى للفرد المسلم وهي دخول الجنة. والإنسان المسلم قد يضحي بكل ما يملك من أمور مادية انتهاءً بتقديم نفسه بالكامل من أجل تلك القيمة. ويبدو ذلك جلياً في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَدِّمُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْبَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة الآية: ١١١]

كما تظهر قيمة دخول الجنة في سنة المصطفى صلوات الله عليه وسلامه في بيعة العقبة الثانية عندما طلب الأنصار من رسول الله صلى الله عليه وآله ان يشترط لربه وعندما أجابهم، قالوا، وإذا فعلنا ذلك قال عليه الصلاة والسلام، لكم الجنة. لما فتنا الإسلام في الأنصار اتفق جماعة منهم على المسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستخفين لا يشعر بهم أحد فساروا إلى مكة في الموسم في ذي الحجة مع كفار قومهم واجتمعوا به وواعدوه أوسط أيام التشريق بالعقبة فلما كان الليل خرجوا بعد مضي ثلثة مستخفين يتسللون حتى اجتمعوا بالعقبة وهم سبعون رجلاً معهم امرأتان، نسيبة بنت كعب أم عمارة، وأسماء أم عمرو بن عدي من بني سلمة وجاءهم رسول الله ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو كافر أحب أن يتوثق لابن أخيه فكان العباس أول من تكلم فقال: يا معشر الخزرج -وكان العرب تسمى الخزرج والأوس به- إن محمداً منا حيث قد علمتم في عز ومناعة وإنه قد أبى إلا الانقطاع إليكم فإن كنتم ترون أنكم تفون بما دعوتموه إليه ومانعوه فأنتم وذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة.

فقال الأنصار: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك وريك ما أحببت. فتكلم وتلا القرآن ورغب في الإسلام ثم قال: تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

ثم أخذ البراء بن معمر ور بيده ثم قال: والذي بعثك بالحق لنمنعك مما تمنع منه ذراريك فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحرب.

فاعترض الكلام أبو الهيثم بن التيهان فقال: يا رسول الله إن بيننا وبين الناس حباً لا وإنما قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت إن أظهرك الله عز وجل أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنتم مني وأنا منكم، أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم.
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم. فأخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وقال لهم العباس بن عبد المطلب: نضلة الأنصاري:

يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ تبايعونه على حرب الأحمر والأسود فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرفكم قتلاً اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي الدنيا والآخرة. وإن كنتم ترون أنكم وافون له فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله؟ قال الجنة. قالوا: أبسط يدك. فبايعوه (ابن الأثير - الكامل في التاريخ).
مناقشة النتائج:

لقد دلت نتائج الدراسة المتعلقة بالسؤال الأول إلى حقيقة مفادها ان القيم تعتمد بشكل قوي ومباشر على العلم لكي يستطيع الإنسان ان يعي المقدار الحقيقي للقيمة وما تعكسه عليه من فوائد، لذلك اختلفت مفاهيم الإنسان للقيم نظراً إلى اختلاف المصادر المعرفية التي لجأ إليها الإنسان وتباين النظريات المعرفية التي سلك في ضوءها. وما اختلفت المدارس الفكرية حول مفهوم القيم وطبيعتها وأنواعها الا دليلاً ساطعاً على ذلك.
كما ان لارتباط القيم بالعلم آثاره المباشرة على أنواع القيم فهناك القيم التي تستند إلى علم الحق سبحانه وتعالى للوقوف على حقيقتها والتعرف على فوائدها للإنسان، وهناك القيم التي يستطيع الإنسان الوصول إلى حقيقتها وما تعكسه من فوائد عليه استناداً إلى علمه هو دون اللجوء إلى مساعدة الغير. وقد أدت هذه الحقيقة إلى اعتماد بعض المدارس الفكرية النوع الثاني من القيم متجاهلة النوع الأول بالكامل لانسجام هذا التجاهل مع مبادئها الوجودية.

أما النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث فتشير إلى أن المسائل الوجودية للمدرسة الإسلامية يجب أن تفهم كما جاءت من عند الله سبحانه وتعالى بجانب الوعي السليم لكافة الحقائق المتصلة بها لكي تتضح معالم القيمة الأولى وما ينتج عنها من قيم في نفوس أتباع المدرسة الإسلامية من جهة وفي نفوس أتباع المدارس الفكرية الأخرى من جهة أخرى. وتجدر الإشارة إلى أن سوء الفهم واضطراب السلوك عند بعض المسلمين يعود إلى قلة فهمهم لتلك المسائل الوجودية وما يتصل بها من حقائق.

وأخيراً فإن نتيجة السؤال الرابع تشير إلى أن القيمة الأولى التي يسعى الفرد المسلم نحوها في ضوء المدرسة الإسلامية هي دخول الجنة، لذلك فإن الفرد المسلم يتبع جميع ما جاء من عند الحق سبحانه وتعالى من أوامر ونواهي محققاً جميع الأهداف المتصلة بكافة القيم المنبثقة عن المدرسة الإسلامية لتحقيق الغاية الأولى والقيمة الأعلى وهي دخول الجنة.

التوصيات:

استناداً إلى نتائج الدراسة يوصي الباحث جميع أتباع المدرسة الإسلامية إلى تأمل المسائل الوجودية التي شيدت عليها مدرستهم وما يتصل بها من حقائق للوصول إلى القيمة الأولى وما يتصل بها من قيم. كما يوصي بإجراء دراسة حول القيم المتصلة بوجود الإنسان في العالم الفيزيقي. وأخيراً يتمنى الباحث على المؤسسات التربوية في المجتمعات الإسلامية إلى صياغة أهدافها، وإعداد برامجها، وتصميم مناهجها الدراسية في ضوء الفهم السديد لتلك المسائل الوجودية وما يتصل بها من حقائق فرعية.

المراجع العربية:

١. القرآن الكريم.
٢. إبراهيم الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، القاهرة، ١٩٨٠.
٣. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.
٤. أحمد الفنيش، أصول التربية، الدار العربية، ليبيا، ١٩٨٢م.
٥. الشيخ الركابي، خطاب الحرية في النظام، الأبيستولوجي، دار النهضة الاسلامية، بيروت، ١٩٩٠.
٦. الغزالي، تهافت الفلاسفة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
٧. السيد محمد حسين الطباطبائي، بداية الحكمة، دار المعرفة الاسلامية، ١٩٨٦م.
٨. السيد محمد حسين الطباطبائي، نهاية الحكمة، مؤسسة آل البيت، المكتبة الاسلامية، بيروت، ١٩٨٦م.
٩. السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٠.
١٠. الدين والتحليل النفسي، أريك فروم، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧م.
١١. الكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد فريد، مكتبة دار المعارف، بيروت، ١٩٨٣م.
١٢. توما خوري، المناهج التربوية ومرتكزات تطويرها وتطبيقها، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٣م.
١٣. جورج، ف.، نيلر، مقدمة إلى فلسفة التربية، ترجمة نظمي لوقا، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٧م.
١٤. حسن الحياي، أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية، دار الأمل، اربد، الأردن، ١٩٩٤م.
١٥. حسن الحياي، أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية، دار الأمل، اربد، الأردن، ١٩٩٣م.

١٦. صالح هندي وآخرون، أسس التربية، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٠م.
١٧. لطفي بركات أحمد، في الفكر التربوي الإسلامي، ١٩٨٣م.

١٨. علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار

المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٤م.

١٩. فيليب فينكس، فلسفة التربية، ترجمة وتقديم، محمد ليبب، دار النهضة العربية،
١٩٦٥م.

٢٠. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية:

١. Adler, M.J.: The Conditions of Philosophy. New York: Atheneum, 1965.
٢. Avey, A.E.: Handbook in the History of Philosophy: Barns and Nobel, Inc. 1961.
٣. Ayer, A.J., et al.: Revolution in Philosophy. New York: St. Martin's Press, Inc., 1956.
٤. Baker, A.E.: How to Understand Philosophy. New York: George H. Doran Company, 1926.
٥. Brameld, T.: Philosophies of Education in Cultural Perspective. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1955.
٦. Broudy, H.S.: Building a Philosophy of Education. Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, Inc. 1954.
٧. Burton, M. Leiser. LIBERTY, Justice and Morals, Macmillan Publishing Co., Inc. New York, 1979.
٨. Burt, E.A.: In Search of Philosophic Understanding, New York: The New American Library, Inc. 1965.
٩. Cf. G. Lowes Dickinson, The Greek View of Life; London: Methuen, 1957.
١٠. Clough, S. B.: Basic Values of Western Civilization. New York: Columbia University Press, 1960.

11. Frankfort, H. et al.: Before Philosophy. Baltimore: Penguin Books, Inc. 1951.
12. Fuller, B.A., and McMurrin, S.M.: A History of Philosophy, 3rd ed. New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1960.
13. H.L.A. Hart, Law, Liberty, and Morality, Stanford University Press, 1963.
14. Lillie, w.: an Introduction to Ethics. New York: Barnes and Noble, 1963.
15. Mumford, L.: The Conduct of Life. New York: harcourt Brace Jovanovich, Inc. 1970.
16. Roubiczek, P.: Ethical Values in Age of Science. Cambridge, England: The University Press, 1969.
17. Runes, D.D.: Dictionary of Philosophy. Totowa, N.J: Little field, Adams and Co., 1960.
18. Sir Patrick Devlin, The Enforcement of Movals; New York: Oxford University Press, 1965.
19. Stevenson, C.L.: Facts and Values-Studies in Ethical Analysis. New haven: Yale University Press, 1964.
20. Wendy Kohli, Critical Conversations in Philosophy of Education, New York: London 1995.
21. Willim A. Harper, et al. The Philosophic Process in Education. U.S.A, 1979.
22. Wolfgang Brezinka: Belief, Morals, and Education. Glaube, Moral and Erziehung. 1992.

الفصل الثالث
حقيقة العلاقة بين الشورى والاجتهاد
في التربية الإسلامية

مفهوم الشورى في التربية الإسلامية

خلفية الدراسة:

لقد بين الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز جملة من الحقائق التي تدور حول الإنسان فيما يتصل بالهدف من خلقه وطبيعة ذاته، ومكانته في الوجود، وعلاقته مع بقية المخلوقات، ومستقبله في الوجود. كما بين له طريق الخير وطرق الشر موضعاً له النتائج المترتبة على اختيار كلا السبيلين.

كما خلق البارئ سبحانه وتعالى الوجود بنوعيه الميتافيزيقي والفيزيقي بما يحتوي عليه الوجود من موجودات قبل خلق الإنسان. وعندما خلق الإنسان، أمر الملائكة أن تسجد له وهو في عالم الأمر، وعندما أمر بهبوطه إلى الأرض سخر له جميع ما يتصل بالعالم الفيزيقي من مخلوقات بما فيها كوكب الأرض. وهذا جميعه يدل على قيمة ومكانة هذا الانسان عند الخالق تعالت وجلّت قدرته.

أما بالنسبة إلى الخلق المتأخر للإنسان في الوجود، فيبدو واضحاً جلياً في قوله عز من قائل:

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ [سورة الإنسان الآية: ١]

واشارة إلى الخلق الهادف التشريعي للإنسان فيبدو ساطعاً مشرقاً في قوله تعالى:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾

[سورة الذاريات الآيات: ٥٦، ٥٧]

وابمءاة إلى سجود الملائكة للإنسان تلبية لأمر الحق تبارك وتعالى، فيظهر جلياً واضحاً في قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ

وَنَفَخْتُ فِيهِمْ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا

إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾

قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾

[سورة الحجر الآيات: ٢٨-٣٣]

أما بالنسبة إلى قرار الهبوط فيظهر جلياً في قول الحق سبحانه وتعالى:

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

[سورة البقرة الآيتان: ٣٨، ٣٩]

وإشارة إلى مفهومي الخير والشر فإن الحق سبحانه وتعالى بينهما في قوله الكريم:

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾

[سورة طه الآيات: ١٢٣-١٢٧]

ولقد بين الحق سبحانه وتعالى كيفية وصول الحق والهدى إلى الإنسان في قوله تبارك

وتعالى:

يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّبَعَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

إن الخلق التشريعي الهادف للإنسان يُمكِّنه من الاختيار بين اتباع الحق والهدى الذي هتف ونادى به جميع الأنبياء والمرسلين وبين الإعراض والاستكبار والتكذيب لهذا الحق والخير الذي نادى به الأنبياء والمرسلون وهم يتحملون كافة صنوف الأذى والمضايقة والتكذيب والعداء لهذا النهج المنير.

وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾

[سورة الأنعام، آية ٤٨]

لوشارة إلى عداء الأقبوام لرسل الحق سبحانه وتعالى واتهامهم بالجنون تارة والسحر والكهنوت تارة أخرى، فيبدو جلياً في قوله تبارك وتعالى:

كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٤﴾ أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُوتٌ ﴿٥٥﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٦﴾ [سورة الذّاريات الآيات :٥٢-٥٤]

تشير الآية السابقة أيضاً إلى تتابع عملية المقاومة والاستمرار في مقاومة رسل الحق سبحانه وتعالى، وكأنها وصية من قوم إلى آخر حرصوا على تنفيذها بكل ما عندهم من قوة وإمكانات، وهذا دليل ساطع على طغيانهم.

وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يبعث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً للبشرية جمعاء وليس لقومه فقط مثل بقية الرسل. ويبدو ذلك في قوله تعالى:

قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [سورة الأعراف الآية :١٥٨]

ومن المخجل جداً ويؤسف له كثيراً، أن قوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدلاً من أن يفتخروا بهذه المكانة لرسول الانسانية جمعاء لكونه عربياً ذهبوا إلى أقصى غايات التخطيط لعدائه، بالرغم من نبل الرسالة وطهارة حاملها، وما كان صلوات الله وسلامه يتمتع به من مكانة عالية في أعين قومه حيث كان موضع ثقتهم وموئل أماناتهم، وعاش طيلة الفترة السابقة من عمره وهو الملقب بالأمين بينهم، فإنهم كذبوه أشد تكذيب وقاوموه أشد مقاومة بشتى الطرق والوسائل التي كانت معروفة لديهم بعد أن فشلوا في احتوائه، صلوات الله عليه وسلامه، عن طريق تقديم العروض المادية والمعنوية ليكف عن تبليغ رسالة الله إلى الناس، ويتبع دين الوثنية والأصنام. وعندما فشلوا في احتوائه، إذ وقف صلوات الله عليه وسلامه كالطود الشامخ أمام قريش وصلفها يدعو الناس إلى دين الحق والتوحيد بلسان عربي مبين، ذهبوا إلى المرحلة الثانية من مقاومته حين عرضوا عليه صلوات الله وسلامه عليه، الالتقاء في منتصف الطريق. وهذا يعني أن يتنازل كل طرف عن حق من حقوقه أو

عن جزء مما عنده للطرف الآخر. وبهذا لا بد لكل طرف من أن يتنازل عن جزء من دينه ويقبل مكانه جزءاً من دين الطرف الآخر.

"في الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف عن سعيد بن ميناء مولى أبي البخترى قال: لقي الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأميمة بن خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ولنشترك نحن وأنت في أمرنا كله فإن كان الذي نحن عليه أصح من الذي أنت عليه كنت قد أخذت منه حظاً وإن كان الذي أنت عليه أصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظاً فأنزل الله:

قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾
وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

[سورة الكافرون الآيات: ١-٦]

وعندما فشلت العرب في الالتقاء بمنتصف الطريق مع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما نزلت سورة "الكافرون"، ذهبت قريش إلى إيذاء النبي، صلوات الله عليه، شخصياً ومن تبعه من القوم أشد الإيذاء، ومكروا به وبأتباعه كل مكر وهو صاحب الخلق العظيم كما وصفه الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز. ويكفي أن نتذكر موقفه من أهل الطائف عندما طلب منه جبريل عليه السلام أن يطلب ما يريد انتقاماً لما فعله أهل الطائف بالنبي الكريم عندما ذهب إليهم قبل الهجرة ليدعوهم إلى دين التوحيد. فما كان منه صلوات الله عليه إلا أن قال لعل الله يبعث من أصلابهم من يؤمن بهذا الدين، وكل هذا الخلق الرفيع الذي كان يتمتع به المصطفى صلوات الله عليه لم يبعد عنه وعن أتباعه شرور قريش ومكائد القوم، فقد خططوا لقتله بعد أن فشلوا في تثبيته. ومن شدة المعاناة والعذاب الذي يتعرض له من يؤمن برسالته من القوم سمح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقسم كبير من أتباعه بالهجرة إلى بلاد الحبشة. وقد لاحقتهم قريش حتى في أرض الحبشة، هذا بالإضافة إلى توجيه التهم إلى الرسول الأمين التي تتم عن حقد القوم وعداوتهم القاسية، فقد اتهموه بالجنون والشعوذة، والسحر، والكهانة وجميعهم يعلم أن هذه التهم والمفتريات اختلقتها

نفوسهم الحاقدة على ما جاء به سيد البشر من هدى ونور للناس كافة. وقد كان الحق سبحانه وتعالى يتولى الرد على ترهات القوم وتخرصاتهم حول شخص الرسول الكريم، والآيات القرآنية العربية الحكيمة توضح لنا ذلك:

قال تعالى:

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ ﴿٥٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَسِ ﴿٥٦﴾ وَالْيَلِ إِذَا عَسَسَ ﴿٥٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴿٥٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٥٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٦٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٦١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٦٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٦٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٦٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ [سورة التكويد الآيات: ١٥-٢٧]

وقال تعالى:

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٦٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٦٩﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٧٠﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٢﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٧٣﴾ [سورة الطور الآيات: ٢٩-٣٤]

وقال تعالى:

وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَشَاكِرُونَ ﴿٧٤﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٥﴾ [سورة الصافات الآيات: ٣٧، ٣٦]

وقال تعالى:

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ [سورة يس الآية: ٦٩]

وقال تعالى:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ [سورة الأعراف الآية: ١٨٤]

وقال تعالى:

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

[سورة المؤمنون الآية: ٧٠]

وقال تعالى:

تَوَّابٌ وَالْقَالِمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١٠﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْحُونٍ ﴿١١﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿١٢﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾

[سورة القلم الآيات: ١-٤]

هذه نماذج من الآيات التي كانت تردُّ على مكر القوم وكيدهم لشخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لينكروا الحق الذي جاء به من عند الله هداية لهم بلسانهم العربي، وعن طريق رجل منهم ينتمي إلى أفضل نسب في قريش. وهجومهم على شخص الرسول لم يمنعهم من الهجوم على القرآن العربي الحكيم، إذ إنهم تواصلوا على ألا يسمعوا له وأن يستخدموا القصص والكتابات الأجمية للتشويش على القرآن العربي تحت شعار قومية الآباء والأجداد والأصنام التي كانوا يعبدونها.

قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾

[سورة فصلت الآية: ٢٦]

"كلمة كان يوصي بها الكبراء من قريش أنفسهم ويغرون بها الجماهير، وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم وفي نفوس الجماهير. "لا تسمعوا لهذا القرآن" فهو كما كانوا يدعون يسحرهم، ويغلب عقولهم، ويفسد حياتهم، ويفرق بين الوالد وولده، والزوج وزوجه. ولقد كان القرآن يفرق نعم ولكن بفرقان الله بين الإيمان والكفر، والهدى والضلال. كما يستخلص القلوب له فلا تحفل بوشيجة غير وشيجته. فكان هو الفرقان، "والغوا فيه لعلمكم تغلبون" وهي مهاترة لا تليق، ولكنه العجز عن المواجهة بالحجة والمقارعة بالبرهان، ينتهي إلى مهاترة، عند من يستكبر على الإيمان. ولقد كانوا يلغون بقصص اسفنديار ورستم كما فعل مالك بن النضر ليصرف الناس عن القرآن. ويلغون بالصياح والهرج، ويلغون بالسجع والرجز، ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح، وغلب القرآن لأنه يحمل سر الغلب" (سيد قطب، في ظلال القرآن، المجلد الخامس، ص ٣١٢٠).

ومن المذهل حقاً أنهم بعد إخفاقهم في السيطرة على القرآن وحامل لوائه صلوات الله عليه وسلامه عن طريق بث القصص والملاحم الأعجمية، ذهبوا إلى اتهام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يتعلم على أيد أعجمية مع علمهم التام بأنه صلوات الله عليه أُمِّي لا يجيد القراءة والكتابة بالإضافة إلى كون القرآن يتلى عليهم في اللغة العربية. وقد تولى الحق سبحانه وتعالى الرد عليهم حيث يقول في كتابه المكنون: قال تعالى:

وَلَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ
وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾

[سورة النحل الآية: ١٠٣]

وقال تعالى:

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ
آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى
أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

[سورة فصلت الآية: ٤٤]

وعندما أخفق أهل مكة في الفوز على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنع الناس من السماع للقرآن، ذهبوا إلى التخطيط لقتله والتخلص منه. وقد بين لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العربي الحكيم موقف قوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من رسولهم ومن رسالته في الآيات الحكيمة التالية:

قال تعالى:

كِنْدَبٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

وقال تعالى: يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لِمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾
تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاءَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ
حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى
الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ
فَهُمْ لَا يَبْصُرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

[سورة يس الآيات: ١-١٠]

توضح الآيات السابقة أن أكثر قومه لن يؤمن له مهما وضَّح لهم السبيل وأنار لهم الطريق بمختلف الحجج والبراهين التي يأمل أن تقودهم إلى سبيل الحق والرشاد. وهذا ما أطلعنا عليه الحق سبحانه وتعالى بأنهم لن يؤمنوا لعلمه سبحانه وتعالى بحقيقتهم وطبيعة مشاعرهم نحو الحق الذي جاءهم به ليقودهم إلى سبيل الفوز والنجاة في اليوم الآخر. كما وضَّح لنا الحق سبحانه وتعالى أن موقف قوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سيكون موقف المعاند والمنازع، والمكذب، والمحارب، كما فعل جميع الأقوام مع رسل الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

[سورة فصلت الآية: ٤٣]

وقد مكر القوم برسولهم الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى لهدايتهم إلى سبيل الخير والإيمان وهموا بقتله. وشاء الحق أن يجعل كيدهم في نحورهم وينجي رسوله الكريم ويسهل هجرته من موطنه مكة إلى المدينة المنورة ليقيم مدينته الفاضلة هو ومن معه من المسلمين العرب منهم وغير العرب، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وقد استحقوا بذلك وصف الباري سبحانه وتعالى لهم عندما وصفهم بخير أمة أخرجت للناس. فالأمة المشار إليها هنا ليست أمة العرب كما يفهمها بعض البسطاء من الناس، ولكنها تمثل العرب الذين آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمين غير العرب الذين آمنوا برسالته صلوات الله وسلامه عليه. أما الجزء الأكبر من قومه العرب فهم الذين هموا بقتله وخاضوا ضده أشد الحروب وأشرسها.

قال تعالى:

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ

[سورة الأنفال الآية: ٣٠]

حَايِرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾

ومن الجدير ذكره ان جميع الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون والرسول بينهم، كانت مع العرب لهدايتهم إلى النور المبين الذي يصدع به رسولهم الكريم سوى غزوة تبوك. وقد دفعتهم قوميتهم وشعار الآباء والأجداد أن يعقدوا حلفاً مع اليهود في المدينة ضد ابن قريش، ضد ابن بني هاشم، ضد الأمين، في غزوة الأحزاب ليستأصلوا شأفة الإسلام من جذورها. ولكن الحق سبحانه وتعالى نصر رسوله الكريم وهزم جمع الأحزاب شر هزيمة. ويبدو ذلك جلياً واضحاً في الآيات التالية: قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١١٠﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿١١١﴾ هُنَاكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١٢﴾

[سورة الأحزاب الآيات : ٩-١١]

وقال تعالى:

وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٤٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا نَقَمْتُمْ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٤٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْعُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٤٧﴾ [سورة الأحزاب الآيات : ٢٥-٢٧]

وقد انتهت المواجهة بين قريش "قوم الرسول" وبين الرسول وصحبه صلوات الله عليه بفتح مكة، عندما أعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قراره بخصوص أهل مكة بأنهم طلقاء الحرية والاختيار. وقد كتم قسم من هؤلاء الطلقاء وغيرهم من المنافقين العداوة لرسالة الإسلام من جهة والى الرسول وآل بيته الأطهار من جهة أخرى. وهذا ما تدل عليه الأحداث المفجعة التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكي يكون طرحنا للأحداث التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم موضوعياً ودقيقاً من جهة، وتحريراً القارئ العزيز من العواطف والسياسات التوفيقية بين الحق والباطل التي لجأ إليها الكثيرون عبر التاريخ إما جهلاً منهم وإما للافتتات على الحق

وأهله، فلا مندوحة لنا من إلقاء النظرة الفاحصة الدقيقة للوقوف على طبيعة وسمات الناس أو الفئات وأسرارها ومواصفاتها سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم بعد وفاته.

لقد وصف لنا الباري عز وجل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، كما وصف لنا بقية الأطراف أو الفئات التي كانت تعيش مع هذا الجمع الطاهر إذ كانت الآيات القرآنية الكريمة تصفهم لرسول الله ومن معه من المؤمنين. وسوف نعرض وصف القرآن الكريم لهم على شكل نقاط لنوضح ما هو المطلوب بطريقة دقيقة ومختصرة.

أولاً: بين لنا الحق سبحانه وتعالى حقيقة أهل مكة بخصوص الإيمان بالله ورسوله عندما أخبر رسوله في آخر العهد المكي بالقرار القطعي الثابت وهو أن أكثرهم لا يؤمنون ويبدو ذلك بوضوح في قوله تعالى:

لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ ءَابَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

وبعد أن فُتحت مكة وأصبح أهلها طلقاء ليختاروا بين الحق والباطل، فإنه لا يخفى على أحد إلى أين سيتجه أكثر أهل مكة في اختيارهم. ولكنهم أسروا ما في أنفسهم للوقت المناسب الذي يسمح لهم بإعلانه. ويبين حقيقة موقفهم الاحداث التي يندى لها جبين الإنسانية أسفاً وندماً بعد وفاة رسول الحق صلوات الله عليه وعلى آله الأطهار.

ثانياً: الفئة التي كانت تظهر إيمانها وتخفي حقدتها وكرهها للحق وأهله، فقد كشف الحق سبحانه وتعالى هذه الفئة المبطنة في مواقع شتى في كتابه العزيز ولكننا سوف نختار نماذج من هذه الآيات لكثرتها لتوضح حقيقة هذه الفئة.

قال تعالى:

لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ وَقَالُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ
اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾

[سورة التوبة الآية: ٤٨]

واضح أنهم أهل فتنة وكارهون للحق.

قال تعالى:

إِن تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا
مِنْ قَبْلِ وَيَكْتُمُونَ وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾

[سورة التوبة الآية: ٥٠]

واضح من مضمون الآية أنهم لا يحبون الخير للفئة المؤمنة.

وقال تعالى:

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنَىٰ قُلُوبِ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٦١﴾

[سورة التوبة الآية: ٦١]

واضح أنهم كانوا يقومون بأعمال وأنماط سلوكية كانت تؤذي النبي صلى الله عليه

وآله وسلم وهو يعيش بينهم.

وقال تعالى:

قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِن كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنْعَهُمْ أَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

[سورة التوبة الآيتان: ٥٣، ٥٤]

انهم يَصَلُّونَ وينفقون من أموالهم في الوقت الذي يكفرون فيه بالله ورسوله.

وقال تعالى:

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُوِيَ مَا
لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ
وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

[سورة التوبة الآية: ٧٤]

انهم أرادوا قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك حين خرج قسم منهم
ليبتلوا تنفيذ تلك المهمة وقد حال الحق سبحانه وتعالى بينهم وبين ما كانوا يهدفون إليه.

وقال تعالى:

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ
حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ
لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾

[سورة التوبة الآية: ١٠٧]

انهم شيدوا مسجداً ليكون بمثابة الرصد على الرسول ومن معه لصالح أعداء الحق
وأهله ولتفريق كلمة المؤمنين، وفي الوقت ذاته يحلفون أنهم ما فعلوا ذلك الا من باب
الحسنى والخير للمجتمع الإسلامي. وقال تعالى:

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾

[سورة التوبة الآية: ٥٦]

إنهم يحلفون بالله كذبا.

وقال تعالى:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مَسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ
كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذْرَهُمْ فَتَلَهُمْ اللَّهُ أَنْ يَوْفُقُونَ ﴿٤﴾

[سورة المنافقون الآية: ٤]

وقال تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ

[سورة النساء الآية: ٦١]

عَنْكَ صُدُّو دَا ﴿٦١﴾

ترى هل هذه الفئة المنافقة التي وصفتها الآيات السابقة والتي اخترنا نماذج منها قد انتهى أمرها بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم اشتد شأنها؟
ثالثاً: موضح لنا الحق سبحانه وتعالى نوعين من الناس الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، النوع الأول من الناس الذين يحبون الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله سبحانه وتعالى، والنوع الثاني من الناس الذين يكرهون الحق ولا يحبونه.

قال تعالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ
أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ
وَلَيْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ

[سورة البقرة الآيات: ٢٠٤-٢٠٧]

رَهُ وَفَّ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

وقال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ﴾ بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

[سورة المائدة الآية: ٦٧]

واضح من الآيات السابقة أنه في الوقت الذي يوجد فيه أناس يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله هناك أناس آخرون يكفون الخصام والعداء في قلوبهم للحق وأهله، إذ إن الحق سبحانه وتعالى بلغ رسوله الأمين أن يقوم بتبليغ ما أنزل إليه ولا يخشى هؤلاء الناس كما

وعده بأن يعصمه منهم ومن شرورهم. ترى هل أصبح الناس كافة من جند الحق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو ماذا حصل؟

رابعاً : إن الحق سينها وتعالى خاطب المؤمنين الذين تسرب إلى أذهانهم بعض الأمور التي لا تتسجم مع مبادئ الحق السامية في أكثر من موقع في كتابه العزيز موضحاً لهم أسس العقيدة الإسلامية وما تعكسه من أمور اعتقادية وسلوكية ليقودهم إلى سبيل الإيمان والفوز المبين.

قال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٣٨﴾ إِلَّا نَفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا
تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [سورة التوبة الآيتان: ٣٨، ٣٩]

وقال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ
عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ إِن كَانَ ءِآبَاؤُكُمْ
وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا
حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦٧﴾

[سورة التوبة الآيتان: ٢٣، ٢٤]

وقال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا
أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

[سورة الأنفال الآيتان: ٢٧، ٢٨]

وقال تعالى:

يَتَّيْمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذِلَّةٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

[سورة المائدة الآية : ٥٤]

هذه نماذج من الآيات القرآنية الحكيمة التي خاطب بها الحق سبحانه وتعالى المؤمنين ليُدبُّوا من بعض الأنماط السلوكية المجافية للحق والإيمان، ويُدبُّوا أيضاً ما تسرب إلى أذهان بعض المؤمنين عن بعض القضايا المتصلة بالحق الذي وضحه رسول الله أجمل توضيح. كما حدَّ ذرهم الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من مغبة الافتئات على الدين الإسلامي والتتكُّر له وألا ينقلبوا على أعقابهم. ترى هل تمسك المؤمنون بإيمانهم واستقامت عقيدتهم، ولم يرتد منهم أحد بعد وفاته صلوات الله عليه أو ماذا حصل لهم!

خامساً: ورد في القرآن العربي الحكيم لفظ (عربي) ثلاث مرات وجميعها تدل وتشير إلى أن القرآن الحكيم عربي. وقد ورد لفظ (عربياً) ثماني مرات وجميعها تشير إلى أن القرآن الحكيم قرآن عربي. وقد وردت كلمة (الأعراب) عشر مرات وجميعها تدل على الإنسان العربي. وقد اختلف الباحثون حول هذه الكلمة ومدلولها. بمعنى هل الأعراب تعني العرب الذين لا يسكنون المدن ويعيشون حياة البداوة أو أن الأعراب تعني جمع فئات من العرب. فإذا أردنا أن نجمع بكلمة واحدة عرب الحجاز، وعرب نجد، وعرب العراق، وعرب الشام فماذا نقول الأعراب أم ماذا؟ فلا بد لنا من أن نعي بدقة الآيات الكريمة التي تحدثت عن هذا المصطلح لنقف على المعنى الدقيق له. فالأعراب إما أن يكونوا جزءاً من قوم الرسول وهم العرب وإما أن يكونوا جميع العرب كافة وكلا المفهومين لن يؤثر على ما نود الوصول إليه من عرض لحالة المجتمع الذي كان يقوده صلوات الله عليه وسلامه.

أما الفئة الرابعة فهي الفئة المنافقة حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ الْإِفْاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ
 نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

[سورة التوبة الآية: ١٠١]

والفئة الخامسة التي خلطت أعمالاً صالحة مع أعمال سيئة.

قال تعالى:

وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ
 اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

[سورة التوبة الآية: ١٠٢]

أما الفئة الأخيرة فهي الفئة التي أشار إليها الحق سبحانه وتعالى بالآية الكريمة التالية:

وَأَخْرُوتَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[سورة التوبة الآية: ١٠٦]

ترى هل هذه الفئات الست التي احتوى عليها مصطلح الاعراب بمواصفاتها المختلفة والمتغايرة، ماذا كانت أهدافها وأدوارها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ يبدو بوضوح وجلاء من خلال ما عرضناه في البنود الخمسة السابقة أن المجتمع الإسلامي الذي تركه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته يتكون من عدة شرائح إنسانية، لكل شريحة منها مآربها وأهدافها واعتقاداتها الخاصة بها. فهناك الطلقاء في مكة الذين منهم أئمة الكفر، وفيهم قرار قطعي بأن أكثرهم لن يؤمنوا وهذا ما وضحه لنا القرآن الكريم. وهناك الفئة المؤمنة بمختلف درجات الإيمان عند أفرادها. وبالإضافة إلى طبيعة هذا المجتمع وما يحتوي عليه من فئات متفاوتة في الاعتقاد والأهداف فإن تاريخ الأقسام والبشر يشهد لهم أنهم كان الفساد يدبُّ بينهم بعد رحيل رسل الحق من بينهم. لذلك نجد البلاغ

الواضح الدقيق الذي أرسله لنا الحق سبحانه وتعالى لنعي بصورة دقيقة ماذا يكون عقاب من ينقلب على عقبيه بعد رحيل المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلم من وسط جمعه المؤمن ومدينته الفاضلة.

قال تعالى:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٤٤]

كله وضاح لنا الباري عز وجل في كتابه الحكيم مصير الذين يكتمون البيئات التي بيدها نهلحق سبحانه للناس ويحرّفون الكلم عن مواضعه لتلبية أهوائهم الذاتية على حساب الحق المبين أو نزولاً عند رغبة سادتهم طلباً للدنيا ومفاتها. ويبدو ذلك بوضوح في قوله عز من قائل:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾

[سورة البقرة الآية: ١٥٩]

قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي

[سورة البقرة الآيات: ١٧٤-١٧٦]

الْكِتَابِ لِيَ شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما سيحدث بعده من اختلاف وتأويل واختلاق وتفكك في جسد أمته من بعده. فقد خاطب أصحابه قائلاً "ستتبعون سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: أترأهم اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن؟" (البخاري، الجزء الرابع، ص ١٤٤، والجزء الثامن ص ١٥١).

كما قال صلوات الله عليه وسلامه: "ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة واحدة". (مسند أحمد، الجزء الثالث، ص ١٢٠، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن الجزء الثاني، رقم الحديث ٣٩٩٣).

أضف إلى ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم مخبراً ماذا سيفعل أصحابه من بعده حيث قال: "يوئى بأصحابي يوم القيامة إلى ذات الشمال فأقول: إلى أين؟ فيقال إلى النار والله فأقول: يا رب هؤلاء أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك فأقول: سحفاً لمن بدل بعدي". (البخاري، الجزء السابع، ص ٢٠٩، صحيح مسلم باب الحوض).

وفي ضوء ما تقدم من آيات قرآنية حكيمة وسنة نبوية طاهرة، فإن المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يكون أفضل حالاً مما كان عليه والرسول بين ظهرانهم، لأن وفاته تعني بالنسبة للفئات الحاكمة على الحق وأهله، أن الحاجز الأكبر الذي كان يحول بينها وبين تحقيق أهدافها المناهضة للإسلام قد تداعى، ذلك لأن الوحي الذي كان يكشف لرسول الله مكائدهم وأحبابهم قد انقطع بوفاته صلوات الله وسلامه عليه وآله الطاهرين، لذلك وجدت كل فئة مناهضة للحق واتباعه فرصتها الذهبية في تحقيق أهدافها عن طريق اختيار شتى السبل والطرائق الموصلة الى أهدافها الخبيثة، بغض النظر عن طهر الوسيلة أو خبثها، طالما قد توصل إلى ما ترنو له النفوس التي تتربص الدوائر بالإسلام وأهله. فسواء كانت الوسيلة التأويل للنصوص القرآنية أم سياسة الدس والوضع في السنة النبوية، فأهم من هذا وذاك الوصول إلى النيل من الإسلام وأهله. لذلك ليس غريباً أن تدور رحى الحروب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، واغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه والفتن التي حصلت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدت بالنهاية إلى اغتياله. والحروب الثلاث الضروس التي حصلت في عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه الرحمة والسلام. إن هذه الأمور كافة ليست غريبة على الإنسان لأن سنة الأ أقوام مع رسلهم تدل على نفس الأفعال والأمر التي حدثت بعد انتقال رسل الحق من بينهم، وهناك العشرات من الآيات القرآنية الحكيمة التي تشير إلى تلك الأعمال والأفعال. هذا بجانب ما ذكرنا من آيات قرآنية وسنة نبوية طاهرة تدل على ما سيحدث بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه وآله. ولكن الشيء الذي تشيب له النواصي

ويندى له جبين البشرية أسفاً وندماً أن يتم رفع مستوى الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى مستوى أرفع وأعلى من كتاب الله الحكيم الذي ينطق بالحق، إذ أشير إلى جميع أعمالهم المناهضة للحق على أنها تأويل للنصوص القرآنية حتى بلغ الأمر إلى الإشارة للمعارك الضروس، وجز الرؤوس، وسمل العيون واستباحة حرمت آل بيت الرسول، وانتهاك حرمة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقصف الكعبة وانتهاك حرمتها على أنها جميعاً تدخل تحت التأويل والاجتهاد. وقد أبيحت شتى المحرمات تحت هذا الشعار بالإضافة إلى سياسة الدس والوضع في السنة النبوية. وجميع تلك الأمور حدثت تحت شعار من اجتهد فأصاب فله أجران ومن لم يصب فله أجر واحد.

وجميعنا يعلم علم اليقين أن هذه الرتبة، أي المنزلة فوق الكتاب المنير والاجتهاد في موضع النص أو الاجتهاد في أمور المسلمين لم تعط حتى للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودليل ذلك يكمن في الآيات التالية:

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ مَرَضَاتِ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[سورة التحريم الآية : ١٠٦]

وقال تعالى:

وَلَوْ نَفَوْا عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾

[سورة الحاقة الآيات : ٤٤-٤٧]

أهمية الدراسة:

إن الخلق التشريعي الهادف للإنسان والحقائق المتصلة بالذات الإنسانية التي أسس عليها هذا الخلق التشريعي، جعل الإنسان يختلف مع أخيه الإنسان حول كافة المسائل الوجودية والفكرية سواء.

إن الملكة العقلية التي يتمتع بها الإنسان، وحرية الاختيار، وجانب الخير والشر، والغاية التي جبلت عليها الذات الإنسانية، أرست قواعد الاختلاف والاتفاق بين الإنسان وأخيه الإنسان، في جميع الأبعاد الفكرية والسلوكية والاجتماعية والثقافية.

لذلك ليس غريباً أن نجد الاختلافات الحادة بين الناس حول مفهوم النهج الخير والهدى، الذي أرسله الحق سبحانه وتعالى رحمة للناس، واصطفى لتلك المهمة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام جميعاً لتبليغ هذا الهدى والنور.

إن هذه الاختلافات بين البشر، رافقت النهج الإلهي المنير في مختلف مراحلها، منذ أن صدع به للناس سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام، حتى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم. كما تركزت الاختلافات الحادة حول الكتب الإلهية التي أرسلها الباري عز وجل نوراً وهدىً وفرقناً للناس. فجاءت الاختلافات بين الناس سواء بين مفهومهم للكتب الإلهية أم حول المفهوم الإنساني للكتاب الإلهي الواحد، لذلك يجد الإنسان المعاصر نفسه أمام الملايين من الكتب والمؤلفات والأسفار والأناجيل والصاحح، والكتب الدينية، والتفسير القرآنية التي تتبناها المدارس الدينية المختلفة بطوائفها المتعددة واجتهاداتها المستمرة، وادعاءاتها المقدسة، مما جعل الإنسان المعاصر أمام هذا الكم الهائل من المعلومات المشار إليها بالقدسية، يعترف بعجزه وعدم قدرته على الاطلاع عليها، ليصل إلى لباب الحقيقة حول النهج الإلهي المنير، الذي يترتب عليه مصير الإنسان في اليوم الآخر. وتجدر الإشارة إلى أن الإنسان المعاصر، لو حرص كل الحرص على الاطلاع على تلك المؤلفات المسماة بالمقدسة، لما سمح له عمره الزمني بذلك، للوصول إلى حقيقة الأمر.

لذلك يترتب على الإنسان المعاصر أن ينطلق من الأسس الأساسية في أبحاثه ودراسته حول النهج الإلهي الذي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى ليكون نوراً وهدىً للناس كافة. ومن أبرز الأسس الأساسية الذي يحتاج بحثاً ودراسة بطريقة علمية موضوع هذه الدراسة وهو حقيقة مفهومي الشورى والاجتهاد في التربية الإسلامية.

الدراسات السابقة:

سيعرض الباحث أبرز الآراء وأهمها حول مفهوم الشورى وأهميتها في حياة المسلمين ومدى وجوبها عليهم.

يرى العلامة السيد محمد حسين فضل الله الشورى أنها استطلاع رأي الأمة المسلمة أو من ينوب عنها، في الأمور المتعلقة بها (الشؤون العامة) لمعرفة الرأي الصواب أو الحق فيها، لأن العقول إذا ما اجتمعت وتشاورت وضح السبيل أمامها أو توضححت السبل أمامها، كالمصاييح التي باجتماعها، يزداد النور. (فضل الله، ١٩٨٤).

يشير الراوي إلى أن الشورى قصد بها رأي المسلمين في مسألة معينة ومناقشته للوصول إلى الرأي السليم الذي يحقق مصلحة المجتمع الإسلامي بما يتفق مع قواعد الشريعة الإسلامية ولا يخالفها. (الراوي، ١٩٨٥).

يبين قطب رحمه الله في تفسير الآية الكريمة (وأمرهم شورى بينهم) أنها نزلت قبل قيام الدولة المسلمة في المدينة وهذه صفة من صفات الجماعة المسلمة، مما يوحي بأن وضع الشورى أعمق في حياة المسلمين من مجرد أن تكون نظاماً سياسياً للدولة فهو طابع أساسي للجماعة كلها، يقوم عليه أمرها كجماعة ثم يتسرب من الجماعة إلى الدولة بوصفها إفراناً طبيعياً للجماعة (في ظلال القرآن، مجلد ٥، ج ١٩، ص ٣١٦٠).

يرى الشيرازي أن الآية تشير إلى أهم قضية اجتماعية وهي الشورى، فبدونها تعتبر جميع الأعمال ناقصة، فالإنسان الواحد مهما كان قوياً في فكره وبعيداً في نظره، إلا أنه ينظر للقضايا المختلفة من زاوية واحدة أو عدة زوايا، وعندها ستخفي عنه الزوايا والأبعاد الأخرى، إلا أنه وعند التشاور حول القضايا المختلفة تقوم العقول والتجارب المختلفة بمساعدة بعضها البعض، عند ذلك ستتوضح الأمور وتقل العيوب والنواقص ويقل الانحراف. والملفت للنظر أن كلمة شورى وردت هنا على شكل برنامج مستمر للمؤمنين، ليس في عمل واحد ومؤقت، بل يجب أن يكون التشاور في جميع الأعمال. والجدير ذكره في هذا المقام أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يتشاور مع أتباعه وأنصاره في القضايا الاجتماعية والتنفيذية والصلح والحرب والأمور المهمة الأخرى، على الرغم من تكامل عقله وارتباطه بمصدر الوحي، لقد كان يشاور أصحابه بالرغم من المشاكل التي

تحصل من جراء ذلك، لكي يكون أسوة وقدوة للناس، لأن بركات الاستشارة أكثر بكثير من احتمالات ضررها. لذا فقد ورد في حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "ما من رجل يشاور أحداً إلا هُدِيَ إلى الرشْد". كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والرحمة: لا ظهير كالمشورة، والاستشارة عين الهداية". (الشيرازي، ١٩٩٢).

ويفيد القرطبي في تفسير الآية الكريمة، أنه يوجد بها ثلاث مسائل: الأولى هم أنصار المدينة استجابوا للإيمان بالرسول قبل الهجرة حيث بعث إليهم اثني عشر نقيباً منهم. الثانية: أنهم يتشاورون في الأمور حيث مدحهم الله تعالى به. الثالثة: ما تضمنته الشورى من أحكام في قوله تعالى في سورة آل عمران (وشاورهم في الأمر) والمشورة بركة. (الجامع لأحكام القرآن، مجلد ٣، ج ٣).

ويبين ابن كثير في تفسير الآية الكريمة، بأنها جاءت صفة للمسلمين أي أنهم لا يبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بأرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها، ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلم يشاور في الحروب ونحوها ليطيب قلوب الصحابة. (تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٢٠٨).

أما الآية الكريمة (وشاورهم في الأمر) فتبين أن الاسلام يقرر هذا المبدأ في الحكم، وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي لا يقوم نظام الاسلام على أساس سواه. أما شكل الشورى والوسيلة التي تتحقق بها فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها، وكل شكل وكل وسيلة تتم بها حقيقة الشورى -لا مظهرها- فهي من الاسلام. (قطب، ١٩٨١، مجلد ١، ج ١، ص ٥٠١).

ويذكر الطبري في تفسيره الآية الكريمة أن الله تعالى عرف نبيه ما اشتبه وحزب عليه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه الصواب، وأما أمته فإنهم إذا تشاوروا مستثنين بفعله على تصادق وتأخٍ للحق وإرادة الصواب من غير ميل إلى هوى ولا حيد عن هدى فאלله مسددهم وموفقهم. (تفسير الطبري، المجلد ٧، ص ٣٤٥-٣٤٦).

ويبين القرطبي أن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. فقد قال البعض: كانت سادات العرب إذ لم يشاوروا في الأمر

عليهم. فأمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يشاورهم في الأمر فإن ذلك أعطف لهم وأذهب لاضغانهم وأطيب لنفوسهم. وقال آخرون ذلك فيما لم يأتيه فيه وحى. والشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر في ذلك الخلاف وينظر أقربها قولاً إلى الكتاب والسنة إن أمكنه فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم ونفذه متوكلاً عليه. (الجامع لأحكام القرآن، المجلد ٨، ص ٢٤٩).

ويؤكد الرازي أن مشاورة الرسول لهم توجب رفعتهم وعلو شأنهم وكل ما نزل فيه وحى من عند الله تعالى لم يجز للرسول أن يشاور فيه الأمة لأنه إذا جاء النص بطل الرأي والقياس والأمر فيه ظاهر الوجوب لقوله (وشاورهم في الأمر). (التفسير الكبير، ج ٩، ط ٣، ص ٦٦-٦٧).

يؤكد الماوردي، على وجوب المشاورة اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعملاً بالكتاب العزيز. ولا بد من التأنى والترصيص في المشورة. (الماوردي، ١٩٩٣، ص ٧٢).

ويشير أبو فارس إلى أهمية الشورى ويعتبرها مسألة جوهرية حيث تعد من إحدى دعائم الإسلام الأساسية، والشورى ذات أهمية بالغة في حياة الأمة في التعاون والمشاركة وهي دلالة على التقدم والنمو وتعمل على منع الاستبداد والافتراء بالرأي، وهي مهمة في تمتين عرى المحبة والألفة بين الأمة وقادتها وبين عامة الناس، وللشورى أهمية كبرى في أي تنظيم كان أو أي جماعة من الجماعات، وترتكز عليها كل دولة راقية تنشد لأبنائها الأمن والاستقرار والنجاح. (أبو فارس، ١٩٨٨).

ويبرز الأنصاري الشورى أنها فضيلة إنسانية، وهي تأكيد على احترام الإسلام للعقل، وأنها من مقتضى تكريم الله للإنسان (إني جاعل في الأرض خليفة). وهي مظهر من مظاهر المساواة وحرية الرأي والاعتراف بشخصية الفرد وهي طريق إلى وحدة الأمة الإسلامية ووحدة المشاعر من خلال عرض المشكلات العامة وتبادل الرأي والحوار. وأن الشورى تربية للفرد على أداء وظيفته الاجتماعية عن طريق تهيئة الفرصة له لأن يبرز في المجتمع فينمي قدراته حتى يكون أهلاً للمشورة وهذا بدوره داعية قوية تدعوه إلى الاستزادة من العلم والمعرفة. (الأنصاري، ١٩٨٠، ص ٦).

إن الشورى ضرورية في حياة الناس أفراداً وجماعات حكماً ومحكومين وهي ركيزة أساسية للمجتمع، وأن الإنسان مهما بلغ من الذكاء والتميز فقد تستعصي عليه بعض الأمور والمسائل. لذلك لا بد له من أعمال الرأي واستشارة الآخرين من أجل معرفة الحقيقة والصواب والاستفادة من تجارب الآخرين، والشورى ضرورية للأمة من أجل قوتها وتماسكها وتعاونها وفي السير على طريق التقدم والنمو. وهي تمنع التعصب والاستبداد والانفراد بالرأي وهي عامل رئيس في إيجاد أواصر المحبة والألفة بين الأمة وقادتها. (الخياط، ١٩٩٣، ص ١١-١٢).

ويبيّن الشاوي أنه عندما أقر الإسلام مبدأ الشورى فإنه يكون بذلك قد قضى على عدو الإنسانية ومفسدها وهو الاستبداد بالحكم والانفراد بالرأي وحققت للفرد كرامته الفكرية وللجماعة حقها الطبيعي في تدبير شؤونها، والإسلام رفع الشورى إلى أن اعتبرها من ركائز الإيمان وصفة لا تتفك عن المؤمنين. وأن التربية التي يوجهها القرآن الكريم وتولاها النبي عليه السلام لم تكن تربية الأفراد فقط، بل أنها تربية أمة كاملة باقية إلى يوم الدين، وقد أمرها الله تعالى بالشورى، ولهذا الأمر بالشورى هدف سياسي في نظام الدولة ودستورها، لكن له إلى جانب ذلك هدف تربوي واجتماعي، بدليل أن آية الشورى وصفت جماعة المسلمين بأن أمرهم شورى وهم في مكة ليس لهم حكومة أو دولة. (الشاوي، ١٩٩٢).

ويرى مبارك أن أمور الحياة الدنيوية تتوزع فيها الميول والأهوائيات الفردية حسب ميول الأفراد وذلك يؤدي إلى تعدد الآراء في الأمر الواحد فإذا عرض للمشاورة وتبادل الرأي فلا بد من أن يأخذ بالرأي الذي هو أقرب إلى حل المشكلة لمصلحة الجماعة ككل والذي في الوقت نفسه يجسم الرضا النفسي للمتشاورين جميعاً. كما أن مبدأ الشورى في الإسلام مرتبط بمبدأ آخر هو وجوب الطاعة لله ولرسوله وطاعة ولي الأمر الساهر على النظام الإلهي، المبدأ الذي التزم به المؤمن عند قبوله الإيمان بدين الله ورسله إذ طالما تجب الطاعة لكتاب الله الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغه وألزم أولوا الأمر بتطبيقه، واستناداً إلى هذه القاعدة في الإسلام فإن الشورى تأخذ معنى فريداً، ذلك أنه في المجتمع المؤمن تكون الطاعة لما في القرآن وهي الظاهرة المعبرة عن التزام المؤمن بما آمن به حراً مختاراً غير واقع تحت تأثير الرهبة أو الرغبة، والشورى تستوجب معرفة رأي المؤمنين عندما يطلب اليهم

أولوا الأمر الطاعة في أمر ما، فإذا تنازعا في الرأي وجب رد الأمر إلى كتاب الله وما بينه الرسول عليه السلام، يقول تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

[سورة النساء الآية: ٥٩]

فالآية السابقة تحدد ضوابط الشورى في:

- وجوب الطاعة أولاً لكتاب الله.
- ثم طاعة الرسول عليه السلام لأنه المعصوم في تبليغ ما جاء به من الله.
- ثم طاعة أولي الأمر، وتقوم تلك الطاعة على أساس أن ولي الأمر لا بد من أن يكون الأعرف من غيره بكتاب الله وأشهدهم حرصاً على أخذ أنفسهم بأحكامه ومبادئه وأكثرهم رعاية لمصلحة المؤمنين وخيرهم العام، إذ أن ولي الأمر في الإسلام هو من خيار المؤمنين علماً بالدين وعملاً بأحكامه ومن أكثرهم حرصاً على مصلحة المؤمنين في أحوالهم ومعاشتهم وعلى توجيههم للسلوك السوي المستقيم وعلى الإبقاء على قوة الترابط والمودة فيما بينهم. (مبارك، ١٩٨٦، ص ٧٢، ٧٧).

ويؤكد الأنصاري أن الشورى سبيل إلى معرفة الصواب، وهي بهذا سبب لقلّة الخطأ، كما أن بالمشاركة نستفيد من جهود الآخرين وخبراتهم التي اكتسبوها في سنين طوال، كما أن بها عصمة لولي الأمر من الإقدام على أمور تضر الأمة ولا يشعر هو بضررها، ولا سبيل إلى إصلاح هذا الضرر بعد وقوعه، وكذلك ففي المشاركة تذكير للأمة بأنها صاحبة السلطان وتذكير لرئيس الدولة بأنه وكيل عنها وفي هذا عصمة له من الطغيان الذي هو من صفات الإنسان، ولذلك فمن الصعب على الأمة التي نشأت واعتادت على المشاركة في شؤون الحكم وتحمل التبعات أن تتنازل عن حقوقها، بل تكون هذه الأمة متوجهة للخير في جميع أمورها، وتتعكس هذه النتيجة على أوضاعها تقدماً ورفقياً. وأن الاتفاق حاصل على أن من أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية هو ابتعادها عن الحكم الشوري. (الانصاري، ١٩٨٠، ص ٥-٦).

ويشير خطاب أن الشورى باعتبارها دعامة من دعائم الحكم الإسلامي تعطي الحق للأمة في إدارة شؤونها والإشراف عليها وتمثل ضمانة أساسية تحول دون مخالفة الحكومة للأحكام أو الانحراف في استعمال السلطة، لأن القرار الذي ستقدم عليه الإدارة لن يخرج إلى حيز التنفيذ إلا بعد بحث واستقصاء وتحري المصلحة العامة ومشاورة المختصين في هذا الأمر. والشورى ركيزة أساسية في الإسلام وإحدى الأسس التي يقوم عليها الإسلام، ولا يكون بدونها. (خطاب، ١٩٨٩، ص ٨٦٩).

ويؤكد فضل الله إن مبدأ الشورى الذي يعد اليوم من المبادئ السياسية البديهية، الركن الأول للنظام السياسي في الإسلام، بل وجوهر هذا النظام في نهاية المطاف جملة وتفصيلاً، لأنه إذا كان لا بد لكل نظام من مبدأ أو ركيزة يقوم عليها، فإن ركيزة النظام السياسي الإسلامي هي: الشورى. (فضل الله، ١٩٨٤، ص ٥٢).

ويوضح الترابي، أن الشورى في الإسلام متلازمة مع التحرر السياسي للإنسان وأن الشورى في الإسلام حكم يصدر عن أصول الدين وقواعده الكلية. ومن عقيدة التوحيد إسلام الربوبية والحكم والسلطة لله، وإنكار كل سلطة إلا بمقتضى الخلافة والعطاء من الله والإيمان بأن البشر سواسية في العبودية لله، وبذلك تحقق التحرر السياسي الذي يستلزمه نظام الشورى، إذ يصبح الناس قاطبة هم المستخلفون على سلطة الأرض ولكل منهم نصيبه المستحق من السلطة، كل ذلك موقف تلقائي بعد أن يؤمن الناس بالله ويتحرروا من التعبد وإسناد السلطة المطلقة للملك أو الوالي أو القو السياسية المتمككة واقعيًا. وتنبثق الشورى تلقائيًا من معاني استواء عباد الله في فضله الذي أتاهم، وضرورة

تعاونهم على العبادة ليرقى نصيب كل فرد منها فيشتركوا على المجهود اللازم فيها ويشتركون في كسب الأجر الحاصل عنها. فمبدأ حاكمية الله المطلقة استخلاف البشر على الأرض وما آتاهم من حرية وقوة يمارسون بها سلطاناً على الأشياء والناس، كل ذلك يجعل العباد شركاء أحراراً سواسية لا يقومون الا بالشورى وهي التعاون باجتماع الرأي على الأمر الخاص على أن يكون لصاحبه القرار وعليه المسؤولية وعلى الأمر العام بحيث لا يستبد به فرد ويسألون عنه جميعاً. ومن أصول الدين الأساسية معنى المسؤولية الفردية على كل مؤمن. فكل فرد مخاطب على قدر وسعه بتكاليف الدين والعبادات الخاصة والعامه، وله من ذلك كسبه المعين المترتب عن عمله ونيته التي يختص بها. معنى ذلك أن لكل فرد مغزى في الوجود، ولا مجال لأن تذوب الأفراد في فرد حاكم وبحجبتهم عن واجباتهم ومسؤولياتهم، ولا حتى أن تضم الناس كتلة واحدة صماء ونسميهم الشعب وتمارس المسؤوليات السياسية باسمهم الإجمالي بل لا بد من أن يكون لكل فرد نصيبه المعين في السلطة يباشر هذا النصيب بنفسه ولا يمارسه عنه فرد أو جماعة. من هذا المبدأ الذي يجعل لكل إنسان قيمة ومغزى في الوجود بشخصه ورأيه وكسبه، لأن الكيان الذي يحمل أمانة الله وله من ثم دور مخصوص في الحياة الاجتماعية والسياسية من الخطاب الديني المتوجه إلى وجدان الفرد، وبأثر وحدانية الرب مقصوداً لكل الأفراد والعبادة لهم جميعاً والشريعة دستوراً لحركتهم الملزمة وتتبثق الجماعة المؤمنة -مهما كان كل واحد يسعى لذاته ولمصلحته في الآخرة. فإنه يلتقي تلقائياً مع موكب السائرين إلى الله على الصراط المستقيم، لذلك تصبح الجماعة حصلاً تلقائياً من التدين الفردي وكذلك التعاون مع الجماعة والاستعانة بالجماعة للسير إلى الله فرضاً من فروض الاسلام، وعلى صعيد القيادة السياسية في سياق الجماعة تصبح الشورى من مقتضيات الدين اللازمة (الترابي، ١٩٨٥، ص ١٤-١٧).

ويؤكد العوا بأنه يجب أن تصبح الشورى واقعاً في حياة المسلمين وليس مجرد شعار يرفع. ان الطريق لتمثل الشورى في حياتنا أن نعمل بها، وأن يتحول الناس من ديكتاتوريين إلى شورويين، أي أن يتحولوا من طواغيت صغيرة في بيوتهم وأسرههم ومع زوجاتهم ومع اصدقائهم ومع اتباعهم إلى قوم يؤمنون بالعمل الإسلامي على أساس مبدأ الشورى ويطبقونه فعلاً، ليس هناك طريق آخر وهو ما لا يحتاج إلى أي فلسفة (العوا، ١٩٩٥، ص ٣٩).

ويشير عبدالكريم أن الشورى يجب أن تقوم على الإخلاص لله وطاعة المسلمين، دون النظر إلى المنافع الذاتية والعصبيات القبلية أو الإقليمية ولا يصح أن تقوم الشورى على كذب أو غش أو خداع أو إكراه أو رشوة فكل ذلك يجرمه الإسلام لذاته، ومن يفعله في الشورى فإنما هو خائن لله ورسوله وخائن للأمانة التي حمله الله إياها، لأن الشورى أمانة في عنق صاحبها. (عبدالكريم، ١٩٧٧، ص ٤٢٢).

يشير القرطبي في تفسيره الآية الكريمة (وشاورهم في الأمر) إلى أن الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام (الجامع لأحكام القرآن، مجلد ٨، ص ٢٤٩٠).

ويبين قطب في تفسيره الآية الكريمة بأن الشورى لا يقوم الإسلام على أساس سواها (في ظلال القرآن، المجلد ٥، ص ٥٠١).

ويبين ابن كثير في تفسيره أن الرسول عليه السلام كان يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث تطبيقاً لقلوبهم ليكونوا فيما يفعلون أنشط لهم (تفسير القرآن العظيم، مجلد ٢، ص ١٢٨-١٢٩).

ويذكر الزمخشري، أن في الشورى استظهاراً للرأي وتطبيقاً لنفوس المسلمين ورفعاً من أقدارهم. (تفسير الكشاف، ج ١، ص ٢٠٩).

ويؤكد موسى بأن وجود سورة كريمة في كتاب الله تعالى تسمى باسم هذا المبدأ وجعل الشورى من صفات المؤمنين ثم الأمر بها صراحة في سورة أخرى دليل على أمر الإسلام بالشورى وجعلها من الدعائم الأساسية التي يقوم عليها الحكم وتديبير شؤون الأمة. (موسى، ١٩٨٨، ص ٢٧٨).

كما يؤكد مبارك بأن الشورى حق للرعية وليست منحة للحاكم، والتشاور لا يكون بين الحاكم والمحكوم فقط ولكنها من أصول الإسلام حيث فيه الضمان للترابط والتماسك بين أفراد المجتمع بأكمله لذلك يوجبها الإسلام على الجميع، فالشورى في الأمور الدنيوية واجب فرضه الله تعالى على الإنسان من أجل أن يكون عمله فيه الخير لنفسه ولمجتمعه وفي الدنيا والآخرة. (مبارك، ١٩٨٣، ص ٧٣).

ويبين الرازي أن كل ما نزل فيه وحي لم يجز للرسول أن يشاور فيه الأمة لأنه إذا جاء النص بطل الرأي والقياس وكان عليه السلام يشاور أصحابه في الأمر، حيث شاوهم في بدر وأحد والخندق وغيرها. فكان يشاورهم في الحروب ونحوها. (التفسير الكبير، ج ٩، ص ٦٥-٦٧).

ويذكر الزمخشري أن الأمر يعني أمر الحرب ونحوه مما لم ينزل فيه وحي. (التفسير الكشاف، ج ١، ص ٢٠٩).

ويؤكد العوا، بأن الشورى مبدأ إسلامي يكون في جميع أمور المسلمين الدنيوية، أما أمور الدين التي ورد فيها نص قاطع فإنها لا تقبل تحريفاً أو تبديلاً وهي ليست محلاً للشورى. فهي تسري على نطاق البيت والمدرسة والجوار والشؤون العامة وداخل الأسرة. (العوا، ١٩٩٥).

ويؤكد التميمي أن الله تعالى شرع نظام الشورى لحكم بالغة ومقاصد عظيمة لما فيها من المصالح الكبيرة، والفوائد الجليلة التي تعود على الأمة والدولة والمجتمع بالخير والفائدة، ومن ذلك:

١. يتعرض الحكام والقادة والرؤساء في كثير من الأحيان والظروف إلى اندفاعات عاطفية تكون ذات نتائج سلبية وأثار سيئة على حياة الأمة، وفي هذه الحالة تكون الشورى من أنجح الضوابط لكبح جماح العواطف لدى الحكام والقادة، ففي المشورة عصمة لهم من الأقدام على أمور تضر بالأمة، وقد لا يشعرون بضررها.
٢. الشورى نوع من الحوار المفتوح وهو من خير الأساليب لتوعية الرأي العام وتنويره وتعزيز عوامل الحب والثقة بين الحاكم والمحكوم، وهو خير أسلوب في الحكم لعزل الشكوك ونفي الهواجس وإزالة الأوهام.
٣. تقضي مبادئ الإسلام بأن يشعر كل فرد أن له دوراً في حياة المجتمع والجماعة، والشورى تتيح الفرصة أمام كل فرد لكي يقدم ما يستطيع من جهود وأفكار وآراء ومهارات لخير المجتمع وتتيح الفرصة لكل فرد أن يعبر عن رأيه في الشؤون العامة.
٤. ان الشورى تمنح الدفء العاطفي والتماسك الفكري لأفراد الأمة وفيها إشعار الفرد بقيمته الذاتية وقيمه الفكرية وقيمه الإنسانية ويشعر أنه ليس كماً مهملًا في إطار الجماعة بل

يمثل إمكانية معينة فيها وهذا مما يثير الأفراد والجماعة للنشاط أكبر في جو من الاجتهاد والإبداع.

٥. ومن المؤكد أن الإسهام في خبرات مشتركة خليق بأن يؤتى أكله بتوطيد الولاء واستمرار العطاء وترسيخ النظام، وهي إلى جانب ذلك كله تطيح بالكظوم الخفية والكبت.

٦. وفي النظام الشوري أيضاً توكيد للأمة بأنها هي صاحبة السلطان وان رئيس الدولة وكيل عنها في مباشرة الحكم.

٧. وفي المشاورة امتثال لأمر الله بها واقتداء بالرسول عليه السلام (التميمي، ١٩٨٥، ص ٣٣-٣٤).

ان المتأمل لجميع الآراء السالفة الذكر حول موضوع الشورى يرى أن أغلب الآراء تتجه نحو وجوب ممارسة الشورى بين المسلمين كما تفيد بأهميتها البالغة في نفوس المسلمين، وتأتي هذه الدراسة لتبين مفهوم الشورى وأهميتها، وكيفية تطبيقها في المجتمع الإسلامي.

أهداف الدراسة وأسئلتها:

تسعى هذه الدراسة إلى إمطة اللثام عن حقيقة مبدأ الشورى لكونه من أبرز الأساليب الإدارية في ضوء التربية الإسلامية، وتبيان علاقته بمبدأ الاجتهاد. ولتحقيق هذين الهدفين فلا مندوحة لنا من الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم الشورى في التربية الإسلامية؟
٢. ما مفهوم الاجتهاد في التربية الإسلامية؟
٣. ما العلاقة بين مفهومي الشورى والاجتهاد في التربية الإسلامية؟

أسلوب الدراسة:

يعتمد الباحث في دراسته على الآيات القرآنية الحكيمة والسنة النبوية الشريفة تحليلاً وتأملاً وفهماً للوصول إلى المعلومات الدقيقة للإجابة عن أسئلة الدراسة.

نتائج الدراسة:

إجابة السؤال الأول:

ما مفهوم الشورى في التربية الإسلامية؟

إن المتأمل لكتاب الحق سبحانه وتعالى يجد أن كلمة شورى ومشتقاتها قد وردت ثلاث مرات وهي: شورى، وشاورهم، وتشاور. كما يشاهد أن سورة كاملة في القرآن الكريم سُميت بالشورى. والذي يشد الانتباه بقوة إلى مفهوم هذه الكلمة ومدلولاتها الفكرية، والتربوية، والنفسية، والعلمية، والحضارية هو قول الحق سبحانه وتعالى لرسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

واضح من سياق الآية الكريمة طلب الحق سبحانه وتعالى من رسوله الأمين صاحب الخلق العظيم أن يشاور المؤمنين من حوله في "الأمر". وتعني هنا كلمة الأمر أمور المؤمنين التي لم يوجد لله ورسوله حكماً فيها. ونستطيع أن نطمئن لهذا المفهوم من خلال تأمل هاتين الآيتين الكريميتين وهما:

قال تعالى:

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[سورة النساء الآية: ٦٥]

وقال تعالى:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾

[سورة الأحزاب الآية: ٣٦]

واضح من سياق الآيتين السابقتين القاعدة الإسلامية الأساسية في تعامل المؤمنين مع رسالة الحق سبحانه وتعالى حيث تفيد مدى وجوب التزام المؤمنين بجميع ما جاء فيها ولا يوجد لهم خيار أو حرية سواء في التشاور أو الابتعاد عن تطبيق جميع ما جاء في رسالته سبحانه وتعالى التي أرادها نوراً وهدى للعالمين.

لذلك وجه الحق سبحانه وتعالى المؤمنين في حالة اختلافهم وتنازعهم أن يعودوا إلى قول الحق سبحانه وتعالى وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لتسوية ذلك الخلاف في

ضوء ذلك فإذا التزموا بهذا النداء فيدل ذلك على إيمانهم بالله واليوم الآخر. وإذا صدقوا عن هذا النداء الإلهي العظيم واتبعوا كما آخر فيدل ذلك على ضلالتهم ونفاقهم.

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِّقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُّوهُمْ ﴿٦١﴾

أما بالنسبة إلى الأمور التي لم يرد فيها نص قرآني كريم أو سنة نبوية شريفة فيكون الأسلوب الإداري المتبع في تلك الحالات هو اتباع مبدأ الشورى بين المؤمنين.

من المفيد جداً ذكره في هذا المقام أن الحق سبحانه وتعالى أمر رسوله الأمين بمشاورة أصحابه بعد هزيمة المسلمين في أحد عندما ندم المسلمون على مشاورة النبي عليه الصلاة والسلام وآل بيته الأطهار لهم ونزوله عند رغبتهم كون الأكثرية طلبوا الخروج من المدينة لملاقاة العدو، بينما كان رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الشخصي أن ينتظر الأعداء داخل المدينة ليقاتلهم فيها. فطلب المسلمون من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يشاورهم ثانية ظناً منهم أن مشورتهم في أحد كانت من أسباب الهزيمة، فنزلت الآية لتؤكد ضرورة مشاورة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين في أمورهم. كما بين رسول الهدى عليه الصلاة والسلام ضرورة الشورى بين المؤمنين عندما قال: "إذ كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خيرٌ من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم، ولم يكن أمركم شورى بينكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها" (تفسير أبي الفتوح الرازي).

لذلك جاء وصف الحق سبحانه وتعالى للمؤمنين في كتابه الحكيم في سورة الشورى بعدة صفات سامقة تليق بهم لكونهم ارتضوا بالله تعالى رباً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً وبالقرآن الحكيم دستوراً. ومن هذه الصفات المؤتلة أنهم أصحاب شورى فيما بينهم بما يتصل بالمسائل المتعلقة بأمرهم. ويبدو ذلك بوضوح وجلاء في قوله تعالى:

فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِتَابَ الْإِيمَانِ وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ أَنْتُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾

[سورة الشورى الآيات: ٣٦-٣٩]

ولقد بين لنا المصطفى صلوات الله عليه وآله وسلم ذلك الأمر في سنته العملية الشريفة طيلة حياته في مدينته الفاضلة كما بين حقيقة الأمر عندما أجاب إمام المنقنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله: يقول إمام المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لو وقع لنا بعدك ما لم نجد له حكماً في القرآن أو نسمع منك فيه شيئاً فماذا نفعل؟ فقال صلوات الله عليه وآله وسلم: "أجمعوا العابدين من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا برأي واحد". (تفسير روح المعاني، ج ٢٥، ص ٤٢)

يا لها من صفة عظيمة (وأمرهم شورى) تحمل بين ثناياها سر التعاون، وسر البقاء، والتجديد الحضاري، والمشاركة الفاعلة، واستيعاب العلوم المتعددة والاستفادة منها على مر الأيام. كيف لا، وهي تمثل الممارسة الفعلية في توجيه المؤمنين لعبادة الله دون غيره من المخلوقات وعدم الخنوع أو القبول بالرأي الواحد الذي عانت منه الانسانية في كافة مراحلها ومجالاتها وما زالت على ذلك في أغلب بقاع الكرة الأرضية.

ومن المفيد جداً أن نشير في هذا المقام أن أسلوب الرأي الواحد في الإدارة لم يُعطَ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين وهو صاحب الخلق العظيم كما وصفه الحق سبحانه وتعالى كما انه رؤوف رحيم بالمؤمنين، هذا بجانب محبته العظيمة للناس وحب الخير لهم ويبدو ذلك في قوله تعالى:

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [سورة القلم الآية : ٤]

وقال تعالى:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾

[سورة التوبة الآية: ١٢٨]

وقال تعالى:

فَلَعَلَّكَ بَدِخٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾

[سورة الكهف الآية: ٦]

قال تعالى:

وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ
فَتَأْتِيهِمْ بِنَائِهِمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[سورة الأنعام الآية: ٣٥]

سبحان ربي الحكيم إذ لم يعطِ سبحانه وتعالى رسوله الأمين خصوصية الإدارة بالرأي
الواحد هو الذي يصلي عليه هو وملائكته وقرن اسمه باسمه وفرض على الناس الصلاة
عليه وعلى آله وطلب منه أن يشاورهم في الأمر بمدلول الآية الكريمة المشار إليها آنفاً ،
فكيف يمكن أن تعطى هذه الخصوصية لبشر؟

وايماءة إلى كلمة تشاور فإنها وردت مرة واحدة في القرآن العربي الحكيم تبين
خصوصية خاصة جداً بين الزوجين وهما في حالة الطلاق وهي تشاورهما واتفاقهما على
فطام طفلهما. ويبدو ذلك جلياً منيراً في قوله تعالى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ إِمَّا أَنْ يُرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ
وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ وَبِالْوَالِدَاتِ وَالْمَوْلُودِ لَهُ يُولَدُ لَهُ
وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ
أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا ءَانَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

[سورة البقرة الآية: ٢٣٣]

وتجدر الإشارة إلى الواقع العملي لأسلوب الشورى بعد أن تبين لنا ان الحق سبحانه وتعالى قد ألزم به المؤمنين الذين اختاروا نهجه المنير بحرية تامة في اتباع كتابه المنير وسنة نبيه الأمين الموضحة لهذا النهج وترك أمرهم شورى بينهم في جميع الأمور التي تدخل خارج هذا الإطار .

ومن المفيد جداً أن نشير اليه في هذا المقام ان عملية الشورى تتم فقط بين المعنيين في الأمر المراد التشاور حوله وليس لجميع الناس المعنيين منهم وغير المعنيين . فإذا كان الأمر المعني التشاور حوله له علاقة بجميع الأفراد داخل المجتمع الاسلامي، فيتوجب عليه إجراء عملية الشورى للوقوف على رأي أغلبية أفراد المجتمع الإسلامي ذكوراً وإناثاً من هم في سن التكليف، أو من يمثلهم شريطة أن يكونوا هؤلاء الممثلين لأفراد المجتمع قد تم اختيارهم بصورة صحيحة خالية من الإجبار والتزوير والتعيين من قبل السلطة التنفيذية في المجتمع. أما إذا كان الأمر المراد إجراء عملية الشورى حوله يتصل بفئة معينة أو جماعة تربوية، أو عسكرية أو سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو مدرسة ثانوية أو جامعة معينة والى غيرها من الفئات المتعددة فإن عملية الشورى تتم باقتراع أفراد تلك الجماعة المعنية أو من ينوب عنهم بصورة دقيقة خالية من الإجبار والتزوير والتعيين من قبل الجهاز التنفيذي الذي تتبع له تلك الجماعة أو الفئة أو المؤسسة.

ومما تجدر الإشارة اليه ان أسلوب الشورى يعد من أبرز وأسمى أساليب الإدارة في ضوء النهج الإلهي المنير .وممارسة هذا الاسلوب يعد جزءاً لا يتجزأ من النهج الإلهي المنير نألي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى نوراً وهدىً للعالمين، ودلالة ذلك في الآيات الثلاث السابقة التي ذكرت آنفاً .

أما بالنسبة إلى محتوى القرار الذي اتخذ في ضوء عملية الشورى فلا يحق لنا أن نشير اليه أو نعتبره جزءاً من النهج الإلهي الكامل، ودليلنا في ذلك أن الحق سبحانه وتعالى طلب من رسوله الكريم أن يشاورهم في الأمر (وشاورهم في الأمر) وليس في مضمون الرسالة، كما أنه وصف المؤمنين بأنهم يتشاورون في أمورهم (وأمرهم شورى بينهم) وليس في شؤون دينهم. أضف إلى ذلك أن عملية الشورى حول نفس الموضوع قد تختلف من ظرف إلى آخر، ومن فئة إلى أخرى حول نفس الموضوع الواحد. كما أن عملية الشورى والاقتراع عملية مستمرة بين المؤمنين حتى يرث الحق

سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها، أما بالنسبة إلى رسالة الله إلى أهل الأرض المتمثلة بالنهج الإلهي المنير فقد بين لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم انه كامل بالتمام والكمال ولا يجوز لأحد أن يضيف عليه شيئاً من قريب أو بعيد، ويبدو ذلك جلياً واضحاً في قوله تعالى:

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيَّةُ وَالْدَّمُ وَاللَّحْمُ الْخَنِزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى التُّصْبِ وَأَنْ تَسْنُقُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً فَمَنْ اضْطُرَّ فِي

مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾ [سورة المائدة الآية: ٣]

كما بين لنا رسول الهدى والإنسانية جمعاء عليه الصلاة وآله وسلم تلك الأساسية في سنته النبوية الطاهرة حينما قال: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ" (متفق عليه)، وفي رواية لمسلمين "عمل عملاً ليس عليه أمرٌ لنا فهو ردٌ"

وعن جابر، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أما بعدُ، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكلٌ بدعة ضلالة" (رواه مسلم).

لذلك ليس غريباً أن نجد سيد الأوصياء وإمام المتقين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام قد ذم بشدة اختلاف العلماء في الفتيا حيث قال: (ترد على أحدهم القضية في حكم فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية على غيره فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعاً وإلهم واحد ونبههم واحد وكتابهم واحد فأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه. أم نهاهم عنه فعصوه. أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه. أم كانوا شركاه. فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله ديناً تاماً فقصّر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه. والله سبحانه وتعالى يقول: "ما فرطنا في الكتاب من شيء" فيه تبيان كل شيء. وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً"، (نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٤).

الخلاصة:

في ضوء نتائج الدراسة، ومضمون الدراسات السابقة التي وردت في هذه الدراسة، يتبين بالبوضوح وجلاء أن أسلوب الشورى في إدارة أمور المسلمين يُعدُّ حقاً شرعياً قرره الحق سبحانه وتعالى لجميع المسلمين على امتداد حياتهم حتى يرث الحق سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها، في جميع الأمور التي لم يرد فيها نص قرآني حكيم أو سنة نبوية شريفة، ولا يجوز اعتباره مذمةً من الحاكم إلى المحكومين، لأن هذا السلوك يعدُّ إفتتاتاً سافراً على معالم النهج الإلهي. كما يجب أن يتم تشكيل مجالس الشورى في المجتمع الإسلامي على كافة المستويات المتعددة في الحي والقرية والناحية والمدينة والقضاء واللواء، والمحافظات، والمؤسسة، والحزب والعشيرة والى غيرها من التجمعات السكانية، ليتسنى لجميع المسلمين في المشاركة الفاعلة في تحقيق أهداف المجتمع الإسلامي في شتى ميادين الحياة، في ضوء النهج الإسلامي المنير. وتجدر الإشارة إلى أن الأسلوب الإداري للشورى يُمثل جزءاً من الأسلوب الإداري الإسلامي الذي أرسى قواعده الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وبينه رسول الهدى والمحبة في سيرته الطاهرة. وبرز واضحاً جلياً في سلوك آل بيته الأطهار عليهم السلام.

وهلك حقيقة هامة لا بد من الإشارة إليها بدقة وهي، أنه في الوقت الذي يُعد فيه أسلوب الشورى جزءاً من الأسلوب الإداري الإسلامي، إلا أن جميع القرارات التي تؤخذ في ضوء ذلك لا يمكن أن نعدّها بأي حال من الأحوال جزءاً من الدين الإسلامي، لأن الدين الإسلامي كامل غير منقوص كما اقره الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم. كما أن الشورى وقراراتها قد تختلف من فئة إلى أخرى، ومن ظرف إلى آخر حسب الظروف والمناسبات والإمكانات. ولقد حصل ذلك في عهد النبوة، وأخص ذكراً في موقعتي أحد والأحزاب عندما كان قرار المسلمين في الموقعة الأولى وهي أحد أن يخرجوا لملاقاة العدو خارج المدينة. أما في الموقعة الأخرى، فكان القرار حفر الخندق وملاقاة العدو داخل المدينة.

الاجتهاد في التربية الإسلامية

خلفية الدراسة:

إن المتأمل لتاريخ المسلمين وحاضرهم يجد نفسه أمام كم هائل من المراجع الأساسية والثانوية التي تصف بطريقة أو بأخرى أحوال المسلمين على امتداد تاريخهم الحضاري وأوضاعهم الحالية. والشيء الذي يؤسف له حقاً أن الإنسان الذي سنحت له الظروف في الاطلاع على هذه المراجع من جهة، والتبصر في رسالة الله إلى أهل الأرض من جهة أخرى يجد نفسه أمام مهمة عسيرة في فهم حقيقة الرسالة الإلهية التي ارتضاها الحق سبحانه وتعالى لتكون نوراً وهدىً للعالمين على مدار الوجود الإنساني في الحياة الدنيا.

لقد جاءت صعوبة المهمة أولاً من فكرة وهمية استقرت في أذهان الناس مفادها أن رسالة الحق سبحانه وتعالى كما بينها رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن الوصول إلى حقيقتها وفهمها على أصولها إلا من خلال تاريخ المسلمين. فهذه المقولة أو الفكرة جعلت من دين الله الكامل ديناً ناقصاً، كما تغاضت عن باب التأويل والفتاوى الجائرة، والدس على السنة النبوية، ومخالفة الكتاب وسنة النبي الشريفة، تحت شعارات ابتدعتها النفوس البشرية للوصول إلى أغراضها على حساب شريعة الحق سبحانه وتعالى التي أرسلها نوراً وهدىً إلى عباده. لذلك فإن الإنسان المعاصر لا يحتاج إلى فإساسة علمية، ولا إلى علم غزير ليكتشف التناقضات الحادة بين تلك المراجع والقرآن الكريم من جهة، والوقوف على التناقضات الفكرية، والتربوية، والثقافية، والاجتماعية بين تلك المراجع فيما بينها. والسبب الأساسي في وجود تلك التناقضات الحادة بنوعيتها، أن كتاب الحق سبحانه وتعالى الذي ارتضاه نوراً وهدىً للعالمين ليس من إعداد البشر، لذلك فإن جميع ما يحتوي عليه الكتاب يمثل الحقائق المطلقة، وقد بينه رسول الهدى والرحمة للإنسانية جمعاء على خير ما يرام للمسلمين وأشهد رب العزة على ذلك، أما بالنسبة للمؤلفات والمراجع التي قام بإعدادها الإنسان، فإنها أسست على أهداف ونوايا غراض مؤلفيها، لذلك فهي تقرب أو تبعُد عن الحق والحقيقة بنسب متفاوتة.

ولقد كان للاجتهاد ومفهومه والاختلافات الحادة حول هذا الموضوع الأثر الأقوى في تأسيس بذور الاختلاف والتناقض بين صفوف المسلمين. هذا بجانب تأطير المراجع

الأساسية والثانوية التاريخية منها والمعاصرة على أسس الاختلاف والتضاد بنوعيه الذي أشرت إليه آنفاً .

لذلك جاءت هذه الدراسة لتميط اللثام عن حقيقة الاجتهاد ومفهومه في ضوء التربية الإسلامية وتبيان علاقته بأسلوب الشورى وأثر ذلك على المسلمين وتفرق كلمتهم، وإثارة الاختلافات والحروب بينهم على امتداد تاريخهم الطويل وحاضرهم المعاصر .

الأدب النظري والدراسات السابقة:

نظراً لكثافة المؤلفات والدراسات التي تناولت موضوع الاجتهاد، يرى الباحث ضرورة التركيز على المعالم الأساسية الأولى للاجتهاد روماً للاختصار وللوصول إلى إبراز المطلوب دون الإسهاب والإطناب.

جتهداً في اللغة: قال الجوهري في قاموس الصحاح: الجهدُ، والجهدُ: الطاقة. الجهدُ. وتلهمه دَ الرَّجَلُ في كذا: أي جدَّ فيه وبالع. والاجتهاد والتجاهد: بذل الوسع والمجهود. (الثابت والمتغير في التربية الإسلامية، ص ٥٢).

وقال الراغب الأصفهاني: "الجهدُ والجهدُ: الطاقة والمشقة والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، يُقال: جهدت رأي، وأجهدته: أتعبته بالفكر..". (المفردات في غريب القرآن، ص ١٠١).

أما الاجتهاد اصطلاحاً فهناك بعض التعريفات نذكر منها ما يلي: لقد عرف العلماء المختصون الاجتهاد بمعناه الاصطلاحي بأنه: "بذل الجهد في استخراج الأحكام الشرعية، وبهذا الاعتبار يكون استخراج الأحكام من أدلة الشرع اجتهاداً" (معارج الأصول، ص ١٧٩).

يقول الرازي: إن الاجتهاد: استقراغ الوسع في النظر فيما لا يلحقه فيه لوم، مع استقراغ الوسع فيه. (الأسنوي، ج ٣، ص ١٦٩).

يرى الغزالي أن الاجتهاد في عرف العلماء مخصوصاً ببذل المجتهد وسعه في طلب العلم بحيث يحس نفسه بالعجز عن مزيد طلب (المستصفى، ج ٢، ص ٣٥٠).

إن الاجتهاد عند الأمدي يعني استقراغ الوسع في طلب الظن بالشيء من الأحكام الشرعية على وجه يحس من النفس العجز من المزيد فيه. (الأحكام للآمدي، ج ٤، ص ١٦٢).

ويرى الصدر ان الاجتهاد، عبارة عن استقصاء طرق كشف الأحكام من الكتاب والسنة، فهو استنباط الفروع المأثورة في الدين. (الاجتهاد والتقليد، ص ١٦).
وايماءة إلى دائرة الاجتهاد لقد تم الاتفاق بين جميع العلماء والباحثين على اختلاف مدارسهم الفكرية ومذاهبهم الطائفية على حرمة الاجتهاد في حالة وجود نص في الكتاب والسنة. لقد ذكر ابن قيم الجوزية قيام الإجماع على حرمة الاجتهاد مع وجود النص. (اعلام الموقعين، ج ٢، ص ١٩٩).

ويبين السيد شرف الدين هذا الاتفاق في قوله: "إن من دين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم التبعيد بظواهر الكتاب والسنة فضلاً عن نصوصها الصريحة، جروا في الأخذ بهما، والعمل على مقتضاها مجرى أهل العرف من أهل اللغات كلها... فليس لمن يؤمن بهذه الآيات أو يصدق نبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يحيد عن نصوصه قيد شعرة فما دونها. (الاجتهاد مقابل النص، ص ٨٤-٨٥).

أما بالنسبة إلى أجر المجتهد لقيامه بعملية الاجتهاد فهناك اتفاق كبير على أن المجتهد له أجران في حالة الاجتهاد الدقيق وله أجر في حالة وقوعه في خطأ اجتهادي، استناداً إلى الرواية التي تقول: "إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر" (الفصول في الأصول، ص ٤٠٣).

واشارة إلى الشروط التي يجب توافرها في الشخص المجتهد فهي تدور حول الأمور التالية:

١. معرفة الكتاب والسنة.
٢. العلم بفنون اللغة العربية.
٣. العلم بأصول الفقه.
٤. فهم الموضوعات العرفية.
٥. معرفة المنطق.
٦. العلم بمواضع الخلاف والإجماع.

"لقد اتفق جميع الفقهاء على أن المجتهد إذا اجتهد فغلب على ظنه الحكم لم يجز له تقليد غيره" (قصة الناظر لابن قدامه، ص ٢٠٢).

وهذا ما أشار إليه السيد الحكيم في قوله: "الذي يبدو لي، في حدود ما رأيت، أن كلمة الأعلام تكاد تتفق على حجية رأي المجتهد، ولزوم العمل به وعدم جواز رجوعه إلى الغير في الجملة" (موسوعة الفقه الإسلامي، ١٧: ٢٨٤).

وهناك اختلاف بارز بين المجتهدين على اعتبار الاجتهاد مصدراً من مصادر التشريع أم لا. فمنهم من اعتبره مصدراً تشريعياً أساسياً ومنهم من يرى غير ذلك. "إن للتشريع أربعة مصادر وهي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والاجتهاد" (الدواليبي، ص ٥٣).

يرى الشهيد السيد محمد باقر الصدر حول مصدريّة الاجتهاد بقوله: "ترى من الضروري أن تشير أخيراً بصورة موجزة إلى المصادر التي اعتمدها بصورة رئيسية في استنباط هذه الفتاوى الواضحة وهي كما ذكرنا في مستهل الحديث عبارة عن الكتاب الكريم والسنة الشريفة المنقولة عن طريق الثقات المتورعين في النقل مهما كان مذهبهم. أما القياس والاستحسان ونحوهما فلا نرى مسوغاً شرعياً للاعتماد عليه... وأما ما يسمى بالإجماع فهو ليس مصدراً إلى جانب الكتاب والسنة، وإنما لا يعتمد عليه إلا من أجل كونه وسيلة إثبات في بعض الحالات وهكذا كان المصدران الوحيدان هما الكتاب والسنة... ومن استمسك بهما فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم". (الفتاوى الواضحة، ص ٩٨).

يلاحظ من عرضنا الموجز للأدب النظري والدراسات السابقة ان موضوع الاجتهاد وما دار حوله من آراء متشابهة في بعض المسائل ومتباينة في المسائل الأخرى أدى إلى نشوء خلافات حادة بين المسلمين حول جميع المسائل المتعلقة بالنهج الإلهي المنير، سواء أكان الخلاف حول مفهوم الآيات القرآنية الحكيمة، أم حول مفهوم الأحاديث النبوية الشريفة، كما امتد الخلاف ليشمل جميع المسائل التي لا يوجد فيها نصاً قرآنياً أم سنة نبوية شريفة. والأدلة البارزة على ذلك نشوء المذاهب والطوائف المتعددة والتكاثر السريع لها على مر الأيام، وأحوال المسلمين في الأيام الحاضرة تعكس دليلاً ساطعاً على تأطير جذور الخلاف

و النزاع بين الطوائف، والمذاهب، والجماعات الإسلامية التي أمسى لا هم لها الا النيل من الطرف الآخر، ضاربين بعرض الحائط جميع الآيات القرآنية الحكيمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى وحدة الصف وقدسيتها وعدم النزاع والصبر والتماس العذر للطرف الآخر، حتى ذهب بهم الاجتهاد إلى عقد الاتفاقات والمعاهدات مع أعداء الاسلام ضد بعضهم بعضا. ومن المؤلم جداً أن جميع هذه المخالفات الصريحة تغطي عادة باجتهاادات وفتاوى جائرة لتمريرها على السواد الأعظم من الناس على أنها أعمال متسقة مع تعليمات الرسالة الإلهية.

لذلك تبدو مسألة فهم الاجتهاد في ضوء النهج الإلهي وحقيقة علاقته بالشورى من القضايا الهامة جداً لتتقية الفكر التربوي عند المسلمين بهدف تشخيص أحد البنود الرئيسية التي أدت إلى تجذير بذور الخلاف بين المسلمين، للعمل على نزعها والتخلص منها للمساهمة الفاعلة في تهيئة الظروف من أجل إرساء قواعد التعاون بين المسلمين على أسس ومعالم الرسالة الإلهية كما وضحها الحق سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وبينها رسوله الكريم في سنته النبوية الشريفة.

ما مفهوم الاجتهاد في التربية الإسلامية؟

إن كلمة اجتهد، واجتهاد، ومجتهد لم تظهر في كتاب الحق سبحانه وتعالى، ولكن المفهوم اللغوي لهذه الكلمات، والذي يعني بذل الجهد في طلب أمر ما حسب وسع النفس الإنسانية وطاقتها، يضاهاي مفهوم كلمة جَهْدٌ ومشتقاتها والتي وردت كثيراً في كتاب الباري عز وجل.

ويبدو ذلك المفهوم جلياً سافراً في الآيات الحكيمة التالية:

قال تعالى:

الَّذِينَ يَلْمُزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ
إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

[سورة التوبة الآية: ٧٩]

وقال تعالى:

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾

[سورة الأنعام الآية: ٥٣]

وقال تعالى:

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا
يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾

[سورة الأنعام الآية: ١٠٩]

وقال تعالى:

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

[سورة النحل الآية: ٣٨]

وهذا بعينه المعنى الدقيق الذي أراده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في سنته الشريفة حيث قال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء" (النسائي، ج ١، ص ١٩٠)، وقوله الشريف: "أما السجود فاجتهدوا بالدعاء" (مسلم، كتاب الصلاة، ص ٢٠٧)، فالمقصود هنا من كلمة اجتهدوا، أي بذل الجهد كله في الدعاء. وهو نفس المعنى الذي بينه رسول الهدى والمحبة في قوله الشريف في الحديثين التاليين:

"إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر" (البخاري ومسلم) وقوله الشريف إلى معاذ بن جبل كيف تصنع إن عُرِضَ لكَ قَضَاءٌ ، قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

أجتهد رأي لا ألو، قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. (اعلام الموقعين، ج ١، ص ٢٠٢).

يلاحظ أن كلا الحديتين الشرعيين يشيران إلى الحكم والقضاء بين الناس وعلى أساس ل يجد ويجتهد الحاكم أو القاضي بجميع ما يمتلك من قوى وطاقت للوصول إلى الحكم الدقيق في المسألة المطلوب بيان الحكم فيها بين الأطراف المتنازعة، لإيصال الحق إلى صاحبه، سواء أكان الموضوع المتنازع عليه بين الأطراف له حكم في الكتاب والسنة أم لا. ففي الحالة التي يوجد للموضوع حكم في الكتاب والسنة فعلى الحاكم أو القاضي أن يقضي كما هو منصوص عليه في الكتاب والسنة، لذلك فعلى الحاكم والقاضي أن يكونا قد اجتهدا للوصول إلى الفهم الكامل والدقيق لما هو موجود في الكتاب والسنة، أما في الحالة الأخرى التي لم يوجد للموضوع المتنازع عليه حكماً في الكتاب والسنة فعلى الحاكم والقاضي أن يجتهدا في طلب الحقائق والأدلة الموصلة إلى اتخاذ حكماً صائباً لإيصال الحق إلى صاحبه.

وعليه يفهم أن الإنسان الحاكم أو القاضي يحكم بين الأطراف لكونه مؤهلاً لفهمه الكامل والدقيق لجميع ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، هذا بجانب النية الصادقة في الوصول إلى الحكم العادل بين الأطراف المتنازعة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المفهوم الدقيق للاجتهد هو بعينه الذي استقر في أذهان الذين عاصروا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويظهر ذلك جلياً سافراً في الأدلة التالية: أولاً: قول عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "كان رسول الله يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره" (مسلم).

ثانياً: قول أم حارثة عن ابنها: "إن كان في الجنة صبريت، وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء" (البخاري ومسلم).

ثالثاً: شيوع استخدام كلمة الفقه والتي لا تعني الاجتهاد بل تعني الفهم والاستيعاب للشيء المراد التفقه فيه، وهذا المعنى بعينه الموضح في كتاب الحق سبحانه وتعالى وسنة نبيه الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانُ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْهَرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة الآية: ١٢٢]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

"فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد" (البخاري ومسلم).

من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" (البخاري).

وقد دعا لابن عباس قائلاً: "اللهم فقهه في الدين" (البخاري).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مبيناً قيمة الفقهاء وأنواعهم: "الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، قالوا: وكيف دخولهم في الدنيا يا رسول الله، قال: إذا وجدتموهم على أبواب السلاطين فاحذروهم على دينكم" (البحار، ج ٢، ص ١١٠).

وعلى هذا الأساس فهم الناس في العصور الأولى كلمة الفقه ويبدو ذلك بوضوح وجلاء في الأقوال التالية:

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلده" (سفينة النجاة، ص ٣٨١).
وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق: "ليقتضي كل قوم بما اجتمع عليه فقاؤهم" (سنن الدارمي، ج ١، ص ١٥١).

وفي ضوء ما ذكر يبدو جلياً واضحاً أن الفرق بارز للعيان بين كلمة الاجتهاد وكلمة الفقه، فالاجتهاد يعني في أقصى غاياته بذل الجهد بقدر الطاقة الإنسانية للوصول إلى درجة الفقه في الدين الإسلامي. وعليه يكون الاجتهاد وسيلة، والفقه هو الهدف الذي نسعى إليه بتلك الوسيلة. لذلك نستطيع أن نقول باطمئنان تام أن كل فقيه مجتهد، وليس كل مجتهد فقيه، لأن وسيلة الاجتهاد المتبعة للوصول إلى درجة الفقه في الدين تعتمد على قدرات المجتهد نفسه، وقد يستطيع قسم من الناس بما وهبهم الله من قدرات وطاقات أن يصلوا إلى مستوى التفقه في الدين، وقد يعجز قسم آخر، بل يصلوا إلى مستويات متفاوتة في الفهم لدين الحق سبحانه وتعالى.

ومن المفيد جداً أن نشير في هذا المقام إلى الحقيقة التالية، ومفادها أن وسيلة الاجتهاد التي يسعى من خلالها المسلمون للتقفة في دين الحق سبحانه وتعالى، وبذل أقصى طاقاتهم في ذلك، هو للوصول إلى مفهوم الدين الإسلامي الكامل كما جاء في كتاب الحق سبحانه وتعالى. ولا يجوز لأي إنسان مهما كان شأنه أن يتعدى هذه الحدود، لأنه إن لم يلتزم بذلك يكون بعمله قد أساء لدين الله أولاً وظلم نفسه ثانياً. وهذا المفهوم الذي تواترت عليه أقوال أئمة آل البيت عليهم السلام. قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عندما رضت عليه الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب، لا أحكم إلا بكتاب الله وسنة رسوله. وقال الإمام الباقر عليه السلام، لو حدثناكم برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا، ولكن نحدثكم ببينة من ربنا بيدها نبيها، فبيدها نبيها لنا. وقال مرة أخرى: يا جابر، إذا لو كنا نحدثكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكننا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يكتنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم.

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: "والله ما نقول بأهواننا ولا نقول برأينا، ولا نقول إلا ما قال ربنا، فمهما أحببتك فيه بشيء فهو عن رسول الله لن نقول برأينا من شيء".

مناقشة النتائج:

يبدو بوضوح وجلاء في ضوء نتائج الدراسة أن الاجتهاد في التربية الإسلامية يعني بذل الجهد من قبل المسلمين في فهم الدين الإسلامي الكامل كما وضحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون الزيادة عليه أو الإنقاص منه. كما أن الاجتهاد لجميع المسلمين دون استثناء ولا يحتاج إلى اعداد قائمة من الشروط التي يجب أن يتصف بها الإنسان المسلم قبل الشروع في بذل الجهد لفهم الدين الإسلامي (الاجتهاد).

إن هذا المفهوم للاجتهاد يخالف جميع الذين قالوا أن الاجتهاد في الأمور التي لم يرد فيها نص قرآني كريم أو سنة نبوية شريفة، لأن الاجتهاد كما أشرنا إليه سابقاً يعني بذل الجهد في فهم الدين الإسلامي الكامل، كما أن الأمور التي لم يرد فيها نص قرآني كريم أو سنة نبوية شريفة لم يدعها الحق سبحانه وتعالى للمجتهدين بل جعلها الحق سبحانه وتعالى حقاً للمسلمين ليتشاوروا فيها ولا يقضوا برأي واحد ودليل ذلك يبرز في الآيات القرآنية الحكيمة والسنة النبوية الطاهرة التالية:

قال تعالى:

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[سورة آل عمران الآية: ١٥٩]

قال تعالى:

فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ
يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْأَيْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ
الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾

[سورة الشورى الآيات: ٣٦-٣٩]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما سأله إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام، لو وقع لنا بعدك ما لم نجد له حكماً في القرآن أو نسمع منك فيه شيئاً فماذا نفعل؟ فقال صلوات الله عليه وآله وسلم: "اجمعوا العابدين من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا برأي واحد" (تفسير روح المعاني، ج ٢٥، ص ٤٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم، فظهر الأرض خيراً من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم، ولم يكن أمركم شورى بينكم فبطن الأرض خيراً لكم من ظهرها" (تفسير أبي الفتوح الرازي).

وهناك حقيقة هامة أخرى، مفادها أن المفهوم الحقيقي للاجتهاد يتعارض بشدة مع الذين ذهبوا إلى فهم الاجتهاد على أساس كشف واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة، ودليلنا في ذلك أن الحق سبحانه وتعالى قد أرسل لنا ديناً كاملاً كما وضعه لنا رسوله الأمين بصوت تام، وكان آل بيت النبي الأطهار عليهم السلام جميعاً قد وضعوا ذلك جلياً في شتى المواقف والمناسبات والتي أشرنا إلى قسم منها في هذه الدراسة، أضف إلى ذلك أن

الحق سبحانه وتعالى قد نهى عن التكلف في البحث عن الأمور التي عفا الله عنها. ويبدو ذلك في قوله عز من قائل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِن نَسَّأُوا عَنهَا حِينَ يُنَزَّلُ
الْقُرْءَانُ بُدِّ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ
أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [سورة المائدة الآيتان: ١٠١، ١٠٢]

كما أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع وأشهد رب العزة على ذلك أنه قد بلغ رسالة الحق سبحانه وتعالى بالتمام والكمال، وأمرنا البارى عز وجل أن نقتدي بالسيرة النبوية الشريفة في أعمالنا وأقوالنا في تطبيق رسالته التي أرادها نوراً وهدى للعالمين. قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

"وما كلفك الشيطانُ علمهُ مما ليس بالكتاب عليك فرضُهُ ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأئمة الهدى أثره فكلُّ علمهُ إلى الله سبحانه. فإن ذلك منتهى حق الله عليهم. أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السُّدَدِ المضروبة دون الغيوب الاقرارُ بجملة ما جهلوا تفسير الغيب المحجوب. فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً. وسمى تركهُمُ التعمُّقَ فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً" (نهج البلاغة، ج ١، ص ١٦٢).

واشارة إلى اتفاق الفقهاء على عدم جواز المجتهد لتقليد غيره، فإن هذه القاعدة تشكل أساساً ومبادئ للاختلاف بين جموع المسلمين الذين أمرهم الحق سبحانه وتعالى بالاعتصام بحبل الله جميعاً وعدم الفرقة بينهم وأن يصبروا على بعضهم ولا يتنازعا في الأمر فتذهب ربحهم. فكيف يكون موضع ومكانة المجتهدين الذين اختلفوا في حل المسائل الفقهية أو أغلبها أو على أحسن حال في بعض المسائل داخل التجمع الإسلامي الذي يود أن يتبع تعليمات القرآن الكريم وسنة نبيه الأمين في توحيد الصف الواحد؟

إن هذا المفهوم القائم على عدم جواز المجتهد لتقليد غيره، يعدُّ من أخطر الحواجز وأعظمها في الوقوف أمام جميع الجهود التي تبذل لتوحيد كلمة المسلمين حتى داخل حدود

الطائفة أو الحزب الواحد. لأن كل مجتهد يعتقد هو وأتباعه أنهم جاثمون على الحق الذي فاتته الآخرون.

وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى قول إمام المتقين وسيد الأوصياء الطاهرين علي بن أبي طالب عليه السلام: "ترد على أحدهم القضية في حكم فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية على غيره فيحكم فيها بخلافه، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعاً وإلّهم واحد ونبههم واحد وكتابهم واحد فأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه. أم كانوا شركاء له. فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله ديناً تاماً فقصد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن تبليغه وأدائه. وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً". (نهج البلاغة، ج ١، ص ٥٤).

ما حقيقة العلاقة بين مفهومي الشورى والاجتهاد في التربية الإسلامية؟

كنا قد وضحنا بجلاء مفهوم الشورى وأهميتها في الإجابة عن السؤال الأول من هذه الدراسة، كما بيّنا بوضوح ساطع مفهوم الاجتهاد في التربية الإسلامية. وتبدو أن العلاقة بين المفهومين هي تكاملية. فالشورى كونها حقاً شرعياً منحها الحق سبحانه وتعالى إلى المسلمين للتباحث والتشاور في جميع المسائل التي تواجههم في حياتهم، والتي لم يرد فيها نص قرآني كريم أو سنة نبوية شريفة، فهي عملية إدارية يجب إنجازها بأخلاق تعاونية سامية تتسجم مع الأخلاق التي أقرها الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، ويبدأها رسوله الأمين في سيرته الشريفة من تعاون وإخلاص، ومحبة، وحرية، وإيثار، وصدق، وعدل، وأمانة. أما بالنسبة إلى الاجتهاد الذي يعني بذل الجهد بقدر الطاقة الانسانية في أداء العمل المراد انجازه، فيشكل القاعدة الأساسية عند الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامي لبذل قصارى جهدهم في العطاء والتضحية وبذل الطاقات في شتى الأمور الحياتية سواء في فهم الدين الإسلامي الكامل، كما بيّنه الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز ورسوله الكريم في

سيرته النبوية الشريفة، دون الزيادة عليه أو الانقاص منه، أم في الأمور التي لم يرد فيها نص قرآني كريم أو سنة نبوية شريفة عن طريق الشورى.

أما بالنسبة إلى المفهوم الشائع في الأوساط الإسلامية لمفهوم الشورى والاجتهاد، فإن العلاقة بين هذين المفهومين قد تختلف كثيراً، لأن المساحة الإدارية التي جعلها الحق سبحانه وتعالى حقاً شرعياً للمسلمين للتداول والتشاور في أمورهم قد تم السيطرة عليها من قبل المجتهدين بالمفهوم الفطير للاجتهاد، الذي أعطى الحرية للمجتهد لإصدار الفتاوى والأحكام في جميع المسائل التي لم يرد فيها نص قرآني كريم أو سنة نبوية شريفة، واستناداً إلى هذا الفهم الخاطئ لمصطلحي الشورى والاجتهاد، فتكون العلاقة بينها عكسية. أي أن انتشار الاجتهاد يكون على حساب الأسلوب الإداري للشورى، كما أن انتشار مفهوم الشورى يكون على حساب عملية الاجتهاد. وهذه العلاقة لا تمثل نوع العلاقة الحقيقية بين مفهومي الشورى والاجتهاد في التربية الإسلامية، لأن حقيقة العلاقة تكاملية وليست عكسية. ولكن سوء الفهم الذي استقر في الأذهان تاريخياً وحاضراً أدى إلى إيجاد هذه العلاقة الوهمية بين مفهومي الشورى والاجتهاد في التربية الإسلامية مما أدى إلى اختلاط الأوراق وإثارة الزوابع الفكرية في المجتمعات الإسلامية وزيادة حدة الانقسامات الطائفية والمذهبية في شتى الأفكار والمبادئ الإسلامية، وتأطير قواعد الإرهاب الفكري سواء على المستوى الفردي للمجتهد أم الفكر الفئوي للأحزاب والطوائف المتناحرة، أم على مستوى الدولة عن طريق فقهاء السلاطين.

لذلك لا بد من بذل الجهود لتتقية المفاهيم الإسلامية السائدة وفهمها حسب وضعها الدقيق في التربية الإسلامية، لإزالة الحواجز والألغام التي تم نصبها بين المسلمين عبر التاريخ، للمساهمة الجادة في توحيد الصفوف بين المسلمين على الساحتين المحلية والعالمية.

المصادر والمراجع

١. أبو فارس، محمد، حكم الشورى في الإسلام ونتيجتها، دار الفرقان-عمان، ١٩٨٨.
٢. ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٤٩.
٣. ابن كثير، ١٩٥٨، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية-القاهرة، ١٩٥٨.
٤. الأنصاري، عبد الحميد، الشورى وأثرها في الديمقراطية، المكتبة العصرية-بيروت، ١٩٨٠.
٥. الترابي، حسن، الشورى والديمقراطية اشكالات المصلح والمفهوم، المستقبل العربي، عدد ٧٥، أيار، ١٤-١٧، ١٩٨٥.
٦. التميمي، عز الدين، الشورى بين الاصاله والمعاصرة، دار البشير للنشر والتوزيع-عمان، ١٩٨٥.
٧. الخالدي، محمود، قواعد نظام الحكم في الإسلام. دار البحوث العلمية-الكويت، ١٩٨٠.
٨. الخالدي، محمود، نظام الشورى في الإسلام. مكتبة الرسالة الحديثة-عمان، ١٩٨٦.
٩. الخياط، عبد العزيز، وأمرهم شورى. المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت)-عمان، ١٩٩٣.
١٠. الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ١٩٦٧.
١١. الراوي، جابر، الشورى في الإسلام. المجلة الثقافية، عدد ٦، ١١٠-١١١، ١٩٨٥.
١٢. الرئيس، محمد، النظريات السياسية في الإسلام، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠.
١٣. الزحيلي، وهبه وآخرون، الشورى في الإسلام، ج٢، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت)-عمان، ١٩٨٩.
١٤. الزمخشري، تفسير الكشاف، دار المصنف-القاهرة، ١٩٧٧.
١٥. السيد محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقهاء المقارن، دار الأندلس، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.

١٦. الشاوي، توفيق، **فقه الشورى والاستشارة**. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، ١٩٩٢.
١٧. الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، **الغدِير**، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
١٨. الشيخ محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار**، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١٩. الشيخ محمد حسن المظفر، **دلائل الصدق**، منشورات مكتبة بصيرتي، قم-إيران، ١٣٩٥هـ.
٢٠. الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم-إيران، ١٩٧٣.
٢١. الطبرسي، **الاحتجاج**، منشورات النعمان، النجف الأشرف-العراق، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
٢٢. الطبرسي، **مجمع البيان**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٢٣. الطبري، **تفسير الطبري**، دار المعارف بمصر، ١٩٧٢.
٢٤. الطوسي، **تهذيب الأحكام**، دار الكتب الإسلامية، طهران-إيران، ١٣٩٠هـ.
٢٥. العسلي، خالد وآخرون، **الشورى في الإسلام**، ج ١، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)-عمان، ١٩٨٩.
٢٦. العشماوي، محمد سعيد، **روح العدالة**، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة-بيروت، ١٩٨٣.
٢٧. العوا، محمد سليم، **الأمة والسلطة حاكمة الشورى المنطلق**، عدد-١١، ٣٩-١٩٩٥.
٢٨. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مؤسسة مناهل العرفان-بيروت، ١٩٩٠.
٢٩. الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ط ١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٩٣.

٣٠. الماوردي، التحفة الملوكية في الآداب السياسية. تحقيق: فؤاد عبد المنعم، مؤسسة شباب الجامعة-الاسكندرية، ١٩٩٣.
٣١. المليجي، يعقوب، مبدأ الشورى في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية-الاسكندرية، ١٩٩٥.
٣٢. النحوي، عدنان، الشورى لا الديمقراطية، مطابع الفرزدق التجارية-الرياض، ١٩٨٥.
٣٣. حليمه، عبد المنعم، حكم الإسلام في الديمقراطية والتعددية، المكتبة العصرية-بيروت، ١٩٩٣.
٣٤. خطاب، محمود وآخرون، الشورى في الإسلام، ج ٣. المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)-عمان، ١٩٨٩.
٣٥. خلاف، عبد الوهاب، السلطات الثلاث في الإسلام. دار آفاق الغد-القاهرة، ١٩٨٠.
٣٦. خلف، مجاهد، الأخطاء القاتلة في الحديث عن الشورى والديمقراطية. منبر الإسلام، عدد ٦، نوفمبر، ٥١، ١٩٩٤.
٣٧. علي، سعيد اسماعيل، ديمقراطية التربية الإسلامية، عالم الكتب-القاهرة، ١٩٨٣.
٣٨. فضل الله، مهدي، الشورى طبيعة الحاكمية في الإسلام. دار الأندلس-بيروت، ١٩٨٤.
٣٩. فليحين، محمود، الفروق الفكرية بين مفهومي الديمقراطية والشورى وانعكاساتها التربوية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٦.
٤٠. فهمي، مصطفى، فن الحكم في الإسلام. المكتب المصري الحديث-القاهرة، ١٩٨١.
٤١. قطب، سيد، في ظلال القرآن، المجلد ٥، دار الشروق-القاهرة وبيروت، ١٩٨١.
٤٢. مبارك، أحمد، الإسلام وأزمة الديمقراطية. رسالة الجهاد-طرابلس، ١٩٨٦.
٤٣. محفوظ، عبد المنعم والخطيب، نعمان، مبادئ في النظم السياسية، دار الفرقان للنشر والتوزيع-عمان، ١٩٧٨.
٤٤. مؤسسة البلاغ، الثابت والمتغير في التشريع الإسلامي، طهران-الجمهورية الإسلامية في إيران، ط ١، ١٩٩٧.

٤٥ . موسى، محمد، نظام الحكم في الاسلام، العصر الحديث للنشر والتوزيع-بيروت،
١٩٨٨.

٤٦ . نصر، محمد، في النظريات والنظم السياسية، دار النهضة-بيروت، ١٩٨١.

٤٧ . نعمان، محمود وآخرون، الشورى في الاسلام، ج٣. المجمع الملكي لبحوث
الحضارة الإسلامية (مؤسسة آل البيت)-عمان، ١٩٨٩.

٤٨ . نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.

الفصل الرابع
فلسفة التعليم في المجتمع الإسلامي

فلسفة التعليم في المجتمع الإسلامي

خلفية الدراسة:

إن المجتمعات الإنسانية تهتم بتربية أفرادها بصورة كبيرة وذلك يعود إلى أهمية التربية في حفظ هويتها الفكرية وتقديمها العلمي والحضاري بما يتفق مع الإطار الفكري العام لتلك المجتمعات، ونتيجة لذلك لا بد من وجود أغراض وأهداف محددة للتربية يسعى لتحقيقها كل مجتمع من المجتمعات. وأغراض التربية وأهدافها تختلف باختلاف المجتمعات من حيث ثقافتها ودرجة تقدمها، والظروف الاجتماعية والفكرية والسياسية التي تحكمها.

إن أهم الفروقات التي تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات أن المجتمع الإسلامي تسري بين جنباته وداخل مؤسساته أنماط تربوية مميزة وشجبت وأُسست على مفاهيم دقيقة حول الإنسان والكون مجانبية الفيزيقي والميتافيزيقي، والفهم الدقيق الساطع للحياة الدنيا شكَّلت هذه المفاهيم الحقيقية أنماطاً سلوكية خاصة يتميز بها أفراد المجتمع الإسلامي عن غيرهم من البشر، فالقرآن الحكيم وسنة نبينا الكريم يمثلان المصدر الأساسي للتربية العامة في المجتمع الإسلامي وكل ما يتصل بهذه التربية من أهداف عامة، ومناهج أُسست على علم شامل ودقيق غير قابلة للشك والفساد والتجديد، لأنها صالحة لكل زمان ومكان، ولكافة أنواع البشر بمختلف ألوانهم وجنسياتهم. هذا بجانب نظام القياس والتقويم الفردي الذي يحتوي عليه الدين الإسلامي، إن جميع هذه الحلقات الأساسية التي تكوّن العملية التربوية العامة في المجتمع المسلم هي ثابتة، وشاملة، وصالحة لكل زمان ومكان، ولكافة أنواع البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وأما الجانب التعليمي المتصل بهذه العملية التربوية فهو العنصر المتغير في العملية التربوية ليناسب الإنسان عبر تاريخه وتقدمه الحضاري وما توصل إليه من معلومات ومعارف عن طريق جهده المتواصل في البحث والتنقيب عن كافة الأمور المحيطة به في وقتنا الحاضر

وما سيصل اليه في المستقبل من معلومات ومعارف، ووسائل تعليمية. ويكون اتخاذ القرارات في التفضيل والترجيح بين البدائل بأسلوب الشورى للأفراد المعنيين بالموضوع ذاته.

إن العملية التعليمية في المجتمع الإسلامي تحتاج إلى إنشاء مؤسسات علمية تربية، لتولي المهام العلمية التربوية في إعداد وتعليم أبناء المجتمع المسلم، بما ينسجم مع الإطار الفكري العام للمجتمع لكي يكون العلم في خدمة المجتمع وأبنائه، وتكون التربية في حلقاتها الثلاث: الأسرة، والمجتمع، والمؤسسة العلمية، تسير جميعها وفق إطار فكري واحد بعيداً عن التناقض والازدواجية، وتكون مكملة لبعضها البعض دون ظهور أي تعارض. إن المشكلة الأساسية التي تنخر المجتمعات الإسلامية جاءت من التناقض الموجود بين الشعار الإسلامي المرفوع وبين الأنماط الاجتماعية والسلوكية الممارسة في تلك المجتمعات، والأفكار التربوية المناهضة للإسلام وتعليماته التي تعج بها المؤسسات التربوية، والتربية الأسرية المغايرة في أغلب الظروف للأنماط الاجتماعية السائدة في المجتمع والبرامج التربوية المطبقة في المؤسسات العلمية، لذلك فإن المؤسسات العلمية التربوية في المجتمع الإسلامي يجب أن تكون هويتها الفكرية إسلامية، وجميع ما يجري في أروقتها من أبحاث علمية سواء أكانت في الجوانب الإنسانية أم في الجوانب العلمية التطبيقية تسير وفق الفكر الإسلامي، وما يرافق تلك الأبحاث العلمية من ممارسات، وأنماط سلوكية، وأساليب إدارية يجب أن تتسجم مع تعليمات الإسلام وجوهره.

إن التربية تعد وسيلة المجتمع الفعالة التي يستطيع عن طريقها تحقيق أهدافه الوجودية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية بما يتفق مع تصور أبناء المجتمع للوجود، وما ينبثق عن هذا التصور من مفاهيم وعقائد وأفكار وذلك عن طريق استخدام المعلومات كافة ومجموعة المعارف العلمية والوسائل التربوية التي توصل إليها الإنسان في تأهيل أفراد المجتمع كل حسب ميوله وقدراته الذاتية ليكونوا على أفضل مستوى فني في تقديم الخدمات المتعددة لمجتمعهم، لذلك فإن التربية تختلف من مجتمع إلى آخر، وذلك يعود إلى تصور أبناء المجتمع للوجود وما يعكسه هذا التصور من مفاهيم خاصة بالقضايا

الوجودية الأساسية التي تشكل اهتمامات وطموحات الإنسان بعد تعرفه على حقيقة وجوده وطبيعة كيانه في ضوء ذلك التصور للوجود. (الحياري، ١٩٩٣).

إن التربية الإسلامية أمانة وفريضة يحملها الجيل للجيل الآخر الذي يليه. فهي تربية تؤكد على وجوب تحكيم شريعة الله في كافة ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال وتصرفات فهي عملية تتعلق بتهيئة عقل الإنسان وفكره وتصوراته عن الكون والحياة ودوره وعلاقته بهذه الدنيا وعن غاية هذه الحياة المؤقتة التي يجيها الإنسان والهدف الذي يجب أن يوجه مساعيه إلى تحقيقه، فهي التي تمي فكر الإنسان وتنظم سلوكه وعواطفه على أساس هذا الدين الإسلامي. يمثّل الفرد المسلم كل هذه الجوانب في انسجام وتكامل توحد معه كل طاقاته وتتضافر جهوده لتحقيق هدف واحد وهو العبودية لله والتي تنفرج منه باقي الأهداف والمجالات وضروب السلوك. (النحلاوي، ١٩٨٣).

والتربية الإسلامية لا يمكن أن تفهم روحها دون موقعها في إطار التصور الإسلامي الكامل للكون والحياة والإنسان وهي ليست كما منفصلاً عن غاية الدين ومنهج الإسلام في الحياة، بل هي الوسيلة التي كرم الله سبحانه وتعالى آدم عن غيره من المخلوقات وهي الأداة التي استخدمها النبي عليه السلام في نشر الدعوة وتربية الأجيال وتنظيم الحياة بجميع مجالاتها (الفرحان، ١٩٨٢).

والتربية الإسلامية في المجتمع الإسلامي تشكل انعكاساً حقيقياً للمجتمع، وإذا كان الإطار العام للتربية الإسلامية في المجتمع الإسلامي نابعاً من القرآن الكريم فإن هذه التربية هي المدخل الوحيد لإصلاح النظام التعليمي في كل البلاد الإسلامية. (علي خليل، ١٩٨٥).

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن أهم هدف من أهداف التربية الإسلامية هو بلوغ درجة الكمال الإنساني لأن الإنسان في ظل هذه التربية يهدف إلى الوصول إلى درجة الكمال ولأن الإسلام يمثل بلوغ الكمال الديني فهو خاتمة الأديان وأكملها وأنضجها وأشملها وجاء عاماً إلى البشرية، ولذلك عملت التربية الإسلامية على إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة وهو هدف تنسب فيه أسس التربية الإسلامية فهي لا ترد للإنسان ان يعيش في

السماء وهو في الأرض وكذلك لا ترد له أن يعيش منغمساً في الحياة الأرضية المادية وحدها لأن في كيانه وجوداً روحياً، فعالمه أوسع من الحياة الأرضية. (البحر، ١٩٧٧).

كذلك فإن مراكز التوجيه الديني في العالم الإسلامي ما زالت تقف عند حدود تقديم ما تركه لنا الأسلاف فأدى ذلك إلى حالة من الجمود وانحسرت الثقافة وتخلف المجتمع وتكالبت عليه الأمم فوصلنا إلى حالة مؤسفة حزينة فعقدت الأمة وأصبح من المستحيل عليها إنجاب العباقرة ومجازاة الأمم فأصبحت الأمة في حالة من الإرباك تتبع الشرق تارة وتتبع الغرب تارة أخرى. (المودودي، ١٩٦٢).

إن الحاجة ماسة وملحة إلى نظام تربوي جديد يقوم على مزج العلوم الدينية بالعلم الحديث في وحدة متجانسة لأن تقسيم العلوم إلى دينية ودنيوية يقوم على أساس فلسفي غربي يقضي بفصل الدين عن الحياة الأمر الذي يتعارض مع الموازنة التي جاء بها الإسلام وكذلك مع الفلسفة التي تقوم عليها التربية الإسلامية، لذلك فإن وضع أسس ومرتكزات للتعليم يعتبر ذا أهمية كبرى بالنسبة لأي نظام تعليمي يشهد الإصلاح والتقدم ومثانة البنيان والأساس، فعند الحديث عن التعليم لا بد أن نذكر بأن التعليم جزء من التربية يعمل على ترويض العقل بالمعارف والخبرات وإعداد الفرد ليكون قادراً على الفهم والاستجابة، وبما أن الإسلام كان أول حركة تعليمية ظهرت في جزيرة العرب كان الهدف منها تفهم الدين الجديد بصورة واضحة، فقد أثار الإسلام في نفوس أتباعه حب التعليم والذي أصبح لجميع الناس على حد سواء ودونما استثناء. (ميرالدين، ١٩٨١).

ومن شأن هذه الأسس والمرتكزات أن تساعد المخططين للتعليم والقائمين على تسيير أمره في المجتمع تكوين فكرة سليمة عن التعليم وطبيعته وغاياته وهي تكون الأساس الذي في ضوئه يمكن تحديد أهداف التعليم وطبيعته وغاياته، وبذلك تكتسب هذه الفلسفة التربوية الاحترام والتقدير. (الشيباني، ١٩٨٨).

والعملية التعليمية في المجتمع الإسلامي تحتاج إلى مؤسسات علمية تربوية تتولى مهام العملية التربوية في إعداد وتعليم أبناء المجتمع المسلم بما ينسجم مع الإطار الفكري العام للمجتمع لكي يكون العلم في خدمة المجتمع وأبنائه وتكون التربية في حلقاتها الثلاث

الأسرة والمجتمع والمؤسسة العلمية تسير جميعاً وفق إطار فكري واحد بعيداً عن التناقض والازدواجية وتكون مكملة لبعضها البعض دون تعارض.(الحياري، ١٩٩٤).

والتعليم في ضوء التربية الإسلامية يجب أن يعتمد على مصدرين هامين هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة حيث تشتق من هذين المصدرين جميع العلوم التي تدرس الظواهر الدنيوية وفي ضوء الاقتداء بهذين المصدرين يمكن للتعليم أن يوجه خبراته التربوية وينتفعر إلى كافة التخصصات العامة والدقيقة المختلفة.(سلطان، ١٩٩٦).

والتعليم في ضوء هذين المصدرين ينبثق من المفهوم العام الذي يحد أفعال الإنسان وممارساته فإذا توافقت ممارسات الفرد مع مشيئة الله سبحانه وتعالى فُتُح عليه باب العلم والتعلم وإذا ما تعارضت ممارسات الناس أفراداً وجماعات مع مشيئة الله انغلق عليهم باب العلم وأصبحوا في ذيل الأمم . وكذلك فإن التعليم أمر هام في حياة الأمة والإخلاص فيهما وقصد وجه الله تعالى يؤدي إلى الإلتقان والوصول بهذا التعليم إلى درجة من الكمال نشدتها التربية الإسلامية وعكس ذلك يكون التخلف والتراجع.(الكيلاني، ١٩٨٧).

وأخيراً، فإن التعليم ينبع من الإسلام وتصوراته، وهو موضوع ارتبطت فيه كل الأمم على مدار العصور وهو موضوع قديم كان وما يزال موضع اهتمام المفكرين والمعلمين، فالعلم أساس كل إصلاح وتاج كل نهضة والتعليم ليس إلا سبيلاً لنشر العلم وتنقيف العقول وتهذيب النفوس لذلك فقد حان الوقت للتفكير الجاد لوضع نظام تعليمي يقوم على أساس من التصور الإسلامي ويكون بديلاً للأنظمة الغربية المتبعة في البلدان الإسلامية وذلك من خلال التفكير الواقعي ووضع سياسة تعليمية إسلامية تستهدف بناء الشخصية المسلمة المتوازنة وتعمل على حماية الشباب والجيل من الانحراف العقائدي والسلوكي المصاحب للغزو الفكري.(بالجن، ١٩٨٢).

ويرى الباحث أن فلسفة التعليم للمؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي تؤدي إلى إعداد الإنسان الصالح المؤمن بالله قولاً وعملاً والمؤمن برسالة أمته الحريص على مجتمعه ليتحقق للمجتمع الوصول إلى درجة الكمال الإنساني فيكون صلاح المجتمع والأمة وخروجها من حالة التخلف والضياع إلى حالة النمو والبناء وإرسال رسالتها إلى سائر الأمم الأخرى. وتكون كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس ويتحقق التوازن الذي حرصت التربية

الإسلامية على تحقيقه في الدنيا والآخرة. وهذا التعليم المنشود لا يمكن أن يكتب له النجاح بأسسه الإسلامية النبيلة إلا في حالة تطبيقه في مجتمع إسلامي تسيّر حياة الناس فيه وفق تعليمات الإسلام الغراء.

الأدب النظري والدراسات السابقة

سوف يشير الباحث إلى أحدث الدراسات التي تقي بالغرض المطلوب، دون الحاجة إلى الإسهاب والإطناب في ذلك. واستناداً إلى تلك الأسس فإنه سيقصر الإشارة إلى دور المؤسسة التربوية على مستوى المدرسة والجامعة والدور التربوي للمعلم في ضوء التربية الإسلامية.

أولاً: دور المدرسة في المجتمع الإسلامي

لقد أصبح للمدرسة دور بارز في المجتمع أفرزته طبيعة الحياة العصرية، فلم تعد المدرسة مكاناً محصوراً لتلقين الطلبة المعلومات الموجودة في المناهج المدرسية، بل أصبحت المدرسة تشكل النواة التربوية الحساسة في تأهيل أفراد المجتمع وفق القواعد الأخلاقية والسلوكية التي تتبع من الفكر التربوي والسياسي للمجتمع، كما امتد دور المدرسة إلى خارج أسوارها عن طريق تفاعلها البنّاء مع المجتمع المحلي في أغلب الظروف والمناسبات.

وهناك عدة أدوار أساسية للمدرسة في المجتمع الإسلامي لا بد من القيام بها بصورة دقيقة وكاملة من أجل تقوية عناصر العملية التربوية وتماسك أسسها في المجتمع الإسلامي وفق التعليمات الإلهية التي تزخر بها التربية الإسلامية.

إن الأهداف المدرسية التي تسعى الإدارة المدرسية إلى تحقيقها تشمل الأدوار التالية:

١. دور المدرسة تجاه المجتمع المحلي.
٢. دور المدرسة تجاه المسؤولين عن المدرسة.
٣. دور المدرسة تجاه المشرفين عن العملية التربوية.
٤. دور المدرسة تجاه المعلمين.

٥. دور المدرسة تجاه الطلبة.

وقد أشار بني خلف في دراسته (١٩٩٨) إلى مسؤوليات المدرسة تجاه تحقيق جميع الأهداف المتصلة بجميع الأدوار التربوية للإدارة المدرسية وجاءت على النحو التالي:

أ) دور المدرسة تجاه المجتمع المحلي ويشمل المهام التالية:

١. تفعيل دور المدرسة في عمليات البر والإحسان بالتعاون مع الجمعيات الخيرية.
٢. توثيق صلة المدرسة بأولياء الأمور بإشراكهم في الأنشطة المدرسية.
٣. التنبيه لخطورة انحراف الأفراد وأثره السلبي في المجتمع وتقديم الحلول المناسبة.
٤. تثقيف الآباء والأمهات بالأساليب التربوية المناسبة لفئات أبنائهم العمرية المختلفة.
٥. تفعيل دور المدرسة في تنقية العادات والأعراف بما يتفق والشرع الإسلامي ونشر الوعي الاجتماعي السليم في ندوات عامة.
٦. تفعيل دور المدرسة في إحياء المناسبات الإسلامية ودعوة أفراد المجتمع لها.
٧. تعميق الولاء لله ولرسوله وأولي الأمر من المؤمنين في نفوس أفراد المجتمع من خلال المناسبات الإسلامية المختلفة.
٨. إقامة نوادي صيفية في المدرسة لتعميق العمل الجماعي وتنمية القيادات الإدارية في المجتمع المحلي.
٩. تسهيل سبل التعليم للأيتام والمحرومين بتقديم المساعدات المالية لهم.
١٠. دعوة المؤسسات العلمية والتربوية للمشاركة في ندوات ومحاضرات ثقافية داخل المجتمع المدرسي.
١١. دعوة أولياء أمور الطلبة لمناقشة سياسة المدرسة وبرامجها التعليمية.
١٢. تنظيم ندوات ومحاضرات عامة ودعوة متخصصين لتثقيف الناس بواجباتهم التربوية نحو أبنائهم.
١٣. حماية البيئة من التلوث بتنظيفها وتشجير الأماكن الحرجية من خلال معسكرات صيفية للطلبة.

١٤. للعاون مع أولياء الأمور في بحث مشكلات الطلبة التعليمية وإيجاد الحلول المناسبة لها.

١٥. تعميق التعاون بين المدرسة والمجتمع بإشراك الطلبة بموسم الحصاد وقطاف الزيتون.

ب) دور المدرسة تجاه المسؤولين عن المدرسة ويشمل المهام التالية:

١. تقديم الطاعة والولاء للمسؤولين بما يتناسب مع مصلحة العمل ومجرباته.
٢. مناقشة المسؤولين بحرية في كافة المسائل المتعلقة بشؤون المدرسة.
٣. الرد على الكتب الرسمية دون تأخير مراعاة لأهمية الوقت.
٤. عدم المغالاة في استقبال المسؤولين الزائرين للمدرسة على حساب العمل المدرسي.

٥. ألا تغطي المجاملات في التعامل مع المسؤولين على أساسيات العمل.

٦. التعاون مع المسؤولين لرفع كفاءة التعليم.

٧. تقديم النصح للمسؤولين في الأمور التربوية المختلفة.

٨. تزويد المسؤولين بمعلومات صادقة عن مجريات العملية التربوية داخل المدرسة.

٩. التواصل الدائم مع المسؤولين تحقيقاً لمصلحة الطلبة والمعلمين.

ج) دور المدرسة تجاه المشرفين عن العملية التربوية ويشمل المهام التالية:

١. تعميق جذور الصراحة والأخوة بين المعلمين والمشرفين.

٢. بث روح التعاون بين المعلم والمشرف التربوي.

٣. تحريي الصدق في عرض مشكلات وسلبيات المدرسة أمام المشرفين.

٤. حرص المدير على تقديم المساعدة للمشرف التربوي في زيارته للمعلمين.

٥. ألا تغطي المجاملات مع المشرف التربوي على أساسيات العمل.

٦. أن يكون هناك تكاملاً بين دور المشرف التربوي ودور المدير في عملية الإشراف.

٧. احترام المشرف وإشعاره بأهمية مكانته التربوية دون مغالاة.

٨. التعاون مع المشرفين التربويين لرصد نقاط القوة لدى المعلمين والتركيز عليها.

٩. التعاون مع المشرفين التربويين لرصد نقاط الضعف لدى المعلمين ووضع الحلول المناسبة.

(د) دور المدرسة تجاه المعلمين ويشمل المهام التالية:

١. تجنب ذكر عيوب المعلمين أمام زملائهم.
٢. ضبط النفس عند وقوع بعض التجاوزات غير المقصودة من بعض المعلمين.
٣. تجنب الاستعلاء في التعامل مع المعلمين.
٤. البعد عن الفضاضة والغلظة في توجيه المعلمين.
٥. مراعاة العدالة في كتابة التقارير السنوية المختصة بالمعلمين.
٦. اتحرّي الصدق في التعامل مع المعلمين.
٧. تقوية العمل الجماعي بين المعلمين فيما يخص شؤون المدرسة والطلبة ومشكلاتهم.
٨. العفو والصفح عن الأخطاء التي قد يقع بها بعض المعلمين عند اعتذارهم.
٩. تحاشي الإدارة تصيد أخطاء المعلمين.
١٠. حث المعلمين لأن يكونوا قدوة حسنة لطلابهم قولاً وعملاً.
١١. تذكير المعلمين القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٢. توجيه المعلمين إلى الأناة وسعة الصدر كونها أساس النجاح في العمل التربوي.
١٣. تجنب التشهير بزلات المعلمين.
١٤. توجيه المعلمين إلى الإخلاص في التعليم كسباً لرضا الله.
١٥. بناء علاقات مع المعلمين قائمة على المشورة والتناصح.
١٦. اعتماد أسلوب الحكمة في توجيه المعلمين لاحترام القوانين والأنظمة المدرسية.
١٧. تجنب سوء الظن بالمعلمين.
١٨. حث المعلمين بالحكمة والموعظة على تجنب الغيبة والنميمة والطعن بالآخرين.
١٩. الاهتمام براحة المعلمين النفسية بتعميق العلاقات الإنسانية معهم.
٢٠. الاهتمام بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب بتوزيع المواد الدراسية على المعلمين حسب الاختصاص.

٢١. الاهتمام المتواصل بإطلاع المعلمين على أحدث الوسائل التعليمية.
٢٢. إشراك المعلمين في شؤون إدارة المدرسة.
٢٣. تحذير المعلمين بالنصح والإرشاد من أي سلوك قد يضر بالمجتمع المدرسي.
٢٤. تطبيق التعليمات المدرسية بعيداً عن علاقات القرابة والمجاملة.
٢٥. مكافأة المعلم المجتهد بتزكيته لدى الجهات المسؤولة.
٢٦. مشاركة المعلمين في مناسباتهم الاجتماعية.
٢٧. بناء علاقات مع المعلمين قائمة على الأخوة والتعاون.

هـ) دور المدرسة تجاه الطلبة ويشمل المهام التالية:

١. تحقيق مبدأ المساواة في المعاملة بين الطلبة.
٢. توثيق عرى المحبة بين الطلبة وإشراكهم في اللجان المدرسية.
٣. استخدام أسلوب الحوار والاقناع لمعالجة السلوكيات المنحرفة لدى الطلبة.
٤. اختيار الأساليب التربوية المناسبة لحل مشكلات الطلبة.
٥. تعميق العمل الجماعي والتعاون بين الطلبة بإشراكهم في الأسر المدرسية.
٦. تكريس احترام النظام لدى الطلبة بجميع الوسائل المتاحة كونه يشكل أساس العمل المؤسسي.
٧. توجيه الطلبة إلى حب الصدق والصراحة في القول.
٨. تعميق مبدأ الأمانة لدى الطلبة قولاً وعملاً.
٩. حث الطلبة على المعاملة الحسنة مع الآخرين.
١٠. تشجيع الطلبة على ممارسة النشاطات الاجتماعية كزيارة المرضى ودور الأيتام وغيرها.
١١. تشجيع الطلبة على ممارسة النشاطات الثقافية بإشراكهم في المسابقات المدرسية.
١٢. غرس مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نفوس الطلبة.
١٣. توجيه الطلبة للمشاركة في مسابقات القرآن الكريم وتقديم الحوافز المشجعة.
١٤. حث الطلبة على الاستقامة قولاً وعملاً.
١٥. الابتعاد عن تعنيف الطلبة بأي وسيلة كانت.

١٦. احترام قدرات واستعدادات الطلبة بالاستماع إلى آرائهم ومقترحاتهم.
١٧. تنمية الروح القيادية لدى الطلبة بإشراكهم في شؤون المدرسة المتعلقة بهم.
١٨. تشجيع المواهب البناءة ونواحي الإبداع لدى الطلبة بتقديم الحوافز المختلفة.
١٩. رصد المشكلات المختلفة بين الطلبة ووضع الحلول المناسبة لها.
٢٠. إرشاد الطلبة للاستفادة من أوقات الفراغ بالمطالعة وممارسة الألعاب الرياضية وتوفير الوسائل اللازمة لذلك.
٢١. العناية بالصحة العامة للطلبة.
٢٢. توجيه الطلبة للقيام بالصلاة في وقتها وتوفير مصلى لهذه الغاية.
٢٣. تنمية المعلومات الفكرية لدى الطلبة من خلال مسابقات ثقافية يومية تعلن في الإذاعة المدرسية.
٢٤. تعويد الطلبة أسلوب الحوار العلمي مع الإدارة.
٢٥. تعويد الطلبة على تحمل المسؤولية بإشراكهم في تنظيم الرحلات والأنشطة الرياضية المختلفة.
٢٦. تعميق الانتماء للمدرسة لدى الطلبة بإشراكهم في مناقشة المشكلات المدرسية.

ثانياً: دور الجامعة في المجتمع الإسلامي:

يأتي دور الجامعة في المجتمع الإسلامي ليكمل الدور الريادي للمدرسة وفق القواعد الأساسية والأخلاقية لأبناء المجتمع المسلم وفق التعليمات الإلهية التي أسست عليها التربية الإسلامية.

ولكن الأهداف المناطة بالمؤسسة الجامعية قد تختلف من حيث المحتوى والشمول عن الأهداف المناطة بالمؤسسة المدرسية، لأن الجامعة في المجتمع الإنساني الحديث هي المسؤولة في الدرجة الأولى عن إعداد وتأهيل أبناء المجتمع، لتحقيق المتطلبات العصرية للإنسان المعاصر في ضوء التقدم العلمي الهائل في جميع ميادين الحياة وظروفها، هذا بجانب المساهمة الفاعلة في تطوير الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية،

والعلاقات الإنسانية وفق تعليمات الرسالة الإلهية الغراء، التي أرادها الحق سبحانه وتعالى أن تكون نوراً وهدىً للناس كافة على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وقومياتهم.

ويرى الجمالي أن الجامعة هي المسؤولة في الدرجة الأولى عن تحقيق المجتمع الحديث في معظم أصقاع العالم المتقدم، فلا يختلف اثنان أننا نعيش في عصر ثوري، الثورة تحيط بنا من كل جانب من جوانب الحياة ولكن ما نختلف فيه هو تحديد معنى الثورة وكيفية التصرف في عالم تسوده الثورات. إن الثورة هي تطور سريع من حال إلى حال وانتقال من عقلية ما قبل العلم إلى عقلية علمية ومن عقلية يسيطر عليها الجهل والامية إلى عقلية مثقفة نيرة ثم الانتقال من نظم اجتماعية واقتصادية بالية وغير عادلة إلى نظم اقتصادية حديثة عادلة، وهذه الثورة التي نعتبرها نتيجة طبيعية لتقدم العلوم وتطور التفكير الاجتماعي تختلف اختلافاً جوهرياً عن مفهوم الثورة التي يمارسها البعض عن طريق الفوضى والغوغائية وسفك الدماء، فللجامعة دور أساسي في تحقيق الثورة البيضاء التي نفهمها كانتقال من حال متخلف إلى حال متقدم، ولكن الجامعة في كثير من أصقاع العالم اليوم تعاني من آثار الثورات الضيقة ثورات الفوضى والديماغوجية.

فالتفاعل بين الجامعة والمجتمع قد أدى إلى قيام ثورتين أساسيتين الثورة العلمية والاجتماعية، إن الجامعة في البلاد المتقدمة لها الفضل الأول في إحداث هذه الثورة العلمية، فالتقدم في العلوم الطبيعية والرياضية قد أصبح من الأمور المسلم بها وكذلك التقدم في العلوم الحياتية فإنه يشق طريقه بسرعة. إن هذا التقدم العلمي الهائل قد زاد من الإنتاج البشري بنسبة هائلة وخدم الصحة العامة وأطال في عمر الإنسان وهياً له من وسائل الرفاه والعيش ما لم يحلم به الملوك والأمراء في العصور الغابرة. ولكن المشكلة ما تزال في العلوم الإنسانية، فإن تقدمها لم يجار تقدم العلوم الطبيعية والحياتية، فعلوم الدين والأخلاق والفلسفة والاقتصاد والاجتماع والتاريخ كل هذه ما تزال تحتاج إلى روح التجرد العلمي الذي يتصف به العالم الطبيعي، فالعواطف والنزعات والأغراض ما تزال تلعب دوراً كبيراً في بحث هذه العلوم وذلك مما يسبب أعظم مشكلة للإنسان في علاقته مع أخيه الإنسان. (الجمالي، ١٩٩٣).

وقد أفادت الدراسة التي قام بها رشيد (١٩٩٩) وهي بعنوان: دور الجامعة في المجتمع في ضوء التربية الإسلامية إلى الأدوار التالية للجامعة وهي:

أ) دور الجامعة تجاه المجتمع:

١. نشر الوعي الاجتماعي وإزالة ما علق في المجتمع من سلوكيات خاطئة تتعارض مع التربية الإسلامية.

٢. تعميق مبادئ التربية الإسلامية بين كافة فئات المجتمع قولاً وسلوكاً.

٣. تقديم الحلول الناجحة للانحرافات الاجتماعية التي تطرأ على الأفراد في المجتمع.

٤. التعاون مع المجتمع المحلي في بحث مشكلات الطلبة وتقديم الحلول المناسبة لها.

٥. تعميق مبادئ التربية الإسلامية في نفوس أفراد المجتمع من خلال مشاركة الأساتذة بالمحاضرات وعقد الندوات.

٦. الاحتفال بالمناسبات الإسلامية بالتعاون مع المجتمع المحلي.

٧. تثقيف أفراد المجتمع بالأساليب التربوية المناسبة لكافة الفئات العمرية.

٨. التعاون مع مؤسسات المجتمع العلمية والاجتماعية من خلال المشاركة بالندوات والمحاضرات والاستشارات العلمية.

٩. إنشاء صندوق يعنى بالطلبة الفقراء والأيتام لمساعدتهم وتمكينهم من إنهاء تعليمهم الجامعي.

١٠. دعوة المختصين من أبناء المجتمع للمشاركة في وضع البرامج الدراسية للجامعة وتطويرها في ضوء حاجات المجتمع المتجددة.

١١. استحداث مراكز استشارية لتقديم الخطط والبرامج العملية لحل المشكلات التي تواجه المجتمع.

١٢. إشراك بعض المختصين من أبناء المجتمع في مجالس الجامعات والكليات والأقسام.

١٣. المشاركة في تغيير العادات الاجتماعية التي تتعارض مع مبادئ التربية الإسلامية من خلال عقد الندوات والمحاضرات.

١٤. إنشاء صندوق بتمويل من المجتمع المحلي يساعد الجامعة على حل المشكلات التي تواجه المجتمع بطرق علمية دقيقة.
١٥. بناء جسور التعاون بين كليات الجامعة والمؤسسات المختلفة في المجتمع المحلي.
١٦. تفعيل دور المكتبة الجامعية من خلال السماح لأفراد المجتمع المحلي للاستفادة منها.
١٧. تفعيل دور مراكز الاتصال عبر شبكات الانترنت لاستمرار التواصل مع التقدم العلمي والتكنولوجي.

ب) دور الجامعة تجاه أعضاء هيئة التدريس:

١. تبني شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أعضاء هيئة التدريس.
٢. تطبيق مبدأ العدل بين أعضاء هيئة التدريس كما هو في التربية الإسلامية.
٣. الاهتمام بأعضاء هيئة التدريس كونهم يمثلون القدوة الحسنة لغيرهم.
٤. الاهتمام بتطوير مستوى الهيئة التدريسية من خلال تشجيعهم على المشاركة في المؤتمرات العلمية.
٥. بث روح التعاون بين أعضاء الهيئة التدريسية في المجالات الاجتماعية.
٦. بث روح التعاون بين أعضاء الهيئة التدريسية في المجالات العلمية.
٧. بث روح التعاون بين أعضاء الهيئة التدريسية في المجالات السياسية.
٨. بث روح التعاون بين أعضاء الهيئة التدريسية في المجالات الاقتصادية.
٩. الاهتمام بتطوير مستوى الهيئة التدريسية من خلال تشجيعهم على عقد الندوات داخل الحرم الجامعي وخارجه.
١٠. الاهتمام بمستوى الهيئة التدريسية من خلال تشجيعهم على الإبداع في مجال البحث العلمي.
١١. الاهتمام بتطوير مستوى الهيئة التدريسية من خلال تشجيعهم على إعداد البرامج العلمية.
١٢. الاهتمام بتطوير مستوى الهيئة التدريسية من خلال منحهم حرية التعبير في كافة المسائل المطروحة داخل الحرم الجامعي وخارجه.
١٣. وضع الرجل المناسب في المكان المناسب بما يتناسب مع قدراته الفردية.

١٤. تشجيع أعضاء هيئة التدريس على المشاركة في جميع الأنشطة الاجتماعية التي تهم المجتمع.

١٥. تنمية روح الإبداع عند أعضاء الهيئة التدريسية عن طريق منحهم الجوائز التقديرية.

١٦. تطبيق مبدأي الثواب والعقاب بطريقة عادلة.

١٧. تمكين أعضاء الهيئة التدريسية من الاطلاع على أحدث ما توصل اليه العلم.

(ج) دور الجامعة تجاه الطلبة:

١. توجيه الطلبة نحو الالتزام بمبادئ وأخلاقيات التربية الإسلامية.

٢. مساهمة الجامعة بوضع الحلول المناسبة لمشكلات الطلبة في ضوء مبادئ التربية الإسلامية.

٣. تعميق واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤. غرس مبدأ المساواة والعدل في نفوس الطلبة.

٥. تنظيم برامج زيارات منتقاة لمؤسسات المجتمع لتوثيق عرى التعاون بين الطلبة والمجتمع المحيط.

٦. تشجيع الطلبة على المشاركة في النشاطات الثقافية التي تعقدتها الجامعة.

٧. تنمية خلق الأمانة بين الطلبة قولاً وسلوكاً.

٨. العناية بالصحة العامة للطلبة من خلال توفير المراكز الصحية في الجامعة والإشراف على المطاعم والمرافق العامة.

٩. تنمية الروح القيادية لدى الطلبة بإشراكهم في شؤون الجامعة المتعلقة بهم كالإرشاد الطلابي وإدارة الندوات.

١٠. تعريف الطلبة بمشاكل المجتمع الاجتماعية والاقتصادية بقصد معرفة أسبابها والمساهمة في حلها.

١١. احترام قدرات الطلبة واستعداداتهم بالاستماع إلى مقترحاتهم وآرائهم.

١٢. تدريس جميع الموضوعات الدراسية ضمن الإطار الفكري للتربية الإسلامية.

١٣. السماح للاختلاط المشروع فقط داخل الحرم الجامعي.

١٤. التزام طلبة الجامعة بالمظاهر الإسلامية المتصلة بالنظافة والمأكل واللباس.
١٥. تعميق مبدأ الشورى في حياة الطلبة من خلال تشجيعهم على المشاركة بالمجالس الطلابية.
١٦. تشجيع التواصل بين الطلبة بعد تخرجهم من خلال أندية خريجي الجامعة والنشاطات التي تقوم بها الجامعة.
١٧. توجيه الطلبة لملء أوقات الفراغ بالنشاطات المفيدة.
١٨. توجيه مناهج المساقات الدراسية التي تقدم للطلبة في ضوء مبادئ التربية الإسلامية.
١٩. تنمية روح الانتماء للجامعة باطلاع الطلبة على مشاكل الجامعة ودعوتهم للإسهام في حلها.

ثالثاً: الدور التربوي للمعلم في المجتمع الإسلامي

يُعدّ المعلم الأسّ الأساس في العملية التربوية على اختلاف مستوياتها المتعددة، لأنه يمثل النموذج الرائد والقوة الصالحة للتلاميذ والطلبة الذين يتولى إعدادهم وتأهيلهم ليكونوا على مستوى المسؤولية الكاملة في تقديم الخدمات الجليّة للإنسانية سواء على المستوى المحلي داخل حدود الوطن الإسلامي أم على المستوى الإنساني العالمي. لذلك لا بد للمعلم أن يتمثل الصفات الأساسية التي تؤهله للقيام بهذا الدور التربوي الريادي في المؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي.

إن الدور التربوي الريادي للمعلم في المؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي على اختلاف مستوياتها العلمية يشمل عدة اتجاهات وهي دوره تجاه مجتمعه المحلي، ودوره تجاه مهنته، ودوره تجاه المسؤولين عنه، ودوره تجاه زملائه في المهنة، ودوره تجاه طلابه. ولقد أشار أحمد (١٩٩٧) في دراسته الموسومة بدور المعلم التربوي في ضوء التربية الإسلامية إلى دور المعلم على النحو التالي:

أ) دور المعلم تجاه مهنته

١. أن يُخلص المعلم نيته لله تعالى في جميع أعمال مهنته.
٢. أن يتصف في أدائه لعمله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

٣. أن يتصف بالأمانة والقيام بالمسؤولية على خير وجه.
٤. أن يلتزم بأخلاقيات المهنة التي يزاولها.
٥. أن يقصد المعلم من ممارسته مهنة التعليم رضا الله في المقام الأول.
٦. أن لا يزيده علمه الا تواضعاً لله في مهنته وعلمه.
٧. أن يعمل على زيادة معارفه وتجديدها باستمرار بما يخدم علمه ومهنته، وأن يكون شعاره ورائده في ذلك قوله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا).
٨. أن يلتزم الأمانة العلمية في جميع الأحوال والظروف.
٩. على المعلم أن يساهم في إبداء المقترحات للمواد التعليمية وطرق التدريس وأنواع النشاط التي يمكن الاستفادة منها في وضع خطط عمل تخدم العملية التعليمية.
١٠. على المعلم توجيه اهتمامات الآخرين لمهنته عن طريق التزامه التام بدستور المهنة والعمل بمقتضاه.
١١. على المعلم أن يشارك بإيجابية في الجماعات والهيئات التي تعمل على رفع شأن مهنته.
١٢. على المعلم استخدام أحدث ما توصلت اليه التكنولوجيا الحديثة في التعليم شريطة الا يتعارض ذلك مع الهوية الفكرية لمجتمعه.
١٣. على المعلم أن يصبر على كل ما يتعرض اليه من متاعب تواجهه في مهنته.
١٤. على المعلم الالتزام بالتعليمات والقوانين الصادرة عن المؤسسة التعليمية التي يعمل بها.

ب) دور المعلم تجاه مجتمعه المحلي:

١. أن يكون المرشد والواعظ لجميع أفراد مجتمعه المحلي أينما وجد وحيثما كان.
٢. أن ينبه أبناء مجتمعه إلى المفاصد والفتن التي تهدد أمن مجتمعهم وتجنّبها.
٣. أن يدعو أبناء مجتمعه إلى نبذ العصبية والعرقية.
٤. أن يعمل على تعميق روح الجهاد بأنواعه المختلفة في نفوس أبناء مجتمعه.
٥. أن يكون المعلم قدوة حسنة لأبناء مجتمعه بأقواله وأفعاله.

١٠. أن يُسخر أقصى جهده وعلمه وماله لخدمة مجتمعه المحلي خاصة والإسلامي عامة.

٧. أن يعمل على محاربة ما يظهر في المجتمع بين الحين والآخر من بدع ضارة تضر بأبناء مجتمعه.

٨. أن يأمر أبناء مجتمعه بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

٩. أن يشارك المعلم في نشر العلم وبيث الوعي بين الناس.

١٠. أن يبادر في كل عمل خير وفي كل ما فيه مصلحة مجتمعه وأمنته.

١١. أن يلتزم بأداء الواجبات الشرعية إزاء مجتمعه خاصة فيما يتعلق ببر الوالدين وصلة الأقراب والأرحام وحسن الظن في سائر الخلق.

١٢. أن يعمل على محاربة ما يظهر في المجتمع من أمور مكروهة ومنافية للدين.

١٣. أن يحترم عادات وتقاليد مجتمعه المنسجمة مع الدين الحنيف.

(ج) دور المعلم تجاه مديره:

١. أن يتعاون المعلم مع مديره فيما يخص مصلحة الطلبة.

٢. على المعلم أن يطيع مديره في الأمور التي تهم مصلحة العمل.

٣. على المعلم أن تكون علاقته مع مديره قائمة على الحب والود والتعاون.

٤. على المعلم أن يكون على اتصال دائم مع مديره في سبيل مصلحة الطلبة وحل مشكلاتهم.

٥. على المعلم الا يغتاب مديره بما لا يجب.

٦. أن يحترم المعلم مديره ويقدره.

٧. على المعلم أن يطيع مديره فيما يكلفه من عمل لمصلحة المؤسسة التي يعمل بها حتى خارج أوقات الدوام الرسمي.

٨. على المعلم أن يقبل بتقييم مديره له في العمل مهما كان هذا التقييم، لكون المدير إنساناً مصدقاً وأميناً في مؤسسته التي يعمل بها.

٩. على المعلم أن يعدل عن رأيه إذا وجد أن مديره يختلف معه في فكرة ما لمصلحة العمل.

١٠. على المعلم أن يعتبر مديره المرجع الأول له ولزملائه في العمل في كل القضايا والأمور التي تهمهم وتهم مصلحة العمل.

(د) دور المعلم تجاه زملائه:

١. أن يتجنب المعلم ذكر عيوب الزملاء في غيابهم.
٢. أن يتخذ المحبة والأخوة أساساً لبناء علاقاته مع زملائه.
٣. أن يذكَر زملاءه بخطورة الفرقة وضرورة الابتعاد عنها.
٤. أن يتواضع في تعامله.
٥. أن يُصلح بين المتخاصمين من زملائه على أساس العدل.
٦. أن يحب المعلم لزملائه ما يُحب لنفسه.
٧. أن يتعاون معهم في الخير ويدعو لهم بالخير ويصفح عن إساءتهم له.
٨. أن يكظم غيظه تجاه مضايقات بعضهم.
٩. أن يحترم المعلم زملاءه ويُقدرهم.
١٠. ألا يفشي المعلم أسرار زملائه.
١١. ألا يجالس المعلم العناصر الضالة والمنحرفة إلا بقصد توجيههم وهدايتهم.
١٢. أن يكون شعار المعلم تقديم النصيحة والابتعاد عن كل ما يثير النزاع والفرقة بينهم.
١٣. على المعلم أن يسارع إلى تقديم المساعدة لزملائه عند حاجتهم لذلك.
١٤. على المعلم ألا يحسد زملاءه لأي سبب كان.
١٥. على المعلم أن يعمل مع زملائه بروح الفريق الواحد في جو يسوده تبادل الاحترام والعلاقات الإنسانية الطيبة.
١٦. أن يتجنب المعلم سوء الظن بزملائه.
١٧. على المعلم أن لا يسخر من زملائه.

(هـ) دور المعلم تجاه طلابه.

١. أن يكون المعلم لطلابه المثل الطيب والقنوة الحسنة بأفعاله وسلوكه وفي كل ما يدعوهم إليه من قيم وفضائل.

٢. أن يحث المعلم طلابه على التحلي بالصدق.
٣. أن يتوخى المعلم العدل عند وضعه العلامات للطلبة.
٤. أن ينهى المعلم طلابه عن الشتم والسباب.
٥. أن يحث المعلم طلابه على بر الوالدين والرفق بهما.
٦. أن يتصف المعلم بالرفق والرحمة بطلابه.
٧. أن يرشد المعلم طلابه للاهتمام بنظافتهم وحسن مظهرهم.
٨. أن يحث المعلم طلابه على الإخلاص في طاعة الله ويذكرهم باستمرار أن الله يعلم ما يُسرون وما يعلنون.
٩. أن يحذر المعلم طلابه من قرناء السوء وعدم التعامل معهم.
١٠. أن يحث المعلم طلابه للالتزام بأداب التحية ورد السلام.
١١. أن ينهى المعلم طلابه عن سوء الظن بالآخرين.
١٢. أن ينهى المعلم طلابه عن السخرية من الآخرين.
١٣. أن يحث المعلم طلابه على الالتزام بأداب الحديث.
١٤. أن يكون معيار مفاضلته بين طلبته عند وضعه العلامة على أساس الكفاءة العلمية.
١٥. أن يتصف المعلم بالبشاشة عند دخوله إلى صفه أو محاضرتيه.
١٦. أن يعطي المعلم مادته داخل حصته بكل أمانة وإخلاص.
١٧. أن يساعد المعلم طلبته في توضيح مادته خارج دوامه الرسمي.
١٨. أن يساعد المعلم طلبته على التقه في أمور دينهم إذا طلبوا منه ذلك.
١٩. أن يحث المعلم طلابه على حسن انتقاء الأصدقاء وأن يكون ذلك على أساس التقوى والإيمان.

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة في تبيان فلسفة التعليم في المجتمع الإسلامي نحو أسس التعليم وأهدافه والأخلاقيات المتعلقة بالمؤسسة التربوية والمعلم والمتعلم.

أهمية الدراسة:

قد يبدو من المفارقات المخجلة بعد مرور خمسة عشر قرناً على كمال رسالة الله إلى أهل الأرض ان نطالب بفلسفة للتربية والتعليم في بلاد المسلمين في ضوء المدرسة الإسلامية ولكن ابتعاد معظم بلدان العالم الإسلامي عن تطبيق شرع الله على امتداد الحقب التاريخية أدى إلى الانقسام الفكري والتربوي في تلك المجتمعات، فأصابها الضعف والتراجع وأصاب نظام التربية والتعليم ما أصاب الأمة الإسلامية نفسها من تمزق وضياع.

فاتساع العالم الإسلامي وتعدد الشعوب والأجناس المكونة له يجعل من الصعب تحديد مميزات إيجابية مشتركة لواقع التربية والتعليم في تلك المجتمعات، إضافة إلى أن أنظمة التربية والتعليم في البلاد الإسلامية قد تعرضت إلى موجة شرسة من الاستشراق والتغريب في أنظمة التربية والتعليم مما أدى إلى نشوء أوضاع تربوية متناقضة جعل هذه المجتمعات تعيش أوضاعاً مؤلمة في الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية.

لذلك نراها نتبع الشرق حيناً في مجموعة من العادات والتقاليد، ونتبع الغرب في تصوراته الفكرية التربوية أحياناً أخرى وحتى يتم تعديل هذا الوضع الراهن يجب أن ترسم سياسة تربوية تعليمية تقوم على أساس المبادئ الإسلامية التي يؤمن بها أفراد المجتمع. إن هذه السياسة التربوية يجب أن تحدد أسس وأهداف التعليم المرتبطة بحلقات العملية التربوية، سواء للمؤسسة أم للمعلم والمتعلم، متنسقة مع بعضها البعض مع أصول التربية الإسلامية، لكي نحقق أهدافنا التربوية بصورة تفيض بالمحبة والإيثار والتعاون والصدق والتضحية، والمساهمة في مساعدة المظلومين في الأرض لتحقيق المساواة بين البشر كما أرادها الحق سبحانه وتعالى أن تكون لكافة الناس وليس لفئة دون أخرى.

أهداف الدراسة وأسئلتها:

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد فلسفة التعليم في المجتمع الإسلامي في ضوء المدرسة الإسلامية. ولتحقيق هذا الهدف لا بد من الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما أسس التعليم في ضوء المدرسة الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟
٢. ما أهداف التعليم في ضوء المدرسة الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟

٣. ما أخلاقيات التعليم التي يجب ممارستها من قبل المؤسسة التربوية في ضوء

المدرسة الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟

٤. ما أخلاقيات التعليم التي يجب ممارستها من قبل المعلم في ضوء المدرسة

الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟

٥. ما أخلاقيات المتعلم في ضوء المدرسة الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟

محددات الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على تحديد فلسفة التعليم في المجتمع الإسلامي في ضوء المدرسة الإسلامية فيما يتعلق بأسس التعليم وأهدافه وأخلاقيات التعليم للمؤسسة التربوية والمعلم والمتعلم حسب فهم الباحث للآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تركز على الاعتماد عليها في هذه الدراسة بشكل خاص والفهم العام لمعالم المدرسة الإسلامية.

نتائج الدراسة:

لقد هدفت الدراسة إلى تحديد فلسفة التعليم وأخلاقياته في المجتمع الإسلامي استناداً إلى كتاب الله وسنة نبيه الكريم صلوات الله عليه وعلى آله الطاهرين.

وفيما يلي عرضاً للنتائج التي توصلت إليها الدراسة:

أولاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الأول:

- ما أسس التعليم في ضوء المدرسة الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟

تشير نتائج الدراسة إلى الأسس التالية:

١- وجوب العلم على كل مسلم قادر على القيام به. وهذا ينسجم مع قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٥٦﴾

[سورة الجمعة ، آية ٢]

قال تعالى:

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٥٦﴾

[سورة آل عمران، آية ١١٠]

وقال تعالى:

يَسْبِئُ أَقْبَرُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ
مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١١٧﴾

[سورة لقمان، آية ١٧]

وينسجم مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "مروا بالمعروف وانهاوا عن
المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم" (ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٢٧).

٦- حرية التفكير والحوار لدى المعلم والمتعلم. وهذا يتفق مع قوله تعالى:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا

[سورة يونس، آية ٩٩]

مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

وقال تعالى:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ

[سورة البقرة، آية ٢٥٦]

أَسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

٧- الإيمان بالغيب كما جاء من عند الله سبحانه وتعالى، انسجاماً مع قوله تعالى:
 عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ [سورة الجن، الآيتان : ٢٦، ٢٧]

وقال تعالى:

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْبَرْتُ
 مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾
 [سورة الأعراف، آية ١٨٨]

٨- تعليم الأفراد وتفجير طاقاتهم الكامنة حسب قدراتهم الذاتية، انسجاماً مع قوله تعالى:

لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا
 أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا
 لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾
 [سورة البقرة، آية ٢٨٦]

٩- تكافؤ الفرص أمام الأفراد في المؤسسات التربوية في شتى الأمور الإدارية والمهنية،
 استناداً إلى قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا
 بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ [سورة النساء، آية ٥٨]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من كان له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم
 يؤثر ولده عليها- قال: يعني الذكور- أدخله الله الجنة" (أبو داود، ج ٤، ص ٣٣٧)

١٠- أن يبذل كل فرد من أفراد المؤسسة قصارى جهوده حسب قدراته لتحقيق أهداف
 مؤسسته التربوية، انسجاماً مع قوله تعالى:

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُوا اللَّهَ وَعَدَّوْكُمْ
وَأَحْرَبِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [سورة الأنفال، آية ٦٠]

١١- تصميم مناهج التعليم وصياغتها ضمن قدرات الطلبة وخبراتهم، اتفاقاً مع قوله تعالى:

لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا
طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾
[سورة البقرة، آية ٢٨٦]

١٢- التعامل مع الذات الإنسانية كونها وحدة واحدة دون التركيز على جانب دون الآخر،
انسجاماً مع قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجُودِلٍ عَنِ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
[سورة النحل، آية ١١١]

قال تعالى:

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٢﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٣﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ
دَسَّاهَا ﴿٤﴾ [سورة الشمس، الايات ٧-١٠]

١٣- إثارة الدوافع والحوافز عند الطلبة نحو العلم باستمرار، اتفاقاً مع قوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ
أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [سورة المجادلة، الآية ١١]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" (ابن

ماجة، ج ١، ص ٨١).

١٤ - الشورى في اتخاذ القرارات في مختلف الأمور التربوية التي لم يرد في مضمونها

نصاً قرآنياً حكيماً أو هيئاً نبوياً شريفاً، انسجماً مع قوله تعالى:

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
عَمَّهُمْ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

[سورة آل عمران، آية ١٥٩]



وقال تعالى:

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

[سورة الشورى، آية ٣٨]

وينسجم مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

"إذا استشار أحدكم فليشر عليه" (سنن ابن ماجه، ج ٢/ص ٢٣٣).

وعن أبو هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: (ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٢٥٣).

١٥ - تلبية ميول ورغبات الطلبة في انتقاء المجالات التخصصية التي يريدونها بما

يتناسب مع قدراتهم وطاقتهم، انسجماً مع قوله تعالى:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا
إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا
فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ

[سورة البقرة، آية ٢٨٦]



١٦ - الملكة العقلية ذات قدرات محدودة ذاتياً ويجب التركيز عليها في جميع الأمور التي

تقع تحت قدراتها، والابتعاد بها عن الأمور التي تقع خارج نطاق وسائلها وقدرتها،

انسجماً مع قوله تعالى:

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

[سورة الإسراء، آية ٢١]

وقال تعالى:

لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

[سورة الحشر، آية ٢١]



ثانياً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني:

ما أهداف التعليم في ضوء المدرسة الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟

تشير نتائج الدراسة إلى الأهداف التالية:

١- تعميق جذور الإيمان ورفع مستوى التقوى في نفوس الطلبة انسجاماً مع قوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

[سورة الحجرات، آية ١٣]



قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "عن عبدالله بن عمر، قال: قيل يا رسول الله: أي الناس أفضل، قال: كل مخموم القلب، صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال النبي لا إثم فيه ولا غل ولا حسد" (ابن ماجه، ج ٢، ص ٤١٠).

٢- تنمية روح الجهاد والتضحية بالنفس في سبيل الله في نفوس الطلبة، انسجاماً مع قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[سورة التوبة، آية ١١١]



وينسجم مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها" (مسلم، ج ٦، ص ٣٦).

٣- توجيه الطلبة نحو مصدر الخير والهدى والتركيز عليه في نفوسهم وفي محيطهم الاجتماعي، اتفاقاً مع قوله تعالى:

أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾

[سورة المؤمنون، آية ٦١]



وقال تعالى:

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ
فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ [سورة آل عمران، آية ١١٤]

٤- التركيز على التعاون ونبذ الاستكبار بين الطلبة، انسجاماً مع قوله تعالى:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحْلُواشَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيذَ وَلَا ءَامِينَ
الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ
قَوْمٍ أَن صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [سورة المائدة، آية ٢]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو

يقول خيراً" (البخاري، ج ٣، ص ٢٤٠).

٥- تنمية العلاقات الاجتماعية بين الكوادر التربوية وبين الأوساط الطلابية للوصول إلى

التعاون الاجتماعي البناء، انسجاماً مع قوله تعالى:

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن
نِسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِلِسَانٍ فَسُوقٍ
بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ [سورة الحجرات، آية ١١]

واتفاقاً مع قول رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى يحب

لأخيه ما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه" (متفق عليه). وقال أيضاً: "مثل

المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر

الجسد بالسهر والحمى" (متفق عليه).

٦- إعداد وتأهيل الطلبة ليصبحوا أعمدة للفكر والتربية الإسلامية، انسجاماً مع قوله تعالى:

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾

[سورة فصلت، آية ٣٢]

٧- إرساء قواعد العدل وتثبيت دعائم المساواة بين الكوادر التربوية والأوساط الطلابية، انسجاماً مع قوله تعالى:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

[سورة الحديد، آية ٢٥]

وقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

[سورة النساء، آية ٥٨]

واتفاقاً مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" (صحيح مسلم، ج ٣، ص ٧).

٨- تعريف الطلبة بمكانتهم في الكون بجانبه الفيزيقي والميتافيزيقي، انسجاماً مع قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[سورة البقرة، آية ٣٠]

٩- تقوية عزيمة الطلبة في مقاومة عدوهم إبليس، انسجاماً مع قوله تعالى:

قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِّي لِأَفْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدُنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾

[سورة الأعراف، الآيتان، ١٦-١٧]

وقال تعالى:

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ
عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ [سورة الإسراء، الآية ٥٣]

١٠- تأهيل الطلبة بمختلف العلوم والمعارف الانسانية، انسجاماً مع قوله تعالى:
وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [سورة الأنفال، آية ٦٠]

١١- تمكين الطلبة من تحقيق الغاية الوجودية التي خلقوا من أجلها، انسجاماً مع قوله
تعالى:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [سورة الذاريات، آية ٥٦]

١٢- تنمية القدرة الإبداعية عند الطلبة لفهم حقائق وجودهم، انسجاماً مع قوله تعالى:
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ
إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ [سورة البقرة، آية ٢٦٩]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "يرد الله به خيراً يفهمه وإنما العلم
بالتعلم" (البخاري، ج ١، ص ٢٧).

١٣- التركيز على جانب الخير والابتعاد بالطلبة عن الشر ومصدره عن طريق الحوار،
انسجاماً مع قوله تعالى:

وَمَا نَقَدِمُوا آلْأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ [سورة المزمل، آية ٢٠]

وقال تعالى:

كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾

وعن أبو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من دعا إلى هدى كان له
من الأجر مثل من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً" (أبي داود، ج ٣، ص ٨٧٢).

١٤ - إعداد الطلبة بشكل تربوي سليم يسمح بتبادل الآراء والأفكار وحرية الحوار مع
الثقافات الأخرى، انسجاماً مع قوله تعالى:

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمُ الْبَالِغَةَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾

١٥ - تحرير المتعلمين من مختلف الاساطير والخرافات التي تدور حول الكون بجانبه
الميتافيزيقي والفيزيقي عن طريق الحوار، والاعتدال الكامل على المعلومات الدقيقة في
كتاب الله وسنة نبيه الأمين انسجاماً مع قوله تعالى:

عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ ﴿٥٠﴾

وقال تعالى:

وَإِن تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾

١٦ - تحرير الطلبة من ضغوط أهدافهم الشخصية في حالة تعارضها مع القوانين، والأنظمة
والتعليمات التي تنظم العمل وتضبطه في المؤسسات التربوية. انسجاماً مع قوله تعالى:

وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

[سورة الحشر، آية ٩]

وقال تعالى:

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيهِ
أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[سورة النساء، آية ٦٥]

وقال تعالى:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ
يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

[سورة الأحزاب، آية ٣٦]

وتتسجم مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه" (صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٥٦).

١٧- تحقيق مجانية التعليم لفئات المجتمع كافة، انسجاماً مع قوله تعالى:

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾

[سورة الأنفال، آية ٦٠]

النتائج التي تتعلق بالسؤال الثالث:

- ما أخلاقيات التعليم التي يجب أن تتحلى بها المؤسسة التربوية في ضوء
المدرسة الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟

تشير نتائج الدراسة إلى الأخلاقيات التالية:

١- تنفيذ المؤسسة التربوية القوانين والتعليمات على الجميع دون تمييز، انسجاماً مع قوله
تعالى:

وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمَ أَنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾

[سورة المائدة، آية ٤٩]

وتتسجم مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إنما أهلك من كان قبلكم انهم يقيمون الحد على الوضيع ويتركون الشريف، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (البخاري، كتاب الحدود، أبواب رقم ١٢، ١١).

٢- يجب على المؤسسة التربوية التحلي بالتواضع وسعة الصدر في التعامل مع أفرادها، انسجاماً مع قوله تعالى:

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَافْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[سورة آل عمران، آية ١٥٩]

وقال تعالى:

الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

[سورة آل عمران، آية ١٣٤]

٣- يجب على المؤسسة التربوية وضع الموظف في مكانه المناسب بما يتفق مع قدراته. انسجاماً مع قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

[سورة النساء، آية ٥٨]

كما ينسجم مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة، قيل كيف اضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" (صحيح بخاري، جزء ٨، ص ١٢٩).

٤- حرص المؤسسة التربوية على إظهار بشاشة الوجه والرغبة في مساعدة الآخرين. انسجاماً مع قوله تعالى:

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَدْنَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾

[سورة البقرة، آية ٢٦٣]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام"

(صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٥٠).

٥- مراعاة المؤسسة التربوية ظروف وأحوال أفرادها ومساعدتهم انسجاماً مع قوله تعالى:
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا
إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا
رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [سورة البقرة، آية ٢٨٦]

وتتسجم مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من يحرم الرفق يحرم الخير

كله" (رياض الصالحين، ص ٣٦٢).

٦- الاهتمام المتواصل والنشط من قبل المؤسسة لتحقيق أهدافها وأهداف أفرادها. انسجاماً
مع قوله تعالى:

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ [سورة المعارج، آية ٣٢]

كما ينسجم مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من العجز

والكسل" (صحيح الجامع الصغير ج ٣، ص ٤٠٧).

٧- أن تعتمد المؤسسة التربوية على أسلوب الشورى في اتخاذ القرارات التي لم يرد فيها
نص قرآني أو سنة نبوية شريفة. انسجاماً مع قوله تعالى:

فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[سورة آل عمران، ١٥٩]

وتتسجم مع قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا استشار أحدكم فليشر

عليه". (سنن ابن ماجه ج ٢، ص ٢٣٣).

٨- حرص المؤسسة التربوية على الموضوعية في التعامل مع أفرادها ومودتهم. امتثالاً
لقوله تعالى:

وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ [سورة الشعراء، آية ٢١٥]

وقال تعالى:

فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهُمْ خَلْقٌ فَلَأَن نَّفُضُوهُنَّ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[سورة آل عمران، ١٥٩]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" (صحيح

الجامع الصغير ج ٢، ص ١٤٤).

وقال أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا

ينزع من شيء إلا شانه" (مسلم ج ٨، ص ٣٣).

٩- يجب على المؤسسة التربوية أن تعمل على تفجير طاقات أفرادها في جميع المجالات
التربوية، انسجاماً مع قوله تعالى:

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ
وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [سورة الأنفال، آية ٦٠]

وقال تعالى:

أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

[الإسراء، آية ٢١]

١٠- حرص المؤسسة التربوية على أن تكون النموذج الأمثل في تطبيق المبادئ التربوية
الاسلامية. انسجاماً مع قوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ [سورة الصف، آية ٢]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "... فيقولون يا فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا

بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر

وآتية" (البخاري ج ٣، ص ١٥).

١١- تسعى المؤسسة التربوية إلى الحفاظ على سمعتها العلمية والتربوية وإمكاناتها المادية. انسجاماً مع قوله تعالى:

وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

[سورة القصص، آية ٧٧]

وقال تعالى:

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾

[سورة الأعراف، آية ٥٦]

النتائج التي تتعلق بالسؤال الرابع:

- ما أخلاقيات التعليم التي يجب على المعلم أن يتحلى بها في ضوء المدرسة الإسلامية في المجتمع الإسلامي؟

تشير نتائج الدراسة إلى الأخلاقيات التالية:

١- على المعلم أن يعلم مادته قاصداً بها وجه الله تعالى أولاً. انسجاماً مع قوله تعالى:

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ [سورة الأنعام، آية ١٦٢]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به

وجهه" (صحيح الجامع الصغير ج ٢، ص ١٣٨).

٢- على المعلم أن يكون قدوةً للمتعلمين وأن يقترن قوله بعمله. انسجاماً مع قوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا

مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ [سورة الصف، الآيات ٢-٣]

٣- على المعلم الالتزام بأداب الحديث في جميع الظروف والمناسبات، وهذا يتفق مع قوله

تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

[سورة المؤمنون، الآيات، ١-٣]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام" (صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ص ٢٥٠).

٤- أن يعطي المعلم مادته داخل الصف بأمانة وإخلاص. وهذا يتفق مع قوله تعالى: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٦﴾ [سورة المعارج، الآية ٣٦]

قال صلى الله عليه وآله وسلم آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وإذا وعد أخلف" (البخاري ص ٥، ج ٤).

٥- على المعلم أن يستمر في طلب العلم والاطلاع على ما هو جديد باستمرار وينقله لطلابه. انسجاماً مع قوله تعالى:

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ [سورة طه، آية ١١٤]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع" (رياض الصالحين، ص ٢٥٦).

٦- على المعلم تحري العدل والأمانة في تعامله مع جميع الأفراد. انسجاماً مع قوله تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ [سورة الحديد، آية ٢٥]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا" (مسلم ج ٣، ص ٧).

٧- على المعلم أن يظهر صفة التواضع أثناء عملية التعليم داخل الصف. وهذا ينسجم مع قوله تعالى:

وَخُفِّضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ابَّعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ [سورة الشعراء، آية ٢١٥]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد" (أبي داود، ج ٣، ص ٩٢٥).

٨- على المعلم أن يتحلى بالبرقة واللين وسعة الصدر في التعامل مع الآخرين. انسجاماً مع قوله تعالى:

فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[سورة آل عمران، آية ١٥٩]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء، سمح القضاء" (صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٤٦).

٩- على المعلم أن يسمح للطلبة في إبداء وجهات نظرهم والدفاع عنها بالحجة والبرهان العقلي بحرية كاملة انسجاماً مع قوله تعالى:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

[سورة يونس، آية ٩٩]

١٠- على المعلم التزام الموعدة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن والابتعاد عن المشادة الكلامية أثناء عملية التعليم امتثالاً لقوله تعالى:

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَةَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [سورة النحل، آية ١٢٥]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلماً ميسراً" (صحيح الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٢٥).

١١- على المعلم أن يحث الطلبة على قول كلمة الحق في مختلف الظروف والمناسبات بأسلوب القدوة الحسنة. انسجاماً مع قوله تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٦﴾

[سورة آل عمران، آية ١١٠]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: لا يمتنع منكم رجلاً مخافة الناس، أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه" (المسند الجامع ج ٦، ص ٤٤٨).

١٢- على المعلم أن يتحرى الأمانة والدقة في نقل الحقائق والأفكار من العلماء إلى الطلاب.

وقال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

[سورة الأنفال، آية ٢٧]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا ضيَّعت الأمانة فانتظر الساعة قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" (البخاري، ج ٨، ص ١٢٩).

١٣- على المعلم أن يختار الألفاظ والكلمات السليمة والرفيعة عند مخاطبة الآخرين.

انسجاماً مع قوله تعالى:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ

[سورة الأحزاب، آية ٢١]

كَثِيرًا

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام" (صحيح الجامع الصغير، ج ٦، ص ٢٥٠).

١٤- على المعلم أن يفهم حالات الطلبة الاجتماعية ومستوى نموهم الجسمي والعقلي

والانفعالي وتوجيههم في ضوء ذلك. انسجاماً مع قوله تعالى:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا

[سورة البقرة، آية ٢٨٦]

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

١٥- على المعلم أن يكون متزناً ضابطاً لنفسه عند وقوع تجاوزات من قبل الطلبة.
انسجاماً مع قوله تعالى:

يَبْتَئِنُّ أَقْرِبَ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنَ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾

وقال تعالى:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ [سورة الأعراف، آية ١٩٩]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان"
(صحيح الجامع الصغير، ج ٦، ص ١٤٤).

١٦- على المعلم أن يحرص على تقوية العلاقات بين الطلبة من خلال النشاطات
الجماعية. انسجاماً مع قوله تعالى:

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٦﴾ [سورة آل عمران، آية ١٥٦]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "يد الله مع الجماعة" (صحيح الجامع الصغير، ج ٦، ص ٣٣٦).

١٧- على المعلم أن لا يسمح للطلبة بالإهمال والتقصير وأن يدفعهم نحو الاهتمام
والإتقان لأعمالهم. انسجاماً مع قوله تعالى:

وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ
الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْمُشْرُوكَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ [سورة الحجرات، آية ٧]

وقال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

[سورة الأنفال، آية ٢٧]

١٨- على المعلم تقجير الطاقات الإبداعية للطلبة عن طريق المحاضرات والندوات التي

تعتمد على التحليل والنقد والحوار. انسجاماً مع قوله تعالى:

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [سورة الأنفال، آية ٦٠]

١٩- على المعلم أن يبذل قصارى جهده في تقديم المعلومات والعلوم للطلبة. انسجاماً مع

قوله تعالى:

قُلْ إِنْ تَحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ [سورة آل عمران، آية ٢٩]

وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "من سئل عن علم فكتمه أجم يوم القيامة

بلجام من نار" (البخاري، ج ٦، ص ٦٦٩).

٢٠- على المعلم أن يتحلى بجميع الصفات التي يرغب أن يراها عند الآخرين داخل

المؤسسة. انسجاماً مع قوله تعالى:

مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَأَيْنَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ
عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [سورة الحشر، آية ٧]

وقال تعالى:

٢١- على المعلم اتباع أسلوب الحوار وإقامة الحجة عند تقديم المعلومات والأفكار

الجديدة. انسجاماً مع قوله تعالى:

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [سورة النحل، آية ١٢٥]

٢٢- على المعلم أن يحرص على إشراك الطلبة في التفاعل الاجتماعي داخل

المحاضرات. انسجاماً مع قوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُؤًا شَعَنِيَرِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَى وَلَا الْقَلْبِيَدَ
وَلَا ءَأَمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَيَرْضَوْنَآ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ
شَتْرَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ
وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

[سورة المائدة، آية ٢]

٢٣- على المعلم أن يتحرى الصدق والصراحة في تعامله مع الآخرين داخل المؤسسة.
انسجاماً مع قوله تعالى:

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ سَأَلْتَهُنَّ خَبْرًا لَّئِن لَّمْ يَكُنِ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ النَّاصِيحَاتِ لَسَوْفَ يَأْتِيَنَّكَ أَمْرٌ مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَخْفَىٰ عَلَى السَّاعِثِينَ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٨﴾ [سورة الأحزاب، آية ٨]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً...." (البخاري، ج ٥، ص ٢٢٦١).

٢٤- على المعلم استخدام أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا التعليم الحديث من أساليب
ووسائل لإيصال المعلومات إلى أذهان التلاميذ بأبسط الطرق وأسرعها. انسجاماً مع
قوله تعالى:

أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ رَبِّكَ إِنَّكَ كَرِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٩﴾ [سورة الزمر، آية ٩]

٢٥- على المعلم الالتزام التام بالتعليمات والقوانين الصادرة عن المؤسسة التعليمية التي يعمل فيها. انسجاماً مع قوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

[سورة النساء، آية ٥٩]

وقال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوْنُوا أَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾

[سورة الأنفال، آية ٢٧]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف" (البخاري، ج ٢، ص ١١٢).
النتائج التي تتعلق بالسؤال الخامس:

- ما الأخلاقيات التي يجب أن يتحلى بها المتعلم في ضوء المدرسة الإسلامية في المؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي؟
تشير نتائج الدراسة إلى الأخلاقيات التالية:

١- على المتعلم توخي الصدق والصراحة في تعالجه مع زملائه ومدرسيه وإدارة المؤسسة. امتثالاً لقوله تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ [سورة التوبة، آية ١١٩]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وأن العبد ليتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً،..." (السند الجامع لأحاديث الكتب الستة، ج ١٢، ص ٧١).

٢- على المتعلم أن يحرص على توجيه الأسئلة والمشاركة والحوار وحسن الاستماع للآخرين. انسجاماً مع قوله تعالى:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا

[سورة البقرة، ٢٦٩]

يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

٣- على المتعلم تجنب الأحاديث الجانبية أو الاستماع لها أثناء الدرس. انسجاماً مع قوله تعالى:

تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْتَقِينَ ﴿٨٣﴾

[سورة القصص، آية ٨٣]

٤- على المتعلم أن يكون متواضعاً مع معلمه وزملائه. انسجاماً مع قوله تعالى:

وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي

[سورة القصص، آية ٥٥]

الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "من تعظم في نفسه واختال في مشيئته لقي الله عز

وجل وهو عليه غضبان" (مسلم، ج ٢، ص ٧٢).

٥- على المتعلم توخي الهدوء وسعة الصدر في المناقشة والابتعاد عن الجدل والمشادة الكلامية مع الزملاء. اتفاقاً مع قوله تعالى:

فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[سورة آل عمران، آية ١٥٩]

﴿١٥٩﴾

٦- على المتعلم أن يحافظ على سمعة مؤسسته المعنوية وإمكاناتها المادية. انسجاماً مع قوله تعالى:

﴿٦٠﴾ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي

[سورة البقرة، آية ٦٠]

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

وقوله تعالى:

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ [سورة الشعراء، آية ١٨٣]

٧- على المتعلم تقديم النصح والإرشاد للزملاء عند ظهور بعض الأخطاء في سلوكياتهم. انسجاماً مع قوله تعالى:

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [سورة التوبة، آية ٧١]

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "الدين النصيحة قلنا لمن، قال: لله وكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" (مسلم، ج ١، ص ٣٧).

٨- على المتعلم احترام العمل الجماعي وتقديم المشاركة الفاعلة باستمرار حسب قدراته في شتى مسائل العمل الجماعي داخل مؤسسته. امتثالاً لقوله تعالى:

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [سورة المائدة، آية ٢]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً" (صحيح الجامع الصغير، ج ٦، ص ٤٤٦).

٩- على المتعلم الاستمرار في البحث والتقصي بصورة دقيقة للوصول إلى أقصى درجات الانتاج العلمي. انسجاماً مع قوله تعالى:

فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ [سورة طه، آية ١١٤]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها" (الترمذي، ج ٣، ص ١٣٩).

١٠- على المتعلم أن يطهر نفسه من جميع ما يشوبها من صفائر الأمور ورذائلها.

انسجماً مع قوله تعالى:

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّجُوا بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾

[سورة المجادلة، آية ٩]

وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: اللهم إني أسألك الهُدى والتقى والعفاف

والغنى" (مسلم، ج ٨، ص ٨١).

١١- على المتعلم أن لا يغتاب معلمه وأن يذكره دائماً بالخير. انسجماً مع قوله تعالى:

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعضُكُمْ بَعضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

[سورة الحجرات، آية ١٢]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير

حق" (أبي داود، ج ٣، ص ٩٢٣).

١٢- على المتعلم أن يتعلم العلم ويعمل به. انسجماً مع قوله تعالى:

يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾

[سورة الصف، الآيتان، ٣-٢]

١٣- على المتعلم أن يبذل قصارى جهده أثناء مرحلة تعليمه حتى يصل إلى درجة علمية

متقدمة تؤهله القيام بواجبات الإنسان الصالح. انسجماً مع قوله تعالى:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

[سورة البقرة، آية ٢٦٩]

١٤- على المتعلم المثابرة على حضور الدرس والاهتمام به باستمرار. انسجماً مع قوله

تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ
 وَإِذَا قِيلَ ائْتُوا فَانُشَرُوا فَانُشَرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ [سورة المجادلة، آية ١١]

١٥- على المتعلم أن يسير بخطى ثابتة نحو اكتساب العلم وعدم الإصغاء والخوض في
 الخلافات بين الناس بل عليه الثقة في المعلومات التي يقدمها معلمه. انسجاماً مع قوله
 تعالى:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ
 جَدَلًا ﴿٥٤﴾ [سورة الكهف، آية ٥٤]

١٦- على المتعلم أن ينفذ ما يطلب منه من واجبات ويتحمل عناءها بصدر رحب.
 امتثالاً لقوله تعالى:

إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ [سورة هود، آية ١١]

١٧- على المتعلم أن يأخذ من كل علم أحسنه ويبدو جليلاً في سلوكه. انسجاماً مع قوله
 تعالى:

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
 أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [سورة الزمر، آية ١٨]

١٨- على المتعلم تحاشي الانتقال من الحوار المطلوب إلى المشادة الكلامية مع معلمه.
 انسجاماً مع قوله تعالى:

وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ مِمَّا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ [سورة الزخرف، آية ٥٨]

قال صلى الله عليه وآله وسلم: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل.
 (السند الجامع، ج٧، ص ٤٥٢).

١٩- على المتعلم الاعتراف بفضل معلمه وتوجيه الشكر على مجهوده انسجاماً مع قوله تعالى:

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

[سورة فصلت، آية ٣٣]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه" (السند الجامع لأحاديث الكتب الستة، ج ٨، ص ٩٠).

٢٠- على المتعلم أن يظهر المحبة والتعاون للزملاء والمدرسين داخل المؤسسة. انسجاماً مع قوله تعالى:

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأتوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [سورة البقرة، آية ٢٥]

وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه" (متفق عليه).

٢١- على المتعلم تنبيه معلمه إذا وقع في خطأ وتجنب السكوت على ذلك. انسجاماً مع قوله تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [سورة آل عمران، آية ١١٠]

وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

"لا يمتنع رجلاً منكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه" (السند الجامع، ج ٦، ص ٤٤٨).

٢٢- على المتعلم الحرص باستمرار على عدم مخالفة قوانين المؤسسة وتعليماتها. انسجاماً مع قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ
فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾
[سورة النساء، آية ٥٩]

٢٣- على المتعلم أن يحترم العلم والمعرفة لأنهما سبب نجاته في الدنيا والآخرة. امتثالاً
لقوله تعالى:

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا
يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾
[سورة البقرة، آية ٢٦٩]

٢٤- على المتعلم الاعتراف بفضل المؤسسة وأعضاء هيئة التدريس عليه في كافة
الظروف والمناسبات. انسجاماً مع قوله تعالى:

الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾
[سورة الكهف، آية ١٠١]

وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً
(متفق عليه).

٢٥- على المتعلم أن ياتمر بأوامر معلمه وينفذ ما يطلبه منه بعزم وإخلاص. انسجاماً
مع قوله تعالى:

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا فَفَشَلُّوا وتَذْهَب رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾
[سورة الأنفال، آية ٤٦]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

"لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة في المعروف" (البخاري، ج ٢،

ص ١١٢).

التوصيات:

في ضوء نتائج هذه الدراسة، يوصي الباحث بما يأتي:

١. أن يلتزم القائمون على العملية التربوية في المؤسسات التربوية في المجتمعات الإسلامية بأسس التعليم كما وردت في الدراسة وتطبيقها في المؤسسات التربوية المعاصرة على اختلاف مستوياتها العلمية.
٢. أن تُحدد أهداف المؤسسات التربوية في المجتمعات الإسلامية في كل مرحلة تعليمية بما يتناسب مع مستويات الطلبة في ضوء أهداف التربية الإسلامية التي وردت في الدراسة.
٣. أن تلتزم المؤسسات التربوية في المجتمعات الإسلامية بالأخلاقيات التربوية الإسلامية التي وردت في الدراسة في جميع عناصر العملية التربوية.

قائمة المراجع

- ١) القرآن الكريم.
- ٢) الحديث النبوي الشريف.
- ٣) أبو العينين، علي (١٩٩٠)، البحث التاريخي في التربية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٦، ١٧.
- ٤) أبو عابد، محمود (١٩٨٣)، أثر الدافعية على إنتاج العمل في ضوء التصور الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، اريد، جامعة اليرموك.
- ٥) أحمد، سعد مرسي (١٩٧٠)، تطور الفكر التربوي، ط٤، عالم الكتب، القاهرة، ص ١٨٣.
- ٦) أحمد، جمال فتحي (١٩٧٧)، دور المعلم التربوي، في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، اريد، جامعة اليرموك.
- ٧) أحمد، منير الدين (١٩٨١)، تاريخ التعليم عند المسلمين، دار المريخ، الرياض، ص ٥٠.
- ٨) بكر، عبد الجواد السيد (١٩٨٣)، فلسفة التربية في الحديث الشريف، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٢٠٤.
- ٩) بني خلف، هشام أحمد، (١٩٩٨) مفهوم الإدارة المدرسية في إطار التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.
- ١٠) التل، احمد (١٩٩٢)، التعليم العام في الأردن، لجنة تاريخ الأردن، عمان.
- ١١) التل، سعيد (١٩٨٣)، التربية والتعليم في الأردن، نظرية وواقع وطموحات مديرية المناهج. عمان.
- ١٢) جلال عبد الفتاح (١٩٧٧)، من الأصول التربوية في الإسلام، سرس الليان المنوفية، المركز الدولي للتعليم، مصر، ص ٧٩.
- ١٣) الجمالي، محمد فاضل (١٩٧٧)، التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص ١٦.
- ١٤) الحياوي، حسن (١٩٩٣)، أصول التربية في ضوء المدارس الفكرية اسلامياً وفكرياً، اريد، دار الأمل، ص ٢٧٠.
- ١٥) رشيد، احمد حسين (١٩٩٩) دور الجامعة في المجتمع في ضوء التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك.

- ١٦ الحياوي، حسن (١٩٩٤)، أسرار الوجود وانعكاساتها التربوية، اريد، دار الأمل، ص ٣٤٦.
- ١٧ سلطان، محمد السيد، (١٩٩٦)، مفاهيم تربوية في الإسلام، دار الحسام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ١١٠، ١١٢.
- ١٨ السمير، قاسم (١٩٨٩)، تطور تعليم الكبار في الأردن، دراسة تحليلية رسالة ماجستير غير منشورة، اريد، جامعة اليرموك.
- ١٩ الشيباني، عمر التومي (١٩٨٨)، فلسفة التربية الإسلامية، ص ١٩، ٢٠.
- ٢٠ عباس، إحسان (١٩٩٥)، الموجز في التربية الإسلامية، ص ٢٤٤.
- ٢١ عبود، عبدالغني (١٩٩٤)، في التربية الإسلامية، ج ١، ط ٣، دار الفكر العربي، ص ٩٨-٩٩.
- ٢٢ عطية، حمدي أبو الفتوح (١٩٨٦)، أسلمه مناهج العلوم المدرسية، تصور مقترح، ط ١، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص ١١٤.
- ٢٣ الغريب، رمزية (١٩٦٧)، التعلم، ط ٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٢٤٥.
- ٢٤ الفرحان، اسحق (١٩٨٢)، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، ص ٢٠.
- ٢٥ فهمي، أسماء حسن، (١٩٤٧)، مبادئ التربية الإسلامية، ط ٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص ٣١.
- ٢٦ القاضي، يوسف مصطفى (١٩٨١)، علم النفس التربوي في الإسلام، دار المريخ-السعودية، ص ٢٩٤.
- ٢٧ قطب، سيد (١٩٩٤)، في ظلال القرآن، مجلد ٦، ط ٢، دار الشروق، بيروت، ص ٣٣٨٧.
- ٢٨ الكيلاني، ماجد عرسان (١٩٧٨)، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، ص ١٩.
- ٢٩ لسان العرب، لابن منظور، ٤١٦، ١٦، ١٢، ٤١٧.
- ٣٠ مجموعة مؤلفين (١٩٧٩)، استراتيجية تطور التربية العربية، ط ١، المنظمة العربية للتربية والفنون والعلوم، دار الريحاني، بيروت.
- ٣١ محفوظ، محمد جمال الدين (١٩٧٧)، تربية المراهق في المدرسة الإسلامية، الهيئة المصرية للمكتبات، ص ١٠٥، ١٠٤.

- ٣٢) مرسى، محمد منير (١٩٨٦)، التربية الإسلامية - أصولها وتطورها في البلاد العربية، دار المعارف، مصر، ص ٢٢، ٢١.
- ٣٣) مصطفى، علي خليل (١٩٨٥)، فلسفة التربية الإسلامية، ط١، ص ٣٥٦.
- ٣٤) مطاوع، ابراهيم عصمت (١٩٧٩)، أصول التربية، ط١، دار المعارف مصر، القاهرة، ص ١٧٤.
- ٣٥) معروز عمر الشرقاوي، أسس وأخلاقيات التعليم في ضوء أهداف التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٨م.
- ٣٦) المظوي، خالد (١٩٨٥)، أخلاقيات مهنة التعليم، دراسات تربوية.
- ٣٧) المودودي، ابو الأعلى (١٩٦٢)، منهج التربية للتربية والتعليم، ط١، دار النذير، بغداد، ص ١٨، ٣٠.
- ٣٨) ناصر، ابراهيم (١٩٨٩)، أسس التربية، ط٢، دار عمار، عمان، ص ١٩.
- ٣٩) النحلاوي، عبد الرحمن (١٩٨٣)، اصول التربية الإسلامية وأساليبها، دار الفكر، دمشق، سورية، ص ١٨، ٢٧، ٢٨.
- ٤٠) النحلاوي، عبد الرحمن (١٩٨٤)، بحوث في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، ص ١٥.
- ٤١) الهوال، عبده (١٩٨١)، التعليم والتعلم في القرآن الكريم، مكتبة الفلاح، الكويت، ص ٣٠.
- ٤٢) يالجن، مقداد (١٩٧٧)، التربية الإسلامية الأخلاقية، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٤٥.
- ٤٣) يالجن، مقداد (١٩٨١)، علم النفس في الإسلام، دار المريخ، السعودية، ج ١.
- ٤٤) يالجن، مقداد (١٩٨٢)، توجيه المتعلم في ضوء الفكر الإسلامي، ص ١٤٩-١٥٠.
- ٤٥) يالجن، مقداد (١٩٨٦)، جوانب التربية الإسلامية، ط١، مؤسسة الريحاني، بيروت، ص ٢٦.

الفصل الخامس
حقيقة النفس الإنسانية

حقيقة النفس الإنسانية

هدفت الدراسة إلى توضيح حقيقة النفس الإنسانية من خلال طرح كافة الآراء للعلماء والفلاسفة حول هذا الموضوع منذ عهد قدماء اليونان إلى وقتنا الحاضر، وتم مقارنة تلك الآراء بما أخبرنا به الحق سبحانه وتعالى حول هذا الموضوع.

وقد تبين لنا في هذه الدراسة أن النفس الإنسانية تعني ذات الإنسان بجانيه الروحي والمادي، وليس جزءاً

منه كما اعتقد أغلب الفلاسفة والعلماء، فالنفس مخلوقة، وتقنى، ويدمر كها الموت، وتحاسب، وتصبر، وتهوى،

وتجادل وإلى غيرها من الأمور التي يقوم بها الإنسان .

حقيقة النفس الإنسانية

المقدمة:

يعد موضوع النفس الإنسانية من أكثر المواضيع التي شددت انتباه الإنسان عبر تاريخه الحضاري. وقد تعددت الآراء حول هذا الموضوع من خلال البحوث والدراسات التي قدمها الفلاسفة والعلماء على اختلاف مذاهبهم الفكرية ومصادرهم العلمية عبر تاريخ الإنسانية، لقد ابتدأ الحديث عن النفس الإنسانية منذ عهد قدماء اليونان حتى يومنا هذا، وسيبقى هذا الموضوع من أهم المواضيع التي تشد انتباه العلماء والباحثين في المستقبل على اختلاف مدارسهم الفلسفية ومذاهبهم الفكرية. وتكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة تبيان المفهوم الحقيقي للنفس الإنسانية. بهدف تحرير هذا الموضوع من بعض الأساطير والآراء الضعيفة التي لازمت موضوع النفس عبر التاريخ. هذا بجانب مساعدة الباحثين والعلماء في مجال علم النفس وعلم الاجتماع في توجيه دراساتهم في ضوء معرفة حقيقية للنفس الإنسانية. وسوف نوضح المفهوم الإسلامي لحقيقة النفس من خلال الاعتماد على القرآن الكريم بعد أن نعرض آراء الفلاسفة والعلماء والباحثين حول هذا الموضوع.

آراء الفلاسفة والعلماء حول النفس الإنسانية

اعتقد قدماء اليونان أن النفس "هي عقل هيولاني وعقل بالقوة ومن شأنها أنها تصير عقلاً بالفعل إذا تصورت بصور المعلومات، وقبل ذلك فهي نفس محركة للبدن" (أبوريان، ١٩٨٦). يرى أفلاطون "أن النفس موجودة قبل اتصالها بالبدن، وأما حول علاقتها بالجسم فهناك بعض الغموض والتردد، فهو يجد النفس تارة بأنها فكر خالص. وطوراً بأنها مبدأ الحياة والحركة للجسم، وأن الجسم آلة؛ وتارة يضع بينهما علاقة وثيقة، فيذهب إلى أن الجسم يشغلها عن فعلها الذاتي (الفكر) ويجلب لها الهم بمحاجاته وآلامه؛ وأنها هي تقهره وتعمل على الخلاص منه . . . كما أنه يؤمن بخلود النفس عندما قال: لما كانت النفس حياة فهي مشاركة الحياة الدنيا بالذات، ومنافسة للموت بالطبع وليست تقبل الماهية ما هو ضد لها، فالنفس لا تقبل الموت . . . واعتقد أفلاطون أن للإنسان نفوساً ثلاثة" (كرم، ١٩٧٧، ص ٩١).

وذهب أفلاطون ومن تابعه إلى "أن النفس قديمة، وهذه إحدى المسائل التي وقع الخلاف فيها بين أفلاطون وأرسطو. ومن أدلة القائلين بقدم النفس أنها لم كانت حادثة لكانت غير دائمة، مع أنها باقية إلى الأبد كما ثبت بالبرهان . . . وكل ما هو أبدي فهو أزلي" (مغنية، ١٩٧٢).

يعتقد أرسطو أن النفس "هي الشرط المباشر لنشاط الجسم، وحالها في ذلك بنوع ما حال ما يحوزه العالم من العلم الذي هو الشرط المباشر الذي يتيح له أن يتأمل الحقيقة، وكما أن العالم لا يتأمل الحقيقة على الدوام، كذلك فإن النفس لا تعمل بصورة دائمة، وإنما لها فترات التي تخلد فيها إلى النوم؛ بيد أنها تبقى على الدوام، على

استعداد فوري ومباشر للعمل، فالنفس تعد مبدأ النشاط الحيوي المحرك المتحرك لهذا النشاط... وأنه لا يعتقد بانتقال النفس من جسم إلى آخر تحقيقاً لقدرها المقدر عليها، وإنما ترتبط بالجسم ارتباط البصر بالعين" (طرايشي، ١٩٨٢).

لقد صرح أرسطو بأن قوى النفس خمسة "النفس النامية، والنفس الحاسة، والنفس الناطقة، والنفس النازعة، والنفس المتحركة" (كرم، ١٩٧٧).

لقد ذهب أرسطو وأكثر الفلاسفة والمتكلمين، وأهل الأديان جميعاً إلى "أن النفس حادثه، وأن وجودها مقارن لوجود البدن، واستدلوا بأدلة منها" أن النفس لو كانت قديمة لم يلحقها نقص وفتور، لأن القلم يستقر على حال واحدة، مع أن المشاهد خلاف ذلك، ومنها، أن النفس لو كانت موجودة في الأزل قبل الأبدان لكانت إما واحدة، وإما متعددة بحسب الماهية، وكلاهما باطل" (مغنية، ١٩٧٣).

تأثر الكندي بكل من أفلاطون وأرسطو في ما يتعلق بمشكلة النفس والعقل "فهو في حده النفس يسوق عدة تحديدات بعضها يشير بوضوح إلى الرأي الأفلاطوني والآخر يشير إلى الرأي الأرسطي، ففي رسالته الخاصة بـ "الحدود" يقول في تعريفه للنفس؛ أنها تامة جرم ذي آلة قابل للحياة. ويقول هي استكمال أول لجسم طبيعي متحرك من ذاته بعدد مؤلف. هذا هو حد النفس عند الكندي، وهو حد اشتمل على الرأي الفيثاغوري وعلى رأي بعض الفلاسفة الطبيعيين الذين ذهبوا إلى أن النفس مؤلفة من العناصر.. إن النفس عند الكندي مرتبطة بالجسم، لكن هذا الارتباط لم يربطها دائماً ثابتاً، ولهذا كان قوله إنها "استكمال" أو "تامة" وهذا معناه أن الوجود الخاص بالنفس هنا لا يعني البتة فناء النفس بفناء الجسم" (عون، ١٩٨٢).

يرى الفارابي من منطق أرسطي "أن النفس لا وجود لها قبل البدن، فالنفس تكون ملازمة للبدن. وما يميز البدن من النفس هو أن هذه لا صورة ولا شكل لها. وهي خالدة لأنها من عالم الأمر، أما البدن ففاسد لأنه من عالم الخلق، فالنفس لا تنقسم، ولا تتجزأ، ولا تتبعض ولا يجوز أن يشار إليها.. وقد اتبع الفارابي في تقسيم النفس التقسيم الذي نادى به من قبل أفلاطون وأرسطو" (المصدر السابق، ص ٢٥٧-٢٥٨).

النفس الإنسانية من أهم الموضوعات التي شغلت ابن سينا واحتلت مكاناً بارزاً في فلسفته. فهو يخصص لها رسائل كاملة بلغت أكثر من ثلاثين رسالة، ويفرد ابن سينا للنفس القصص الرمزية مثل قصة "حي بن يقظان" وقصة "سلامات وأبسال" كما أنه يخصص النفس البشرية بفصول عدة في أهم مؤلفاته الفلسفية "كالشفاء" و "النحاة" و "الإشارات" (خليف، ١٩٧٢).

يعتقد ابن سينا "أن الإنسان يتكون من جوهرين متميزين: جوهر مادي وجوهر روحي.. فالجسم يؤثر في النفس ويتأثر بها. وكذلك الحال فيما يتعلق بالنفس.. فالجسم هو المادة والنفس هي الصورة... انه لا وجود للنفس قبل وجود البدن" (عون، ١٩٨٢).

"إن ابن سينا كان أرسطياً فيما يتعلق بوجود النفس في علمنا هذا، أفلاطونياً في قوله ببقائها وفناء البدن" (ابن سينا، نظرية المعرفة مع بيان مصادرها وآثارها، ص ١٣٨).

"إن النفس عند الغزالي رغم أنها جوهر قائم مستقل عن البدن، إلا أنها على صلة قوية به، فهي تؤثر فيه وتتأثر به . . . فالبدن لا يوجد إلا بالنفس، لكنه يرى من جهة ثانية، أن النفس توجد بعد فناء البدن. فلموت لا يمتد إلى النفس بل إنه يصيب البدن وحده" (عون، ١٩٨٢). ورغم أن أبا حامد الغزالي قال إن النفس والقلب والروح والعقل ألفاظ مترادفة تدل على النفس، إلا أنه فرّق بين النفس والروح.

فقال عن الروح:

"أما الروح فيطلق ويراد به البخار اللطيف الذي يصعد من منبع القلب ويتصاعد إلى الدماغ بواسطة العروق وإلى جميع البدن فيعمل في كل موضع بحسب مزاجه، واستعداده عملاً، وهو مركب الحياة، فهذا البخار كالسراج، والحياة التي قامت به كالضوء، وكيفية تأثيره في البدن ككيفية تنوير السراج أجزاء البيت.

ويطلق ويراد به المبدع والصادر من أمر الله تعالى الذي هو محل العلوم والوحي والإلهام. وهو من جنس الملائكة مفارق للعالم الجسماني قائم بذاته ويطلق أيضاً ويراد به الروح الذي يقابله جميع الملائكة. وهو المبدع الأول وهو روح القدس. ويطلق أيضاً ويراد به القرآن على الجملة" (الغزالي، ١٩٧٥).

أما النفس فتطلق بمعنيين "أحدهما أن يطلق ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية . . . والثاني أن يطلق ويراد به حقيقة الآدمي وذاته فإن نفس كل شيء حقيقته وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات. وهو من عالم الملكوت ومن عالم الأمر" (المصدر السابق، ص ١٥).

يرى ابن رشد "أن النفس متصلة بالجسم اتصال الصورة بالمادة وهو يخالف ابن سينا في قوله بنظرية النفوس المتعددة في الخلود أي خلود النفوس جملة لأن النفس لا وجود لها إلا مكتملة للجسم المتصل بها" (جمعة، ١٩٧٢).

يعتقد إخوان الصفا "أن النفس إذا فارقت هذا الهيكل فليس يبقى ولا يصحبها من آثار هذا الجسد إلا ما استفادت من المعارف الربانية والأخلاق الجميلة. فإذا رأت تلك الصورة فرحت بها، وذلك ثوابها ونعيمها . . . وشرحوا معنى القيامة بأنه إذا فارقت النفس الجسد قامت قيامتها، قال محمد صلى الله عليه وسلم "من مات فقد قامت قيامته" فما أراد قيام النفس لا الجسد، لان الجسد لا يقوم عند الموت بل يقع وقوعاً لا يقوم بعده" (المصدر السابق).

تناول ابن مسكويه الكلام عن خلود النفس فأثبت على طريقتة "أن النفس جوهر حي باق لا يقبل الموت ولا الفناء وأنها ليست الحياة بعينها بل تعطي الحياة بكل ما توجد فيه" (المصدر السابق).

يرى أبو البركات البغدادي "أن النفس مرتبطة بالجسم ولها من قواها ما لا تستطيع ممارستها بدون حلولها في البدن، كما أنها جوهر من طبيعته أن يفارق البدن إذا وصل إلى درجة عليا من الكمال حيث الحياة الفاصلة في العالم الأعلى إلى جوار الملائكة والأشخاص الروحانية. وحيث تنعم بمشاهدة الله ومعرفة الأمور الإلهية" (أبو ريان، ١٩٨٦م).

يعتقد ديكرارت "أن النفس جوهر لا يحتاج في وجوده إلى أي شيء آخر، كما أنها شيء تام .. فالنفس روح بسيط مفكر. وهذا يفيد أن كل ما هو روحي تابع للنفس وكل ما هو جسمي تابع للجسد. إذن ليس في مفهوم النفس شيء مما يخص الجسد، وليس في مفهوم الجسد شيء مما يخص النفس" (العواد و فيناني، ١٩٨١).
"لقد هاجم (كانت) بشدة كافة الاستدلالات الفاسدة التي تدل على جوهرية النفس وبساطتها. وشخصية النفس ومثاليته. لذلك فهو ينكر جوهرية النفس وخلودها، وكونها بسيطة" (المصدر السابق).
يعتقد أبو بكر الأصبم أن النفس "هي البدن بنفسه لا غير، ولا يعقل إلا الجسم الطويل العريض العميق الذي يرى ويشاهد، وأن الحياة والروح ليسا شيئاً سوى الجسد" (الأشعري، ١٩٧٥).

يرى جعفر بن حرب "أن النفس عرض من الأعراض يوجد في جسم الإنسان، وهو أحد الآلات التي بما يستعين الإنسان على العقل كالصحة والسلامة وما أشبهه، وأنها غير موصوفة بشيء من صفات الأجسام والجواهر" (المصدر السابق).

ذهب بماء الدين العاملي مذهب أهل الصوفية في النفس الإنسانية "فيرى أنها لطيفة ربانية روحانية لها مع الجسم تعلق التدبير والقيادة، وهي إن استطاعت حيازة بعض الكمالات في هذه الدنيا، حصل لها استعداد وقبول أنوار الفيض الإلهي أو الإشراف الرباني وعادت إلى أصلها ومنشئها حيث بحر الحقيقة التي كانت ساجحة فيه قبل ايداعها في الجسد" (فضل الله، ١٩٨٢).

يرى مهدي شمس الدين "أن النفس حالة في الجسد بأمر من الله وهي بطبيعتها مغايرة له كحلول الدهن في السمسم" (المصدر السابق).

يعتقد العلامة الطباطبائي بتجرد النفس عن البدن لكونها أمراً وراء البدن وحكمها غير حكم البدن وسائر التركيبات الجسمية، واستند بذلك على معان تعطيلها الآيات الشريفة من أحكام تغاير الأحكام الجسمانية وتتناقى مع الخواص المادية الدنيوية من جميع حياتها. فالنفس الإنسانية غير البدن . . . أما بالنسبة إلى علاقة النفس بالجسم فإنه يرى أن النفس بالنسبة إلى الجسم بمنزلة التمرة من الشجرة والضوء من الدهن بوجه بعيد، وبهذا يتضح كيفية تعلقها بالبدن ابتداءً، ثم بالموت تنقطع العلاقة، وتبطل المسكة، فهي أول وجودها عين البدن، ثم تمتاز بالإنشاء منه، ثم تستقل عنه بالكلية فهذا ما تفيد الآيات الشريفة" (الطباطبائي، ١٩٧٢).

يرى المجلسي أن الآراء حول حقيقة النفس بلغت أربعة عشر قولاً، أسخفها القول بأن نفس الإنسان هي الله بالذات، وأضعفها أنها الماء، والهواء، والنار فقط، أو هذه العناصر الثلاثة مجتمعة، لأنه لا حياة مع فقدان أحدها. وأشهر الأقوال قولان: الأول: أنها جوهر مجرد عن المادة وعوارضها، أي ليست جسماً ولا حالة في جسم، وإنما تتصل به اتصال تدبير وتصرف وبالموت ينقطع الاتصال، وعلى هذا الرأي جمهور الفلاسفة الإلهيين، وأكابر الصوفية، والمحققين من علماء الكلام كالطوسي والغزالي، والرازي. والقول الثاني: أنها جوهر مادي، ذهب إليه جماعة من المعتزلة وكثير من المتكلمين" (المجلسي، كتاب السماء والعالم).

لقد اتفق الفلاسفة والمتكلمون على أن النفس باقية بعد مفارقتها للبدن ولكنهم اختلفوا في نوع الدليل الذي دل على أنها باقية إلى الأبد (معنية، ١٩٧٣).

وعلى الرغم من أن أغلب الفلاسفة الإسلاميين قالوا بروحانية النفس واستشهدوا على ذلك ببراهين بعضها شرعي وبعضها عقلي، فإن هناك طائفة من المفكرين قالوا بمادية النفس وأنكروا طبيعتها الروحانية، فأما الذين قالوا بمادية النفس فقد كانوا ثلاثة أقسام: (القماز، ١٩٨١).

(أ) منهم من أنكر النفس جملة..

(ب) ومنهم من قال إنها جسم أو إنها الجسم نفسه أو إنها عرض من أعراضه.

(ج) منهم من قال إنها جسم لطيف.

والخلاف بين مفكري الملمين حول طبيعة النفس كان متصلاً بخلاف اليونانيين حول هذا الموضوع، فقد كان أفلاطون وأفلوطين والمدرسة الاسكندرانية تقول بروحانية النفس. كما أن الأبيقوريين والرواقيين يقولون بماديتها، أما أرسطو فقد حاول الوقوف على الوسط بين الماديين والروحانيين فقدم حله المعروف أن النفس صورة الجسد ولكنه في الواقع كان أقرب إلى القول بمادية النفس ولذلك خالفه أغلب فلاسفة الإسلام متابعين في ذلك أفلاطون (عبد العال، ١٩٨٥).

يبدو بوضوح وحلاء من الآراء التي عرضت في الصفحات السابقة عدة قضايا أساسية أولاها، أن الفلاسفة والعلماء الذين تحدثوا عن النفس الإنسانية لم يميزوا بين النفس والروح ظناً منهم أن النفس هي الروح، أما القضية الثانية، فهي أن الآراء كافة التي طرحت حول موضوع النفس لا تتعدى الآراء التي طرحها قدماء اليونان وفلاسفتهم، وإشارة إلى القضية الثالثة، فإن فلاسفة الشرق وكما بهم قد تأثروا بشكل قوي ومباشر بالآراء اليونانية حين أعادوا صياغة أقوالهم وآرائهم بطريقة توفيقية أو تكميلية بين الدين الإسلامي والفلسفة، والقضية الرابعة تكمن في اختلاف العلماء والفلاسفة حول تعدد النفس وأنواعها، فهي ثلاثة عند أفلاطون، وخمسة عند أرسطو، أما القضية الخامسة فتدل على اختلاف الآراء حول كون النفس قديمة أم حديثة، والقضية الأخيرة تشير إلى إجماع الآراء على أن النفس لا تنفى ولا تذوق الموت لأنها جوهر وكل ما هو جوهر فهو خالد.

إن هذه الآراء المتضادة قد أثرت بشكل مباشر وسليبي على الدراسات العلمية حول موضوع علم النفس لأن كل عالم أو باحث ذهب في إجراء بحوثه ودراسته وفقاً لما يعتقد به حول حقيقة النفس الإنسانية وطبيعتها. قال اريك فروم "إن اهتمام علم النفس الحديث ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تمشي مع منهج علمي مزعوم، وذلك بدلا من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الهامة. وهكذا أصبح علم النفس يفتقر إلى موضوعه الرئيسي وهو الروح. وكان معنيا بالميكانيزمات وتكوينات ردود الأفعال والغرائز، دون أن يعنى بالظواهر الأساسية المميزة أشد التمييز للإنسان: كالحب والعقل، والشعور، والقيم". (افروم، ١٩٧٧).

وقد عبر الكسيس كارل في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" عن الدراسات الإنسانية التي حاولت أن توضح لنا طبيعة الإنسان فقال: "لقد بذل الجنس البشري مجهوداً جباراً لكي يعرف نفسه، ولكنه بالرغم من أننا نملك كنزاً من الملاحظات التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار الروحانيين في جميع الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط في أنفسنا .. إننا لا نفهم الإنسان ككل إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة. وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا، فكل واحد منا مكون من مركب من الأشباح تسير في وسطها حقيقة مجهولة" (الكسيس كاريل، ١٩٨٣).

"إن علماء النفس حصروا أنفسهم في دراسة الظواهر النفسية التي يمكن فقط ملاحظتها ودراستها دراسة موضوعية، وتجنبوا البحث في كثير من الظواهر النفسية الهامة التي يصعب إخضاعها للملاحظة أو البحث التجريبي، وبذلك ابعدوا النفس ذاتها عن دراساتهم، لأن النفس شيء لا يمكن ملاحظته، وقصروا دراساتهم على السلوك الذي يمكن ملاحظته وقياسه، وقد نادى بعضهم بتغيير اسم "علم النفس" وتسميته "علم السلوك" لأن علم النفس الحديث يدرس السلوك ولا يدرس النفس" (نجاتي، ١٩٨٩).

وحسبنا أن نعلم على سبيل المثال لا الحصر أن أساس مذهب إخوان الصفا بني على "أن الشريعة الإسلامية تدنس بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية وأنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة المحمدية فقد حصل الكمال" (جمعة، ١٩٧٢).

ويدل مذهبهم على ان الهدف المنشود هو تكميل الشريعة الإسلامية بالأفكار الفلسفية اليونانية، ولذلك قال ابن تيمية "ما أظن الله يغفل عن المأمون. ولا بد أن يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة" (المصدر السابق، ص ٣٥٣) لأن الفلسفة اليونانية ترجمت إلى العربية في عهد المأمون وفتحت لها الأبواب كافة لتصل إلى عقول العامة والخاصة في المجتمع.

النفس في ضوء القرآن الكريم

إن النفس وماهيتها في ضوء الفكر الإسلامي تختلف بشكل حاد عن ماهيتها في ضوء الأقوال والآراء التي تمخضت عن الدراسات الإنسانية، فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتجسد فيهما قول الفصل في هذا الموضوع الهام. فقد ورد لفظ النفس في القرآن الكريم مئات المرات في ألفاظ متعددة وهي: النفس، ونفسك، ونفسه، ونفسها، ونفسي، والنفوس، ونفوسكم، والأنفس، وأنفسكم، وأنفسنا، وأنفسهم، وأنفسهن، والمتأمل في جميع هذه الآيات القرآنية الحكيمة يجد أنها تخاطب الإنسان وليس جزءاً منه كما اعتقد بعضهم.

"لم يفصل الإسلام في تناوله للطبيعة الإنسانية بين ما هو جسمي وما هو نفسي فحين أطلق القرآن الكريم لفظ النفس، أكد في هذا الإطلاق على أنها هي والجسم مظهران لشيء واحد هو الإنسان.. فلفظ "النفس" في الآيات الكريمة دل على الإنسان ككل أو الذات الإنسانية بعنصريها المادي والمعنوي (عبد العال، ١٩٨٥).

والإنسان كما نعلم جميعاً مكون من جزأين بطريقة فريدة شاء الخالق سبحانه وتعالى أن تكون بهذه الصورة البديعة. فالجزء الأول من الإنسان يمثل الروح أو الجانب الروحي الذي يعد جزءاً من روح الله سبحانه وتعالى، والجزء الثاني من الإنسان هو الجانب المادي الملموس، المتمثل في جميع أعضاء وأجهزة الجسم المختلفة، وهذا ما نسعى إلى توضيحه في هذه الدراسة من خلال عرض للآيات القرآنية الحكيمة في عشرة مبادئ أساسية وهي: مبدأ الخلق، والحرية، والتكليف، والموت، والمثل أمام الخالق، والخلود، والحفاظة، وجهل الأمور الغيبية، وأنواع النفس، ونماذج من الآيات القرآنية.

المبدأ الأول- خلق النفس

أخبرنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنه خلق جسم آدم عليه السلام من طين ونفخ فيه من روحه جل جلاله ليصبح إنساناً، ثم أمر الملائكة جميعاً أن تسجد لهذا البشر الذي خلقه بهذه الصورة البديعة، فسجدوا له جميعاً إلا إبليس أبى واستكبر على هذا البشر وكان من الغاين، وبده ذلك من قوله عز من قائل:

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٧﴾

[سورة ص، الآيات ٧٦-٧٧]

كما أخبرنا الباري عز وجل أن جميع النفوس البشرية خلقت من نفس واحدة، إذ خلق سبحانه وتعالى من هذه النفس زوجها، وعن طريق التزاوج والتكاثر الذي نألفه ونعرفه تمام المعرفة خلقت بقية الأنفس البشرية. ويشير الحق سبحانه وتعالى في محكم آياته إلى النفس الأولى على أنها هي نفس سيدنا آدم عليه السلام ويظهر ذلك بجلاء في قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾
[سورة الأنعام، آية ٩٨]

وقال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا ذُرِّيَّةً لَسَكَّةً لِيَمَّا تَغَشَّيْهَا حَمَلًا خَفِيْفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ الشَّاكِرِينَ﴾
[ورة الأعراف، آية ١٨٩]

توضح الآيات الحكيمة السابقة بوضوح لا يرتابه شك أو ظنون أن النفس الأولى خلقها الحق سبحانه وتعالى بطريقته وقد خلق منها زوجها في المرحلة الثانية، فأصبح التناسل والتكاثر في النفوس البشرية عن طريق الزواج بالطريقة المألوفة لنا جميعاً. وهذا جميعه يدحض قول القائلين بقدّم النفس الإنسانية، فهي مخلوقة من مخلوقات الحق سبحانه وتعالى، بدأ خلقها في السابق وما زال يتم خلقها في كل لحظة عن طريق الحمل واتصال الروح بالجسد داخل الرحم، فهي عملية مستمرة ما دامت الحياة الدنيا باقية.

المبدأ الثاني — النفس وحرية الاختيار

إن أعظم ميزة أساسية تميز بها النهج الإسلامي المنير حرية الاختيار التي يتجلى فيها تكريم المولى عز وجل للإنسان واحترام إرادته وفكره ومشاعره بأن ترك أمره لنفسه بعد أن أثار له جميع السبل الموصلة للحق المنبعث من عنده، كما بين له طرق الهوى والضلال التي تقوده إلى الهلاك والدمار والخسران المبين. وبذلك يكون حراً ليختار ما يريد، أن تتحمل نعمة أعماله وأفعاله، ويده ذلك في قوله عز من قائل: ﴿فِي آيَةِ الْحِكْمَةِ الْتَالَةِ:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ وَلَا تَسْرِيرَ الْأَنْفِ مِنْهُ الْأَنْفُ حُرٌّ وَالطَّلَعُوتُ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
[سورة البقرة، آية ٢٥٦]

وقد بين لنا خالق النفس الإنسانية سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم أن الحق سبحانه وتعالى قد أهدى

النفس الإنسانية سبيل الفجر وسبيل التقوى. ويبدو واضحاً جلياً في قوله تعالى: ﴿وَمَا سَوَّيْنَاهَا فَالْهَمُّهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾
[سورة الشمس، الآيات ٧-١٠]

وقال تعالى:

﴿تَأْتِيهِمُ الذُّبَابُ وَآمَنُوا أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾
[سورة الحشر، آية ١٨]

وقال تعالى:

هَلْ شِئْنَا لَآئِنَّا كُلَّ نَفْسٍ هُدَيْتَهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ
الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦﴾

[سورة السجدة، آية ١٣]

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ﴾ (٣٧) ﴿وَعَاثَرَ الْحَبْوَ الدُّنْيَا﴾ (٣٨) ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٣٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ﴾ (٤٠) ﴿مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤١) ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ (٤٢)

[سورة النازعات، الآيات ٣٧-٤١]

يبدو بوضوح من الآيات الكريمة السالفة الذكر أن الحق سبحانه وتعالى لو شاء بإرادته المطلقة لوهب الهدى لجميع النفوس الإنسانية ولكنه سبحانه وتعالى بعد أن أهدى هذه النفوس سبيل الفجور وسبيل التقوى وهبها حرية الاختيار. وفي ضوء اختيارها وأعمالها في الحياة الدنيا يتحدد مصيرها في اليوم الآخر كما وضح لنا أن المفلحين من البشر هم الذين يختارون تركيبة أنفسهم باتباع جانب التقوى في هذه النفوس، وأما الخائبون فهم الذين يختارون اتباع جانب الفجور والضلالة في أنفسهم.

المبدأ الثالث - النفس وتكليف الحق لها

إن الحق سبحانه وتعالى قد كلف النفوس البشرية في جميع أمور الحياة بموجب الفكر الإسلامي حسب طاقاتها المتفاوتة إذ تختلف هذه النفوس من حيث القدرات والظروف التي تعيشها والإمكانات المتاحة لها، فقد شاءت حكمته سبحانه وتعالى ان تقوم كل نفس بما عليها تجاه خالقها من طاعة وعبادة وفق القدرات الذاتية الكامنة في كل نفس.

قال تعالى:

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

[سورة البقرة، آية ٢٨٦]

الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

المبدأ الرابع — النفس والموت

في الوقت الذي اعتقد فيه أغلب الفلاسفة والباحثين بأن الموت لا يدرك النفس ظنا منهم أنها جوهر دائم لا يعرف الفناء، فإن الحق سبحانه وتعالى خالق الأنفس البشرية وجامعها إلى يوم الحساب يطلعنا في كتابه الحكيم على حقيقة الأمر وسداده حيث توجد الآيات القرآنية الحكيمة التي تشير بوضوح وجلاء إلى حقيقة أن النفس بل جميع النفوس ستخوض تجربة الموت دون جدال او مناورة في ذلك.

فقد تحدثت الآيات بقرار قطعي وبصورة جازمة بأن جميع النفوس سيدركها الموت، ويعد هذا الأمر من النواميس الطبيعية التي أقرها الحق سبحانه وتعالى في هذا الوجود.

قال تعالى:

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّرُ أَجْرُهَا فَمَنْ أُوَفِّرْهَا فَمَنْ أُوَفِّرْهَا فَمَنْ زُحِرَ عَنِ
التَّكْوِينِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

[سورة آل عمران، آية ١٨٥]

وقال تعالى:

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

[سورة الأنبياء، آية ٣٥]

وقال تعالى:

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾

[سورة العنكبوت،

آية ٥٧]

كما أخبرنا الحق سبحانه وتعالى أن النفس البشرية لا يمكن أن يدركها الموت بأي شكل من الأشكال أو بأي وسيلة كانت إلا بإذنه جلت وتعالى قدرته.

قال تعالى:

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا
ثَوَاتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

[سورة آل عمران، آية ١٤٥]

وقد حرم الباري عز وجل قتل النفس واعتبر قتلها موبقة كبيرة باستثناء الأنفس التي قدمت من الأعمال وأتماط السلوك ما تستحق عليه القتل وذلك جميعه يجري في ضوء الحق الذي وضحه لنا الحق تبارك وتعالى في كتابه المنير. ولا يجوز بأية حال من الأحوال قتل النفس إلا بالحق وهي الحالة الوحيدة التي يجوز لنا فيها أن نقدم على قتل النفس الإنسانية.

قال تعالى:

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُمْ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي
الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا
وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ

[سورة المائدة، آية ٣٢]

وقال تعالى:

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَلَىٰ كُفْرٍ بِلِلَّهِ وَإِلَىٰ شِرْكَائِهِ بِهِ سَيِّئًا وَيَأْتُوا الدِّينَ إِحْسَانًا وَلَا
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْكُمْ مِنْ مَلَقٍ نَحْنُ نُرْزِقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

[سورة الأنعام، آية ١٥١]

قال تعالى:

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ
سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ [سورة الإسراء، آية ٣٣]

لذلك جاء استنكار سيدنا موسى عليه السلام على الرجل الصالح عندما قتل غلاما دون أن يوضح الأسباب لسيدنا موسى، وبعد أن أعلمه بحقيقة الأمر تبين له أن قتل النفس في تلك الحادثة لم يكن شيئا نكرا.

المبدأ الخامس — المثل أمام الحق سبحانه وتعالى

إن المثل أمام الحق سبحانه وتعالى من الأمور التي أخبرنا بها الباري عز وجل في كتابه الحكيم حيث بين لنا أن جميع النفوس البشرية سوف تجد جميع ما قدمت في الحياة الدنيا من أعمال وأفعال واعتقادات محضراً أمامهم غير منقوص سواء أكانت الأعمال خيرية أم متصلة بجانب الشر. وفي تلك اللحظة تعلم كل نفس علم اليقين ما قدمت لهذا اليوم الجامع الذي تحاسب فيه النفوس وفق ما قدمت، وتود النفوس التي عملت السوء أن تتبرأ من هذه الأعمال والأفعال التي تجانب الخير أو تفتدي ذواتها بكل ما تملك، كما يطلعنا الباري سبحانه وتعالى على حقيقة أخرى ستقع في هذا اليوم الفاصل وهي ان النفوس الإنسانية لا تستطيع أن تقدم العون او المساعدة او افتداء بعضها بعضا حين يتم الحساب لكل نفس وفق ما قدمت من أعمال خير أو شر، ودليل ما ذكرنا من حقائق في هذا الموضوع يكمن في قوله تعالى في الآيات التالية:

قال تعالى:

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾

[سورة آل عمران، آية ٣٠]

وقال تعالى:

هَذَا كَيْ تَبْلُغُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ

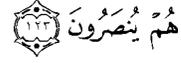
[سورة يونس، آية ٣٠]



وقال تعالى:

وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا

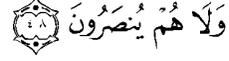
[سورة البقرة، آية ١٢٣]



وقال تعالى:

وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ

[سورة البقرة، آية ٤٨]



وقال تعالى :

وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ﴿١٤٤﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ ﴿١٤٣﴾ عَامَتِ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤٢﴾

[سورة التكوير، الآيات ١٢-١٤]

وقال تعالى:

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا

[سورة النحل، آية ١١١]



المبدأ السادس - النفس والثواب والعقاب

إن النفس الإنسانية سوف تبعث في اليوم الآخر من أجل إنزال العقوبة على النفوس التي كانت تعمل أعمال السوء في الحياة الدنيا ولم تفز برضا الحق سبحانه وتعالى حيث سيكون مصيرها في نار جهنم وبئس المصير وفق ما كسبت هذه النفوس، وكل نفس سوف تلقى ما تستحق من عقاب دون ان تظلم شيئاً، وسوف ترى جميع ما قعت حاضراً مشهوداً حتى وإن كان مثقال حبة من خردل. وهذه النفوس التي سلكت طريق الفجور وكانت تحت على عمل السوء فلن يكون مصيرها إلا الهلاك والخسران في نار جهنم، أما النفوس المطمئنة التي أنابت واستقامت للحق سبحانه وتعالى، واتبع جانب التقوى الذي زرعه الحق سبحانه وتعالى فيها وابتعدت

عن جانب الفجور فان الجنة هي المأوى والثواب الأوفى لهذه النفوس الخيرة التي اتخذت من الخير والتقوى سبيلا
موصولة لرضا الحق سبحانه وتعالى.
وتوضح لنا الآيات التالية صحة ما ذكرنا حول هذا الموضوع.

قال تعالى:

إِنَّ السَّاعَةَ آئِنَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ [سورة طه، آية ١٥]

وقال تعالى:

نَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِيطَ لِمَنْ أَهْلَسْتُمْ أَنفُسَهُمْ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ [سورة الأنبياء، آية ٤٧]

وقال تعالى:

فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

[سورة يس، آية ٥٤]

وقال تعالى:

الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾

[سورة غافر، آية ١٧]

قال تعالى:

يَتَّيْنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلْ فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾
وَادْخُلْ جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [سورة الفجر، الآيات ٢٧-٣٠]

المبدأ السابع — النفس والقضايا الغيبية

إن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تحتلي القضايا الغيبية التي أَرادها البارئ عز وجل أن تكون خارج دائرة معلومات النفس، فهي لا تستطيع أن تعرف مثلاً ماذا سوف تكسب في المستقبل سواء القريب منه أم البعيد، كذلك لا تستطيع أن تعرف في أي موقع سوف يحل عليها الموت، فهي عاجزة أن تعرف أي شيء أُخفي عنها، ويبدو وضوح تلك الحقائق في قوله عز من قائل في الآيات التالية:

قال تعالى:

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُرْسِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ
مَّاذَا تَكْسِبُ عَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

[سورة لقمان، آية ٣٤]

قال تعالى:

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

[سورة السجدة، آية ١٧]

المبدأ الثامن — النفس والحفاظة الملازمون لها

إننا لم نعلم إلا الشيء البسيط عن الحفاظة الذين وُكِّلوا بكتابة وحفظ كل ما يصدر عن النفس الإنسانية من أمور متصلة بجانب الفجور وما ينشأ عنه من أعمال وأمنات سلوكية، وبجانب التقوى وما ينتج عنه من أمنات سلوكية خيرية. فقد أبلغنا الحق سبحانه وتعالى عن النفس الإنسانية وما يلازمها من حفظه. فالآيات القرآنية الحكيمة التالية توضح لنا ذلك:

قال تعالى:

إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

[سورة الطارق، آية ٤]

وقال تعالى:

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾

[سورة ق، آية ٢١]

المبدأ التاسع — أنواع النفس الإنسانية

أخبرنا البارئ عز وجل في كتابه الحكيم الذي أرسله نوراً وهداً للبشر جميعاً ليقودهم إلى نعيم الدنيا والآخرة إن هناك نوعين من النفس الإنسانية: النفس التي تسير في ضوء ما بين الحق سبحانه وتعالى لها من خير في شتى الأمور الحياتية وتسمى بالنفس اللوامة، وهي التي تلوم ذاتها عندما تقع في أي خطأ أو آفة معصية مخالفة لشرع

الله سبحانه وتعالى، وهذه النفس تسمى في اليوم الآخر بالنفس المطمئنة التي عندما تبعث للحساب والعقاب أمام الحق سبحانه وتعالى تكون مطمئنة لما قدمت لذاتها من أعمال ترضي وجه الحق سبحانه وتعالى، أما النوع الثاني من النفس الإنسانية، فهي التي أدبرت عن طريق الحق سبحانه وتعالى واتبعت جانب الفجور وما ينبثق عنه من أعمال وأنماط سلوكية مخالفة لقواعد الحق التي أرساها لنا الباري عز وجل في كتابه المنير، وهذه النفس تتوق إلى عمل الأشياء السيئة، فهي تسمى بالنفس الأمارة بالسوء.

والآيات القرآنية الحكيمة التالية توضح لنا ذلك:

وقال تعالى:

وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢٧﴾ [سورة القيامة، آية ٢]

قال تعالى:

﴿ وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

[سورة يوسف، آية ٥٣]

وقد أشار الحق سبحانه وتعالى إلى النفس اللوامة في اليوم الآخر ووصفها بالنفس المطمئنة لما عملت من خير في الحياة الدنيا لتتعمق بنوره في اليوم الآخر، ويبدو ذلك واضحاً جلياً في الآيات القرآنية الحكيمة التالية:

قال تعالى:

يَتَّيْنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾
وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [سورة الفجر، الآيات ٢٧-٣٠]

وجميع ذلك يخالف مخالفة صريحة الآراء كافة الأفلاطونية والأرسطية التي تحدثت عن قوى النفس وأنواعها.

المبدأ العاشر—نماذج من الآيات القرآنية

سنورد هنا بعضاً من الآيات القرآنية الحكيمة التي تحمل في طياتها معاني مباشرة تدل على أن النفس تعني الإنسان بجزأيه المادي والروحي.

قال تعالى:

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾

[سورة المائدة، آية ٢٥]

فكلمة نفسي تعني بالتحديد سيدنا موسى عليه السلام

قال تعالى:

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ [سورة القصص، آية ٣٣]

فالنفس هنا تعني الرجل الذي قتله سيدنا موسى عليه السلام في أرض مصر.

قال تعالى:

فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

[سورة الكهف، آية ٧٤]

تُكْرِمًا

فكلمة نفس هنا تعني الغلام الذي قتله الرجل الصالح، قال تعالى:

وَأَمْرًا مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ [سورة الأحزاب، من آية ٥٠]

فكلمة نفس هنا تعني المرأة المؤمنة

قال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

[سورة التحريم، آية ٦]

مُكْرِمَاتٌ

غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

فكلمة أنفسكم هنا تعني بوضوح المؤمنين.

قال تعالى:

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا
يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ^٥

[سورة التوبة، من الآية ١٢٠]

فكلمة أنفسهم هنا تعني المخاطبين من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب،
وكلمة نفسه تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم.
واضح من الآيات الكريمة أن كلمة نفس تدل على ذات الشيء كلياً وليس جزئياً
سواء أكان استخدام الكلمة بصيغة المفرد أم بصيغة الجمع. لذلك فإن الحق سبحانه
وتعالى يخاطب عباده محذراً من مغبة ابتعادهم عن سبيل الحق والخير التي وضحها لهم.
قال تعالى:

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ
اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيُحَذِّرَكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ^{٢٨}

[سورة آل عمران، آية ٢٨]

فكلمة "نفسه" تعني هنا الحق سبحانه وتعالى وليس جزءاً منه، فالنفس تجزى، وتكلف، وتوفى، وتكسب،
وتجادل، وتلوم، وتلام، وتقول، وتنتظر، وتنهي عن الهوى، وتشتهي، وتهوى، وتلمز، وتضل، وتوسوس، وتهتدي،
وتؤمن، وتستيقن، وتعلم، ويخفي عليها ما تكسب غداً أو بأي أرض تموت، وتصير، وتحاسب، فجميع هذه
الأعمال تصدر عن الإنسان ويتصف بها جميعاً الإنسان كلاً لا جزءاً.

وخلاصة القول فإن النفس الإنسانية تعني ذات الإنسان بأكمله، وأن النفس مخلوقة من قبل الحق سبحانه
وتعالى، وهي نوعان: اللوامة، والأمانة بالسوء، ويدركها الموت، وتمثل للحساب والعقاب أمام الحق سبحانه وتعالى
في اليوم الآخر، فيجب أن توجه الدراسات التربوية للإنسان في ضوء هذا المفهوم للنفس الإنسانية، إذا ما أردنا أن
نحتلي طبيعة النفس الإنسانية وصفاتها للتعامل معها تربوياً بطريقة سليمة ومثمرة.

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- ابن سينا، نظرية المعرفة مع بيان مصادرها وآثارها، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٨.
- ٣- أبو حامد الغزالي، معارج القدس في مدارج معرفة النفس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٥.
- ٤- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، بيروت، ١٩٧٥.
- ٥- إريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧.
- ٦- الكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٢.
- ٧- اميل برهيمية، ترجمة جورج طرابيشي، تاريخ الفلسفة، الجزء الأول، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢.
- ٨- حسن ابراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٥.
- ٩- عادل العواد وغسان فينيانسان، المدخل الى الفلسفة، مطبعة طرية، دمشق، ١٩٨١.
- ١٠- عبد الكريم العثمان، الدراسات النفسية عند المسلمين، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٨١.
- ١١- فتح الله خليف، فلاسفة الإسلام، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية.
- ١٢- فيصل بدير عون، الفلسفة الاسلامية في المشرق، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٢.
- ١٣- محمد ابو الريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، مكتبة دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- ١٤- محمد جمعة، تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب، مكتبة المعارف، مصر، ١٩٧٢.
- ١٥- محمد جواد مغنية، معالم الفلسفة الإسلامية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣.
- ١٦- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩٧٢.
- ١٧- محمد عثمان نحاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ١٩٨٩.
- ١٨- مهدي فضل الله، من أعلام الفكر الإسلامي، الدار العالمية للنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٨٢.
- ١٩- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٧.

الفصل السادس
طبيعة الذات الإنسانية ومكوناتها

طبيعة الذات الإنسانية ومكوناتها

هدفت هذه الدراسة إلى توضيح المعالم الإنسانية لطبيعة الذات الإنسانية ومكوناتها. وقد أشار الباحث إلى أغلب الآراء التي تبناها الفلاسفة والعلماء حول هذا الموضوع على اختلاف مذاهبهم الفكرية ومدارسهم الفلسفية. ثم عرض قول الحق سبحانه وتعالى حول هذا الموضوع من خلال الاعتماد الكلي على الآيات القرآنية الحكيمة. وقد بينت الدراسة ان الذات الإنسانية خلقها الحق سبحانه وتعالى من جسد وروح بهدف عبادته سبحانه وتعالى كما وهبه حرية الاختيار، وركَّب فيه جانبي الخير والشر، وفطر الذات الإنسانية على دين التوحيد، وإن هناك نوعين من الذات الإنسانية: النوع الأول الذات التي أنابت لطريق الحق والخير، والنوع الثاني الذات التي اختارت طريق الشر والضلالة. كما ان جميع الأنفس البشرية سوف تخوض تجربة الموت، وسوف تبعث للحساب والعقاب ويكون خلودها إما في الجنة وإما في النار وذلك في ضوء ما قدمت النفس الإنسانية لذاتها لليوم الآخر عن طريق اتباع جانب الخير او جانب الشر في الحياة الدنيا.

على الرغم من أن الحق سبحانه وتعالى بعث بنوره الساطع المنير لينير للإنسان سبيل الخير والرشاد ويبعده عن طرق الشر والضلال، فإن الإنسان بشكل عام أدبر عن النهج الإلهي المنير عبر تاريخه المديد، إذ ذهب منذ فجر تاريخه ليبحث عن بديل لهذا الحق الذي أرسله الباري عز وجل عن طريق أنبيائه نوراً وهداً ورحمةً للعالمين. لذلك ذهب الإنسان في البحث عن المعضلات الأساسية المتصلة بأسرار الوجود التي لها علاقة مباشرة به وتؤثر بشكل مباشر على معتقداته في مسار حياته، ولقد أقحم نفسه في البحث عن أمور وقضايا هي في حقيقة الأمر خارج نطاق قدراته الإنسانية مما حدا به إلى التخبط في أبحر الظلمات والاعتقاد بالأوهام والخرافات، ويشهد له تاريخه الطويل بجميع الممارسات الهابطة المناهضة للحقيقة التي مارسها وهو يعتقد برسوخها وصدقها، وما زالت الخلافات والتناقضات مستقرة في أذهان الناس حتى يومنا هذا حول أهم القضايا التي تؤثر بشكل حاد على معتقدات الناس وسلوكاتهم.

ومن القضايا المهمة التي حاول الإنسان منذ فجر تاريخه عن طريق البحث، والتأمل، والدراسة الوصول إلى مكوناتها هي حقيقة النشأة الإنسانية وطبيعتها، وقد غصت المكتبات بالأعداد الغزيرة من الكتب والمؤلفات التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والتدقيق بهدف الوصول إلى حقيقة الإنسان وسماته الرئيسية من اجل التعامل معه في شتى الأمور الحياتية وفق ما وصلت إليه هذه الدراسات، وسوف نبين بوضوح وحلاء في هذه الدراسة طبيعة الذات الإنسانية ومكوناتها في ضوء القرآن العربي الحكيم، وذلك بعد أن نعرض موجزاً عن الدراسات الإنسانية يبين لنا طبيعة النفس البشرية في ضوء الفكر الإنساني.

الدراسات الإنسانية للإنسان

حاول الإنسان عبر تاريخه الحضاري أن يعي أسرار الطبيعة البشرية وسر نشأتها عن طريق العقل، والبحث، والتجريب، ومن أبرز الفلاسفة القدماء الذين نهجوا هذه السبيل سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، لقد كان في اعتقاد سقراط أن النفس البشرية تحتوي على جوهر روعي مستقل عن الجسم، وما الجسم في حقيقته إلا أداة للنفس البشرية.

"انطلق أفلاطون في تصوره للطبيعة البشرية من تصوره للكون فكما ان الكون يتكون من عالم الروح وعالم المادة، فإن الطبيعة الإنسانية كذلك تتكون من العقل (الروح) والمادة (الجسم) ... وحيث أن العقل -من وجهة نظره- قادر على الاتصال بالأفكار الثابتة الأزلية الموجودة في عالم الروح، فهو يستمد ثباته وخلوده منها، ويسمو على الجسم ويسيطر عليه. أما الجسم فهو مادة متغيرة، يولد، وينمو، ويذبل، ويختفي مثل الأشياء المادية الأخرى. بناء على هذا التصور قسم ذات الإنسان إلى قسمين منفصلين لكل منهما خصائصه ووظائفه كما قسم المجتمع إلى قسمين رئيسين، قسم يتميز بسمو عقله، والعقل هو الجزء الوحيد في الطبيعة الإنسانية الذي يتصل

أساساً بالروح، والذين يتصرفون وفقاً لأوامر هذا الجزء، هم الفلاسفة، وبالتالي يحق لهم التعليم وقيادة المجتمع وإدارته. أما القسم الآخر فهم الذين تتغلب عليهم نزواتهم الجسمية ويقسمهم إلى جزأين: جزء شريف تتحكم فيه دوافع الشجاعة والمثابرة ومركزها القلب وعملهم الجندية، والجزء الوضيع وتتحكم فيه الشهوات والرغبات التي تتعلق بالإشباع الجسدي ومركزه البطن، وهؤلاء لا يلائمهم إلا أن يكونوا عمالاً أو صناعاً" (كرم، ١٩٨٣).

"أما أرسطو فإنه يرى أن الإنسان مسيرٌ بمجموعة من الغرائز التي يولد بها وتتكون طبيعته من خصائص نباتية، وتمثل فيه جانب النمو والتوالد والذبول والموت، وطبيعة حيوانية، وتمثل فيه جانب الرغبات والانطباعات الحسية وكثف النشاط، وطبيعة إنسانية، وتميز بالعقل، وعبرٌ عن هذا الجانب بعبارة المشهورة (الإنسان حيوان عاقل)، والعقل عنده يتكون من العقل الأدنى وهو المسؤول عن القرارات الخلقية والعملية التي يعبر عنها الإنسان في سلوكه. والعقل الأعلى أو النظري الذي يكتسب به الإنسان المعرفة الشاملة الخالدة" (المصدر السابق).

"لا توجد الروح والمادة في الإنسان منفصلتين أو مستقلتين إحداهما عن الأخرى، وإنما هما مترجتان معا في وحدة متكاملة متناسقة، وتتكون من هذا المزيج المتكامل المتناسق ذات الإنسان وشخصيته، ونحن لا نستطيع ان نفهم شخصية الإنسان فهماً دقيقاً إلا بالنظر إلى هذا الكيان الإنساني بأكمله، المكون من امتزاج عنصري المادة والروح" (نجاتي، ١٩٨٢).

"يعتقد توماس هوبز أن طبيعة الإنسان شريرة، وأنه ذئب تجاه أخيه الإنسان وهو بفطرته يسعى وراء اللذة ويتجنب الألم. ويميز هوبز ثلاثة أشياء تدفع الإنسان إلى النزاع والقتال وهي: المنافسة، وسوء الظن، وحب المجد والفخر. فالمنافسة تدفع الناس إلى الالتجاء إلى العنف ليسودوا غيرهم، وسوء الظن يمارسه الإنسان حتى يحمي نفسه، ولن يشبع حبه للمجد والتفاخر بالمال والأنساب والألقاب إلا بالعنف وسوء الظن" (الفنيش، ١٩٨٢).

"يرى جان جاك روسو أن الإنسان خير لأنه من صنع الله ومن ثم فإن النمو السليم له يكمن في اتباع قوانين الطبيعة، وان مصدر الشر يكمن في المجتمع عندما يتدخل الكبار في المجتمع بمعاييرهم وقيمهم، ليفسد نمو الطفل، وينحرف بشخصيته واتجاهاته الطبيعية" (المرجع السابق).

"يعتقد جون لوك أن الإنسان يولد بعقل كالصفحة البيضاء الخالية من الأفكار الفطرية والمعاني الأولية، إلا انه مزود بعدة ملكات لها استعداد للقيام بكل شيء إذا ما هذبت والوسيلة الوحيدة لتهدئتها وجعلها توثي ثمارها هي التدريب وتكوين العادات الطيبة" (المرجع السابق).

"وقد تطورت نظرية الملكات .. وقالوا أن هناك مبدأ ديناميكية ومحركاً ذاتياً يدفع الطبيعة البشرية للعمل، وهو الذي يؤدي إلى النضج، وقد أطلقوا عليه تسمية (النفس) وهذه النفس باعتبارها مبدأً متحداً واحداً تنطوي على عدد من الملكات، والملكة تعني القدرة على العمل، وهذه الملكات او القدرات نوعان:

ملكات جسمية، وملكات عقلية، فعن طريق الملكات الجسمية فان النفس تحس وتعشر، وترغب، وعن طريق الملكات العقلية فان النفس تتذكر، وتتخيل، وتعقل، وهناك تدرج في الملكات في الطبيعة البشرية، حيث ان الملكات او القدرات الجسمية دعامة للعقلية" **Johns, 1964**

وقد اختلفت النظرة إلى الطبيعة الإنسانية اختلافاً كبيراً، ونظر إليها الفلاسفة والمفكرون من زوايا متعددة، فهناك تصور الطبيعة الإنسانية على أنها شيء واحد ثابت في الأزمنة والعصور، وإن الإنسان هو الإنسان حيث ما وجد، وهناك من نادى بأن الطبيعة الإنسانية تختلف باختلاف الأفراد أنفسهم وباختلاف استعداداتهم وقدراتهم" (الجيار، ١٩٧٨).

"فذهب البعض إلى أن الإنسان ليس في حقيقته إلا ظاهرة مادية شديدة التعقيد، مركب من المواد الكيميائية التي نشأت بسبب تطور المادة" (فينكس، ١٩٦٥).

يرى الطبيعيون والكيميائيون أن الإنسان بناء مادي يخضع لنفس القوانين الفيزيائية الكيماوية التي تخضع لها الجمادات، والنباتات، والحيوانات، فالإنسان حجم، ووزن، وشكل، ولون، كما أنه يحتل مكاناً ويشغل زمناً، ولذلك ينبغي أن تنطبق عليه قوانين الفيزيكا التي تنطبق على الأشياء المادية كقانون الجاذبية وغيره، كما أن هناك اتصالاً كبيراً مستمراً بين جسم الإنسان، وبين البيئة المحيطة به" (الشافعي، ١٩٧١).

وقد قام هوارد في كتابه -الدراسة الصحيحة للجنس البشري- بتحديد محتويات الجسم البشري وقال إنه يتألف من المواد التالية: ماء يكفي ملء برميل يسع عشرة جالونات. دهن يكفي لصنع سبائك من الصابون. كربون يكفي لصنع ٩٠٠٠ قلم من الرصاص. فوسفور يكفي لصنع ٢٢٠٠ رأس من رؤوس عيدان الكبريت، حديد يكفي لصنع مسمار متوسط الحجم. كلس يكفي لبياض (تقفيضة) فراخ كميات ضئيلة من الكبريت والمغنيسيوم، فإذا جمعت هذه المواد وخلط بعضها ببعض الآخر بنسب صحيحة وطريقة دقيقة كان ناتج هذا الخليط إنسان لا محالة" (الطويل، ١٩٧١).

"يرى البيولوجيون أن الإنسان أحد السلالات الحيوانية التي تمثل أعلى صورة من صور التطور في سلسلة الكائنات الحية، والخلية الحية هي وحدة جسمه، كما هو الحال في سائر النباتات والحيوانات، وله من الخصائص الكثير مما يشترك فيه مع الحيوانات الأخرى: إنه يأكل، وينمو، ويتناسل، ويحس ويتكيف، ويتحرك" (الشافعي، ١٩٧١).

أما أصحاب الاتجاه الغرائزي فانهم يرون ان الطبيعة البشرية مجموعة من الغرائز "وقد اختلف المنادون بهذا الاتجاه على عددها فمنهم من رأى أنها واحدة كغريزة حب الذات أو الغريزة الجنسية، وقد رأى آخرون بأنها تصل إلى حوالي الثلاثين (وليم جيمس)، وارتفع بها ثورندايك إلى الأربعين، وقال غيره بأنها ثمان وأربعون. وقد هبط بها آخرون إلى غريزتين رئيسيتين. وقد أطلق عليها آخرون اسم الدوافع الفطرية وميزوا منها نوعين: الحاجات

الفسيوولوجية، والحاجات النفسية، وهذه تشمل الحاجات الاجتماعية ... والغرائز الفطرية موجودة عند جميع الناس، لا تُعلّم ولا تُكتسب، لكن يولد الفرد مَـزُوداً بها ... وقد قامت نظرية الغرائز على أساس أن هناك تشابهاً بين غرائز الإنسان وغرائز الحيوانات الدنيا ... أن الطبيعة البيولوجية للإنسان هي أساس طبيعته الإنسانية. وينبغي أن نركز جهودنا في التعرف على حاجات هذا الإنسان الأساسية وقدراته ودوافعه الأولية، حتى نتمكن من تحديد المبادئ التي تؤثر في نموه وطرق تعلمه" (الشياني، ١٩٧٥).

يرى أقطاب الاتجاه السلوكي أنه لكي نحصل على نتائج موضوعية تماماً فيما يختص بالطبيعة الإنسانية ووظيفتها يجب التركيز على السلوك السافر، وعلى هذا يتميز المذهب السلوكي بصفة عامة باتجاهين: الأول - وهو تطبيق الأسلوب العلمي بمعناه الميكانيكي على ميدان السلوك والتخلص من التغيرات والمفاهيم الغيبية، والثاني - استخدام الحيوان في البحوث والتجارب بقصد دراسة وفهم السلوك عند الإنسان. لذلك يعتقدون أنه ليس لمصطلح العقل أو الضمير أي مضمون حقيقي. وما العقل إلا شكلاً من أشكال السلوك. ومن ثم فإنهم يركزون على النشاط العضلي والعصبي .. فالإنسان آلة دقيقة معقدة، وهدفهم الكشف عن القوانين التي تكمن وراء نشاط هذه الآلة. ومن أمثلة هؤلاء ثورنديك الذي حاول الوصول إلى قوانين التعلم عند الإنسان حتى يستطيع أن يتحكم في هذا العالم ويوجهه .. كما قام بافلوف بجهود مشاهمة وتوصل إلى نظرية التعلم الشرطي التي توضح أن عملية التعلم عملية آلية صرفة ... أما السلوك الإنساني فهو في رأيهم حركات ميكانيكية آلية تتركز حول المثيرات والاستجابات والأفعال المنعكسة وقوانين الترابط" (الفنيش، ١٩٨٢).

"أما الوجوديون فيرون أن الإنسان يسمو فوق ذاته وثقافته، ويرون أن مركز الوجود ليس الحقيقة، أو القوانين، أو المبادئ، أو الجوهر، أو الماهية، ولكن الإنسان ذاته. فالإنسان يتميز بالقدرة على اتخاذ القرارات. والإدارة والاختيار. فإذا كان سكرتيراً مثلاً يرى أن الإنسان كائن من الممكن ضبطه وتسييره فإن سارتر من الجانب الوجودي يرى أن الإنسان كائن سام يستجيب لنفسه فقط ومسؤول عن أعماله، ومن ثم فإن الثقافة لا تحتم قدر الإنسان، ولكن الإنسان هو الذي يضع الثقافة وبالتالي فهو سيدها. إن الإنسان في نظرهم هو الذي يفرض معناه على الكون، بالرغم من أن الكون يعمل بطريقة سليمة من دونه، وليس هناك مكان للأفكار الذاتية الأفلاطونية أو الحقيقة الأولية" (Robert , 1972).

لقد تأثرت الحضارة الإنسانية في مختلف مجالاتها وفروعها تأثراً قوياً بالدراسات الإنسانية حول الإنسان وطبيعته مما أدى إلى انتشار الأفكار والمعتقدات المتضادة التي قادت الإنسان إلى اختيار الأنماط السلوكية المتعددة في تحقيق أهدافه وإشباع شهواته بالوسائل التي تملئها عليه أفكاره ومعتقداته، فقد ظهر الاستكبار، والاستعلاء، والتفوق العرقي، وثار الفتن، ودارت الحروب، وانتشر السلب والقتل، وحب السيطرة والظهور على حساب الشعوب المستضعفة، واستسلم الضعيف لأهواء القوي وشهواته، واختلفت

النظم والقوانين، وتاهت العقول البشرية في أبحر الظلمات وهي تحاول الوصول إلى جذور النفس البشرية وسماتها.

لقد كان للمفاهيم السابقة للطبيعة الإنسانية آثارها البعيدة المدى على المجتمعات البشرية وخاصة في العملية التربوية التي ينمو أبناء المجتمع ويتربعون في ظلها على مدى مراحل العمر المختلفة، لقد كان للتصورات الأفلاطونية أثرها المباشر على التربية إذ أصبح هدفها الأساسي العناية بتدريب العقل وتنميته بالمواد الأساسية المتمثلة بالفلسفة والمنطق والرياضيات، والدراسات المتعلقة بالتراث البشري المشترك، ويصاحب ذلك، الأمور التي تتعلق بالنشاط الجسماني من أعمال يدوية فقد أصبح ينظر إليها نظرة دونية، أضف إلى ذلك أن التربية في ضوء التصور الأفلاطوني يجب أن تكون واحدة في جميع المجتمعات.

أما بالنسبة للذين اعتقدوا بأن الطبيعة البشرية شريرة فقد انعكس ذلك على تربية الإنسان تربية تتسم بالعنف والقسوة، وإيقاع مختلف أصناف العذاب على جسمه وروحه. والذين نادوا بأن الطبيعة الإنسانية خيرة فقد انعكس ذلك على اعترافهم بضرورة جعل الطفل محوراً للعملية التربوية، أما فكرة أن الإنسان صفحة بيضاء فقد كان لها أثرها التربوي على العملية التربوية إذ ساد الاعتقاد أن العملية التربوية يجب أن تركز على تدريب الملكات عن طريق المرنان، والتكرار، والممارسة.

"لقد ترتب على التصور المادي للإنسان الاتجاه إلى تفسير سلوكه تفسيراً طبيعياً، ولعل أهم هذه التفسيرات التفسير السلوكي القائم على نظرية دارون عن التطور وأصل الأنواع. هذه النظرية التي ترى أن الإنسان يمثل أعلى حلقة في سلم التطور البيولوجي ... وأصبح معنى هذا أنه لكي نعرف السلوك الإنساني على حقيقته يجب أن ندرس ونعرف السلوك الإيجابي. واتجه العلماء بذلك إلى دراسة هذا السلوك الحيواني لعلمهم يستنتجون منه القوانين والنظريات الخاصة بالسلوك الإنساني" (البيجي، ١٩٦٣).

وقد تأثرت أيضاً العلوم الإنسانية بالمفاهيم التي تداولها الفلاسفة العقليون والتجريبيون حول الطبيعة البشرية "فعلماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي يعتبرون الإنسان حيواناً اجتماعياً .. ويرون أنه مخلوق يسعى إلى السلطة والسيطرة، ومن ثم يوجهون الكثير من اهتمامهم إلى الطرق المتعددة للوصول إلى السلطة كالقوة، والدعاية، والتهديد، والوعود، والضغوط الاقتصادية والاجتماعية التي يؤثر بها الفرد في المجتمع، ويؤثر بها المجتمع في الفرد. بعد هذا نجد الأثنوبولوجيين الذين يهتمون بوصف الأنماط البشرية المتعددة ... فهم يرون الإنسان كموجود، ذا حاجات بيولوجية واجتماعية أساسية، يتم التعبير عنها وإرضاؤها بطرق متعددة، وذلك طبقاً للظروف البيئية والتاريخية التي يمر بها الإنسان. أما الجغرافيون فيدرسون الإنسان من حيث صلته بالأرض ومن ثم يشيرون إلى أن السلوك البشري محكوم وموجه بعوامل مثل المناخ والطعام، ومدى سهولة المواصلات أو صعوبتها، وتوزيع المصادر الطبيعية .. وللمؤرخين نظرة أخرى. فهم يرون أن الإنسان كائن يعيش الحاضر بذكرة الماضي

وتوقع المستقبل. ومن ثم يحاولون فهم المعنى الحقيقي للأحداث الماضية عن طريق إعادة بناء الحياة الواعية للأشخاص الذين صنعوا تلك الأحداث" (Philips 1964).

وهكذا ذهب الإنسان بناء على دراساته وتصويراته لطبيعة الإنسان في تطبيق النظريات والأساليب العلمية التي تجزم وتؤكد أن الإنسان انحدر من أصل حيواني مثل نظرية دارون، بل ذهب كارل ماركس إلى إقامة الدليل على أن عقلية الإنسان وليدة الوسط المادي الذي نعيش فيه. كما ذهب فرويد إلى أبعد من ذلك عندما أراد أن يؤكد أن الإنسان ليس منحدرًا من الحيوان فحسب، بل إن عقلية ما زالت تحتفظ حتى اليوم ببعض الرواسب من أصله الحيواني، لذلك فإن الإنسان في ماهيته وأساسه حيوان قادر على التقدم.

وقد عبر الكسيس كارل في كتابه - الإنسان ذلك المجهول - عن الدراسات الإنسانية التي حاولت أن توضح لنا طبيعة الإنسان فقال: لقد بذل الجنس البشري مجهوداً جباراً لكي يعرف نفسه، ولكنه بالرغم من أننا نملك كنزاً من الملاحظات التي كدسها العلماء، والفلاسفة، والشعراء، وكبار الروحانيين في جميع الأزمان، فإننا استطعنا أن نفهم جوانب معينة فقط من أنفسنا ... إننا لا نفهم الإنسان ككل .. إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة. وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا. فكل واحد منا مكون من مركب من الأشباه تسير في وسطها حقيقة مجهولة" (كارل، ١٩٨٣).

وقد لثقت أريك فروم الدراسات السلوكية والنفسية قائلاً: ان اهتمام علم النفس الحديث ينصب في أغلب الأحيان على مشكلات تافهة تتمشى مع منهج علمي مزعوم، وذلك بدلا من أن يضع مناهج جديدة لدراسة مشكلات الإنسان الهامة، وهكذا أصبح علم النفس يفتقر إلى موضوعه الرئيسي وهو الروح، وكان معنياً بالمكانيزمات وتكوينات ردود الأفعال والغرائز، دون ان يعنى بلظواهر الأساسية المميزة أشد التمييز للإنسان: كالحب، والعقل، والشعور، والقيم" (فروم، ١٩٧٧).

وقد عرف قسم من علماء النفس الذات الإنسانية بطريقتهم الخاصة التي تنسجم مع اعتقاداتهم ومفاهيمهم للذات الإنسانية حيث يعرفها حامد زهران بأنها "الشعور والوعي بكيونة الفرد، كما أنها تنمو وتنفصل تدريجياً عن المجال الإدراكي، وتتكون بنيتها كنتاج للتفاعل مع البيئة، وإن الذات تشمل الذات المدركة، والذات من تصور الآخرين، والذات المثالية، وإنما قد تمتص قيم الآخرين وتسعى إلى التوافق والثبات، وتنمو نتيجة للنضج والتعلم" (زهران، ١٩٧٧).

وقد عرفت الذات الإنسانية على أنها "مركب من عدد من الحالات النفسية، والانطباعات، والمشاعر، وتشمل ما تتضمنه كلمات أنا، لي، ذاتي، وتمثل في كل منا الجوهر الذي يقبع في أساس معاناة الإنسان وتجربته ككائن إنساني مدرك" (اسعد، ومخول، ١٩٨٢).

أما بهادر فتعرّف الذات الإنسانية بأنها "هي الجزء الواعي والمدرك من كيان الشخصية الإنسانية التي يمكن رؤيتها والتعرف عليها" (بهادر، ١٩٨٣).

ويعرف مفهوم الذات على أنه "مفهوم افتراضي شامل يتضمن جميع الأفكار والمشاعر عند الفرد التي تعبر عن خصائص جسمية وعقلية وشخصية، وتشمل معتقداته وقيمه وخبراته وطموحاته (Gersild، ١٩٦٣).

كما يعرفه بورنز على أنه "تجريد يطوره الفرد بشأن خصائصه وقدراته، وأشياءه، ونشاطاته التي يمتلكها، والتي تحيط بها، والتي تكون مشتقة من خبراته السابقة وقيمه" (Burns 1979).

ومما تجدر الإشارة إليه أن علماء النفس قد وجهوا اهتماماتهم إلى دراسة الظواهر النفسية التي يمكن ملاحظتها ودراستها بطريقة موضوعية، فقد تركزت دراساتهم وبحوثهم حول حاجات الإنسان الفسيولوجية، وحاجات الإنسان المتعلقة بتوافقه الاجتماعي والشخصي وفق متطلبات البيئة الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها. وبذلك أبعادوا الجانب المعنوي الذي يشكل الجزء الأهم في النفس البشرية عن دراساتهم برغم أنه أهم ما يميز به الإنسان عن الحيوان، هذا بجانب ما ينبعث عن الجانب المعنوي من أهداف وحاجات إنسانية نبيلة تجعل الإنسان نموذجاً فريداً في تكوينه وطبيعته في هذا الكون، لذلك يجب أن توجه كافة الدراسات الإنسانية التي تحاول أن تصل إلى طبيعة الإنسان وخصائصه إلى تناول الإنسان ككل بجانبه المادي والمعنوي وليس جانباً واحداً. هذا بجانب الاعتماد التام على ما وصلنا من الحق سبحانه وتعالى من حقائق متصلة بالإنسان وصفاته، والحق ان الإنسان قد حقق نجاحات باهرة في دراسة الجوانب الفسيولوجية والتشريحية للإنسان ولكن هذه الدراسات الجزئية للإنسان بالرغم من فوائدها الجمة بالنسبة لنا في حياتنا المعاصرة، فإنها لن تقودنا للوصول إلى طبيعة النفس الإنسانية وخصائصها لاعتمادها فقط على الجانب المادي في الإنسان.

طبيعة النفس الإنسانية وتكوينها في ضوء القرآن الكريم

لقد بين لنا الباري عز وجل القضايا الأساسية المتعلقة بطبيعة النفس الإنسانية وخصائصها في كتابه المنير بصورة واضحة ودقيقة لا تدع مجالاً للشك عند كل من يريد أن يصل إلى لباب تلك القضايا التي ما زال أغلبها غامضاً أو غائباً عن أذهان العلماء والباحثين في مجال الدراسات الإنسانية، وتشكل في بعض الأحيان قواعد الاختلاف والتضاد فيما بينهم، فالحق سبحانه وتعالى خاطب النفس الإنسانية في كتابه العزيز بمفردات عدة وهي: الإنسان، والناس، والبشر، والإنس، والعباد، والنفس، وبنو آدم، كما يلجأ مراحل النفس الإنسانية، وما جسّد فيها من قدرات، وقوى وملكات، وصفات، وأنواع، والهدف من خلقها. وهذا ما نريد توضيحه جميعاً في هذه الدراسة.

القضية الأولى - خلق الإنسان

في الوقت الذي احتار فيه العلماء والباحثون في دراساتهم حول قضية خلق الإنسان فإن الله سبحانه وتعالى بيّن لنا بوضوح وجلاء في كتابه الحكيم جميع ما يلزمنا حول قضية الخلق ومكوناتها، وكما نعلم جميعاً فإن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، لذلك فإن هذا الكتاب الحكيم يتميز عن بقية البحوث والدراسات الإنسانية للإنسان، لأن الحق سبحانه وتعالى خالق الإنسان يعلم وحدة خفايا النفس البشرية ومكوناتها، والنفس البشرية هنا تعني البشر كافة عبر تاريخهم وليس عينة منهم كما يفعل الباحثون في دراساتهم. كما أن الحق سبحانه يبين لنا حقيقة النفس الإنسانية وطبيعتها عبر أطوارها الحياتية وامتدادها التاريخي بما فيه الحاضر والمستقبل. هذا بالإضافة إلى أن قول الحق سبحانه وتعالى يخلو من أهواء الباحثين الشخصية والفكرية منها التي ترى في الجدال مورداً فياضاً للابتعاد عن الحقيقة.

لقد بينَّ للقرآن الحكيم مجموعة من الحقائق الأساسية المتصلة بخلق الإنسان في مراحل متعددة ابتداءً من المرحلة التي يكن الإنسان فيها شيئاً مذكوراً حتى مرحلة التناسل والتكاثر التي نعيشها جميعاً مروراً بخلق آدم وحواء عليهما السلام.

وسوف نورد هذه الأطوار والمراحل كما وضّحها الميداني ١٩٧٩ وهي على النحو التالي:

١. يشير القرآن إلى مرحلة زمنية لم يكن الإنسان شيئاً فيها مذكوراً ثم وجد.

قال تعالى:

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ [سورة الإنسان، آية ١]

فقد مر عليه حين من الدهر السحيق في أغوار الزمن الماضي لم يكن للإنسان فيه وجود. وقد جاء البيان على طريقة التساؤل لانتزاع الجواب من منصفي أهل العلم وأهل النظر. والجواب الحتمي: نعم لقد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً، إذ لو كان له وجود لعرف هذا الوجود.

٢. ويلفت القرآن الكريم النظر إلى أن الماء هو العنصر الأول من العناصر المادية التي تكون منها خلق جسد الإنسان. كما هو العنصر الأول الذي خلق منه كل كائن حادث. ودل على هذه الحقيقة نصوص متعددة من القرآن الكريم.

قال تعالى:

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ [سورة الأنبياء، من آية ٣٠]

وقال تعالى:

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

[سورة النور، آية ٤٥]

وقال تعالى:

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

[سورة الفرقان، آية ٥٤]

٣. كما ويلفت القرآن الانتباه إلى أن التراب هو العنصر الثاني من العناصر التي تكون منها خلق جسد الإنسان الأول: فالإنسان كان التراب عنصراً من عناصر تكوين خلقه.

قال تعالى:

إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾

[سورة آل عمران، آية ٥٩]

والتراب عنصر من عناصر تكوين كل إنسان بعد آدم إذ من التراب النبات، ومن النبات الغذاء، ومن الغذاء الدم، ومن الدم النطفة، ومن النطفة الجنين.

يقول تعالى:

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴿١١﴾

[سورة فاطر، من الآية ١١]

ويقول تعالى:

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلٍ وَلِنَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

[سورة غافر، آية ٦٧]

ويقول تعالى:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنَاشَرُونَ ﴿٢٠﴾

[سورة الروم، آية ٢٠]

٤. ويشير القرآن الكريم إلى خلق الإنسان من طين، والطين هو امتزاج عنصري الماء والتراب.

قال تعالى:

ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾

[سورة السجدة، الآيات ٦-٩]

وقد وصف الله الطين في بدء خلق الإنسان الأول بأنه طين لازب أي لاصق ببعضه ببعض متماسك لزج.

قال تعالى:

إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ [سورة الصافات، آية ١١]

٥. ثم تأتي بعد مرحلة الطين اللازب مرحلة الحمأ المسنون، والحمأ هو الطين الذي تغير وأسود بطول مجاورة الماء والمسنون هو المصدر.

قال تعالى:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿١٢﴾ [سورة الحجر، آية ٢٦]

٦. بعد ذلك تأتي مرحلة جفاف الطين حتى يصير صلصالاً والصلصال هو الطين اليابس غير المطبوخ، هذا الصلصال يشبه الفخار إلا أنه ليس فخاراً لأن الفخار مطبوخ بالنار.

قال تعالى:

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٣﴾ [سورة الرحمن، آية ١٤]

٧. ثم تأتي مرحلة نفخ الروح بعد أن صارت الطينة ذات صورة بشرية كاملة.

قال تعالى:

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿١٤﴾ فَأِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَاجِدِينَ ﴿١٥﴾ [سورة ص، الآيات ٧١-٧٢]

٨. حتى إذا تم خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام يشير القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى خلق منه زوجته.

قال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

[سورة الأعراف، من الآية ١٨٩]

وقال تعالى:

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا [سورة الزمر، من الآية ٦]

وقال تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا
وِنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

[سورة النساء، آية ١]

والحق أن ليس في كتاب الله إشارة إلى كيفية الخلق تلك.

٩. ثم يلفت القرآن الكريم الإنتباه إلى خلق السلالات البشرية بعد خلق الإنسان الأول وزوجه.

قال تعالى:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا
النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسُونَا الْعِظْمَ رِجْلًا ثُمَّ
أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٣﴾ [سورة المؤمنون، الآيات ١٢-١٤]

وإذا كانت كيفية خلق الإنسان الأول غيباً لم يطلع الله الإنسان عليه فإن الحقائق التي تتعلق بخلق
السلالات الإنسانية بعد خلق آدم وزوجه بدءاً من مرحلة النطفة ومروراً بمرحلة العلقة فالمضغة فخلق العظام وما يتبع
ذلك من بناء اللحم على العظام. هذه الحقائق تخضع لإمكان البحث الإنساني، وقد أصبحت
الآن معروفة بل إن البحث العلمي أثبت في جلاء هذه الحقائق.

يبدو بوضوح وجلاء من خلال الآيات الحكيمة السابقة أن الإنسان مكون من الجسم
والروح التي نفخها فيه الحق سبحانه وتعالى من روحه. وتجدر الإشارة هنا أن الحق
سبحانه وتعالى في مختلف الظروف والأزمان خاطب الإنسان بأكمله وحدة متكاملة بين
الجسم والروح. هذه الوحدة التي تكون ذات الإنسان. ولم يخاطب الحق سبحانه وتعالى
جزءاً من الإنسان في أي ظرف من الظروف ولا في أي مرحلة من المراحل. وعلى هذا
الأساس يجب أن ننظر إلى الإنسان سواء في مجال الدراسات التربوية وفي مجال التفاعل
الاجتماعي.

القضية الثانية – الذات الإنسانية والهدف من خلقها

مهما تعددت الآراء والأقوال حول هدف او مجموعة أهداف الإنسان في هذا الوجود تبقى كلمة الفصل في هذا الموضوع الهام الى خالق الإنسان، فهو الذي خلقه بهذه القدرات والمواصفات، وخلقته في هذه الصورة للديعة المميزة عن باقي المخلوقات التي خلقها. فقد بين الحق سبحانه وتعالى الهدف الأسمى من خلق الإنسان في كتابه العربي المنير حيث يقول عز من قائل:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

[سورة الذاريات، الآيات ٥٦-٥٧]

يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾

"إن هذا النص الصغير ليجتوي حقيقة ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيقاظها، سواء كانت حياة فرد أم جماعة أم حياة الإنسانية كلها في جميع أدوارها وأعصارها، وإنه ليفتح جوانب وزوايا متعددة من المعاني والمرامي تندرج كلها تحت هذه الحقيقة التي تعد حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة، وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس تتمثل في وظيفة، من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبح بلا وظيفة، وباتت حياته فارغة من القصد، خاوية من معناها الأصيل، الذي تستمد من قيمتها الأولى، وقد انفلت من الناموس الذي خرج به إلى الوجود، وانتهى إلى الضياع المطلق، الذي يصيب كل كائن ينفلت من ناموس الوجود، الذي يربطه ويحفظه ويكفل له البقاء. هذه الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود، هي العبادة لله .. أن يكون هناك عبد ورب، عبد يعبد رباً، ورب يعبد رباً، وان تستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار" (سيد قطب، ١٩٨١).

القضية الثالثة - الذات الإنسانية والفطرة

إن الباري عز وجل فطر الإنسان على عقيدة التوحيد به دون غيره من الأنداد التي اتخذها الغافلون من البشر من دون الله سبحانه وتعالى. وهذه الفطرة التي فطرت عليها الذات الإنسانية تنسجم بشكل متناسق ومتزن مع الهدف الأسمى الذي خلق من أجله الإنسان وهو عبادة الباري عز وجل. وتبدو مسألة الفطرة واضحة جلية في مدلول الآيتين الحكيمتين التاليتين:

قال تعالى:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ

ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ [سورة الروم، آية ٣٠]

قال تعالى:

وإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ
 شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾

[سورة الأعراف، آية ١٧٢]

"تعرض هذه الآية قضية التوحيد من زاوية جديدة عميقة، تعرضها من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها
 البشر وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم، وذات تكوينهم، وهم بعد في عالم الذر .

إن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري، فطرة أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بما
 على نفسها بحكم وجودها ذاته، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة، أما الرسائل فتذكير وتحذير
 لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى، فيحتاجون إلى التذكير والتحذير، إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق
 البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق، حتى لو لم يعث إليهم بالرسول يذكرهم ويحذروهم -
 ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلمهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف، وألا يكلمهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاهما
 لهم فقد تظلي، وأن يعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل" (سيد قطب،
 ١٩٨١).

القضية الرابعة - الذات الإنسانية وجانب الخير والشر

إن الحق سبحانه وتعالى الذي بين لنا في كتابه العزيز خلق الإنسان بمراحله
 المختلفة، كما بين لنا الهدف من خلقه والفطرة التي جسدها في الذات الإنسانية، فقد بين
 لنا أن النفس الإنسانية ركب فيها جانب الفجور والتقوى، حيث يقود جانب الفجور فيها
 الإنسان إلى اتباع عدوه اللدود إبليس والابتعاد عن النهج الإلهي المنير الذي بعثه الحق
 سبحانه وتعالى هدى ورحمة للناس أجمعين، أما جانب التقوى الذي وشجت عليه النفس
 الإنسانية، فيقود ذات الإنسان إلى الإنابة للخط الإلهي والاستقامة عليه واتباع تعليماته في
 شتى أمور الحياة، فشاء الحق سبحانه وتعالى أن يلهم النفس الإنسانية كلا الجانبين جانب
 التقوى الذي يؤدي إلى كل ما فيه خير للإنسان وجانب الفجور الذي يقود الإنسان إلى كل
 ما فيه شر للإنسان.

قال تعالى:

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ [سورة الشمس، الآيتان ٧-٨]

قال تعالى:

وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ [سورة البلد، آية ١٠]

القضية الخامسة - الذات الإنسانية وحرية الاختيار

لقد خص الحق سبحانه وتعالى والإنس والجن دون سائر مخلوقاته بحرية الاختيار بين طريق الحق وطريق الضلالة، لذلك أصبح الإنسان كائناً مميزاً بهذه الحرية التي منحها له الحق سبحانه وتعالى بعد أن وهبه الملكة العقلية التي يستطيع وبسطتها أن يميز بين الحق والباطل، وبعد أن وضَّح له الحق أنصع توضيح وبأسمى المعاني والدلالات عن طريق بعث الرسل وكلب السماوية، كما بينَّ الباطل والسبل المؤدية إليه، فالإنسان الذي فطر على دين يلتهجر كُـب في ذاته جانباً الفجور والتقوى، أعطي حرية الاختيار في اتباع أي الجانبين يشاء، والحق سبحانه وتعالى يمد له في كل جانب اختاره بحرية تامة دون إملاء أو فرض من أية قوة أخرى، فهذا الاختيار هو فقط للإنسان، وفي ضوء هذا الاختيار سيحدد مصير الإنسان في الدنيا والآخرة، والآيات الكريمة التالية تدل بوضوح وجلاء على حرية الاختيار التي وهبها البارئ عز وجل للإنسان.

قال تعالى:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُفَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

[سورة يونس، آية ٩٩]

وقال تعالى:

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَدَجَّاءَ كُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ

ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾

[سورة يونس، آية ١٠٨]

وقال تعالى:

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا

[سورة الزمر، آية ٤١]

يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

وقال تعالى:

بَنِيَّ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَنْتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

[سورة الأعراف، الآيات ٣٥-٣٦]

خَالِدُونَ ﴿٣٥﴾

وقال تعالى:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ [سورة البقرة، آية ٢٥٦]

هذه نماذج من الآيات القرآنية الحكيمة التي تدل بصورة قاطعة على حرية الاختيار التي وهبها الحق سبحانه وتعالى للإنسان والتي يستطيع من خلالها أن يختار بين الإيمان وبين الكفر، بين الخير وبين الشر بين اتباع النهج الإلهي وبين اتباع النهج البشري، بين الحق وبين الباطل، بين الدخول في حزب الله والانضواء تحت رايته وبين الانضمام إلى حزب الشيطان والسير على نهجه فهذا الاختيار من بدايته إلى نهايته هو للإنسان وفي ضوء اختياره يتم حسابه في اليوم الآخر.

القضية السادسة حالات الذات الإنسانية اعتقاداً وسلوكاً

إن طبيعة الذات الإنسانية وما تجسد فيها من قدرات عقلية وحرية اختيار، وحب الشهوات، وجاني الفجور والتقوى، بالإضافة إلى طبيعة الحياة الدنيا، وحقيقة الآخرة وما يحصل فيها من ثواب وعقاب للإنس والجن، جعلت النفس الإنسانية تقسم إلى نوعين: النوع الأول هو الذي اختار أن يسير في ضوء النهج الإلهي الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى هدى ورحمة للعالمين فاتخذ جانب الخير والتقوى الذي وشجت عليه النفس الإنسانية وفي كل مرة يقع فيها الإنسان في خطأ ما فإن توجيه اللوم للذات الإنسانية يكون من شئام هذه النفس، لذلك سماها الحق سبحانه وتعالى بالنفس اللوامة، وهي التي تلوم ذاتها عندما تقع في خطأ معين.

قال تعالى:

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٢٧﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢٨﴾ [سورة القيامة، الآيات ٢٧-٢٨]

وهذه النفس اللوامة عندما تبعث للحساب في اليوم الآخر وصفها الحق سبحانه وتعالى بالنفس المطمئنة لما قدمت من أعمال لذاتها في الحياة الدنيا "دار البلاء والفناء" لتتعم في دار الآخرة، فأعمالها الخيرة في الحياة الدنيا جعلتها تطمئن إلى مصيرها في اليوم الآخر.

قال تعالى:

يَتَّيْنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾
وَأَدْخُلِي جَنَّاتٍ ﴿٣٠﴾ [سورة الفجر، الآيات ٢٧-٣٠]

وعندما يقوم الإنسان باختيار جانب الخير الذي ينسجم مع فطرة التوحيد ويكفي نفسه ويرتفع بما عن جانب الشر وسبله، فإنه يكون من المفلحين الفائزين الذين أحسنوا الاختيار.

قال تعالى:

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [سورة الشمس، الآيات ٧-١٠]

أما الذين اختاروا السبيل الأخرى وهي جانب الفجور والشر في النفس الإنسانية فإتحم اختاروا الجانب السلبي الفطرة التي فطرت عليها النفس الإنسانية، كما ابتعدوا عن النهج الإلهي القويم الذي بعثه الحق هدى ونوراً للناس أجمعين، فهذه النفس التي اختارت اتباع جانب الشر تأمر بعمل السوء وكل ما يسوق إلى دروب الشر، لذلك سماها الحق سبحانه وتعالى بالنفس الأمارة بالسوء.

قال تعالى:

﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۗ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة يوسف، آية ٥٣]

فهذه النفس الأمارة بالسوء عندما تبعث للحساب والعقاب في اليوم الآخر وتجد جميع ما عملت من أعمال سيئة وشريرة محطاً تبدأ بالجدال والحسرة على ما قدّمت من أعمال، وتود أن تفتدي ذاتها بكل شيء، ولكن دون جدوى لأن جهنم بانتظارها لتجد سوء العذاب وأشد الوثاق وكل ما يسؤوها. وفي ضوء ما تقدم من حقائق حول أنواع الذات الإنسانية فإن الحق سبحانه وتعالى خاطب كلاً منها بصفات مختلفة عن الصفات الأخرى التي وصف بها النفس الأخرى فنجد في كتابه العزيز الأوصاف المتعددة والمتجانسة التي يصف بها الحق سبحانه وتعالى الذين استجابوا إلى نداءه وركبوا أنفسهم باتباع جانب التقوى والخير، إنه سبحانه وتعالى يصفهم بحزب الله، والفئة المنيبة والمؤمنين، والمفلحين، والعالمين، والمسلمين، والمتقين، والفائزين، والمتوسمين، وأولياء الرحمن، وعباد الرحمن، والموقنين، والصادقين، وأصحاب اليمين، والمقرنين، والصالحين، والمهتدين، والمحسنين، والعاقلين، والصابرين، وأولي الألباب، والمتطهرين، والقانتين، وأولي الأبصار، والمنفقين، والمستغفرين، والشاكرين، والمتوكلين، والأبرار، والمقسطين، وأصحاب الجنة، وأهل الفقه، والراشدين، والطيبين، والخالصين، والمخبتين، والأوابين، وجميع هذه الصفات المؤتلة المجيدة تدل على حسن أعمالهم الخيرة التي تنفق مع دين الفطرة دين التوحيد.

أما النوع الثاني من النفوس البشرية فقد وصفها الحق سبحانه وتعالى بأوصاف دقيقة تدل على ما تقوم به من أعمال سلوكية متعددة، فجاء وصفهم في كتاب الله سبحانه وتعالى بأنهم حزب الشيطان، والفئة المدبرة، والخراصون، والكافرون، والكاذبون، والضالون، والفاسقون، والمنافقون، والخاسرون، والمستكبرون، والفاجرون، والجاهلون، وأولياء الشيطان، والمسرّفون، والمجرمون، والمدبرون، وأصحاب الشمال، وفئة الغاوين، وجنود إبليس، والمجرمون، والمفسدون، والسفهاء، والمشركون،

والمعتدون، والمفترون، والماكرون، والجاحدون، وأصحاب السعير، والغافلون، وأصحاب النار، والساهون، والطاغون، والخبثون، والمرتابون، والميلسون، والكالحون. ومما تجدر الإشارة إليه أن أغلب الناس اختاروا بمحض إرادتهم أن يكونوا من الفئة الثانية المناهضة للفطرة الإنسانية. وهي التي اتخذت من عدو الإنسانية ولياً من دون الله سبحانه وتعالى، ويبدو ذلك بوضوح في الآيات القرآنية الحكيمة التالية:

قال تعالى:

وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ
إِلَّا يَجْرُمُونَ ﴿١١٦﴾

[سورة الأنعام، آية ١١٦]

وقال تعالى:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

[سورة الإسراء، آية ٨٩]

وقال تعالى:

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

[سورة غافر، آية ٥٩]

وقال تعالى:

وَأَن أٰحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحذَرَہُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ
مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ
لَفٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ [سورة المائدة، آية ٤٩]

وقال تعالى:

وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ [سورة يوسف، آية ١٠٣]

وقال تعالى:

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
النَّاسِ وَلٰكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ [سورة غافر، آية ٦١]

لذلك فإن القسم الأكبر من الناس الذين صدفوا عن طريق الحق المبين واتبعوا شهواتهم وأهواءهم التي
استخدمها إبليس وقبيله لإغواء الإنسان وإبعاده عن الصراط المستقيم سيكون مصيرهم في نار جهنم، ويشهد
على ذلك قول الحق سبحانه وتعالى:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا
يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَأَلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعٰغِفُونَ ﴿١٧٩﴾
[سورة الأعراف، آية ١٧٩]

وقال تعالى:

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمَعُشَرُ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرٰتُمْ مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ
الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمَعَ بَعْضُنَا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٰكُمْ خٰلِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [سورة الأنعام، آية ١٢٨]

"أكثر من الشيء او الفعل واستكثر منه إذا أتى بالكثير، واستكثر الجن من الإنس ليس من جهة
أعيانهم فإن الآتي بأعيانهم في الدنيا والمحضر لهم يوم القيامة هو الله سبحانه، وإنما للشياطين الاستكثر مما هم
مسلطون عليه وهو إغواء الإنس عن طريق ولايته عليهم وليست بولاية إجبار واضطرار بل من قبيل التعامل بين

الطرفين يتبع التابع المتبوع ابتغاء لما يرى في اتباعه من الفائدة ويتولى المتبوع أمر التابع ابتغاء لما يستدر من النفع في ولايته عليه وإدارة شؤونه، فللجن نوع التلذذ من إغواء الإنس والولاية عليهم، وللإنس نوع من التلذذ من اتباع الوسواس والتسويات ليستندوا بذلك للذائذ المادية والتمتعات النفسانية، وهذا هو الذي يعترف به أولياء الجن من الإنس بقولهم: ربنا استمتع بعضنا ببعض فتمتعنا بسواوسهم وتسوياتهم من متاع الدنيا وزخارفها، وتمتعوا منا بما كانت تشتبهه أنفسهم حتى آل امرنا ما آل إليه" (الطباطبائي، ١٩٧١).

وهناك حقيقة هامة لا بد من الإشارة إليها وهي ان العلاقة بين الفئتين او النوعين من النفس الإنسانية علاقة تبادلية ومستمرة، فالنفس الأمامرة بالسوء قد تعدل عن مسارها الحاطى وتتع طريق الحق والنور فتصبح هذه النفس لوامة بالدنيا ومطمئنة في الآخرة إذا ما فارقت الحياة الدنيا وهي مستقرة على سبيل الرشده والهداية وعلى هذا الأساس كانت مهمة الأنبياء والرسل وهي إخراج الناس من الظلمات إلى النور كما أن مهمة الدعاء هي توضيح سبل الحق للناس وتحريرهم من طرق الضلالة وتوجيههم إلى طريق الحق والنور .

وفي المقابل قد نجد نفوساً مؤمنة قد تركت الإيمان وذهبت إلى طريق الغي والضلال مدبرة عن الحق بعد أن عاشت في ظلاله لتصبح نفساً أمارة بالسوء بعد أن كانت وهي حائمة على طريق الخير نفساً لوامة، ودليل ذلك يكمن في مخاطبة الحق سبحانه وتعالى للذين كفروا بعد إيمانهم في الآيات القرآنية الحكيمة التالية: قال تعالى:

الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ [سورة البقرة، من الآية ١٠٨]

قال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ [سورة آل عمران، آية ٩٠]

قال تعالى:

لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُغَدِّبُ طَائِفَةٌ
بِأَثَمِهِمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [سورة التوبة ، آية ٦٦]

وفي ضوء ما أوردنا من حقائق حول قضية أنواع النفس الإنسانية يجب على العلماء والباحثين أن يميزوا بين النوعين عند الشروع بدراساتهم الإنسانية حول الإنسان وإعداد برامجهم التربوية من أجل الوصول إلى حقيقة الأمر والهدف المنشود الذي تسعى إليه دراساتهم وبرامجهم التربوية. هذا بجانب تسهيل مهمة تعميم نتائج الدراسات لتشمل فقط نوع الفئة التي أجريت عليها الدراسة وليس تعميمها على الناس كافة أو على كلا النوعين من الناس، لأننا وجدنا أن هناك تفاوتاً كبيراً بين النوعين من حيث الاعتقاد وأتماط السلوك والصفات العامة التي تميز كل نوع بالرغم من وحدة الصفات التشريحية والفسولوجية بين الطرفين.

القضية السابعة – الذات الإنسانية وقدراتها الذاتية

هناك نوعان من القوى في هذا الوجود، قوة مطلقة وهي التي تنفذ إلى كل ما تريد ولا يحول أمام إرادتها أي حاجز او مانع لأنها تستطيع أن تفعل كل ما تشاء، ولا تستطيع أن تقف أمام هذه القوة أي قوة اخرى، وهذه القوة بحكم العقل والمنطق واحدة لا يجوز تعددها، لأن تعددها ينفي عنها صفة الطلاقة في الفعل والإرادة لما ينتج من اختلاف في الإرادة بين القوى في حالة تعددها، لذلك فان القوة المطلقة هي واحدة، وهي الذات الإلهية، لذلك جاء وصف الحق سبحانه وتعالى لذاته بأنه أحد، ولم يضاهاه أحد، والقادر على كل شيء حيث يقول له كن فيكون.

أما بالنسبة إلى النوع الثاني فهي القوة المقيدة وهي التي تجسد فيها من قدرات ما يوصلها إلى حد معين لا تستطيع ان تتعداه لذلك فهي مقيدة بحكم طبيعتها. وهذا النوع متعدد لأن جميع المخلوقات التي نعرفها أو لا نعرفها ركبت فيها قدرات معينة تجعلها قادرة على القيام بأعمال معينة محددة، وهناك من الأمور والأعمال التي لا تستطيع أن تصل إليها بحكم قدرتها المقيدة، ويعد الإنسان إحدى هذه القوى المقيدة لأنه مخلوق من مخلوقات الحق سبحانه وتعالى. وكل ما هو مخلوق يعد محدود القدرة والطاقة لذلك جاء وصف الحق سبحانه وتعالى للإنسان بأنه مخلوق ضعيف، وجهول وظلوم، ويبدو ذلك واضحاً جلياً في قول الباري عز وجل في الآيات التالية:

قال تعالى:

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مِيلًا
عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

[سورة النساء، الآيات ٢٧-٢٨]

"كون الإنسان ضعيفاً لما ركب الله فيه من القوى الشهوية التي لا تزال تنازعه في ما تتعلق به من المشتبهات، تبعته إلى غشيانها فمن الله عليهم بتشريع حليه ما تنكسر به سورة شهوتهم بتجويز النكاح" (الطباطبائي، ١٩٧٤).

"فماذا يريد الله بالناس، حين يبين لهم منهجه، ويشرع لهم سنته؟ أنه يريد أن يتوب عليهم، يريد أن يهديهم، يريد أن يجنبهم المزالق، يريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة، وماذا يريد الذين يتبعون الشهوات، ويزينون للناس منابع ومذاهب لم يأذن بها الله، ولم يشرع لعباده؟ إنهم يريدون لهم أن يميلوا ميلاً عظيماً عن المنهج الراشد، والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم (سيد قطب، ١٩٨١).

قال تعالى:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [سورة الأحراب، آية ٧٢]

"إنها أمانة ضخمة حملها هذا المخلوق الصغير الحجم، القليل القوة، الضعيف الحول، المحدود العمر، الذي تناوشه الشهوات والنزعات والميول والأطماع. وإنما لمخاطرة ان يأخذ على عاتقه هذه التبعة الثقيلة، ومن ثم "كان ظلوماً" لنفسه "جهولاً" لطاقته هذا بالقياس إلى ضخامة ما زج بنفسه لحمله" (سيد قطب، ١٩٨١).

ومن دلائل ضعف الإنسان إن الحق سبحانه وتعالى عندما أمر بهبوطه مع عدوه الأشهر إبليس، وعدده الحق سبحانه وتعالى أن يعث له هدى يقوده إلى طريق الحق والنور، ويحرره ويشد من ساعده في مقاومة عدوه اللدود.

قال تعالى:

قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا أَيُّدِيكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَن
اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ [سورة طه، الآيتان ١٢٣-١٢٤]

وقد بين الحق سبحانه وتعالى حاجة الإنسان إلى خالقه وغنى الخالق عن مخلوقاته ولأن المطلق لا يحتاج إلى عون مقيد، والمقيد لا بد من أن يحتاج إلى عون غيره، وبالذات القوة المطلقة.

قال تعالى:

يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتَرُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾

[سورة فاطر، آية ١٥]

إن الحجج الكبرى التي توضح عجز الإنسان، ومدى قصوره، ومحدودية وسائله والأبعاد التي يستطيع أن ينفذ إليها - تبرز بوضوح وجلال في تحدي الحق سبحانه وتعالى للذين يقاومون ويعارضون نوح الحق والحقيقة وينكرون وجود الله، ويشككون في كتابه الحكيم ومصدره، انه سبحانه وتعالى تحداهم بطريقة تدل على ضعفهم، وعلى اتباعهم سبل الشهوة والضلالة، وابتعادهم عن طريق الحق والنور، وهذا التحدي بدأ في السابق، وما زال قائماً وسيبقى في المستقبل. وهذا جميعه يدل على ضعف الإنسان ومصادقية القرآن وكمال مصدره الإلهي، والآيات التالية تبين بوضوح التحدي الإلهي الساطع للإنسان.

قال تعالى:

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مَفْرُوتٍ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾

[سورة هود، آية ١٣]

وقال تعالى:

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

[سورة البقرة، آية ٢٣]

وقال تعالى:

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

[سورة يونس، آية ٣٨]

القضية الثامنة - الذات الإنسانية وحب الشهوات

بين الحق سبحانه وتعالى لنا حقيقة الإنسان على أنه مركب من مجموعة من الشهوات والحاجات التي تدفعه باستمرار إلى القيام بأنماط سلوكية معينة لإشباع تلك الشهوات والحاجات التي جبلت عليها الذات الإنسانية، ومن طبيعة الذات الإنسانية أنها تحب الشهوات وهذا الحب لها يبدو بوضوح في قوله تعالى:

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ ﴿١٤﴾

[سورة آل عمران، آية ١٤]

هذا بالإضافة إلى أن الحق سبحانه وتعالى قد زين الحياة الدنيا بجميع الأمور التي تشد الإنسان نحوها ليقرر سبحانه وتعالى طبيعة ونوع الاختبار الذي جسده في الحياة الدنيا ليختار الإنسان سبيله وفق الهدف الذي

خلق من أجله، والفطرة التي فطر عليها، وحرية الاختيار، وجاني التقوى والفجور الموجودين داخل النفس الإنسانية، وحب الشهوات، وزخارف الدنيا ومفاتها، وسبيل الحق والنور التي وضحها الله سبحانه وتعالى للبشر من خلال رسله وكتبه، وفي ضوء اختيار الإنسان في دار الفناء لإحدى السبيلين يتحدد مصيره في دار الخلود.

قال تعالى:

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾

[سورة الكهف، آية ٧]

ومن المؤسف حقاً أن اغلب الناس قد فهموا حقيقة وجودهم في هذا الكون على قاعدة إشباع شهواتهم بأية طريقة حتى أصبحت الحياة المادية الحديثة هي كل شيء في نظر هؤلاء فالآمال، والطموحات، والأهداف، والأمنيات، جميعها لا تتعدى إشباع شهواتهم وفق أي قانون او نظام، كما أصبحت شتى المقاييس، والمعايير، والقيم والأخلاق تقاس بمقدار تلبية تلك الشهوات والرغائب، حتى الدراسات الاجتماعية والنفسية للإنسان ما زالت تدور حول الحاجات المادية للإنسان أما بالنسبة للذين أنابوا واستجابوا للهدى الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى، وهم يمثلون النسبة القليلة من الناس، فإنهم يلبون هذه الحاجات الشهوية بالطرق والوسائل التي بينها الحق سبحانه وتعالى من خلال نهجه المنير الذي بعثه لنا هدى ورحمة عن طريق رسله وأنبيائه، وبهذا تنكسر حدة هذه القوى الشهوية عن طريق الحلال الذي بينه سبحانه وتعالى في الحياة الدنيا، ومن ثم يلاقون ما هو أفضل وأسمى من الشهوات في انتظارهم في دار السلام والخلود.

قال تعالى:

﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

[سورة آل عمران، ١٥]



القضية التاسعة - الذات الإنسانية والموت

تعد قضية الموت من أكثر القضايا التي شغلت الإنسان عبر تاريخه وكانت وما زالت مبعث حيرته، فهي كالسيف المسلط على رقاب كافة الناس، حيث استحال على الإنسان الفرار من تجربة الموت، فهي تجربة يجب ان يخوضها كل من وُهبَ الحياة، فهذا الأمر فيه قرار إلهي قطعي جازم، ويبدو ذلك واضحاً في قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْعُرُورِ ﴾

[سورة آل عمران، آية ١٨٥]

وقال تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِنَّا تُرْجَعُونَ ﴾

[سورة الأنبياء، آية ٣٥]

القضية العاشرة والأخيرة - الذات الإنسانية والبعث والخلود

تعد قضية البعث والخلود من المسائل الكبرى التي أثارَت اهتمام الإنسان عبر تاريخه المديد، لما لهذه القضية من آثار واسعة النطاق على معتقدات الإنسان وأنماط سلوكه في الحياة الدنيا، وإذا ما تأملنا تاريخ البشر مع أنبياء الحق سبحانه وتعالى نجد هذه القضية قد أخذت مكاناً بارزاً وأساسياً في مادة النقاش والحوار الذي كان يجري بين الطرفين.

كما أننا نلاحظ ان اغلب الناس كانوا يكذبون الأنبياء والرسل بمختلف الطرق والأساليب بما يتصل من معلومات حول قضية البعث والخلود، ومن المؤسف جداً أن أغلب الناس في الوقت الحاضر هم في شك وريبة، وإنكار لقضية البعث والخلود، ولكن الذي خلق الوجود بكل ما فيه من مخلوقات يبين لنا حقائق تلك القضية، وسوف يختار نماذج من الآيات القرآنية الحكيمة لكثرتها لتوضح لنا الحقائق المتصلة بالبعث والخلود.

قال تعالى:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ

[سورة الزمر، آية ٦٨]

أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾

وقال تعالى:

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصَبٍ يُوْفَضُونَ ﴿٤٤﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ

[سورة المعارج، الآيات، ٤٣-٤٤]

الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

وقال تعالى:

وَأَزْلَفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ

الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾

[سورة ق، الآيات ٣١-٣٤]

وقال تعالى:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

[سورة البقرة، آية ٣٩]

وخلاصة القول ان الحق سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان في هذه الصورة البديعة الفريدة وميزه عن سائر مخلوقاته بحرية الاختيار بعد أن وهبه الملكة العقلية، وبين له الهدف الأسنى من خلقه وهو التوجه بالعبادة إلى

الباري ومخل، وفطره على دين التوحيد، كما ركّب فيه جانبي الخير والشر، وبين له سبيل الحق وسبل الضلالة يختار الإنسان بكامل إرادته، بين السبيل المؤدية إلى الحق وسدرة الصواب، والسبيل المؤدية إلى الضلالة والخسران المبين، كما زين الحق سبحانه وتعالى للذات الإنسانية حب الشهوات المتعلقة بالحياة الدنيا، وفي ضوء هذه المعطيات جميعاً يخوض الإنسان تجربة الحياة التي تعد الاختبار الدقيق الذي سوف يجتازه جميع الناس إما بالفوز المبين وإما بالخسران العظيم.

كما تبين أن النفوس البشرية كافة سوف تخوض تجربة الموت ومن ثم تجربة البعث للثواب والعقاب وأخيراً سيجد الإنسان مصيره الخالد إما في دار السلام والخلود وإما في نار جهنم.

كذلك أن هناك نوعين من الذات الإنسانية، يتميز كل نوع عن الآخر بالمعتقدات الإنسانية، والأنماط السلوكية، وأغلب القضايا الاجتماعية، هذا مع التشابه التام بينهما في الأمور التشريحية والفسولوجية، وهذه القضية بالذات يجب أن تراعى من قبل الباحثين في مجال الدراسات الإنسانية سواء في علم الاجتماع، أو علم النفس أو شتى المجالات التربوية، أو المجالات السياسية، أو المجالات الاقتصادية، أو المجالات الثقافية، لأن لكل نوع من أنواع الذات الإنسانية أهدافه العامة التي يسعى إلى تحقيقها في الحياة الدنيا، وهذه الأهداف العامة انبثقت من المعتقدات الأساسية لكل نوع وهذا هو سر الاختلاف.

وهناك ملاحظة هامة لا بد من الإشارة إليها وهي أننا تطرقنا في هذه الدراسة فقط إلى أهم القضايا المتصلة بطبيعة الذات لإنسانية وليس إلى جميع القضايا المتعلقة بالذات الإنسانية لصعوبة بحثها جميعاً في دراسة واحدة.

المراجع العربية

- ١- إبراهيم الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧١.
- ٢- احمد علي الفنيش، أصول التربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٨٢.
- ٣- اريك فروم، الدين والتحليل النفسي، ترجمة فؤاد كامل، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧.
- ٤- الكسيس كارل، الإنسان ذلك المجهول، تعريب شفيق أسعد، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٨٢.
- ٥- توفيق الطويل، أسس الفلسفة، دار النهضة، القاهرة.
- ٦- حامد عبد السلام زهران، علم نفس النمو، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٧.
- ٧- سعدية مجادر، من انا؟ البرنامج التربوي النفسي لخبرة من أنا الموجهة لأطفال الرياض بين النظرية والتجربة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ١٩٨٢.
- ٨- سيد إبراهيم الجيار، التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨.
- ٩- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ١٩٨١.
- ١٠- عبد الرحمن حسن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩.
- ١١- عمر الشيباني، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ١٩٧٥.
- ١٢- فيصل بدير عون، الفلسفة الإسلامية في المشرق، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة، ١٩٨٢.
- ١٣- فيليب فينكس، فلسفة التربية، ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيجي، دار النهضة العربية، ١٩٦٥.
- ١٤- محمد ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، مكتبة دار المعرفة، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- ١٥- محمد جمعة، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب، مكتبة المعارف، مصر، ١٩٢٧.
- ١٦- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٩٧١.
- ١٧- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، الطبعة الأولى، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٨- محمد لبيب النجيجي، مقدمة في فلسفة التربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٢.
- ١٩- ميخائيل اسعد، ومالك مخول، مشكلات الطفولة والمراهقة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٢.

المراجع الأجنبية

- ١- Gersild, A. T. The Psychology of Adolescence. 2nd Ed. New York. The Macmillan Company , 1963.
- ٢- Burns, J.S. The self concept in theory, measurement, development, and behavior, New York, Longman, Inc. 1979
- ٣- John S. Brubacher, Modern Philosophies of Education, New york: MC Graw – Hill Book, Inc. 1969.
- ٤- Philips H. Phenix, Realms of Meaning, New York, MC Graw – Hill Book Company Inc. 1964.
- ٥- Robert E. Mason, Contemporary Educational Theory. New York: David MC Kay Company, Inc 1972.

الفصل السابع
حرية الإنسان في ضوء المشيئة الإلهية

العلاقة بين المشيئة الإلهية وحرية الإنسان

هدفت الدراسة إلى توضيح العلاقة بين المشيئة الإلهية وحرية الإنسان في الاختيار بين الخير وبين الشر، وما

يقوم به من أعمال وأفعال في ضوء اختياره.

لقد تم طرح كافة الآراء السابقة حول هذا الموضوع وبالذات قول الجبرية والقدرية، والأشاعرة، والإمامية، فالجبرية تؤمن ان الإنسان مجبور على أعماله وأفعاله، والقدرية تعتقد بالتفويض، والأشاعرة يقولون بفكرة الكسب وهي اقرب ما تكون إلى الجبرية، أما الإمامية فيقولون لا جبر ولا تفويض ولكنه أمر بين الأمرين.

وقد خلصت الدراسة إلى حقيقة مفادها أن كل شيء يحدث في الوجود لا يتعدى مشيئة الله، أي السماح

له بالحلوث وليس الإجبار على حدوثه.

كما أفادت الدراسة ان علم الله سبحانه وتعالى أزلي وأنه لا يفاجيء في شيء فهو يعلم حدوث الأشياء قبل وقوعها، ويقرر في ضوء علمه كل شيء في الوجود، أما بالنسبة إلى الإنسان فانه يسعى نحو الخير وسبله ونحو الشر وسبله بملء إرادته دون إجبار او إكراه بالرغم من علم الله سبحانه وتعالى السابق لوقوع الأحداث ماذا سيختار الإنسان. فهذا العلم يدل فقط على قدرة الله وعلمه تعالت وجلت قدرته.

العلاقة بين المشيئة الإلهية وحرية الإنسان

مقدمة

لقد حاول الإنسان منذ فجر تاريخه أن يبحث في القضايا التي تربطه بالوجود سواء المتصلة بالوجود الفيزيقي أم المتصل منها بالوجود الميتافيزيقي، وبعد ان بذل الجنس البشري الجهد الكبير في الحديث والبحث والتأمل في موضوع الذات الإلهية، ذهب بكل قوة وعزم عن طريق التحليل والدراسة للوصول إلى نوع العلاقة بين الذات الإلهية وما لها من قدرات وصفات وبين الإنسان وحرية إرادته في هذا الوجود.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنماط الاعتقاد والسلوك المتباينة المترتبة على حقيقة موضوع الدراسة وما لها من آثار واسعة النطاق على كافة المعتقدات الإنسانية والأنماط السلوكية للإنسان في شتى أمورهِ الحياتية على اختلاف النظم والمدارس الفكرية المتبعة، لذلك فإن موضوع الدراسة كان وما زال محطة أنظار الباحثين والعلماء والفلاسفة على اختلاف مشاربهم الفكرية.

"لم تكن مسألة القضاء والقدر شيئاً جديداً بحثها المعتزلة أو غيرهم من المتكلمين، لأن الفلاسفة اليونانيين قد سبقوهم بذلك وبحثوا أفعال العباد، وأطلقوا على ذلك: مسألة "القضاء والقدر" أو "الاختيار والجبر" أو "حرية الإرادة" وهذه التسميات كلها في معنى واحد . وهو أن كل ما يحدث من الإنسان من أفعال هل هو حر في إحداثها أم مجبور في ذلك" (قبس وعبد الرحمن، ١٩٧٩).

"تعد مشكلة الجبر والاختيار من أهم المشاكل التي واجهها المفكرون الإسلاميون على اختلاف مشاربهم، لأنها ترتبط بالمسؤولية والجزاء، بالثواب والعقاب، ترتبط بالسلوك الأخلاقي وتحديد الحرية الإنسانية وموقف الإنسان في هذا العالم" (عون، ١٩٨٢).

"إن مسألة الجبر والتفويض لمي من أهم المسائل النظرية وأقدم المعتقدات التي وقعت محلاً لمعركة الآراء وضللت لشدة غموضها العقول والأفكار، وهي من أهم الأسباب لتشعب المذاهب وتعدد الفرق، والموجب لتكفير أمة أختها رغم الوابط الدينية التي تربطها من جهة أخرى، وقد ملأت جانباً عظيماً من كتب التأليف والتصنيف، ونالت حظاً وافراً من البحث والتدريس والجدل عند الفلاسفة والسالكين مسلكتهم قبل الإسلام" (مغنية، ١٩٨٩).

لذلك فإن المساهمة العلمية في موضوع هذه الدراسة يساعد الإنسان على فهم علاقته بجأله ومكانته في الكون، هذا بجانب المساعدة في إزالة بعض الخلافات الفكرية بين المذاهب والفرق الإسلامية حول هذا الموضوع الهام.

الدراسات السابقة:

نظراً لكثرة الدراسات السابقة للإنسان حول هذا الموضوع على اختلاف المذاهب الفكرية والمدارس الفلسفية التي سلك في ضوءها الإنسان فإننا سوف نكتفي بعرض الدراسات والآراء التي تبين بوضوح الآراء كافة حول هذا الموضوع، دون اللجوء إلى الإشارة لكافة الدراسات بهدف الابتعاد عن التكرار الممل.

"يرى الابقوريون أن الإرادة حرة في الاختيار، والإنسان يفعل جميع الأفعال بإرادته واختياره دون إكراه" (كرم، ١٩٨٣).

"يرى الرواقيون أن الإرادة مجبرة على السير في طريق لا يمكنها ان تتعدها والإنسان لا يفعل شيئاً بإرادته، وإنما هو مجبر على فعل أفعاله" (المصدر السابق).

إن هذا الرأي اليوناني المتفاوت حول موضوع الجبر والاختيار عند الإنسان قد أثر بشكل قوي على آراء المسلمين وكتابهم كما سنلاحظ في الأقتباسات التي تمثل آراءهم حول هذا الموضوع.

أما بالنسبة إلى موضوع الجبر فقد ذهب إليه جماعة كبيرة من هذه الأمة، وعلى الأخص المتصوفون وقد أطلق عليها اسم الجبرية، ومنشأ فهم هؤلاء لهذه القضية يعود إلى أناس اختلط عليهم الفهم بين واقع القدر، وبين ما نتج عنه من التسليم به، ونسيان واقع القدر، والاقصار على ما ينتج عنه من التسليم، فمن جراء هذا الاختلاط وعدم التمييز الدقيق بين المعنيين أو الواقعين نشأت الجبرية" (قيس، ١٩٧٩).

وقد أورد الشهرستاني تعريفاً للجبرية والجبر وتوضيحاً أصنافها "الجبر هو نفي الفعل حقيقة عن العبد، وإضافته إلى الرب تعالى، والجبرية أصناف:

١- الجبرية الخالصة هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً.

٢- الجبرية المتوسطة أن تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة" (الشهرستاني، ص ١٠٨).

"إن أول من قال بالجبر معاوية بن أبي سفيان، وقال: كل ما يأتيه من الله بقضائه وخلقه، وإن الله جعلها إماماً وتبعه على ذلك ملوك بن أمية، وذلك كي يكون لهم عذر فيما يفعلونه" (المعني، ص ٤).

"يقول الجبريون، إن الخالق المطلق لله توجب أن لا يكون أحد من الناس خالفاً آخر. فلو قلنا إن الإنسان يوجد عمله، قبلنا خالقية الإنسان. هذه القاعدة مأخوذة من الأصل القائل "لا مؤثر في الوجود إلا الله" أي أنه لا يوجد من يخالفه وإذا اعتبرنا مصداقية هذا القول، فكيف نستطيع القول بأن الإنسان يوجد عمل الله، والإنسان في جميع أعماله مجبور؟ لعل هذا التعليل للأصل مشتق من مفهوم الآية الشريفة "والله خلقكم وما تعملون" (الركابي، ١٩٩٠).

"لقد عالج ابن سينا مشكلة الجبر والاختيار في مواضع متفرقة من كتبه، لكن نظراً لأهميتها فقد خصص لها رسالة هي "رسالة القدر" وفي رسالته يرد على كل شيء يقع من الإنسان او يقع للإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، فهو يقول بالتدبير الإلهي الشامل للكون. وهذا التدبير لا يخرج عنه موجود من الموجودات، فالعالم الذي نحيا فيه عالم محكم أتقن صنعه خالقه، فليس ثمة صدفة او اختيار، بل ضرورة شاملة، فكل شيء يرد إلى المشيئة الإلهية" (عون، مرجع ١٩٨٢).

"وبذلك أصبح الجبريون ينسبون للقدر المعصية مع الطاعة، والقبیح مع الحسن، والشر مع الخير، والرذيلة مع الفضيلة، من غير تمييز ولا إدراك حتى نتج عن ذلك القعود عن عطاء الأعمال، وعدم اقتحام الصعوبات والاستسلام المطلق لكل ما يحدث وما يجري من خير او شر لأنه في نظرهم مقدور لا يقدر على دفعه إلا الله تعالى، فمن هذا المعتقد الخطأ الذي نتج عن سوء الفهم لحقيقة الإيمان بالقدر الذي أمرنا به، فقد جر على الأمة اخطر الولايات وأوقع بلاداً بأسرها بأفطع النكبات" (قنيس، ١٩٧٩).

"لا شك في أن الجبرية .. لها آثارها السيئة الكثيرة: إذ تشل روح الإنسان وإرادته عن أي تأثير. وهي الفكرة التي شددت من عضد الأقوياء الظالمين في نفس الوقت الذي قيدت فيه أيدي الضعفاء والمظلومين، فذلك الإنسان الذي سيطر عليه منصب او ثروة عامة بطرق غير مشروعة يتحدث عن المواهب الإلهية التي اختصه الله بها وغمره بنعمته بعد أن حرم الضعفاء منها وغمرهم في بحر من الآلام والعذاب. وذلك الذي حرم من مثل هذه المواهب لا يسمح لنفسه أن يعترض. وإلا كان ذلك اعتراضاً على (النصيب والقسمة) و (التقدير الإلهي) وهو أمر يتطلب الصبر والرضاء والشكر لا الاعتراض، فالظالم يرفع عنه مسؤولية أعماله بحجة القضاء والقدر، وباعتبار انه -أي الظالم- يد الله ويد الله لا تقبل أي طعن فيما تعمل، وبنفس هذا الدليل يتحمل المظلوم كل أنحاء الظلم لأنه يرى إن كل ما يرد عليه إنما هو -وبصورة مباشرة- من الله. فهو آيس من نتيجة أي مقاومة، وهل يمكن مقاومة القضاء والقدر؟ أم هل يمكن فك قبضة الغيب القوية؟ هذا مع أن ذلك يتنافى والمستوى الأخلاقي للمسلم. إذ هو خلاف صفة الرضا والتسليم" (المطهري، ١٩٧٨).

بينما نجد الرأي المقابل للجبرية يتجسد في اعتقاد المعتزلة حيث قالوا "إن صدور العمل عن الإنسان إما بتأثير قدرته أو أن عمله يصدر دون دخل لقدرة الله، إذ أن إرادة الإنسان للقيام بالعمل لا تحتاج لداعي" (الركابي،

كما أشار الملطي إلى أن القدرية يزعمون أن الحسنات والخير من الله والشر والسيئات من أنفسهم لكي لا ينسبوا إلى الله شيئاً من السيئات والمعاصي " (الملطي، ص ١٢٩).

"قال المعتزلة والإمامية: إن أفعال العبد نوعان: نوع تتعلق به إرادة واختيار كالذهاب والإياب، والكتابة والقراءة، ونوع لا إرادة للعبد فيه ولا اختيار كالتنفس والنمو والحركة الدموية، والإنسان مخير غير مسير في النوع الأول، ومسير غير مخير في النوع الثاني (مغنية، ١٩٧٣).

وقد استدل أصحاب هذا الاتجاه بالأمور التالية: (مغنية، المصدر السابق):

١- كل إنسان يشعر من نفسه انه يؤدي أعماله اليومية باختياره كالذهاب إلى المكتب او الحقل او المصنع او السوق، وما إلى ذلك من الأفعال التي ان شاء فعلها، وان شاء تركها.

٢- لو كنا مكرهين على كل فعل لم يبق فرق بين من أحسن وأساء مع ان الطفل يميز بين من يعطيه الحلوى ومن يؤلمه، وينفر من هذا، ويقرب من ذلك، ولو كانت الأفعال كلها من الله لكانت على نسق واحد لا إساءة فيها ولا إحسان، ولا خير ولا شر.

٣- لو كانت الأفعال صادرة من الله لقبح منه التكليف، ولا نسد باب الأمر والنهي، والثواب والعقاب.

٤- لو لم تكن فاعلين لكان الله ظالماً للعباد، يخلق فيها المعاصي ثم يعاقبهم عليها.

"إن أدلة المعتزلة لا تخرج عن قياس الله تعالى على الإنسان وعن قضايا منطقية ومقدمات ونتائج، وليست أدلة عقلية مبنية على الإدراك مأخوذة من الواقع المحسوس او من دلالات النصوص القرآنية حسب فهم اللغة، فبني رأيهم في مسألة القضاء والقدر على هذا الوجه من الاستدلال، ولهذا كان خطأ لأن ما بني عليه من الأساس كان خطأ وحين جاء خصومهم جعلوا رأي المعتزلة أساساً للرد وليس العقل ولا الكتاب والسنة، ولهذا كان كذلك خطأ وظلوا يجهلاً يدورون في دوامة القضاء والقدر على أساس خاطئ من الاستدلال فكان رأياً خاطئاً " (قنيس، ١٩٧٩).

ومنذ منتصف القرن الأول حين وجد المسلمان الفكريان في هذه المسألة، نهضت جماعة تؤيد حرية الإنسان واختياره فأولت الآيات القرآنية التي تدل على رأيها وعرفت بالقدرية، في حين أيدت أخرى جانب التقدير الغيبي الصارم المتحكم فأولت الآيات القرآنية التي تدعم رأيها وعرفت بالجزيرية" (المطهري، ١٩٧٨).

"إن مسألة أفعال العباد من المسائل الرئيسية في مذهب الأشعري، وفيه أن أفعال العباد مخلوقة لله وليس للإنسان فيها غير اكتسابها؛ إن الفاعل الحقيقي هو الله، وما الإنسان إلا مكتسب للفعل الذي أحدثه الله على يدي هذا الإنسان" (بدوي، مذاهب الإسلاميين، ص ٥٥).

أما رأي المتكلمين من أهل السنة فقد كانت لهم وجهة نظر أخرى حول هذا الموضوع يتضح أبعادها في ردهم على المعتزلة والجزيرية حيث قالوا: إن الله تعالى أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته. لا بقدرة العبد وإرادته، فهذا الاقتران هو الكسب، وقد أيدوا دليلهم العقلي هذا بالآيات القرآنية التي استدلت بها الجزيرية على رأيهم، وزادوا على ذلك ببعض الآيات الأخرى، وعدوا أنفسهم قد ردوا على المعتزلة والجزيرية .. غير أن المتفحص المدقق في آرائهم لا يتعدى أن يقول: إن رأي المتكلمين من أهل السنة متفق معنى ونتيجة مع رأي الجزيرية، ومختلف نطقاً ومسلماً، حتى إن مسألة "الكسب" لم يستطيعوا أن ينجحوا في التذليل عليها، فلا هي جارية على طريق العقل، إذ ليس لها برهان عقلي، ولا على طريق النقل، إذ ليس عليها دليل شرعي صريح، وإنما هي محاولة -لا فائدة فيها- لتحقيق موقف بين رأي المعتزلة ورأي الجزيرية" (قنيس، ١٩٧٩).

ومعنى الكسب عند الأشاعرة إن للإنسان قدرة على الفعل من دون شك، إذ نرى بالوجدان والعيان فرقاً بين المتكلم والأحرس، ولكن توجد إلى جانب قدرة الإنسان هذه قدرة الله سبحانه وتعالى، لأنه قادر على كل مقدور، وبما أنه لا يجتمع قادران على مقدور واحد فلا بد أن يستند الفعل إلى إحدى القدرتين: إما إلى قدرة الله وحدها وإما قدرة العبد وحدها، ولما كانت قدرة الله أقدم وأعم وأقوى أسند إليها الفعل، وإسناد الفعل إلى قدرة الله لا يستلزم انتفاء قدرة العبد عليه، بل هي موجودة ومقارنة لقدرة تعالى، وهذا الاقتران بالذات يقال له الكسب، وبه يصح التكليف والثواب والعقاب، والمدح والذم، وبه ينزه الله عن الظلم، لأن قدرة العبد على الفعل متحققة في نفس الأمر والواقع" (مغنية، ١٩٧٣).

واستدل الأشاعرة على نظرية الكسب هذه بالأمور التالية:

١- إن فعل العبد مقدور لله، لأن قدرته تشمل كل شيء، وكل مقدور لله فهو خالقه، ينتج أن الله خلق فعل العبد.

٢- لو كان العبد فاعلاً مختاراً لكان شريكاً مع الله وهو محال.

٣- إن الله يعلم وقوع الفعل من العبد، وعلمه لا ينفك عن المعلوم وإلا لزم انقلاب علمه جهلاً وهو محال" (مغنية، ١٩٧٣).

وهناك رأي آخر حول الموضوع وهو الرأي الذي سارت عليه الإمامية حيث لا جبر ولا تفويض ولكن الأمر بين الأمرين فيقولون إن أئمة الهدى عليهم السلام قد كشفوا لنا عن وجه الحق واهتدينا بكلامهم إلى الحقيقة التي يستصوبها العقل، وهو حاكم بفساد الجبر والتفويض بالمعنى الذي نذكره لهاتين اللفظتين، وصحة الأمر بين الأمرين، وقد استفاضت الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنهم قالوا: "لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين".

ونعني بالأمر بين الأمرين إن الله تعالى أقدر الخلق على أعمالهم ومكنهم من أفعالهم، فهم يملكون الاستطاعة لكن هو المملك، ثم أمرهم بالخير، ونهاهم عن الشر، ووعدهم بالثواب

على الأول، والعقاب على الثاني، فإذا فعل العبد الخير والطاعة فيسند هذا الفعل إلى الله تعالى، لأن العبد فعله بالقدرة التي ملكها من خالقه، ولأنه قد رضي وأمره به، وينسب أيضاً إلى العبد لأنه قد اختار الخير مع قدرته على الشر.

وأما إذا اختار فعل الشر وأتى به العبد فإنه وإن فعله بالقدرة من الله تعالى إلا أنه مع ذلك لا ينسب الشر إلى الله، بل هو مستند إلى العبد وحده والله الحجة عليه، حيث أنه لم يرض بفعل الشر، بل نهاه عنه، فالخير من الله تعالى لرضاه به وإقدار العبد عليه، حيث أقدره على الخير والله الحجة لو فعل العبد الشر، لعدم الرضى (مغنية، المصدر السابق).

إن من أبرز الأدلة التي استدلو بها على هذا الرأي ما روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لما انصرف من صفين قام إليه شيخ ممن شهد الواقعة معه، فقال يا أمير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا هذا أبقضاء من الله وقدر، فقال له أمير المؤمنين: (أجل يا شيخ فوالله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر)، فقال الشيخ: عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين فقال: "مهلاً يا شيخ لعلك تظن قضاء حتماً وقدرًا لازماً لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعد والوعيد، ولم تكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمودة، وكان المحسن أولى باللائمة من المذنب والمذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان خصوصاً الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها، يا شيخ إن الله كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكروهاً ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار" (الطباطبائي، ١٩٧٢).

"إن الخلاف الذي دار حول حرية الإنسان قد لبس ثوباً فلسفياً بين الأطراف المتنازعة، في الوقت الذي كان كل طرف يتمسك بآيات الكتاب، ويسوقها مساق التأييد لرأيه... ولا شك أن هذا ينتهي -في كل ناحية- إلى تحميل آيات الكتاب ما لا تحتل من المعاني التي يناقض بعضها بعضاً، كل يتعلق بكتاب الله، ويتمسح بآياته ليقيم رأيه حجة ويقدم لمذهبه سنداً" (فروخ، ١٩٧٢).

إن ظاهر الآيات الكريمة يدفع حيناً إلى اعتبار أن الإنسان حر ومسؤول عن حريته هذه وحيناً توحى بعض الآيات بأن الإنسان لا حول له فيما يقع عليه، إن متابعة دقيقة وشاملة لآيات القرآن الكريم تؤكد أن عدداً كبيراً من الآيات تدل على حرية الإنسان وأنه يختار الفعل الذي يقوم به ويتحمل مسؤوليته، وتؤلف هذه الآيات نسبة كبيرة قياساً للآيات التي ظاهرها يوحي بالجبر" (السامرائي، ١٩٨٣).

يرى الكاتب نبيل حمدي في كتابه "هل الإنسان مسير أو مخير؟" "إن العبد إذا عقد العزم على الإتيان بالأعمال الصالحة أو الشريرة بكامل حريته واختياره ويسره الله لذلك، وأذن بأن يحدث هذا في ملكه كان هذا التيسير والإذن من الله إيداناً بأن تخلق الأعمال في ذلك الوقت بعينه وهو وقت إقبال العبد على الإتيان بتلك

الإعمال .. إن الله عز وجل قد علم ما سيختاره العبد من الأعمال قبل أن يخلقه فقد ر له أعماله حتى إذا جاء وقت التنفيذ كانت تلك الأعمال من خلق الله ولكنها باختيار العبد" (حمدي، ١٩٧٨).

لقد تبين بوضوح وجلاء من خلال عرضنا للآراء السابقة أن هناك أربعة آراء حول موضوع الدراسة وهي: القول بالجبر، والقول بحرية الاختيار على الطريقة القدرية، والاعتقاد برفض الجبر والتفويض والقبول بالأمر بين أمرين، وفكرة الكسب الأشعرية، وجميع أدياء هذه الآراء استدلو على ما ذهبوا إليه عن طريق الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة وقول أئمة الهدى من آل البيت النبوي الطاهر، وأقوال صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفعالهم.

هدف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح العلاقة بين المشيئة الإلهية وحرية الإنسان في التوجه نحو الخير أو الشر والأعمال التي يعكسها هذا التوجه على سلوكه.

أسئلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة أن تجيب عن الأسئلة التالية:

١ هل الإنسان يسعى نحو الخير وفعله مسيراً أم مخيراً؟

٢ هل الإنسان يسعى نحو الشر وفعله مسيراً أم مخيراً؟

٣- ما هي العلاقة بين علم الله بأفعال الإنسان قبل وقوعها وحرية الإنسان في عملها؟

٤- ما هي العلاقة بين علم الله سبحانه وتعالى وتقديره للأمر في ملكوته؟

محددات الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على توضيح حرية الإنسان في سعيه نحو الخير والشر، وعلاقة هذه الحرية بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وجميع ما يذكر من مصطلحات وموضوعات أخرى هو بهدف التوضيح لهدف الدراسة فقط.

المشيئة الإلهية:

يجدر بنا قبل تناول موضوع المشيئة الإلهية أن نشير إلى الأخطاء التي وقع بها الإنسان عندما حاول أن يعي القضايا الغيبية ويتفحص ماهيتها عن طريق قدراته الذاتية مما جعله يأتي بالشيء ونقيضه في الوقت نفسه وحول نفس الموضوع، مما أدى إلى ظهور المدارس الفكرية والمذاهب المتعددة، وما عكسته من آثار واسعة النطاق على الإنسان وأنماطه

السلوكية في الحياة الدنيا وما ستؤول إليه مصائرهم في الحياة الآخرة، ومن أبرز الأخطاء التي وقع بها الإنسان أولاً: أن الإنسان أقحم عقله في القضايا المتصلة بعالم الغيب مع أنها خارجة عن قدرات الإنسان العقلية.

وثاني هذه الأخطاء: أن الإنسان لم يميز بين قدراته المحدودة وقدرات الله سبحانه وتعالى المطلقة، فهو يحاول بقدراته المحدودة أن يعي القوة المطلقة وما تمتاز به من علم، وإرادة، وخلق ومشية، وعدل .. إلى غيرها من الصفات الإلهية، وثالثها: حكم الإنسان على الأمور الغيبية من خلال نظريته الخاصة للمنفعة، والخير والشر معتمداً على خلفيته المحدودة عن الوجود وأساره، ورابعها: إخضاع القضايا الغيبية وما يتصل بها من أسرار إلى المقاييس الإنسانية متناسياً الهوة الهائلة بين علم الخالق وعلم المخلوق، وخامسها: أن الإنسان حاول إخضاع الآيات القرآنية إلى الأفكار الفلسفية بالرغم من أن أقطاب هذه الأفكار يعتقدون ان القدرات الإنسانية لا تعجز عن الوصول إلى مكونات الأمور الغيبية، مما أدى الى سوء فهم آيات القرآن الحكيم، وسادسها: إن الإنسان حاول أن يفهم الآيات القرآنية بمعزل عن بعضها بعضاً مما أدى إلى ظهور التناقض والازدواجية في فهم النصوص القرآنية، وسابعها: ظهور روح المذهبية عند بعض الناس مما جعلهم ينشدون الى مذهبهم وما يفيدونه من آراء دون محاولة الاستفادة من الطرف الآخر، بل كان همهم الدفاع عما لديهم من أفكار، وإظهار الشغب والمفتريات على الطرف الآخر، وأخيراً دور قسم من الناس في تشويه الإسلام عن طريق التأويل والتحريف بهدف إثارة الفوضى والخلاف في صفوف الجمع الرسالي الواحد.

لقد أشار الشيخ الركابي في حديثه عن المشيئة والاختيار إلى: "ان تقسيم الإرادة إلى تكوينية وتشريعية يجري ذاته في مسألة المشيئة، وقد ذكرا في القرآن بشكل بين، ولذلك لا يرى بعض الفلاسفة والمتكلمين أي تفاوت بين مسألة الإرادة والمشيئة، وحتى بعض الكتب اللغوية والأدبية لا تفرق بينهما، ولكن الصحيح أن بينهما فرقاً، وذلك أننا في مسألة الإرادة قلنا لها مراتب قوية وضعيفة. في حين لا يوجد في المشيئة تلك المراتب وهي تشبه التصميم الذي يأتي بعد الإرادة، وعلى أي اعتبار فإن المشيئة وردت في القرآن في "٢٠٠ مورد" وهذه الموارد تقسم إلى طوائف متعددة منها ما يلي:

الطائفة الأولى: الآيات التي تصرح بأن الأشياء توجد بمشيئة الله تعالى ..

الطائفة الثانية: الآيات التي تحكي عن الضلالة ... **والطائفة الثالثة:** الآيات التي تأتي في مقام بيان سلطة الله المطلقة .. **والطائفة الرابعة:** الآيات التي تربط العمل بمشيئة الله ... **والطائفة الخامسة:** بعض الآيات التي تبين الاختلاف في عالم الطبيعة ... **والطائفة السادسة:** الآيات التي تبين مشيئة الله في حكمه .. **والطائفة السابعة:**

الآيات التي تذهب إلى أن الله إذا أراد هدى وإن لم يرد أضل، كقوله تعالى: (قل الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) والطائفة الثامنة والأخيرة: الآيات التي تربط مشيئة الإنسان بمشيئة الله، كقوله تعالى: (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً وما تشاؤون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً) (الركابي، ١٩٩٠).

إن الإنسان المتأمل لجميع الآيات القرآنية الحكيمة التي لها علاقة بالمشيئة الإلهية أو بالمشيئة الإنسانية يجد أن هناك مفهوماً أسليماً يجمع بين هذه الآيات جميعاً، ألا وهو أن كل ما يجري في ملكوت الله سبحانه وتعالى يحدث داخل حدود المشيئة الإلهية، ويبدو ذلك واضحاً جلياً إذا ما عرفنا أن الخلود في الجنة والنار إلا ما شاء الله، ويوم ينفخ في الصور يصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله. وإن شاء الله لفاعلون أو لمهتدون، والله يضاعف لمن يشاء، ولا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء وفضله يؤتاه لمن يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، والله يفعل ما يشاء ويقدر في الأرحام ما يشاء ويختار من يشاء من عبادة لتبليغ رسالته للناس، ويورث الأرض لمن يشاء من عباده ويصورنا في الأرحام كيف يشاء، ويؤتي الحكمة لمن يشاء، ويؤتي ملكه لمن يشاء، هذا بجانب أن الحق سبحانه وتعالى لو شاء لمنع حدوث بعض الأمور التي تجري في ملكوته ولكنه سبحانه وتعالى عما يصفون شاء أن يسمح لتلك الأحداث أن تكون في ملكوته وجميعها داخل حدود مشيئته ويبدو ذلك ساطعاً جلياً فيما تقيده الآيات القرآنية من معان واضحة حيث لو شاء الله لذهب بسمعهم، ولو شاء لجعل الماء أجاجاً والزرع حطاماً، ولو شاء لاستبدلنا بقوم آخرين، ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولو شاء يجعل منا نحن البشر ملائكة، ولو شاء الله لجعلنا أمة واحدة، ولو شاء لآتى كل نفس هداها، ولو شاء لطمس على أعينهم، لو شاء الله ما فعلوه، ولو شاء الله ما أشركوا .. والى غيرها من الأمور التي لو شاء الله سبحانه وتعالى لما حدثت والآيات الثلاث التالية تدل بوضوح على ما ذكرنا.

قال تعالى:

إِنْ نَشَأْ نُزَلِّ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ [سورة الشعراء، آية ٤]

قال تعالى:

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ

[سورة الفرقان، آية ٤٥]

دَلِيلًا ﴿٤٥﴾

قال تعالى

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كَلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا

[سورة يونس، آية ٩٩]

مُؤْمِنِينَ

والتوع الثالث والأخير من الآيات القرآنية الحكيمة التي تربط مشيئة الإنسان بمشيئة الحق سبحانه وتعالى لتقرر بوضوح إن إرادة الإنسان ومشيتته في كافة ظروفها واختياراتها تجري ضمن المشيئة الإلهية، وهذا هو النوع من الآيات الذي كان مثار الخلاف والالتباس عند قسم كبير من الناس، وسوف نقوم بتوضيح هذه الآيات القرآنية عندما نتناول موضوع الإنسان وحرية الاختيار في الصفحات القادمة بهدف منع التكرار الممل، لقد شاء الله الحق سبحانه وتعالى أن يعطي الإنسان حرية الاختيار بين الخير والشر، وهذا ما سنقوم بتوضيحه ان شاء الله في هذه الدراسة.

علم الله:

إن العلم الأزلي الإلهي ليس منفصلاً عن السببي والمسببي في العالم، إن العلم الإلهي علم بالنظام وما يقتضيه العلم الإلهي هو هذا العالم مع هذه الأنظمة فالعلم الإلهي مباشرة وبلا واسطة لا يتعلق بوقوع حادثة ولا بعدم وقوعها؛ وإنما يتعلق العلم الإلهي بالحادثة من علتها وفاعلها الخاص وليس تعلقه بما بشكل مطلق غير مرتبط بأسبابها وعللها، وإن العلة والأسباب متفاوتة، فبعضها عليته وفعاليتها طبيعية وبعضها عليته شعورية، وبعضها مجبر قاهر والآخر مختار، وما يوجبه العلم الإلهي الأزلي هو صدور أثر الفاعل الطبيعي من الفاعل الطبيعي، وأثر الفاعل الشعوري من الفاعل الشعوري، وأثر الفاعل المجبور من الفاعل المجبور، وأثر الفاعل المختار من الفاعل المختار، ولا يقتضي العلم الإلهي أن يصدر أثر الفاعل المختار من ذل الفاعل قهراً وجبراً، ... فإن العلم الأزلي الإلهي علم بالنظام أي بصدور المعلومات من عللها الخاصة بها، ولما كانت العلة متفاوتة في النظام العيني الخارجي فأحداها طبيعية والأخرى شعورية، وإحداها مختارة والأخرى مجبورة، فإن النظام العلمي على هذا الأساس هو بمعنى أن كل فاعل موجود في العالم العلمي كما هو موجود في العالم العيني الخارجي، والعلم الإلهي الذي يتعلق بصدور أثر من فاعل، هو بمعنى انه تعلق بصدور أثر الفاعل المختار من الفاعل المختار، وبصدور أثر الفاعل المجبور من الفاعل المجبور. وما يقتضيه العلم الإلهي ويوجبه هو صدور فعل الفاعل من الفاعل المختار وفعل الفاعل المجبور من الفاعل المجبور، لأن العلم الإلهي يوجب أن يكون الفاعل المختار مجبوراً أو الفاعل المجبور مختاراً" (المطهري، ١٩٧٨).

يرى الشيخ الركابي أن علم الله لا يكون علة في صدور العمل، وذلك لان انكشاف الواقعيات لله هي نفس العلم لا الرغبة في العمل، ولأن الأعمال التي يكون الله عالماً بها لا تقوم بها، إذ لا اثر طبيعي وواقعي لها، وذلك لأن كشف الحوادث وسائر الموجودات يقع في علم الله، وهذا شبيه بالمرآة التي لا تعكس صورتها" (الركابي،

١٩٩٠).

"استدل بعض الجبريين بعلم الله قائلين إن الله يعلم حركاتنا وسكناتنا وهذا يجعل الأمر يدور بين اثنين؛ إما أن نكون مجبورين، أو أن علم الله يتبدل جهلاً" (المرجع السابق).

"إن ما من شيء في هذا الوجود إلا قدره الله تعالى وعلمه فلا يقع شيء من الإنسان أو عليه من خير أو شر إلا كما علم الله تعالى ذلك أولاً .. وإذا كان الله تعالى عالماً بكل شيء في الازل، ومقدراً لكل ما سيجري مستقبلاً في اللوح المحفوظ؛ فإن ذلك لا يجوز ان يلاحظ في أمور الحياة ولا في تصرفات الناس، ولا في أي عمل يقدم عليه بشر، وإنما يلاحظ في ذلك على أساس مفهوم ما أحله الله أو حرمه في شرعه ودينه، ونحن لم نؤمن إلا بذلك .. إما أن نتصور كل فعل شراً كان أم خيراً على أنه مقدور لله تعالى ولا مرد له إلا هو؛ فان هذا من سوء الاعتقاد .. وفساد الرأي ... وانحلال العزم ... عدا انه ليس من الإسلام في شيء (قبس، ١٩٧٩).

إن جميع الآراء السابقة تشير بوضوح إلى أن الحق سبحانه وتعالى يعلم علم اليقين بجميع ما يجري في ملكوته، وإذا ما تأملنا الآيات القرآنية الحكيمة التالية فإننا سوف نصل إلى نفس اليقين وهو أن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء يحدث في ملكوته:

قال تعالى:

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

[سورة آل عمران، آية ٢٩]

وقال تعالى:

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

[سورة الطلاق، آية ١٢]

وقال تعالى:

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

[سورة الأنعام، آية ٥٩]

وقال تعالى:

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿٧٨﴾

[سورة التوبة، آية ٧٨]

وقال تعالى:

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ [سورة طه، آية ١١٠]

واضح من الآيات الكريمة السابقة أن الله سبحانه وتعالى لا يعزب عنه شيء في كل ما يجري في ملكوته وما يتصل بجميع مخلوقاته، وقد صور هذا العلم بطريقة يسهل تخيلها وفهمها حيث قال عز من قائل:

قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ

[سورة الكهف، آية ١٠٩]

مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

قال تعالى:

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ [سورة لقمان، آية ٢٧]

كما أن الحق سبحانه وتعالى أطلعنا على حقيقة هامة مفادها انه سبحانه وتعالى قد اطلع الإنسان على جزء من علمه ليتناسب مع دور الإنسان في هذا الوجود.

قال تعالى:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

[سورة الإسراء، آية ٨٥]

لقد حاول الإنسان بعلمه القليل أن يعي ويحلل ويدقق في علم الله الذي لا يحده حدود فأوقع نفسه في المتناقضات التي لا يجمع بينها إلا الجاهل بحقيقة الأشياء ومكوناتها، وهذا ما فعله الإنسان عندما أراد أن يخضع علم سبحانه وتعالى إلى علمه البسيط وخلفيته حول الأشياء المحسوسة بالنسبة له، لذلك فإن الحق سبحانه وتعالى وجه خطاباً لهذا الإنسان بهذا الخصوص حيث يقول سبحانه وتعالى:

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ

[سورة الإسراء، آية ٣٦]

مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

فالحق سبحانه وتعالى يعلم ما يجري في ملكوته حيث لا يخفى عليه شيء كما انه لا يفاجأ في شيء فهو علام الغيوب، يعلم الأمور قبل وقوعها من أصحابها، كيف لا، وهو علام الغيوب والخالق لكل المخلوقات، وكل شيء يجري في ملكوته وفق مشيئته؟ فعلم الخالق سبحانه وتعالى لأفعال مخلوقاته قبل أن تصدر عنهم يدل فقط على قدرة الله سبحانه وتعالى وعلمه اللامتناهي، بينما الإنسان فانه يسعى نحو الشر وطرقه ونحو الخير وطرقه وما يتصل بهما من أفعال وأنماط سلوكية بناء على ما يختاره الإنسان بملء إرادته، لأن الإنسان لا يعلم ما يعلمه الخالق سبحانه وتعالى مرفعاً الإنسان المتصلة بالخير والشر، وأود أن أسوق مثلاً لأقرّب الصورة إلى ذهن القارئ العزيز، عندما ينتهي أستاذ الجامعة من إلقاء محاضراته ويطلب من الطلبة الانصراف من القاعة، فإذا كان الأستاذ يعلم تمام المعرفة إلى أين سيذهب كل طالب بعد الخروج من قاعة الدراسة، فهل هذا يدل على أن الأستاذ أجبرهم على الذهاب إلى الأماكن التي قصدوها، ام يدل على علم الأستاذ بحدوث أعمال طلبته قبل حدوثها، على هذا الأساس فان الحق سبحانه وتعالى لم يفاجأ بعدم سجود ابليس عندما أمره بالسجود لسيدنا آدم، كما انه لم يفاجأ بوقوع سيدنا آدم وحواء في الشرك الذي نصبه لهما إبليس عن طريق أحابله وتسويلاته لهما وهما في الجنة كما أنه لم يفاجأ بعدم إيمان أبي لهب وزوجته، هذا بجانب علمه التام بأن قوم سيدنا نوح لن يؤمن منهم إلا من قد آمن، وأيضاً لم يفاجأ بهزيمة الروم وأنهم سوف يغلبون في بضع سنين.

إن كل هذه الأمور وغيرها معلومة إلى الله، علام الغيوب قبل صدورها من مصادرها المباشرة، لذلك فان العلم الإلهي الأزلي سواء أكان بالنظم، أي بصدور المعلومات من عللها الخاصة بها أم بجميع ما يحدث من المخلوقات من أعمال وأفعال مباشرة، فإن الإنسان يسعى نحوها ويقوم بها بملء إرادته بالرغم من علم الله الدقيق لنتى هذه الأفعال والأعمال الصادرة من البشر، لقد ظن الجبريون إن علم الله سبحانه وتعالى للأشياء قبل حدوثها ينعكس على حرية الإنسان، فمن هنا رفعوا لواء الجبرية. أما بالنسبة إلى علاقة علم الله سبحانه وتعالى بتقديره لكل ما يجري في ملكوته، أي علاقة علم الله سبحانه وتعالى بالقضاء والقدر، فان الحق سبحانه وتعالى يقدر كل ما يجري في ملكوته بناء على علمه الدقيق بجميع ما يحدث وسوف يحدث في ملكوته.

فالحق يشير إلى أن العلم يسبق القدر فيقدر الله سبحانه وتعالى كل ما يريد بناء على علمه الذي يصعب علينا نحن البشر الإحاطة به، لأن المقيد لا يستطيع أن يلم بالمطلق، ولا يستطيع المخلوق أن يحيط بكل شيء يتصل بخالقه، وإلا عكست الصورة فاصبح المقيد مطلقاً والخالق مخلوقاً، فهذا فيه افتئات كبير على الحق والحقيقة، أن حقيقة ما ذكر في السطور السابقة يكمن في الأدلة القرآنية التالية:

قال تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾

[سورة البقرة، آية ٣٠]

يبدو بوضوح قول الحق سبحانه وتعالى وردة على الملائكة بأنه يعلم ما لا تعلم الملائكة، فهذا يدل على أن هذا القرار، وهذا التقرير بني على علم الله الذي لا تعرفه الملائكة، هذا بجانب أن الحق سبحانه وتعالى بعلمه الدقيق عرف مسبقاً أن إبليس لن يسجد لآدم بالرغم من طلب الحق سبحانه وتعالى منه ذلك، وان إبليس لن يطلب التوبة والإتابة إلى خالقه، بل انه سوف يطلب أن يكون من المنظرين لثأر لنفسه من آدم وذريته عن طريق الأغواء وتزيين الشهوات، كما أن الحق سبحانه وتعالى يعلم علم اليقين أن آدم سوف يعصي أمره ويتبع تسويلات إبليس وأحاييله ليكون سبباً في إخراجهم من الجنة، بناء على هذا العلم للأشياء قبل وقوعها من إبليس وآدم وحواء قرر المولى عز وجل أن يجعل الإنسان خليفة في الأرض، أما بالنسبة إلى طلب الباري عز وجل من إبليس السجود لآدم فيبدو واضحاً جلياً في الآية الحكيمة التالية:

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٣١﴾

[سورة الأعراف، الآيتان ١١-١٢]

أما بالنسبة إلى تبليغ الحق سبحانه وتعالى لسيدنا آدم بعداوة إبليس وتحذيره منه فيبدو واضحاً بنقاء في قوله عز من قائل:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾

[سورة طه، الآيتان ١١٦-١١٧]

وعلى هذا الأساس فإن الحق سبحانه وتعالى قدر جميع ما يجري في ملكوته بناء على علمه الأزلي، وهذا هو الفارق الجذري بين الخالق لكل شيء وبين أحد مخلوقاته وهو الإنسان الذي يصير ان يستوعب ويعي الذات الإلهية وكل ما يتصل بها من قدرة وإرادة وعلم، وهذا هو مبعث التخبط والتناقض، والانحطاط الفكري. لأن استيعاب المقيد للمطلق يعني تشويه وتحطيم معالم القوة المطلقة لكي يتم استيعابها من القوة المقيدة، وزيادة في إيضاح علاقة العلم بالقدر فإنني أود أن اضرب مثلاً في كيفية تقدير الحق سبحانه وتعالى للأمور بناء على علمه، أن الحق سبحانه وتعالى يعلم مسبقاً بأن فلاناً من الناس يقوم بعملية القتل بملء إرادته فيجعل الله سبحانه وتعالى هذا العمل سبباً في نهاية المقتول، مثلما رفض إبليس بملء إرادته السجود لسيدنا آدم، واتباع آدم وزوجه لتسويلات إبليس بإرادة حرة.

الإنسان وحرية الاختيار:

يقرر الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه شفاء العليل في الباب التاسع والعشرين:

إن الإنسان يعيش في هذا الوجود بين قضاءين: كوني وشرعي، فيقول: "فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه، وما كان من ديني فهو متعلق بالآهية وشرعه، وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر، فالخلق: قضاؤه وقدره وفعله، والأمر: شرعه ودينه، فهو الذي خلق وشرع وأمر، وأحكامه جارية على خلقه قادراً وشرعاً ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري، وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق، والأمران غير متلازمين، فقد يقضى ويقدر مالا يأمر به ولا يشرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره، ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عباده وإيمانهم، وينتفي الأمران فيما يقع المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي فيما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي، إذا عرف ذلك فالقضاء في كتاب الله نوعان: كوني قدري، كقوله تعالى: (فلما قضينا عليه الموت) وقوله سبحانه وتعالى: (وقضى بك ألا تعبدوا إلا إياه) أي: أمر وشرع، ولو كان قضاءً كونياً لما عبد غير الله" (فيس، ١٩٧٩).

الإنسان في نظام الوجود .. يملك نوعاً من الحرية والاختيار وله إمكانيات في فعالياته وتلك الإمكانيات ليست متوفرة للموجودات الأخرى حتى للحيوانات. ولأن النظام العيني يستمد وجوده من النظام العلمي، وان منبع العالم الكياني هو العالم الرباني: فان العلم الأزلي المتعلق بأفعال الإنسان وأعماله هو بمعنى انه يعلم من الأزل: من هو الذي سوف يطبع باختياره وحرية ومن هو العاصي كذلك، والذي يوجبه ذلك العلم ويقتضيه هو أن يطبع ذلك المطبع بإرادته وأن يعصي ذلك العاصي بإرادته. وهذا هو معنى قول أولئك القائلين بأن "الإنسان مختار بالإجبار" فلا يمكنه ان لا يكون مختاراً، فليس للعلم الأزلي أي دخل في سلب الحرية والاختيار ممن قرر له في النظام العلمي والنظام العيني أن يكون مختاراً وليس له أي دخل في سلب الحرية والاختيار الإنسانية بأن يجبره على الطاعة والمعصية" (المطهري، ١٩٧٩).

"ان الإنسان خلق مختاراً حراً، بمعنى انه أعطي فكراً وإرادة، فليس الإنسان في أعماله كالحجر تدحرجه فيتدحرج ويسقط متأثراً بمجاذبية الأرض دون أن تكون له أية إرادة، او كالنبات ليس له إلا طريق واحد، فبمجرد توافر شروط معينة ينمو بالشكل المعتاد، أو كالحيوان الذي يؤدي أعماله بتأثير غريزي، كلا أن الإنسان يجد نفسه دائماً على مفترق طرق ليختار منها أيها شاء بملاء حريته ووفق مشيئته ونوعية تفكيره، وليس مجبوراً على سلوك أحدها لا غير، وإنما الذي يعين أحد الطرق هو أسلوب فكره واختياره، وهنا تبرز مقومات الشخصية والصفات الأخلاقية والروحية، والمسبقات التربوية والوراثية، والمقاييس العقلية والنظرات البعيدة للإنسان، فيعلم إلى أي حد يرتبط المستقبل السعيد أو الشقي بتلك العوامل وبالتالي بالطريق الذي يختاره بنفسه" (المطهري، المرجع السابق).

لقد ثبت بالدليل القاطع أن الإنسان يعيش في هذه الحياة ضمن دائرتين اثنتين لا ثالث لهما، أما الدائرة الأولى، فهي التي تنفذ فيها إرادة الله تبارك وتعالى ومشيتته الكونية التي لا راد لها إلا هو سبحانه، وفيها جعل الإنسان يسير بحسبها وعلى مقتضاها سيراً مجبراً لا إرادة له فيها ولا اختيار .. وأما الدائرة الثانية: فهي التي تنفذ فيها إرادته ومشيتته الشرعية، وفيها جعل الله تعالى الإنسان يسير فيها سيراً اختيارياً بحيث لا مكره له فيها ولا مجبر، فما كان من إرادته ومشيتته الكونية فلا خروج لأحد عنها. وما كان من إرادته ومشيتته الشرعية فإنه سبحانه يطاع فيها ويعصى، فالأحوال والأفعال التي تحصل مع الإنسان أو منه ضمن الدائرة التي تسيطر عليها، فإنه ليس له شأن بوجودها، وهي قسمان: قسم يقتضيه نظام الكون والحياة مباشرة، وقسم لا يقتضيه ذلك مباشرة، أما ما يقتضيه نظام الكون والحياة مباشرة، فهو الذي يجعل الإنسان خاضعاً له، ويسير على مقتضاه سيراً جبرياً، لأنه يسير وفق نظام لا قدرة ولا طاقة له في مخالفته أو الخروج عنه فحياته ووجوده مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بذلك النظام، فقد أتى إلى هذه الحياة على غير إرادة منه، وسيذهب عنها على غير إرادة منه أيضاً، وهو لا شأن له بشكل جسمه من حيث اللون أو الطول أو القصر أو الجمال أو عدمه، كما لا دخل له بكونه ذكراً أنثى، فهو في كل ذلك وأشباهه مٌسير لا مخير، وذلك لأن الله تبارك وتعالى جعل هذا وأمثاله خاضعاً لإرادته ومشيتته الكونية التي تتمثل في نظام الكون والحياة .. فنحن نرى الإنسان ضمن هذه الدائرة الثانية التي تسيطر عليها الإنسان فإنها الحالات التي يقوم بأفعاله فيها بكامل إرادته واختياره ورضاه. وذلك لأن الإنسان كائن بشري عاقل مدرك مفكر، ينطلق في كل تصرف يتصرفه، وفي كل عمل يعمل لإشباع غرائزه وحاجاته العضوية، ومن خلال تفكيره وإدراكه، ويدافع من إرادته التي فطره الله عليها وبهذه الإرادة التي يتمتع بها كل إنسان يتحقق له فيها الاختيار بين الأبدال، فهو إن شاء أن يشبع حاجاته العضوية من مأكّل ومشرب وملبس وغير ذلك من مال حلال طيب، أو من حرام خبيث، فإنه لا مجبر له على شيء من ذلك" (فنبس، ١٩٧٩).

بعد أن أشرنا إلى بعض الآراء التي تشير إلى حرية الإنسان في الكون، وصلة تلك العلاقة بمشيئة الله

سبحانه وتعالى لا بد لنا من أن نوضح حرية الإنسان واختياره في هذا الكون في ضوء ما أخبرنا به الحق سبحانه

وتعالى عن طريق أنبيائه وكتبه ومرسله بالرغم من وضوح الدلالات الساطعة وثبوت الحجج القاطعة على صحة ذلك، إذ يعد وجود الكتب السماوية ومهمة الأنبياء والرسل من الدلالات الأولية على تمتع الإنسان بحرية الاختيار، ان وجود القرآن الكريم بكل ما يحتوي من آيات حكيمة تدل على حرية الاختيار، ولكننا سوف نوضح حرية الإنسان في الاختيار، بين الخير والشر بين الحق والباطل بين الانضواء تحت مراية حزب الله أم الانضواء تحت مراية إبليس من خلال طرحنا لعدة مسائل أساسية وهي:

المسألة الأولى:

لقد خلق الحق سبحانه وتعالى جميع المخلوقات سواء أكانت حيوانية أم نباتية أم من الجمادات أم من الملائكة ام من المخلوقات التي لا نعرف خلقها جميعاً طائفة لعبادته تكويناً خلا الإنسان والجن فانه خلقهما سبحانه وتعالى لعبادته تشريعاً وليس تكويناً، ونعني بكلمة تكوين، أي أن من طبيعة المخلوق الذي خلق على الطاعة التكوينية أن يكون طائعاً إذ انه لا يقوى ولا يستطيع إلا أن يكون طائعاً فقط. أما المخلوق الذي خلق تشريعاً لعبادة الله فان الحق سبحانه وتعالى أودع فيه قدرات، وطاقت، وملكات تجعله إما أن يتبع الشرع المرسل إليه فيعبد الله. وإما أن لا يتبع الشرع الذي أرسل إليه فيعصي أوامر الحق سبحانه وتعالى ويبدو ذلك ساطعاً مشرقاً في قوله عز من قائل:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

[سورة الذاريات، الآيات ٥٦-٥٧]

يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾

ونحن نعلم جميعاً أن إبليس وهو اصل الجن عنده من القدرات التي شاء الحق سبحانه وتعالى أن يجسدها فيه على أن يرفض أمر الله سبحانه وتعالى ويبدو بوضوح في قوله تعالى:

وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ

يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ

[سورة الأعراف، آية ١١-١٢]

وَخَلَقْتُهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾

أما بالنسبة إلى قدرة الإنسان على طاعة الله وعلى عدم طاعته التي شاء الحق سبحانه وتعالى أن يجسدها في الإنسان فتبدو واضحة جلية في قوله عز من قائل:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٧٠﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٧١﴾ إِنَّ لَكَ الْأَلْجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٧٢﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١٧٣﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَآبَدٍ ﴿١٧٤﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٧٥﴾

[سورة طه، الآيات ١١٦-١٢١]

واضح من الآيات السابقة أن الجن والإنس عندهما القدرة التي جسدها الباري عز وجل فيهما على الإقبال على طاعة الله أو الأدبار عنها، ولو خلقا تكويناً للطاعة كبقية المخلوقات الأخرى لما كان في استطاعتهم أن يعصيا أمر الحق سبحانه وتعالى ولكنه شاء لهما أن يفعلا ذلك، فهما يقومان بجميع الأمور المتصلة بجانب الطاعة أو عدمها في ضوء حريتهما داخل حدود مشيئته إذ سمح لهما بذلك.

المسألة الثانية:

تنشأ هذه المسألة من المسألة الأولى إذ أن الخلق التشريعي للطاعة التي خلق عليها الإنس والجن يقتضي من الحق سبحانه وتعالى أن يبين لهما معالم الطريق القويم لكي يمارسا حرية الاختيار التي وهبها لهما عن طريق رسله تعالت وجلت قدرته، ويظهر ذلك بجلاء في قوله عز وجل:

يَمَعَّشَرَ الْبَشَرَ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْقَهُونَ عَلَيْكُمْ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

[سورة الأنعام، آية ١٣٠]

كفريين ﴿١٣٠﴾

المسألة الثالثة:

تدور هذه المسألة حول الإنسان والهدى الذي أرسله إليه الحق سبحانه وتعالى رحمةً وتلطفاً بهذا المخلوق لكي يقرر ويختار أي السبيلين يريد، ولكل سبيل مصيره الخاص به، ففي الوقت الذي يكون مصير الذين اتبعوا الهدى الإلهي جنات النعيم، فإن جهنم ستكون مؤثلاً للذين أدبروا وصدوا عن الهدى الإلهي ليتبعوا عدو البشرية الأشر إبليس عن طريق تزيين الشهوات والملذات لهم، ويظهر وضوح هذه المسألة بصفاء للذي يود أن يرشف من عين الحقيقة في قول الباري عز وجل:

أَلْقَتْ الْمَعْلُومَةَ (٣٨) قَالَتْ مَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزِينَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾
 [سورة الحجر، الآيات ٣٢-٤٠]

"ويبدو بوضوح من الآيات السابقة التهديد والوعيد الذي أطلقه الشيطان لذرية آدم مدلاً على عداوته الأبدية للإنسان في مختلف العصور والأزمان، وأنه سيتبع كل ما في وسعه، وما عنده من أساليب ليحبسهم طريق الحق والخير المتمثل في اتباع الصراط المستقيم، ويزين لهم الحياة الدنيا بجميع محاسنها وزخرفها ليكونوا من الضالين عن طريق الحق والخير" (الحياري، ١٩٨٩).

إن الحق برحمته الواسعة ولطفه العظيم مع الإنسان لم يكله إلى قدراته ليتعرف على هذه العداوة العاتية التي يكنها له عدوه اللدود، فقد أبلغه بهذه العداوة وحذره من اتباع خطوات عدوه وتسويلاته له من خلال تزيين الشهوات والملذات الدنيوية على حساب الحقائق الوجودية والنظم الأخلاقية المتجسدة في الهدى الذي أرسله الباري عز وجل للإنسان عن طريق الأنبياء والرسل، لقد أبلغ آدم وهو في الجنة ونهاه عن طاعة عدوه كما أخبر ذريته على هذا الكوكب ونهاهم عن اتباع عدوهم والإذعان إلى همزات الشياطين وتسويلاتهم، ويتضح ذلك في قول الحق سبحانه وتعالى:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا قَاذِمُ إِنَّا هَذَا
 عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِجَالِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ [سورة طه، الآيات ١١٦-١١٧]

وقال تعالى:

يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْتَنَّهُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
 سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرْتِكِبُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 [سورة الأعراف، آية ٢٧]

قال تعالى:

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾

[سورة فاطر، آية ٦]

على الرغم من وضوح البلاغ الذي أرسله الهادي عز وجل إلى الإنسان فإن أغلب الناس تلبية لرغباتهم وشهواتهم اتبعوا عدوهم الشيطان وهو يزين لهم تلك الشهوات والمفاتيح التي تعج وتموج بها الحياة الدنيا حتى أصبح وليا لهم من دون الله الذي خلق فسوى وأثار السبيل لكل إنسان لبيب لينيب إلى خالقه وما جاء عنه من هدى

ورحمة للعالمين لذلك فان البارئ عز وجل قرَّع الإنسان على هذا الاختيار الفاسد الذي يتبع الإنسان فيه عدوه اللدود، فخطابه قائلاً:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ
أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا

[سورة الكهف، آية ٥٠]

واضح من الآيات السابقة أن الإنسان بمقدوره ان يختار اتباع النهج الإلهي الذي يمثل جانب الخير أو يختار الابتعاد عن الهدى الإلهي واتباع همزات الشيطان وتسويلاته في تزيين الشهوات والملذات على حساب الحق والحقيقة.

المسألة الخامسة:

تتناول هذه المسألة طبيعة الذات الإنسانية وما ركب فيها الخالق سبحانه وتعالى من قدرات وملكات سواء الفسيولوجية منها ام القدرات العقلية، لقد وهب الحق سبحانه وتعالى الذات الإنسانية الملكة العقلية التي يستطيع بواسطتها ان يميز بين الخير والشر، بين طريق الرحمن وسبيل الشيطان، بين الحق والباطل، وفي حالة تعرض هذه الملكة لخلل ما فان التكليف يسقط عن الإنسان المصاب لعدم تمكنه من التمييز وفقدانه حرية الاختيار بين الخير والشر، هذا بجانب ان الحق سبحانه وتعالى مكّن الذات الإنسانية من الاختيار بين الالتزام بجانب التقوى الذي جبلت عليه الذات الإنسانية، والالتزام بجانب الفجور الذي جبلت عليه أيضاً.

فالذات الإنسانية جبلت على جانبي الخير والشر فيستطيع الإنسان أن يتبع او يركز على أي الجانبين يشاء، ويبدو ذلك واضحاً بجلاء في قول البارئ عز وجل:

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ

[سورة الإنسان، الآيتان ٢-٣]

إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٢١﴾

قال تعالى:

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿١﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٢﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا
بُدَا ﴿٣﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٤﴾ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٥﴾ وَلِسَانًا وَشَفْهَيْنِ ﴿٦﴾ وَهَدَيْنَهُ
النَّجْدَيْنِ ﴿٧﴾

[سورة البلد، الآيات ٧-١٠]

قال تعالى:

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٢﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٣﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ
دَسَّاهَا ﴿٤﴾

[سورة الشمس، آية ٧-١٠]

لقد بين لنا الحق سبحانه وتعالى إن الذات الإنسانية ركّبت فيها جانباً الفجور والتقوى، حيث يقود جانب الفجور فيها الإنسان إلى اتباع جانب الشر المتمثل في اتباع عدوه اللدود إبليس والابتعاد عن جانب الخير، المتمثل بالنهج الإلهي المنير الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى هدى ورحمة للناس أجمعين، أما جانب التقوى الذي وشجت عليه النفس الإنسانية فيقود ذات الإنسان في حالة اتباعه إلى الإنابة للهدى الإلهي الذي بعثه هدى ورحمة وذكرى للعالمين، واتباع تعليماته في شتى أمور الحياة، لقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يلهم النفس الإنسانية كلا الجانبين، وأي جانب من الجانبين يريد الإنسان يسعى إليه بحريته التامة التي وهبها له الحق سبحانه وتعالى، ان ممارسة الإنسان لهذه الحرية لا تتعدى المشيئة الإلهية لان الله سبحانه وتعالى وهبه هذه الحرية فتعني هنا مشيئة الله سبحانه وتعالى انه سمح للإنسان أن يختار أي الجانبين يريد، فأى شيء يختاره الإنسان يكون ضمن حدود المشيئة، لان الحق سبحانه وتعالى لو شاء ما أعطى الإنسان هذه الحرية وما ركب فيه جانبي الفجور والتقوى، وغدا كبقية المخلوقات الأخرى التي خلقت تكويناً للطاعة، كما انه لو شاء لسلب منه هذه الحرية التي وهبها إياه.

قال تعالى:

لَعَلَّكَ بَلِغٌ قَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنْ نَشَأْ نُذِرْهُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا
خَاضِعِينَ ﴿٢﴾

[سورة الشعراء، الآيات ٣-٤]

المسألة السادسة:

إن الحق سبحانه وتعالى خلق الحياة وما فيها من مفاتن وزخارف وشهوات ومتع دنيوية، كما خلق الموت وجميع مستلزمات الحياة الدنيا فقط ليختبر الإنسان ماذا سيفعل في الحياة الدنيا، هل سيتبع جانب الشر في نفسه، ويتخذ من عدوه إبليس ولياً وبنأى بنفسه عن الباري عز وجل من خلال الإعراض عن نهي القويم.

أم انه سوف يتبع جانب الخير في ذاته، ويسلك في ضوء تعليمات الهدى الإلهي الذي أرسله
رحمة وبشرى للعالمين، ويبدو وضوح الهدف من خلق الحياة والموت جلياً مشرقاً في قوله
عز وجل من قائل:

اللّٰدِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ اَيْكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُوْرُ ﴿٦﴾

[سورة الملك، آية ٢]

قال تعالى:

فَلَعَلَّكَ بَلٰغٌ نَّفْسِكَ عَلٰى اٰثَرِهِمْ اِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوْا بِهٰذَا الْحَدِيثِ اَسَفًا ﴿٦﴾ اِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلٰى
الْاَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ اَيُّهُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ [سورة الكهف، الايات ٦-٧]

لقد شاءت حكمة الحق سبحانه وتعالى ورحمته وتلطفه بالإنسان
أن يبين له حقيقة الحياة الدنيا وحقيقة الهدف من خلقها، اذ طلب منه
تشريعاً وليس تكويناً ان يفهم الحياة الدنيا على حقيقتها وألا ينخدع
بمظاهرها الجذابة فتأسره داخل أطرها، بل يستخدمها للوصول إلى
الأهداف النبيلة المتمثلة في الفوز العظيم في الحياة الآخرة.

قال تعالى:

وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتٰتَكَ اللهُ الدَّارَ الْاٰخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَاَحْسِن
كَمَا اَحْسَنَ اللهُ اِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْاَرْضِ اِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ ﴿٧٧﴾

[سورة القصص، آية ٧٧]

قال تعالى:

أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَترتبه صَفْرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٥٦﴾

[سورة الحديد، آية ٢٠]

المسألة السابعة:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان لطاعته وعبادته تكليفاً وليس قصراً كبقية المخلوقات، وهذا النوع من الخلق أعطى الإنسان حرية الاختيار بين طاعة الله سبحانه وتعالى وعبادته في كل ما يريده في ضوء نهجه القويم وبين ان يلحد بالله وينكر وجوده نهائياً ويتبع كل ما يحلو له من مدارس فكرية وأنماط سلوكية تنسجم مع أهوائه ورغباته، أو ان يتخذ أنداداً من دون الله، أو يتخذ معه شريكاً في ملكه تعالت وجلت قدرته عما وصفه الإنسان من أوصاف لا تليق بمقام جلاله، لقد أنكر قسم من الناس وجود الخالق، وقسم آخر نادي بتعدد الإلهة، وقسم نادي بالثنائية، والتثليث، والأبوة لله سبحانه وتعالى، وقسم اقر بوجوده ولكنه يفسق ليلاً نهاراً عن نهجه السديد الذي ارتضاه للعالمين جميعاً، وتكمن مسألة التكليف للإنسان في قول الباري عز وجل في الآيات القرآنية الحكيمة التالية:

قال تعالى:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ

[سورة الذاريات، الآيات ٥٦-٥٧]

يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾

قال تعالى:

يَبْنِيءَ آدَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

[سورة الأعراف، الآيات ٣٥-٣٦]

﴿٣٥﴾

إن هذا الهدى الذي وعد به الحق سبحانه وتعالى هو دين الإسلام الذي هتف ونادى به جميع الأنبياء والرسل على مراحلهم المختلفة، وشاء الحق سبحانه وتعالى لهذا الهدى ان يكون كاملاً في عهد آخر الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه جميعاً.

قال تعالى:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

[سورة المائدة، من الآية ٣]

وأي إنسان يتخذ من غير الإسلام نهجاً ومعتقداً في حياته الدنيا فلن يقبل الحق سبحانه وتعالى ذلك منه إطلاقاً ويعد من الخاسرين الذين لم يفوزوا في اختبار الحياة الدنيا. فيكون اختيارهم خطأً ومخالفاً لما أمرهم به الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

[سورة آل عمران، آية ٨٥]

قال تعالى .:

إِنَّ الدِّينَ كَانَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامَ مَا أَسْلَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينًا كَمَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ يَتَّبِعُ الْأُمَّةَ الْغَالِبَ وَأَنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

[سورة آل عمران، آية ١٩]

إن الذي يقرأ كتاب الحق سبحانه وتعالى من أوله إلى آخره يعلم علم اليقين إن هذا الكتاب يخاطب إنساناً عنده القدرة على الاختيار بين الخير والشر، بين الحق والباطل، بين اتباع النهج الإلهي أو اتباع النهج الشيطاني، ولو لم يكن بمقدور المخاطب في هذا الكتاب القدرة على الاختيار لبطل جميع ما في هذا الكتاب من آيات وما احتوت عليه من حكم وعلوم، وأوامر ونواه، ولكننا سوف نختار بعضاً من الآيات القرآنية لكثرتها التي تدل على حقيقة اختيار الإنسان للسبيل التي يريدها.

قال تعالى:

وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

[سورة الكهف، آية ٢٩]

مُرتَفَقًا ﴿٢٩﴾

وقال تعالى:

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ

شَرَعَهُ وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

[سورة المائدة، آية ٤٨]

وقال تعالى:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا

[سورة يونس، آية ٩٩]

مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

وقال تعالى: .:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۚ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۚ فَسَاءَ مَا يَكْفُرُونَ
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ [سورة البقرة، آية ٢٥٦]

ان الحق سبحانه وتعالى لو شاء لجعل الناس كافة مؤمنين لكنه تعالت وجلت قدرته
شاء للإنسان أن يمارس حرية الاختيار، لذلك فإن حرية الاختيار لا تخرج عن مشيئة الله،
فالذي يؤمن والذي يكفر عندما يمارس حرية اختياره، يكون كله جميعاً في ظلال المشيئة،
يعني السماح له إما بالإيمان وإما بالكفر، إما باختيار جانب الخير وإما جانب الشر، فتعني
هنا مشيئة الله سبحانه وتعالى السماح، والأذن المعطى للإنسان في ممارسة حريته في
الاختيار بين السبيلين، ولكن قسماً كبيراً من الناس خلط بين المشيئة الإلهية، وعلم الله
الأزلي لكل ما يجري في ملكوته، وقضاء الله وقدره، وإرادة الإنسان فنتج عن هذا الخلط
فهم خاطئ لحرية الإنسان، حيث ذهبوا إلى فهم بعض النصوص القرآنية التي توضح
حرية الإنسان بالمشيئة الإلهية بصور خاطئة، وسوف نورد بعضاً من هذه الآيات وسنرى
سويماً ماذا تعني بصورة دقيقة، وللحق فإنها منسجمة مع بقية الآيات القرآنية الحكيمة.

قال تعالى:

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا
مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمِدُّهُنَّ أَهْلًا وَهَتُونَ لَأَيِّمٍ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾

[سورة الإسراء، الآيات ١٨-٢٠]

وقال تعالى:

إِنْ سَعَيْتُمْ لَشِقَىٰ ﴿٤﴾ فَمَا مِنْ أَعْطَىٰ وَأَنْفَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنِ ﴿٦﴾ فَسَنَسِيرُهُ لِلْعُسْرِ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
بَجَلَ وَأَسْتَعْتَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ ﴿٩﴾ فَسَنَسِيرُهُ لِلْعُسْرِ ﴿١٠﴾ [سورة الليل، الآيات ٤-١٠]

وقال تعالى:

إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

[سورة الإنسان، الآيات ٢٩-٣١]

وقال تعالى:

كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْغَفْرِ ﴿٥٦﴾

[سورة المدثر، الآيات ٥٤-٥٦]

وقال تعالى:

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٤﴾ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾

[سورة الأنعام، الآيات ١٢٥-١٢٦]

إن جميع هذه الآيات وما يضاهاها من آيات قرآنية أخرى تدل على أساسيتين هامتين: الأولى: أن الحق سبحانه وتعالى يبين لنا أن الإنسان يمارس حريته في ضوء مشيئة الله سبحانه وتعالى، أي بالسماح له بممارسة هذه الحرية، أما بالنسبة إلى الأساسية الثانية فإن الحق سبحانه وتعالى يساعد الإنسان حسب اختياره، فالذي يريد الدنيا على حساب الآخرة يعطيه منها ويزيده بعداً عن سبيل الخير طالما رغب في الماضي قدماً على ما هو عليه من انحراف عن جانب الخير، وكذلك بالنسبة للإنسان الذي يختار جانب الخير وينبذ جانب الشر، فإن الحق سبحانه وتعالى يساعده في ذلك طالما سعى برغبته وإرادته نحو الخير وطرقه، وحرى بنا أن نشير في هذا المقام إلى حقيقة هامة مفادها أن حرية الإنسان في الاختيار بين الخير والشر قائمة في الحياة الدنيا فقط، وليس كما يفهمه بعض الناس أو أرادوا أن يفهموا حرية الإنسان أنها تتعدى إلى أمور أخرى سواء في الدنيا أو في الآخرة. كما نود أن نشير إلى أن الإنسان يستطيع أن يبدل في اختياراته، فقد يختار جانب الخير ومن ثم يبتعد عنه ويقبل على جانب الشر، والعكس صحيح، لذلك فإن الباري عز وجل خاطب المؤمنين بالألا يرتدوا عن دينهم، كما خاطب الذين أسرفوا على أنفسهم في عمل الآثام وأنماط الفسق مبتعدين عن طريق الرحمن إلى العودة، والإنابة إلى طريق الحق والخير المتمثل في الدين الذي ارتضاه تبارك وتعالى للعالمين، ودليل ذلك يبرز بوضوح ساطع في الآيات الكريمة الآتية:

قال تعالى:

أما بالنسبة إلى عقاب أعداء الله الذين ضل سعيهم في الدنيا فيبدو واضحاً مشرقاً في قوله عز وجل:

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَارُهُمْ وُجُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا جُودُهُمْ لِمَ شَهِدْتُم عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا
اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

[سورة فصلت، الآيات ١٩-٢١]

وقال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَاءَ نُصَلِّهِمْ نَارًا كَمَا فَضَّحْتَ جُلُودَهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا
لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾

أما بالنسبة للذين أنابوا واستقاموا على الهدى الذي أرسله الباري عز وجل رحمة وبشرى للعالمين فان ثوابهم على ذلك سيكون في جنات السلام والخلود، وذلك هو الفوز العظيم.

قال تعالى:

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
يُكْوَنُ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

[سورة الحج، آية ٢٣]

وقال تعالى:

أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ
وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ
الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾

[سورة الزخرف، الآيات ٧٠-٧٢]

إن أعمال الإنسان التي يقوم بها في الحياة الدنيا بمحض إرادته هي التي سوف تقوده إما إلى جنات

الفردوس وإما إلى نار جهنم وبئس المصير، ودليل ذلك يكمن في قول الباري عز وجل:

يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

[سورة الزلزلة، الآيات ٦-٨]

نتائج الدراسة:

لقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج أساسية مفادها إن كل ما يجري في ملكوت الخالق سبحانه وتعالى يحدث ضمن المشيئة الإلهية، كما أن الحق سبحانه وتعالى شاء أن يعطي الإنسان حرية الاختيار بين الحق والباطل بين الخير والشر، وأنه سيجد ثوابه أو عقابه بناء على هذا الاختيار في الحياة الدنيا. كما أفادت الدراسة إن علم الله سبحانه وتعالى الأزلي، أي معرفة الأحداث قبل وقوعها من أصحابها " لأنه سبحانه وتعالى لا يفاجأ بشيء" لا تؤثر على حرية الاختيار عند الإنسان، بل تدل على قدرة الحق سبحانه وتعالى وعلمه اللامتناهي. وبينت الدراسة أيضاً إن الحق سبحانه وتعالى يقدر الأمور في ملكوته بناء على علمه للأحداث قبل ظهورها عن أسبابها.

لذلك فإن الإنسان يسعى نحو هذه الأمور التي تدخل مناط التكليف بجزئية كاملة لأنه لا يعلم أي شيء عنها قبل حدوثها، أي أن حرية الإنسان في مجالات التكليف لا تتأثر بعلم الله وتقديره للأمور لأنها تعد غيباً بالنسبة للإنسان في الوقت الذي تكون معلومة منذ الأزل لله سبحانه وتعالى. وهذه من الفروقات الهامة بين الخالق والمخلوق، في ضوء هذه النتائج نستطيع أن نفهم كافة الآيات القرآنية على نسق واحد وتكامل فريد من نوعه، كما نستطيع أن نفهم بشكل دقيق أحاديث المصطفى صلوات الله عليه وسلامه.

قال تعالى:

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ﴿١٨﴾ [سورة فصلت، الآيات ١٧-١٨]

المراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- حسام الدين الوسي، دراسات في الفكر الفلسفي الإسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- ٣- حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ١٩٨٥.
- ٤- د. حسن الحيارى، النصور الإسلامي للوجود، دار البشير، عمان، الأردن، ١٩٨٩.
- ٥- السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد الأول دار الكتاب الإسلامي، إيران، ١٩٧٢.
- ٦- الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول.
- ٧- الشيخ الر كابي، خطاب الحرية في النظام الايستولوجي، دار النهضة الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.
- ٨- عبد الحلیم قنيس وخالد عبد الرحمن، مسألة القضاء والقدر، دمشق، ١٩٧٩.

- ٩- الدكتور عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، الجزء الأول، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٠- عبد اللطيف محمد العبد، دراسات في الفلسفة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩.
- ١١- د. عبد السلام السامرائي، الله والإنسان، بغداد، ١٩٨٢.
- ١٢- د. علي شلق، العقل الفلسفي في الإسلام (الفرق والاحكام) دار المدى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥.
- ١٣- علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٤.
- ١٤- عمر فروخ، تاريخ الفكر العربي، دار الفكر العربي، الطبعة الاولى.
- ١٥- د. فؤاد كامل قدح، حقائق الوجود، المطبعة الجديدة، ١٩٦٧.
- ١٦- د. فيصل بدير عون، الفلسفة الإسلامية في المشرق، مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، ١٩٨٢.
- ١٧- محمد أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٦.
- ١٨- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٠.
- ١٩- محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، دار التيار الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٨٩.
- ٢٠- محمد جواد مغنية، معالم الفلسفة الإسلامية، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣.
- ٢١- مرتضى المطهري، الإنسان والقضاء والقدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٨.
- ٢٢- مصطفى عبد الرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.
- ٢٣- المغني، الجزء الثامن.
- ٢٤- الملطي، التنبيه.
- ٢٥- د. مهدي فضل الله، من أعلام الفكر الإسلامي، الدار العالمية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢.
- ٢٦- نبيل حمله، الإنسان مٌسِيرٌ أم مٌخَيَّرٌ؟ مطابع الاتفاق، الإسكندرية، ١٩٧٨.
- ٢٧- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- ٢٨- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت، ١٩٨٢.

الفصل الثامن
حقيقة العلاقة بين الإسلام والقومية

الإسلام والقومية

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح العلاقة بين الإسلام والقومية، لما لهذه العلاقة من آثار واسعة النطاق

على مجريات الأحداث على المستويين العالمي والإقليمي حاضرا ومستقبلاً.

وقد أشار الباحث إلى حقيقة الإسلام ومبادئه الأساسية كما بين حقيقة القومية عن طريق عرض

الافتباسات التي تمثل آراء زعماء القومية على اختلاف قومياتهم، وأخيراً وضّح الباحث علاقة الإسلام بالقومية

منذ عهد سيدنا نوح عليه السلام حتى يومنا هذا، وقد تبين ان شعار القومية يمثل أقدم شعار رفعه الإنسان مقابل

الهدى الذي وعد الحق سبحانه وتعالى به ذرية آدم، وما زال هذا الشعار يرفع لنفس الهدف والغاية.

الإسلام والقومية

المقدمة:

تعد العلاقة بين الإسلام والقومية من أهم المواضيع التي يجب إماتة اللثام عن حقيقتها، لما لهذه العلاقة من آثار واسعة النطاق على مجريات الأحداث في دول العالم بشكل عام ودول العالم الثالث بشكل خاص، وبالرغم من هذه العلاقة فإنها ما زالت غامضة في أذهان اغلب الناس، لذا أستغلت أبشع أنواع الاستغلال من الذين لا يريدون إلا الشر والسوء للإنسان والإسلام، وقد تراكمت الأحداث التاريخية عبر التاريخ وازدادت حدة في هذه الأيام انعكاساً لما استقر في أذهان الناس بشتى الأساليب والطرائق عن طريق إذكاء الشعور القومي بين الأقسام التي تدين بالإسلام بهدف الوصول إلى ما تتوق له الأنفس الأجنبية الحاقدة على الإسلام أولاً وعلى الشعوب التي تدين بالإسلام ثانياً، ومن المؤسف حقاً أنهم قد حققوا الهدف الذي كان بالنسبة لهم بمثابة الأمانة التي يريدون ان ينظروا من خلالها إلى الإسلام وهو مشوه في أذهان المسلمين والى الأقسام التي تدين به وهم تبع لهم في مختلف مجالات الحياة.

وهذا ما تحقق لهم بالكامل في القرن العشرين بعد إثارة النعرات القومية والطائفية بين الأقسام الذين كانوا يدينون بالإسلام في ظلال الخلافة العثمانية، حتى ذهب المسلم من هؤلاء الأقسام يجارب أخاه المسلم مخالفاً بذلك النصوص القرآنية الكريمة منشداً إلى نظرية العرق التي زرعتها أعداء الإسلام والشعوب في نفوس المسلمين، بهدف القضاء على الإسلام واستغلال الشعوب التي تدين به، وهذا ما حصل فعلاً إذا ما تأملنا وعد بلفور ومعاهدة سايكس بيكو وما انعكس عنهما في أذهان الناس في هذه المنطقة من منطلقات فكرية، هنا بجانب الحفاظ التام على الحدود المصطنعة التي شيدت بناء على ما جاء في المعاهدتين السابقتين، وقد يجري بنا سياق الحديث لنرى في الجهة الأخرى ماذا حدث للمسلمين الأتراك بعد أن أشرنا باقتضاب إلى ما حدث لإخوانهم العرب المسلمين بعد هزيمة دولة الخلافة في تركيا عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى، حين لم يكتف أعداء الإسلام والشعوب بتقسيم المنطقة العربية إلى مناطق نفوذ تابعة للإنجليز والفرنسيين، هذا بجانب إرساء قواعد دولة إسرائيل على حساب الشعب العربي الفلسطيني المسلم، وإنما ذهبوا ليضعوا شروطهم التي تعكس عداوتهم للإسلام واللغة العربية، إذ أملى الإنجليز شروطهم الأربعة المعروفة بشروط كروزون، ومن هذه الشروط هي:

١- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

٢- أن تلغي الخلافة.

٣- أن تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

٤- أن تختار تركيا لنفسها دستوراً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية

والقائم على قواعدها (فتح الله، ص ١١٤).

لذلك اختارت تركيا الدستور المدني السويسري، واستخدمت الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية، ومنعت إقامة الأذان باللغة العربية، ومنعت تعليم الدين الإسلامي والقرآن في المدارس، تنفيذاً لهذه الشروط، ولذلك ظهر الاتجاه القومي عند مختلف الأقسام التي تدين بالإسلام في قارتي آسيا وإفريقيا وظهرت انعكاسات الأفكار الغربية التي تحاول هدم الإسلام في شتى مناحي الحياة في تلك الدول التي وجدت نفسها تحت أقدام عدوها منهوكة القوى عسكرياً واقتصادياً وحضارياً بسبب الفكر القومي المسموم الذي نفثه الغرب في أذهان أبناء الأمة الواحدة ليجد كل قوم منهم مصيره البائس أمام الهجمة الغربية الشرسة على كل ما يعتر به من حضارة وتاريخ وثقافة، وليجد أبناء كل قوم أنهم أصبحوا تبعاً لسادتهم في كل سمة من سمات العصر.

إن الشيء المذهل حقاً أن نجد بعض الأقلام الجاهلة أو المأجورة، والافواه الحاقدة أو المعبأة دون علمها قد ذهبت جميعها لتنادي بإعدام الإسلام وتعاليمه وكل من يتخذه نجساً، متذرعين أن سبب تخلفهم في شتى مناحي الحياة يعود إلى هذا النهج الإلهي المنير، فلم يكفهم أنهم كانوا أدوات في أيدي أعداء الأمة الإسلامية عندما استخدموا في إثارة النعرات القومية والإقليمية بمهدف القضاء على الأمة الإسلامية، بل أنهم مصرون على هذه المكانة الوضيعة في خدمة أعداء الإسلام لهدم أركان الإسلام وكل من ينادي باتخاذهم نجساً على أيدي سادتهم في تمزيق جسد الأمة المسلمة، فكلنا يعرف أن الإسلام الحقيقي هو المحارب في شتى أرجاء المنطقة العربية والإسلامية بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الحضارة الإنسانية.

إن التناقض الذي تعج به المجتمعات العربية والإسلامية يعود بشكل كبير إلى سوء الفهم للعلاقة التي تربط الإسلام بالقومية، سواء أكانت القومية عربية أم أعجمية، ولما لهذا الموضوع من آثار واسعة النطاق على حاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها فإننا سوف نتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة الموضوعية للوصول بعون الله إلى حقيقة هذه العلاقة وما يترتب عليها من اعتقادات وممارسات، لذلك فإننا سنعرض في هذه الدراسة نبذة تاريخية موجزة عن الإسلام والتعريف به وسمات المجتمع المسلم، ونبذة تاريخية عن القومية وسمات المجتمع القومي، ونبذة تاريخية موجزة عن العلاقة بين الإسلام والقومية.

حقيقة الإسلام:

تجدد بنا الإشارة في هذه الدراسة إلى حقيقة الإسلام كما وضَّحها الحق سبحانه وتعالى في كتابه المنير، علَّنا في هذا التوضيح نسهم بالقدر المستطاع في توضيح الفرق الشاسع بين الإسلام والقومية بشكل عام، والإسلام والعروبة بشكل خاص، وقد استبدل بالمفهوم الحقيقي للإسلام مفاهيم غريبة عن أسس الإسلام بمهدف الوصول إلى ما تشرَّب له النفوس من ملذات وأطماع شهوية على حساب المفهوم الحقيقي للإسلام وتعاليمه المؤتلة المحيطة. وقد حاول جم غفير من الكتاب والمؤلفين والساسة والمفكرين الاستخفاف بعقول العامة في تمبيع المفاهيم الحقيقية للإسلام والاستبدال بها مفاهيم شاذة تناسب أهواءهم وأطماعهم الدنيوية بعد أن بسوها أزياء إسلامية مملوءة بالزيف والخداع، انه لا بد من الإفصاح عن مدلول الكلمة بكل السبل والطرق المتاحة بعد أن أصبح الإنسان الملتزم بما يمليه عليه الإسلام من عقائد وأنواع سلوك، يشار إليه على انه رجعي تارة، ومتطرف تارة أخرى، هذا بالإضافة إلى وصفه بالتخلف والتزمت، والتشدد، والتعصب. وإذا ما حاول هذا الإنسان أن يدفع عن نفسه هذه التهم المغرضة بالحجة والبرهان مستنداً بذلك إلى ما جاء في الكتاب الحكيم، وجد نفسه أمام عدو اشر يمتلك القدرة على إصاق شتى التهم والادعاءات الباطلة حوله، هذا بالإضافة إلى إنزال شتى أنواع العقوبات والتهديدات إذا ما رفض الاستقطاب نحوهم عن طريق شرائه بالأموال وإغوائه بالمرافق الوظيفية، تبدأ هذه المناورات غير الأخلاقية بالمطاردة والاستجواب مروراً بتضييق سبل العيش عن طريق الطرد من الوظائف حتى تنتهي في بعض الأحيان إلى الإهانة في أقبية السجون وتقدم الأعتاق لى أعواد المشانق، والعجب الذي لا يربو عليه عجب ان كل هذه الأعمال المخزية التي تعجز الكلمات عن وصف وحشيتها وقبحها تحدث على مرأى ومسمع الناس كافة تحت شعارات القومية والإسلام. وبهذه الأعمال الغوغائية المتناقض بعضها مع بعض التي أباحت دم الأبرياء والمخلصين من أمة محمد، يكون أصحاب القرارات ومنفذوها قد برهنوا على صدق ولائهم لأعداء الإسلام، وعلى هذه الجرائم البشعة استحقوا الحماية الأجنبية لهم من شعوبهم المغلوبة على أمرها. ولكي يخفوا هذه الحقيقة — حقيقة ولائهم لأعداء أمتهم — ذهبوا إلى الحديث وإلقاء الخطب والأهازيج الوطنية التي تظهر وطنيتهم وحبهم لأمتهم وعقائد مجتمعاتهم ليضلوا بها السواد الأعظم من الناس، وان التاريخ الإسلامي يغص بالمعلومات الجمة

الوفيرة عن علماء التوحيد وأبناء القرآن البررة الذين دفعهم إيمانهم إلى ركوب الأخطار عن طريق كشف العابثين المشوهين لحقيقة الإسلام، وكان ثمن ذلك أن قدموا أعناقهم أضاحي للحق والدفاع عن بيضة الإسلام. وقد كُتبت جميع فضائلهم وتم تحويرها إلى مثالب بهدف الاستخفاف بعقول العامة والسيطرة عليها بالأوهام والمفتريات التي تحررها وسائل إعلامهم.

إن الحديث قد يطول إذا أردنا أن نصف الممارسات اليومية للأفراد والجماعات في المجتمعات التي تعج وتموج بالتناقضات حول الإسلام والقومية، ولكننا سوف نكتفي بمآذ العرض الموجز السريع للوصول إلى المراد دون الإسهاب والإطناب.

ان الإنسان شهد على نفسه بالحقيقة الأولى التي ينادي بها الإسلام قبل وجوده التاريخي والمادي على سطح الكرة الأرضية إنه شهد بألوهية الحق تبارك وتعالى وهو في السموات العلى، وهو في عالم الذر عندما أشهد الحق سبحانه وتعالى ذرية آدم على أنفسهم فشهدوا له بالربوبية والألوهية.

قال تعالى:

قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَرِفِينَ ﴿١٧٢﴾ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

[سورة الأعراف، آية ١٧٢]

وبعد أن تقرر إذن الهبوط لآدم وحواء وعدوهما إبليس إلى الأرض وعد الحق سبحانه وتعالى بنى آدم أن يبعث النهج السديد الذي يقودهم إلى سدرة الحق والصواب ويخفف عنهم شقاء الحياة الدنيا والفوز بنعيم الآخرة، ان الهبوط من السماء إلى الأرض يشكل العناء والتعب والكد والمكابدة، والشقاء للإنسان، ولكن الإنسان لم يدعن إلى توجيهات الحق سبحانه وتعالى عندما أمره أن يتخذ الشيطان عدواً وان لا يقرب الشجرة التي أمره بالابتعاد عنها، فكانت مخالفته لأوامر الله سبحانه وتعالى السبب وراء هبوطه مع عدوه الأشر إبليس عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين. فجاء هذا الوعد من الحق سبحانه وتعالى لآدم وذريته بمثابة العطف والرحمة الإلهية لهذا المخلوق الضعيف أمام عدوه إبليس ليتبع الهدى الذي سيرسله الحق سبحانه وتعالى للإنسان على سطح الكرة الأرضية ليقوي من قدرته على مقاومة وساوس وأحاييل عدوه السرمدي الذي لا يفارقه قيد لحظة.

قال تعالى:

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَعَاهَدَ فَإِنِّي فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

[سورة البقرة، الآيتان ٣٨-٣٩]

ان هذا الهدى الذي يمثل النجاة الحقيقية للإنسان على هذا الكوكب ويخلصه من شرور عدوه ويقوده إلى الفوز بنعيم الدنيا والآخرة سيصل إلى الإنسان عن طريق الرسل الذين اختارهم الحق سبحانه وتعالى ليكونوا مندرين ومبشرين للإنسان.

قَالَ أَنَا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ ثُمَّ مِن (٣٦) لِيُرْسَا عَلَيَّ حِجَارَةً مِن طِينٍ (٣٧) مُسَمَّاةً عِنْدَ ذَلِكَ
لِلْمُسْرِفِينَ (٣٨) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٩) فَهَا وَحِدْنَا فِيهَا عَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ
(سورة الذاريات، الآيات ٣٦-٣٩)

ويظهر إسلام الملكة بلقيس، وإيادتها للحق، سبحانه وتعالى، في قوله عز من قائل:
قَالَ لَهَا ادْخُلِي الصُّمَّ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَخْرٌ مُّمَدَّدٌ مِّن
قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤)
(سورة النمل، آية ٤٤)

الدليل الخامس:

إنه حري بنا أن نعلم أن البارى عز وجل عندما أرسل المرسلين لإنزال العقوبة على قوم لوط المسرفين باستثناء المسلمين منهم، لم يجدوا سوى بيت واحد فقط من المسلمين ، وهو بيت سيدنا لوط عليه السلام خلا امرأته التي كانت من الغابرين وهذا دليل ساطع على أن سيدنا لوطاً كان مسلماً يدعو إلى الإسلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ مِنْ قَبْلِهِ لِيُنذِرَ لِقَوْمِ الَّذِينَ يُجْرِمُونَ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الذاريات، الآيات ٣٢-٣٦]

الدليل السادس:

لا مندوحة لنا في هذا المقام من أن نشير إلى دعاء سيدنا يوسف عليه السلام عندما شكر الله سبحانه وتعالى على ما أتاه من الملك والعلم وتأويل الأحاديث وطلب من خالقه أن يتوفاه مسلماً ويلحقه مع الصالحين، ويده ذلك جلياً في قوله عز من قائل:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مَا كُنْتُ لَا يَعْلَمُ بِي أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَاسْتَأْذِنْتُ الْفَارُوقَ فَأَوْفَى بَوَاقِي عَهْدِي وَأَنَا فِيهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ﴾ [سورة يوسف، آية ١٠١]

الدليل السابع:

أنه لحقيق بنا أن نذكر نداء سيدنا موسى عليه السلام لقومه وما حدث مع سحرة الطاغية فرعون عندما أعلنوا جهراً إسلامهم متحدين بذلك فرعون وجنده، مما أثار حفيظة فرعون عندما شاهدهم بأمر عينه وهم يعلنون إيمانهم برب موسى وهارون بعدما حصحص الحق أمام أعينهم وتبين لهم أن السحر لا يغني عن الحق شيئاً، فقد توعدهم بجميع صنوف العذاب بسبب إسلامهم برب موسى وهارون، علماً بأنه كان يعدهم منذ لحظات قليلة ان يكونوا من المقربين إذا كانت لهم الغلبة على سيدنا موسى عليه السلام، وما كان من السحرة في هذا الموقف الجازم إلا ان توجهوا للرحمن عز وجل ليثبتهم على إسلامهم وان يتوفاهم مسلمين، أما نداء سيدنا موسى عليه السلام لقمه فسنده جلياً في قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس، آية ٨٤]

الدليل الثامن:

وحري بنا أن نشير إلى حوارى سيدنا عيسى عليه السلام عندما دعوا الحق سبحانه وتعالى أن يكون شاهداً على إسلامهم وقبولهم دعوة سيدنا عيسى عليه السلام ويبدو ذلك ظاهراً جلياً في قوله عز من قائل في الآيتين الكريمتين التاليتين:

قال تعالى:

وإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾
[سورة المائدة، آية ١١١]

وقال تعالى:

﴿ فَلَمَّا أَحْتَسَبْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَمَا لِلْكُفْرِ بَقَاً وَمَا لِلشَّكْكِينَ إِلاَّ الْيَأْسُ قَالَ أَيُّكُمْ أَنصَبَ إِلَى اللَّهِ فَالَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران، آية ٥٢-٥٣]

الدليل التاسع

تجدر الإشارة إلى أهل الكتاب واعترافهم بأنهم كانوا مسلمين وإقرارهم بذلك قبل نزول القرآن على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسماعهم به. ويظهر ذلك بوضوح في قوله عز من قائل: الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ إِلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ [سورة القصص، الآيات ٥٢-٥٣]

كما أن القرآن الكريم قد أثار السبل لكل من أراد أن يصل إلى سدة الصواب في دعوة أهل الكتاب ومناقشتهم لإنارة الطريق أمامهم وتوضيح الحقائق لهم كما أشار الحق سبحانه وتعالى في كتابه المكنون بوجوب الإيمان بجميع الكتب السماوية وعدم التفريق بين الرسل والإقرار بان الإله واحد وان الجميع له مسلمون، وتبدو هذه المعلومات المؤتلة ظاهرة جلية في قول الباري عز وجل في الآيات الكريمة التالية:

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَحْدِلْهُ أَاهَا الْكِتَابَ إِلاَّ بِالْبَاطِلِ هِيَ أَحْسَبُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقوله آمَنَّا بِالَّذِي أَنزَلَ الْبَنَاءُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالْحَقُّ وَحَدُّهُ لِيُحْسِنَ لَهُ مُسْلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِن هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة العنكبوت، الآيات ٤٦-٤٧]

وقال تعالى:

﴿ قَالُوا لِي: نَدْحَا الْجَنَّةِ الْآمِنَةَ كَانَتْ هُمُ دَاوَةَ نَصْرَةَ تَالِيَةً آمَانَتُهُمْ قَالُوا هَاتُوا دُخَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ تَالِيَةً مِّنَ آيَاتِهِ وَجَهًا لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُمْ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآيات ١١١-١١٢]

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا لِي: نَدْحَا الْجَنَّةِ الْآمِنَةَ كَانَتْ هُمُ دَاوَةَ نَصْرَةَ تَالِيَةً آمَانَتُهُمْ قَالُوا هَاتُوا دُخَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ تَالِيَةً مِّنَ آيَاتِهِ وَجَهًا لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُمْ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [سورة البقرة، الآيات ١١١-١١٢]

[سورة البقرة، الآيات ١٣٥-١٣٦]

الدليل العاشر:

بعد أن أشرنا في الأدلة السابقة إلى الحلقات الإسلامية التاريخية التي كان يمثلها رسل الله ومن آمن بهم من أقوامهم عن طريق إسلامهم للحق سبحانه وتعالى، فلا مندوحة لنا من الإشارة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذي بعثه الباري عز وجل ليكمل دين الإسلام الذي يمثل الهدى الذي وعد الحق سبحانه وتعالى به بني آدم عندما أمر بعبود آدم وزوجه إلى الأرض. وقد أمر عليه وآله الصلاة والسلام أن يعرض عن كل ما تشكل في أذهان الناس من انحراف في عقائدهم وكل ما يدعون إليه من دون الله سبحانه وتعالى، كما أمر أن يسلم وجهه فقط لرب العالمين دون مداهنة أو مواربة، أو التقاء في منتصف الطريق مع الذين لم ينبؤوا بعد للهدى الإلهي، ويبدو ذلك بوضوح في قول الحق سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ إِيَّاكُمْ أَنذَرْتُ وَإِلَىٰ رَبِّي الْمَصِيرُ﴾ [سورة غافر، آية ٦٦]

في ضوء ما تقدم من أدلة وما رافقتها من آيات بينات يبدو بوضوح وجلاء أن جميع الأنبياء والمرسلين بعثهم الحق سبحانه وتعالى إلى الإنسان عبر تاريخه بالهدى الإسلامي الإلهي المنير ليضيء له السبيل في الدنيا والآخرة ويقوي من ساعد الإنسان على مقاومة إبليس وجنده من الجن والإنس، وقد أراد الباري عز وجل أن يبدأ هذا النهج المنير بسيدنا نوح عليه السلام، مروراً بجميع الأنبياء والمرسلين حتى بعث للناس جميعاً خاتم الأنبياء والمرسلين بالقرآن الكريم في اللغة العربية، ليكون هذا القرآن وسنة الرسول الكريم الهدى الإلهي الكامل الشامل للناس جميعاً، لذلك فإن الإسلام بدأ بسيدنا نوح عليه السلام ومن آمن معه من قومه، وجميع الأنبياء والرسل ومن آمن معهم من أقوامهم فقد كانوا يمثلون الحلقات الإسلامية عبر تاريخ الإنسان، حتى أراد الحق سبحانه وتعالى أن يحتتم المدد الرسالي بخاتم الأنبياء والمرسلين، وأن تكون الرسالة التي جاء بها للناس كافة وناسخة لكل ما قبلها من رسالات وكتب سماوية، لذلك فإن المسلم هو الذي يتبع القرآن الكريم وسنة الرسول الكريم بعد بعثته صلوات الله عليه.

وهناك حقيقة سامقة لا بد من الإشارة إليها لما استقر في أذهان الناس من معلومات ومدركات خاطئة حول الإسلام، إن الإسلام إنابة واستقامة وتفويض الأمور للحق سبحانه وتعالى واتباع كتابه الحكيم وسنة نبيه الأمين في شتى مجالات الحياة، فهو سبيل الخير الذي يمكن أن يختاره الإنسان أو ينبو عنه بكامل إرادته، لذلك فإن الإسلام لا يورث عن طريق الأبوة والمصاهرة، والعشرة الزوجية، وأي نوع من أنواع القرابة، فقد يكون الأب مسلماً والابن غير ذلك، وقد يكون الابن مسلماً وأبوه غير ذلك، وكذلك بالنسبة إلى مختلف أنواع القرى، فالإسلام للناس كافة لمن أراد أن يعتد فيه ويسلك في ضوئه، فهو ليس حكراً لقوم دون قوم، أو جماعة دون جماعة، ودليلنا على ما ذكر يبدو ساطعاً منيراً في الآيات القرآنية الكريمة التالية:

قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ، آية ٢٨]

وقال تعالى:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذْ أَمَرَ مِنَ أَهْلِ مَدْيَنَ أَن تَصِلُوا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَتَلْقَاهُمْ لَوْ أَتَوْكُمْ لَتَبَدَّلْنَا الْبَيْتَ الَّذِي فِي مَكَّةَ الْمُقَدَّسَ إِلَىٰ مَدْيَنَ وَالْمَدْيَنِيُّونَ جَاهِلُونَ وَالْبَنِيُّونَ أُمَّةٌ مِّنْ أَهْلِكَ إِنَّهُم جَحِدُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَكُفْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة هود، الآيتان ٤٥-٤٦]

وقال تعالى:
ضَكَ اللَّهُ مَثَلًا لِّأَنبِيَاءٍ كَفَرُوا أُمَّرَاتَهُنَّ أُمَّرَاتَهُنَّ لَهِنَّ كَانَتَا تَحْتَ عِدَّتِهِمْ
عَادَاتُ نِسَائِهِمْ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ
الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾

[سورة التحريم، آية ١٠]

لذلك كانت الكتابة عن الإسلام وطبيعته، ودار الإسلام وخصائصها، والدولة الإسلامية وميزاتها، والمجتمع المسلم ومماته تعد من أصعب المهام التي يمكن أن يقوم بها الإنسان.

بعد أن فرغنا من الحديث عن حقيقة الإسلام وتاريخه لا بد لنا من الإشارة إلى سمات المجتمع المسلم في الوقت الذي احتلقت فيه الأوراق، وتاهت الأفلام عن جادة الطريق واستقرت الأضداد في أذهان عامة الناس، وظهرت الأفلام المأجورة التي استغلت هذه المعطيات للنيل من الإسلام وأهله، إن هذه المعطيات الغريبة شكلت مفهوماً شاذاً في أذهان الناس عن الإسلام والمجتمع المسلم، لذلك ليس غريباً أن نجد بعض المجتمعات والأفراد تعلن ظاهراً أنها مع الإسلام وأتباعه، وهي في حقيقتها تشوه الإسلام وتحاربه وتضيق الخناق على أتباعه بالطرائق كافة التي توصل إليها البشر، ونصبت من نفسها شرطياً أميناً على خدمة مصالح أعداء الإسلام في ديار المسلمين.

وقبل أن نوضح خصائص المجتمع المسلم لا بد من الإشارة إلى بعض آراء السلف الصالح في هذا الموضوع لنصل إلى المراد بعون الله دون الإسهاب والإطناب.

يرى الطباطبائي رحمه الله: "أن التاريخ الإسلامي -فيما عدا فترة قصيرة منه- لا يمثل الإسلام في كثير من خطوطه .. ولا يصح أن نحمل الإسلام تبعات أخطاء المسلمين على امتداد التاريخ الإسلامي" (الطباطبائي، نظرية السياسة والحكم في الإسلام، ص ٥٣).

ويرى سيد قطب رحمه الله: "إن الإسلام تصور مستقل للوجود والحياة، تصور كامل ذو خصائص متميزة، ومن ثم ينبثق منه منهج ذاتي مستقل للحياة كلها، بكل مقوماتها وارتباطاتها، ويقوم عليه نظام ذو خصائص معينة .. هذا التصور يخالف مخالفة أساسية سائر التصورات الجاهلية قديماً وحديثاً. وقد يلتقي من هذه التصورات في جزئيات عرضية جانبية، ولكن الأصول التي تنبثق منها هذه جزئيات مختلفة عن سائر ما عرضته البشرية من نظائرها .. وليست وظيفة الإسلام إذن أن يصطلح مع التصورات الجاهلية السائدة في الأرض، ولا الأوضاع الجاهلية القائمة في كل مكان .. لم تكن هذه وظيفته يوم جاء، ولن تكون هذه وظيفته اليوم ولا في المستقبل .. الجاهلية هي الجاهلية، الجاهلية هي الانحراف عن عبودية الله وحده وعن المنهج الإلهي في الحياة، واستنباط النظم والشرائع والقوانين والعادات والتقاليد والقيم والموازن من مصدر آخر غير المصدر الإلهي .. فالجاهلية هي عبودية الناس للناس، بتشريع بعض الناس للناس ما لم يأذن به الله، كائناً ما كانت الصورة التي يتم بها هذا التشريع .. والإسلام هو عبودية الناس لله وحده بتلقيهم منه وحدة تصوراتهم وعتقادهم، وشرائعهم وقوانينهم وقيمهم وموازنهم والتحرر من عبودية العبيد .. لذلك فإن هناك نظاماً واحداً هو النظام الإسلامي وما عداه من النظم فهو جاهلية .. وإن هناك شريعة الله وما عداها فهو هوى .. وإن هناك حقاً واحداً لا يتعدد، وما عداه فهو ظلال .. وإن هناك داراً واحدة هي دار الإسلام، تلك التي تقوم فيها الدولة المسلمة، فتتبعها عليها شريعة الله، وتقام فيها حدوده ويتولى المسلمون فيها بعضهم بعضاً فلا وطن للمسلم إلا الذي تقام فيه شريعة الله، فتقوم الروابط بينه وبين سكانه على أساس ارتباط في الله، ولا جنسية للمسلم إلا عقيدته التي تجعله عضواً في الأمة المسلمة في دار الإسلام، ولا قرابة للمسلم إلا تلك التي تنبثق من العقيدة في الله، فتصل الوشيحة بينه وبين أهله في الله .. منذ جاء الإسلام لم يعد وطن المسلم هو الأرض، إنما عاد وطنه دار الإسلام، الدار التي تسيطر عليها عقيدته وتحكم فيها شريعة الله وحدها، الدار التي يأوي إليها ويدافع عنها ويستشهد لحمايتها ومد رقعته .. والأرض التي لا يهيمن فيها الإسلام ولا تحكم فيها شريعته هي دار الحرب .. يحاربها المسلم إن كان فيها مولده وفيها قرابته، وأمواله ومنافعه. وكذلك حارب محمد صلى الله عليه وآله وسلم مكة - وهي مستقط رأسه وفيها

عشيرته وأهله، وفيها داره ودور أصحابه وأموالهم التي تركوها، فلم تصبح دار إسلام له ولأمته إلا حين دانت للإسلام وطبقت فيها شريعته ... إن الأمة التي يكون من الرعيل الأول فيها أبو بكر العربي وبلال الحبشي، وسلمان الفارسي وصهيب الرومي وإخوانهم الكرام، والتي تتوالى أجيالها على هذا النسق الرائع .. الجنسية فيها هي العقيدة، والوطن فيها هو دار الإسلام، والحاكم فيها هو الله، والدستور فيها هو القرآن .. إنه لا إسلام في أرض لا يحكمها الإسلام ولا تقوم فيها شريعته، ولا دار إسلام إلا التي يهيمن عليها الإسلام بمنهجه وقانونه، وليس وراء الإيمان إلا الكفر، وليس دون الإسلام إلا الجاهلية" (سيد قطب، معالم في الطريق، ١٩٨٣).

ويرى أبو الأعلى المودودي عليه رحمة الله ان خصائص الدولة الإسلامية هي:

١- ليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو حزب أو لساائر القاطنين في الدولة نصيب من الحاكمية، فان الحاكم الحقيقي هو الله، والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده، والذين من دونه في هذه المعمورة إنما هم رعايا في سلطانه.

٢- ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع والمسلمون جميعاً ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً لا يستطيعون أن يشرعوا قانوناً ولا يقدرّون أن يغيروا شيئاً مما شرع الله لهم.

٣- إن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنياها إلا على ذلك القانون المشرع الذي جاء به النبي من عند ربه مهما تغيرت الظروف والأحوال والحكومات التي بيدها زمام هذه الدولة، ولا تستحق طاعة الناس إلا من حيث أمّا تحكّم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه (أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام السياسية، ١٩٧٥، ص ٨).

إن كل من سنحت له الظروف أن يطلع على كتاب الله العزيز وسنة نبيه الأمين، وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجتمعه الفاضل، لن يجد نصيباً في تحديد معالم المجتمع المسلم الأساسية بالرغم من المناهات والمدركات الخاطئة التي دونت في الكتب والمجلدات، وما تعجج وتموج به الأذهان الغافلة، وما تفتريه وسائل الإعلام والصحافة من مفتريات وتخريصات لتثبيت ما استقر في أذهان الناس من مفاهيم هابطة عن سمات المجتمع المسلم، فالمجتمع الذي يتبع نهج الحق المنير سبحانه وتعالى في شتى أموره الحياتية لا بد أن يتميز عن بقية المجتمعات الأخرى، كيف لا؟ وهو ينعم باتباع مورد الحق والحقيقة الذي يضيء لأفراد المجتمع مختلف السبل والطرق المؤدية إلى الفوز والفلاح في الحياة الدنيا والآخرة. وبهذا يكون المجتمع المسلم قد حقق الأهداف التي تربطه بحياته الدنيا والأهداف التي تربط أفرادها كافة بمستقبلهم في الآخرة، وهذه الحالة لن تتوفر إلا لأبناء وأفراد المجتمع المسلم، لذلك فإن المجتمع الإسلامي يتميز على غيره من المجتمعات في الصفات المؤتلة التالية:

١- تطبيق القانون الإلهي في شتى نواحي الحياة على جميع أفراد المجتمع دون استثناء لحاكم أو محكوم، ودليل ذلك يظهر بوضوح في الآيات القرآنية الكريمة التالية: قال تعالى:

وَأَن أٰحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ

[سورة المائدة، من الآية ٤٩]

وقال تعالى:

إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرٰنَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلنَّخٰيِنِينَ

[سورة النساء، آية ١٠٥]

خَصِيْمًا
وقال تعالى:

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

[سورة النساء، آية ٦٥]

وقال تعالى: وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾

[سورة المائدة، من الآية ٤٤]

وقال تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[سورة المائدة، آية ٥٠]

٢-المثول أمام القوانين والأنظمة بالتساوي لجميع أفراد المجتمع والحكم فيما بينهم على أساس العدل والمساواة في ضوء الكتاب الكريم والسنة النبوية الطاهرة، ودليل هذه السمة المجيدة المؤتلة يكمن في قوله عز من قائل في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

[سورة النساء، آية ٥٨]

وقال تعالى: وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٦﴾

ويوضح لنا رسولنا الكريم عليه وعلى آله الصلاة والسلام هذه السمة السامقة للمجتمع المسلم في قوله: "إنما اهلك من كان قبلكم انهم كانوا يقيمون الحد على الوضع ويتركون الشريف، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (البخاري، كتاب الحدود، أبواب رقم ١١، ١٢).
المجتمع المسلم لا يعرف التجزئة طريقاً إليه سواء أكان المجتمع صغيراً أم كبيراً، ولا يعرف هذا المجتمع تعدد القيادات والولاءات، فهو مجتمع واحد، الولاء فيه لله سبحانه وتعالى ورسوله والمؤمنين، ذو قيادة واحدة مطاعة طالما تطبق شريعة الله كاملة في المجتمع، إن الحق سبحانه وتعالى قد بين لنا في كتابه الحكيم ان الذي يسلمون أمرهم لله سبحانه وتعالى ويفوضون أمورهم إليه ويتبعون نصح القوم الذي ارتضاه للناس كافة في شتى أمورهم الحياتية يكونون قد نالوا شرف الانضواء تحت راية حزبه تعالت وجلت قدرته دون غيرهم من الناس، فهذا التجمع لا يمكن أن ينقسم على نفسه وتتعدد ولاءاته وقياداته، ودليلنا في ذلك يكمن في قول الحق سبحانه وتعالى:

سَيَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَزِيلُ لِكُلِّ قَوْمٍ ذُنُوبَهُمْ ذُرِّيَّتًا وَيُرْسِلُ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ إِنَّهُمْ لَأُولُو عِلْمٍ وَإِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَذَلِكُمْ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

[سورة النساء، آية ٥٩]

وقال تعالى: إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

[سورة الأنبياء، آية ٩٢]

وقال تعالى: وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾

[سورة المؤمنون، آية ٥٢]

٤- لا يوجد في المجتمع المسلم مكانة للتفوق العرقي والنعرات الإقليمية، فهوية الجميع، وجنسياتهم، وعقيدتهم، وشريعتهم فقط الاسلام، فالاسلام للناس كافة والذي يعتقد به يعلم يقينا إن كل الناس يعودون نسبا لسيدنا آدم، والمفاضلة بين ذريته تعود فقط إلى تقوى الله وليس بالنزوع إلى نظرية الاستعلاء والاستكبار المحرمة شرعاً والتي تغذيها النزعات القومية وما يدور في فلكها من توجهات إقليمية غرضية، شهوية. ودليل هذه الصفة المؤتلة المحمّدة يده ظاهراً جلياً في قوله عز من قائل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَعَلْنَا لَكُمْ لِيَاكُم مِّنْ نَّفْسِكُمْ عَلَيْكُمْ كَيْدًا وَإِن يَكُن لَّكُم مِّنْ آلٍ حَثِيثَةٍ وَحَصِّنَا فِي قُلُوبِكُمْ شَيْئًا وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

[سورة الحجرات، آية ١٣]

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة هذه السمة السامقة للمجتمع المسلم اذ ركز في حديثه وتوجيهاته في عدة مواقع ومناسبات على أهميتها بالنسبة لأفراد المجتمع المسلم وسوف نورد بعضاً من هذه الأحاديث الشريفة كدليل قاطع على ما ذكرنا.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم" (مسلم وابن ماجه).

"يا أيها الناس ألا إن ربكم واحدا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى" (البهقي وابن مردويه).
"المسلمون اخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى" (الطبراني).

٥- إن شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعد من أسمى صفات المجتمع المسلم، وبهذه السمة المحمّدة المؤتلة أمت الأمة المسلمة التي شكلها محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مدينته الفاضلة تنبؤاً أعلى مرتبة بشرية بين الأمم، وقد وصفها الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم حيث قال:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

[سورة آل عمران، من الآية ١١٠]

وقد وصف لنا الحق سبحانه وتعالى المؤمنين في عدة مواقع في كتابه العزيز بأهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر نذكر منها قوله عز من قائل:

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١٠٧﴾

[سورة التوبة، آية ٧١]

أما أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الموضوع فسنذكر بعضاً منها لتوضيح المراد:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (مسلم، كتاب الإيمان، باب ٢٠).

"إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه" (الترمذي، كتاب الفتن، باب ١٢، أبو داود، باب ١٧).

٦- نظام الشورى يشكل الأسلوب الإداري في المجتمع المسلم في اتخاذ القرارات واتباع الوسائل والطرق المتعددة في القضايا الحياتية التي لا يوجد فيها نص قرآني كريم او سنة نبوية شريفة، ودليلنا في ذلك يعود إلى قول الحق سبحانه وتعالى:

فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ أَلَّا أَمُرَّ بِكُمْ بِالَّذِينَ كُنْتُمْ تُكْفِرُونَ، فَمَا غَلَطَ الْقَلْبُ، لَا نَفْضُوا مِنْ حَمَلِكُمْ فَاعْتَبِرُوا مِنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

[سورة آل عمران، آية ١٥٩]

وقال تعالى:

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾

[سورة الشورى، آية ٣٨]

ويقول إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام سألت يوماً رسول الله لو وقع لنا بعدك ما لم نجد له حكماً في القرآن أو نسمع منك فيه شيئاً فماذا نفعل؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "اجمعوا العابدين من امتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا برأي واحد" (تفسير روح المعاني، ص ٤٢).

وسيرة نبينا الكريم تفيض بالمعلومات والمناسبات التي تشير إلى ممارسة نظام الشورى نذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر، مشورته لأصحابه في غزوة بدر، أحد، والأحزاب.

٧- الولاية في المجتمع المسلم تكون فقط لله ورسوله وأولي الأمر، وسائر المؤمنين في شتى أنواعها سواء أكانت على المستوى الفردي أم الجماعي، وعلى المستويين الداخلي والخارجي، ولا يجوز لمجتمع مسلم أن تكون ولايته أو تبعيته لأي مجتمع كان، مهما كانت الظروف والمناسبات لان الله سبحانه وتعالى حرم هذا النوع من الولاية

علم سائر المؤمنين ودليلنا في ذلك يبدو في قول الحق سبحانه وتعالى:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾

[سورة المائدة آية ٥٥]

وقال تعالى:

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّيْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٧١﴾

[سورة التوبة، آية ٧١]

وقال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الصُّدُةَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾

[سورة المائدة، آية ٥١]

٨- يعد الجهاد في سبيل الله من أبرز صفات المجتمع المسلم لما لهذه الصفة من مكانة سامقة عند الله للذين يتخذونها طريقاً توصلهم إلى اسمي وأقرب الدرجات عند الله سبحانه وتعالى، وبالرغم مما دار حول هذه الكلمة المقدسة من مهاترات ومفتريات من قبل أعداء الإسلام وأتباعهم، فيكفي المسلمين شرفاً أنهم عن طريق الجهاد

بطريقة المتعددة يريدون أن يقدموا النهج الإلهي المنير إلى أبناء جنسهم ليكونوا لهم اخوة في الله يتساوون معهم في مختلف الحقوق والواجبات، ويفوزوا جميعا بنعيم الدنيا والآخرة، ولكن ماذا نقول للذين لا يريدون إلا الحياة الدنيا، وجعلوها مبلغ علمهم ومركز اهتمامهم، فسر الاختلاف بين المسلمين وغيرهم من البشر يعود إلى نظرة كل طرف إلى حقيقة الحياة الدنيا، ففي الوقت الذي ينظر فيه المسلمون إلى الحياة الدنيا على أنها مقدمة للحياة الخالدة، فان غيرهم من الناس تنتهي آمالهم وطموحاتهم داخل إطار الحياة الدنيا، أن الحق سبحانه وتعالى اخبرنا في كتابه العزيز أن الحياة الدنيا تعد دار ابتلاء وامتحان للإنسان، وفي ضوء سلوك الإنسان في الحياة الدنيا يترتب عليه مصيره في دار الخلود، لذلك فالجهاد في سبيل الله يعد من اقصر الطرق وأفضلها للوصول إلى الغاية النبيلة التي يتمناها كل ذي لب وحنان، وهي الفوز برضا الحق سبحانه وتعالى ودخول جنته التي أعدها للمتقين من عباده، لذلك فان الحق سبحانه وتعالى فرض الجهاد على عباده المتقين ليأخذ بيدهم إلى أسرع وأفضل السبل في الوصول إلى الجنة، ودليل ذلك يبدو بوضوح وجلاء في قوله عز وجل من قائل في الآيات الكريمة:

قال تعالى:

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُم كُفْرُوكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكُونُوا بِرَبِّكُمْ وَأَنْ تَقُولُوا لَا تَقْتُلُوا نَفْسَكُمْ وَهُم بِكُمْ كَافِرُونَ
[سورة البقرة، آية ٢١٦]

وقال تعالى:

وَأَقِمُّوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْتَبِعُوا رِبْعَهُمْ وَارْجِعْ أَعْيُنَكُمْ عَلَى الْفَاةِ عَاقِبَةُ الْأُمَمِ
وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِمْ
[سورة التوبة، آية ١١١]

وقال تعالى:

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَأَمَّا كُفْرُكُمْ فَمِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
[سورة التوبة، آية ٤١]

وقد خاطب الحق سبحانه وتعالى الذين يتقاعسون عن تأدية واجبه الجهادي في سبيله بعدة أساليب لكي يدركوا أهمية هذه الفريضة وما تجلبه عليهم من سعادة ونعيم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ
[سورة آل عمران، آية ١٤٢]

قال تعالى:

أَمْرٌ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا آتَاكُمُ الْمَوْلُودُ الْأَخْرَجْتُمُوهُ مِنَ الْبُيُوتِ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
[سورة التوبة، آية ١٦]

وقال تعالى:

تِلْكَ آيَاتُ الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۗ أَرْضَيْتُمْ بِالْحِكْمَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
[سورة التوبة، آية ٣٨]

وقد أعطى الحق سبحانه وتعالى مكانة خاصة للذي يستشهد في سبيله دون غيره من الناس لما لهذه الفريضة من منزلة رفيعة عنده سبحانه وتعالى ودليل ذلك يبدو في الآيات الكريمة التالية:

وقال تعالى:

لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۗ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ۗ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَسَبِهِمْ آخِذِينَ بِالذِّمَّةِ لِمَ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِمَّنْ خَلْفَهُمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾
[سورة آل عمران، الآيات ١٦٩-١٧٠]

وقال تعالى:

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَاتَ اللَّهُ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾
[سورة البقرة، آية ١٥٤]

وقد علمنا رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فريضة الجهاد وأهميتها فعلاً وقولاً. فعلاً عن طريق الغزوات المتعددة التي قادها ضد أعداء الإسلام، وقولاً عن طريق ما وصلنا عنه صلوات الله عليه من أحاديث نبوية طاهرة وسوف نورد بعضاً من هذه الأحاديث النبوية الشريفة لنصل بعون الله إلى المراد.

"سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "أي العمل أفضل" قال "إيمان بالله ورسوله" قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله" قيل ثم ماذا؟ قال: "حج مبرور" (متفق عليه).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله؟ أي العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله والجهاد في سبيله" (متفق عليه).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أي الناس أفضل؟ قال: "مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله". قال: ثم من؟ قال: مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره" (متفق عليه).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها" (متفق عليه).

لذلك فإننا نجد ابن الإسلام وفارسه قد فهم حقيقة الجهاد من كتاب الله وسيرة معلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وممارسه فعلاً في حياة رسول الله، وقد شهدت له الغزوات والمعارك أي نوع من الفرسان كان.

فإذا ما تصفحنا التاريخ الإسلامي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وجدناه ابرز فرسان غزوة بدر، أحد، الخندق، وخيبر، لذلك ليس غريباً ان يصف لنا إمام المتقين الجهاد في كلماته المعبرة الدقيقة حيث يقول : "أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالاسداد، وأدبيل الحق منه بتضييع الجهاد" (نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ص ٦٧-٦٨).

القومية

بعد أن فرغنا من الحديث عن تاريخ الإسلام وماهيته وخصائص المجتمع المسلم وميزاته، لا بد من الشروع في توضيح مفهوم القومية بشكل ساطع منير ليتسنى لنا توضيح معالم العلاقة بين الإسلام والقومية، ولقد رفع الإنسان شعار القومية عبر تاريخه المديد وما زال يشد هذا الشعار انتباه واهتمام الكثير من الناس بالرغم من عدم وجود مفهوم تام لهذا المصطلح وما يعكسه من آثار واسعة على معتقداتهم.

فكلمة قومية مشتقة من كلمة قوم التي يجوز الإشارة إليها بالتأنيث والتذكير سواء، والقوم تعني الرجال والنساء الذين ينحدرون من جد واحد، والقوم يميزهم عن غيرهم من الأقسام رابطة الدم، ومكان الإقامة، والعادات والتقاليد المتداولة فيما بينهم وهذه الأمور جميعها هي التي تؤسس عليها أفكار القومية إذ تؤدي إلى إبراز الطابع الخاص لهؤلاء القوم دون غيرهم من الناس.

فالقومية كما هي معرفة في قاموس علم الاجتماع لهنري فيرتشيلد: "هي جماعة من الناس تربطهم روابط واضحة من الثقافة المتجانسة والقومية الصحيحة تستمد حيويتها من شعور أفرادها بوحدة نوعهم، ومن التشابه الأساسي بين تقاليدهم وطباعهم، ومن مقومات القومية، تجانس الخصائص الثقافية ان لم تكن وحدتها الكاملة، وكذلك تجانس النظم الأساسية، كاللغة والدين ووسائل الزينة، والقانون الخلقي، والنظام السياسي، ونمط الأسرة، والقيم والمثل، ويشعر الأفراد المنتمون لقومية ما برابطة التعاطف فيما بينهم شعورا يختلف عما يحسون به نحو أفراد قومية أخرى، ويحسون بالرغبة في أن يعيشوا معيشة مشتركة" (أبو الفتوح، ١٩٦٨).

ويبين لنا داعية القومية العربية في القرن العشرين ساطع الحصري في كتابه "ما هي القومية" أهم الأسس التي تبنى عليها لحملة القومية حيث يقول "إن أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو: وحدة اللغة ووحدة التاريخ، لأن الوحدة في هذين الميدانين، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة، وبكل ذلك، تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأمم الأخرى، ولكن لا الدين، ولا الدولة، ولا الحياة الاقتصادية تدخل بين مقومات الأمة الأساسية" (الحصري، ١٩٥٩).

ويعرّف ميشيل عفلق القومية قائلاً: "القومية للشعب كالاسم للشخص والملاح للوجه، هي قدر قاهر يسير مجموعة من البشر في مجرى الحوادث والظروف بصورة فريدة، وينسج عليه غلافاً من الصفحات متميز الشكل، وكما أن من العيب ان يضع المرء عمره في اللهف والأسف لولو ولدت في غير هذا البيت ووجدت على غير هذه الصورة فإن من الجهد الضائع أيضاً أن يحاول الإنسان التحلل من رباط قوميته التي أحكمت شداها به أصابع القرون" (عفلق، ص ١١٤).

ويرى منيف الرزاز أن القومية هي: "شعور بحياة واحدة، ومصير واحد، ورسالة واحدة وعقلية واحدة"

(الرزاز، ١٩٦٠).

بينما يرى الكاتب يوسف خليل في كتابه "القومية العربية ودور التربية في تحقيقها" إن القومية تعني "ضرب من العاطفة الاجتماعية، تقوم دعائمها على مشاركة أعضائها بعضهم بعضاً، في قيم معينة" (خليل، ١٩٦٧).

"المدلول الاصطلاحي للقومية تعني الانتساب إلى قوم معين أو نزعاً تربط الفرد بقوم تتكون فيما بينهم روابط متجانسة ومتشابهة، وتوحد بينهم الأهداف والمصير، والآمال والتقاليد، والعادات" (عباس، ١٩٧٣). واضح من التعريفات السابقة للقومية والتي احتزناها كنماذج متعددة حول القومية وأهدافها أن هناك غموضاً واضحاً في ماهية القومية والأسس المكونة لها، كما أن هناك قلة وضوح فيما تسعى القومية إلى تحقيقه، هذا بالإضافة إلى إن هناك خلافاً بين المؤرخين حول تاريخ نشوء القوميات، فمنهم من يعتقد أن القومية ظهرت إلى حيز الوجود في القرن الثاني عشر الميلادي، ومنهم من يعتقد أن القرن التاسع عشر للميلاد هو فترة بزوغ القومية في أوروبا، ولكن حقيقة تاريخ القومية يرجع إلى بداية تاريخ الإنسانية، وهذا الاعتقاد سوف نوضحه بالتفصيل عندما نتحدث بعون الله عن علاقة القومية بالإسلام في الصفحات القادمة.

يلاحظ من التعريفات السابقة للقومية أنها تركز على الانتماءات العرقية والتي تجعل من الناس مجموعات متعددة تنطوي تحت شعارات قومية دون الالتفات إلى المدارس الفكرية التي قد تجمع قسماً كبيراً من الناس من مختلف القوميات تحت إطار فكري واحد، ولأن أهم المرتكزات الأساسية التي تبنى عليها القومية هي رابطة الدم أو نظرية العرق التي ترهط أبناء القوم الواحد، وهذه النظرة تكون فهماً أنانياً، واستعلائياً، واستكبارياً في أذهان أبناء القومية الواحدة، وهذا ما يؤدي بالتالي إلى الصراعات الدموية والتي ينتج عنها القتل، والسلب، والطرده، والتعذيب، والاسترقاق، والعبودية، والاستغلال والى غيرها من الأمور التي عانت منها الإنسانية عبر وجودها التاريخي، لقد أفسدت العصبية العرقية البغيضة أفكار جهابذة الفكر والفلسفة اليونانية أفلاطون، وأرسطو حين نادى كل واحد منهما بتفوق العنصر اليوناني على بقية الشعوب والأقوام الأخرى، "يقسم الجنس البشري من وجهة نظر اليونانيين إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول: طبقة الأحرار وهؤلاء هم الجنس اليوناني، والنوع الثاني: الأجناب: وهؤلاء هم الأقوام الأخرى عدا الجنس اليوناني، والنوع الثالث، وهم الذين أسترقوا من قبل اليونان في الحروب، ويقرر أفلاطون في كتابه "القوانين" ان النوع الثالث من البشر كتب عليهم الذل، وهذا الذل المكتوب عليهم يقضي بحرماتهم من حق المواطنة وإجبارهم على الطاعة والخضوع للأحرار من ساداتهم أو من سادة الغرباء ومن يتناول منهم على سيد غريب سلمته الدولة إليه ليقصص منه كما يريد" (دسوقي، تاريخ الفكر السياسي، ص ٤١).

"أما أرسطو فانه يرى أن هناك فصيلتين من الناس: الأولى فصيلة اليونان وهي مزودة بالعقل والإرادة وقد فطرت على التقويم الكامل وهي سيدة على سائر المخلوقات، أما الفصيلة الثانية فهي تمثل جميع البشر ما

عدا العرق اليوناني، فلم تزود بالعقل والإرادة وإنما أعطيت قوة جسمانية، وقد فطرت على هذا التقويم الناقص ليكونوا عبداً مسخرين للفصيلة الأولى اليونانية المختارة" (سقفان، ص ٧٨).

"... يعتقد القومي، بان أمته يجب أن تسيطر على الأمم الأخرى سيطرة كاملة، او ان تكون لها بينها الكلمة العليا على الأقل بل وإن لأمته أن تتخذ الخطوات الحاسمة الكفيلة بتحقيق ذلك" (بويد شيفر، ١٩٦٦).

"ومما هو جدير بالذكر والملاحظة، أن جميع الآراء التي أبديت والأبحاث التي نشرت في "الفكرة القومية" وفي "مبدأ حقوق القوميات" خلال القرن التاسع عشر، كانت تنحصر في الشعوب الأوروبية وفروعها، ولم تشمل الشعوب الآسيوية والإفريقية، لأن جميع المفكرين الأوروبيين كانوا يزعمون أن تلك الشعوب ليست "متأخرة" فحسب، بل هي "محرومة من قابلية التقدم والتمدن" أيضاً ولذلك فهي لا تستحق الحقوق التي تستحقها الشعوب الأوروبية، حتى الكتّاب الذين كانوا التزموا مبدأ "حقوق القوميات" أشد الالتزام وتحمسوا له أشد التحمس، لم يخرجوا بآرائهم في ذلك خارج نطاق الأوروبيين، ولم يسلموا بمثل تلك الحقوق للشعوب الآسيوية والإفريقية" (الحصري، ١٩٥٩).

وفي ضوء ما تقام يبدو بوضوح وجلاء أن شعار القومية يعني سباقاً حراً لا يضبطه نظام بين سائر الأقوام بهدف الوصول إلى المرتبة الأولى أو المراتب المتقدمة بين الأقوام لاستغلال تلك المرتبة في إذلال الآخرين وسلبهم حقوقهم التي جسدت فيهم كمخلوقات بشرية، فماذا يعني إذكاء روح الجرمانية في ألمانيا، والفرنسية في إيران، والطورانية في تركيا، واليونانية في اليونان، والمارونية في لبنان، والعربية وغيرها من القوميات الأخرى سوى إثارة الفتن والحروب الدامية، وزرع بذور الكراهية بين أبناء الجنس الواحد، أن أي نظرة فاحصة مخلصه لما حدث في تاريخ البشرية من مصائب وأهوال يرجع أغلبها إلى النظرة الاستكبارية التي مارسها قوم ضد آخرين من البشر، وإذا أمعنا النظر في أغلب الحروب التي وقعت في القرن العشرين نجد الأسباب الرئيسة وراء حدوثها يعود إلى الاستكبار والاستعلاء في نفوس قوم على قوم أو عدة أقوام آخرين، إن أهم المرتكزات التي تبنى عليها القومية هي رابطة الدم أو نظرية العرق التي تربط جميع أبناء القوم الواحد، ودليل ذلك يكمن في انه لو توفرت عند فئة من الناس كافة المرتكزات الأخرى للقومية من عادات وتقاليد ولغة، وتاريخ، وأهداف، إلى غيرها من المرتكزات دون استيفاء رابطة الدم، لن يسمح لها أن تنتمي إلى قومية تشاركها في مختلف المرتكزات القومية ما عدا رابطة العرق، وهذا يدل بشكل قاطع على النظرة الاستعلائية والاستكبارية التي يكنها أبناء كل قوم لأبناء الأقوام الأخرى.

لقد تناسى دعاة القومية أو جهلوا حقيقة أولى هي من ابرز سجايا النفس البشرية وهي حرية الاعتقاد والتفكير، والاختيار بين السبيلين. لقد جسد خالق الإنسان حرية الاختيار في الذات الإنسانية بعد أن وهبها المكلة العقلية التي يستطيع الإنسان من خلالها ان يميز بين الخير والشر بعد أن وضحهما الحق سبحانه وتعالى للإنسان، لذلك فهي من المسلمات الأولى أن يعتقد الإنسان في ضوء ما اختار لنفسه من معتقدات وأفكار يود أن يعيش في ظلها في شتى أموره الحياتية، ومثالا على ذلك نأخذ الإنسان العربي فله الحرية في ان يختار إحدى

السبيلين كما هو الحق لأبناء جنسه من البشر فالإنسان العربي قد يكون مسلماً إذا أناب واستقام للحق الذي أرسله الباري عز وجل هدى ورحمة للناس جميعاً وفوض أمره لخالفه، وسار في ضوء النهج الإسلامي في شتى أمورهِ الحياتية، وقد يكون الفرد العربي شيعياً عندما يؤمن بالفلسفة البراهماتية ويتخذها قاعدة لإنطلاقاته الفكرية والسلوكية في شتى أمور الحياة، وللإنسان العربي الحق في ان يختار ما يريد من المعتقدات والأفكار سواء أكانت شرقية أم غربية، ماركسية أم ماوية، هندية أم إغريقية، ديوية أم لينينية، فجميع هذه المعتقدات والأفكار المتضادة والمتعكسة حول مختلف القضايا الوجودية التي تم الإنسان لا تسلب الإنسان العربي رابطته العرقية او الدموية مع أبناء جنسه، لأنهم جميعاً ينتمون إلى قوم واحد ورابطة دم واحدة مع اختلاف معتقداتهم، وأفكارهم وأنماط سلوكهم، وأهدافهم، والسؤال الذي يبرز إلى الذهن مباشرة، كيف يمكن لقومية عربية أو غير عربية أن تحتوي على أفراد من العرب عرقاً ودماً، ويعتقدون بمختلف الأطر الفكرية والمدارس الفلسفية التي عرفها البشر، وما يترتب على هذه المعتقدات من أنماط سلوكية متغايرة وأهداف دنيوية متعكسة؟ كيف يمكن أن تجمع شتى المدارس الفلسفية وما ينتج عنها من معتقدات، وأهداف وأنماط سلوكية مع النهج الإسلامي وما يعكسه من معتقدات، وأهداف، وأنماط سلوكية عند معتنقيه؟ كيف يمكن أن يتم الجمع بين طريق الخير وطريق الشر في بوتقة واحدة؟ كيف يمكن أن يتم الجمع بين حزب الله وحزب الشيطان؟ كيف يمكن أن تجمع هذه الأضداد في مجتمع واحد وفي وقت واحد تحت وطأة دعوة عاطفية جامحة شعارها نظرية العرق او رابطة الدم؟ ان الذي يود أن يسعى إلى جمع تلك الأضداد كالذي يود أن يجمع بين الليل والنهار في وقت واحد ومكان واحد. إن الجمع بين تلك الأضداد لن يكون إلا على حساب بعضها بعضاً، فالجمع بين جمع الخير وجمع الشر لن يكون إلا لمصلحة طرف على حساب الطرف الآخر، إن المجتمع الذي يؤسس بنيانه على الجمع بين التناقضات لن تكون له هوية ذاتية، ولن تكون له فلسفة تربوية، واجتماعية، واقتصادية واضحة، ان هذا النوع من المجتمعات لن يعرف التماسك، والاستقرار، والتقدم، والنمو المبرمج لان ما فيه من تناقضات سوف تعكس ذاتها في جميع أوساط المجتمع وفي شتى أمورهِ الحياتية وهذا هو حال مجتمعات دول العالم الثالث.

وهناك فكرة مؤثرة تلوح في الأفق تدر على الإنسان الخيرات والفوائد الجمة في الحياة الدنيا والآخرة وهذه الفكرة هي توسيع نطاق القومية الضيق إلى إطار الإنسانية الرحب، طالما نحن البشر جميعاً متحدون من نسل واحد وذرية واحدة، فأبونا آدم وأبنا جميعاً حواء، وتتحدهم جميعاً تحت راية واحدة، وشعار واحد، ومعتقدات واحدة ضد أعدائنا نحن البشر من الأجناس الوجودية الأخرى، لما لا يكون هذا التجمع الإنساني النبيل ضد عدو الإنسانية الأبدي إبليس ومن تبعه من جنود؟ وفي هذه الحالة تسير الأمور بشكل منطقي معقول عندما يتعاقد أبناء جنس واحد ضد أعدائهم من الجنس الآخر، إننا نعلم علم اليقين أن العدو الأكبر لأدم وذريته على مر تاريخ البشرية هو إبليس وقبيله، إن العلم والمنطق يلزمان الإنسان أن يتكاتف مع أخيه الإنسان ويقف معه صفاً واحداً في وجهه العدو الإنسانية. لماذا تغيب هذه الأفكار عن أذهان دعاة القومية، والإقليمية، والشعوبية، والعنصرية، والفئوية،

والحزبية؟ لماذا يقفون موقف العدا من الأفكار كافة التي تدعو إلى وقوف الإنسان مع أخيه الإنسان ليشد أزره في مواجهة عدوه الأشر، لماذا يقفون ضد حب الإنسان لأخيه الإنسان وتعاطفه معه في مختلف الأمور والقضايا؟ لماذا يجارون هذه الأفكار النبيلة عندما تطرح على الساحة؟ أمها المصالح الذاتية، والشهوات الفردية، والنظرات الاستعلائية التي وشحت عليها نفوسهم فجعلتهم ينظرون الى كل شيء من خلال تلك المصالح والشهوات الذاتية دون الالتفات إلى ما يعاني الآخرون من صراعات، واسترقاق، وإذلال، وعبودية، وهضم حقوق وغيرها من الأمور التي يندمج بها البشرية أسفاً وندماً على تلك التصرفات العنصرية والاستعلائية التي يروج لها دعاة الاستغلال والاستكبار.

إن الإنسان يعلم علم اليقين ان الحق سبحانه وتعالى بعث له الهدى عن طريق رسله رحمة وهدى للعالمين لينير للإنسان دربه ويوضح له طريق الخير ويحبه فيه ويدله على طريق الشر وينهاه عنه ليشد من ساعده في مقاومة عدوه الأشر ويجرره من أحابله، وهمزاته، وتسويلاته، ومن المؤسف حقا ان نجد أكثر الناس صدقوا عن العون الذي جاءهم من عند خالقهم سبحانه وتعالى واتبعوا عدوهم اللدود حتى غدوا من جنده العائنين في هيكل الإنسانية وطموحاتها، كل هذا الانحراف عن النهج الإسلامي قام به الإنسان وهو يتذرع بالحجج الواهية التي تنم على ضعفه ومزاجيته وهو يرفع الشعار تلو الآخر ضد النهج الإسلامي، وأول شعار رفعه الإنسان ضد الحق، وضد الأنبياء والرسل، وضد الخير هو شعار القومية، وهذا ما نريد ان نقوم بتفصيله بعون الله في الصفحات القادمة عندما نتحدث عن الإسلام وعلاقته بالقومية.

الإسلام وعلاقته بالقومية

هناك عديد من الآراء المتضادة حول العلاقة بين القومية والإسلام نادى بها الكتّاب والمؤلفون على اختلاف نهمج الفكري، وقد ازدادت المؤلفات انتشاراً في هذا القرن العشرين نظراً لكونه قرن القوميات لشعوب آسيا وأفريقيا كما يدعي كتاب القومية، ولعل من المفيد جداً أن نعرض آراء بعض الكتّاب حول هذا الموضوع من جوانبه المتعددة ثم نذهب إلى توضيح المعالم الأساسية لهذا الموضوع الهام عن طريق عرض جذوره التاريخية والحاضرة، والمستقبلية.

هناك آراء لفارس القومية العربية في القرن العشرين ساطع الحصري أردنا عرضها هنا لنرى معاً كيف ينظر للعلاقة بين الإسلام والقومية وهي: "إن فكرة القومية العربية صادفت في طريق سيرها وانتشارها عراقيل كبيرة، وعقبات خطيرة وقد تغلبت على الكثير منها منذ بداية القرن الحالي:

فإنها احترقت أولاً السد المنيع الذي تكون من امتزاج فكرة الجامعة العثمانية بمعنوية الخلافة الإسلامية وهي على وشك الانتهاء من التغلب على العقبات التي تعترض طريقها باسم الرابطة الشرقية من ناحية، والرابطة الإسلامية من ناحية أخرى" (الحصري، ١٩٥٩).

"إن الأديان والمذاهب في البلاد الأوروبية، قد أثرت في سير الحركات القومية عن طريق تدخلها في صراع اللغات وتنافسها، كعامل "مساعد" لبعضها، عامل "عائق" لبعضها الآخر، ولكنها لم تصبح قط، عاملاً في تكوين القوميات" (المصدر السابق).

"إن آراء المعارضين للفكرة القومية -بناء على حجج دينية- ظلت تسيطر على أذهان الكثيرين مدة طويلة، وبذلك أعاقت كثيراً نشوء الفكرة القومية في البلاد العربية" (المصدر السابق، ص ٢٠٠).
"إن الديانة الإسلامية لعبت دوراً هاماً في تقدم القومية العربية وتوسعها، لأنها: أولاً: كانت "القومية الدافعة" للفتوحات العربية، التي نشرت اللغة العربية، ووسعت نطاق القومية العربية، ثانياً: صارت "القومية الواقعية" التي أكسبت اللغة المذكورة نوعاً من "المناعة" ضد عوامل التفرغ والتفتت، وصانت بذلك القومية العربية من الانشطار في عهد انحطاطها الطويل، ولكن ذلك لا يعني: ان القومية العربية ظلت مرتبطة بالديانة الإسلامية لأنه: قد تكونت أمم إسلامية غير عربية من ناحية، وجماعات عربية غير مسلمة من ناحية أخرى" (المصدر السابق، ص ٢٤٩).

وقد استشهد ساطع الحصري بأحد الأبيات الشعرية ليوضح لنا بجلاء علاقة القومية بالإسلام:
سَلامٌ عَلَى كَفَرٍ يوحى بَيْنَنَا يَا هَلْأَسْهَلًا بَعْدَهُ بِجَهَنَّمَ

(المصدر السابق، ص ٢٥٠)

وفي هذا الموضوع يقول الياس مرقص: "الإسلام أسهم في تكون قومية عربية في إطار جغرافي -تاريخي- معلوم ومحدود... كما أن الإسلام أسهم في تكون قوميات عديدة في آسيا وأفريقيا وأوروبا، يفوق تعداد أفرادها عدة مرات تعداد أفراد القومية العربية.. إذاً فالإسلام لم يكن قومية عربية إسلامية واحدة.. بل أكثر من ذلك" (مرقص، ص ١٤١).

يرى الدكتور عبد الله السامرائي في كتابه "الإسلام والقومية والإسلام والأمة" إن الرسالة الإسلامية عملت على تهذيب الشعور القومي وتنقيته من الشوائب العنصرية والصعود بالاتجاه القبلي من بؤرة الصراع والتعصب إلى آفاق الوحدة القومية الجامعة، كما عملت الرسالة الإسلامية على تحريك الولاء القومي والترابط بين أبناء الأمة الواحدة من دائرته القومية إلى الدائرة الإنسانية على اعتبار أن الدائرتين تكمل إحداها الأخرى حيث أن الدائرة القومية ذاتها تقوم على وحدة الإنسان ووحدة الأمة، وان هذا الإنسان واحد في القيمة عند سائر الأمم.. ولما كان الإسلام الرسالة الخاتمة وهو للناس جميعاً فان كل شعب يؤمن بهذه الرسالة يعمل بها يتحول إلى أمة... فعندما يؤمن الفرس بالإسلام يجعل منهم أمة فارسية وعندما يؤمن الأتراك به يصير هذا الشعب أمة تركية وعندما يؤمن البنغاليون بالإسلام يصير -الأمة البنغالية- وهكذا بالنسبة لكل شعب، ومن اجل تسمية هذه الأمم تسميات دقيقة وربط هذه التسمية بالنظرية التي كانت وراء قيامها فتسمى تلك الأمم بأسماء أقوامها ولعاقبهم

مضافاً إليها اسم -الإسلامية- فتكون هناك أمة فارسية إسلامية وأمة تركية إسلامية وأمة بنغالية إسلامية وهكذا .. ونظراً لأن لغة الرسالة الخاتمة هي العربية ولغات هذه الشعوب غير العربية فإن إيمان هذه الشعوب بالإسلام يصيرهم أمماً ولكن لا يصيرهم قوميات .. لان اللغة أهم عنصر من عناصر التكوين القومي، ان تفاعل الرسالة الخاتمة مع العرب حولهم أمة عربية إسلامية وان هذا التفاعل حولهم الى قومية عربية .. ذلك لان لغة القران هي العربية أهم ركن من أركان التكوين القومي" (السامرائي، ١٩٨٥).

واضح من المقتطفات السابقة مدى التناقض والتخبط تارة وعدم الوضوح تارة أخرى، وعلى الذي يود ان يرى المزيد حول عداء أبطال القومية للإسلام ان يطلع على مؤلفات الكاتب ساطع الحصري، والأمير مصطفى الشهابي، والدكتور محمد معروف الدواليبي، والذي يود أن يعي أهم الدوافع الكامنة وراء إذكاء روح القومية العربية أن يطلع على كتاب "أعمدة الحكمة السبعة" للمؤلف ت. أ لورانس.

يقول شيخ جامع الأزهر السيد محمد مصطفى المراغي : غير خاف عليكم أن الدين لم يذهب إلى العصبية الجنسية ولم يفرق بين العربي وغير العربي، وجعل الأمة الإسلامية واحدة، لا فرق بين أجناسها" (الحصري، ص ٢٠٤).

ويبدو بوضوح رأي أبو الأعلى المودودي رحمه الله حول هذا الموضوع في كتابه "الأمة الإسلامية وقضية القومية" حيث يقول إن من يبحث عن معنى القومية وحقيقتها بحثاً سريعاً خاطفاً، لا يمكن أن يخفى عليه أن الإسلام والقومية يتعارضان معا من حيث روحهما وهدفهما، فالإسلام يخاطب الإنسان ويتعامل معه من حيث كونه إنساناً، فهو يقدم للبشرية جمعاء نظاماً اجتماعياً للعدل والتقوى، يقوم على أساس عقائدي وأخلاقي، ويدعو جميع البشر إلى هذا النظام، وهو يضم من يقبل هذا النظام الى دائرته ويتمتع بحقوق متساوية مع الجميع، ولا يكون هناك أي مجال لتفرقة تمييز من أي نوع طبقياً كان او جغرافياً، قومياً كان أو عرقياً، بين من يتبع عقيدة الإسلام، في مجال العبادات او مجال الاقتصاد او السياسة او الحقوق والواجبات أو في مجال آخر من مجالات الحياة، فهدف الإسلام النهائي هو إقامة دولة عالمية تتحطم فيها جميع سلاسل التعصبات العرقية والقومية، ويقام فيها نظام مدني وسياسي ويشترك فيه البشر جميعاً بحقوق وفرص للرفعي متساوية، ويحل التعاون الأخوي محل المواجهة العدائية حتى يقوم الناس بمساعدة بعضهم بعضاً في تطورهم المادي والروحاني. أن نظام الأصول والمبادئ ونظم الحياة التي وضعها الإسلام للفلاح البشري، يمكن لها أن تجذب الناس عامة حيث يخلون أنفسهم من عصبية الجاهلية، وحين يطهرون أنفسهم من التعلق بمثلهم القومية، وعاطفة التفاخر العرقي، والمحبة القائمة على علاقات الدم والتراب، ويصبحون على استعداد للإجابة على هذه الأسئلة كبشر ليس إلا: ما هو الحق؟ أين يكمل العدل والإنصاف؟ ما هو طريق فلاح البشرية ورخائها من حيث المجموع لا من حيث كونها طبقة واحدة او أمة واحدة أو بلد واحد؟ وعلى العكس من هذا فان القومية تفرق بين الإنسان والإنسان على

أساس قوميته. فمعنى القومية هو ان يفضل القوميون في كل أمة قوميتهم على جميع القوميات الأخرى، وان يكون هذا القومي قومياً ظالماً عدوانياً لأن من مستلزمات القومية أن يفرق على الأقل بين القومي وغير القومي من الناحية الحضارية والسياسية والقانونية، فيحفظ لأهل أمته أكثر الامتيازات، كما يقوم بالحفاظ على المثل التاريخية والعصبية التي تقوم عليها قوميته، ويرعى ما بداخله من عواطف الفخر والتفاخر القومي، فهو لن يشرك معه أهل القوميات الأخرى في أي مجال من مجالات الحياة على أسس متساوية، ولأنه من الواجب أن تتمتع أمته بفوائد ومنافع أكثر من الأمم الأخرى فان قلبه يعمى عن العدل والإنصاف، فهدفه النهائي هو إقامة الدولة القومية، بدلا من الدولة العالمية، ووط حدث واختار نظرية عالمية فان شكلها يكون بالضرورة شكلا استعمارياً او قيصرياً لأن أهل القوميات الأخرى لا يمكن أن ينضموا إلى دولته ويتمتعوا بالمساواة، بل يمكنهم أن ينضموا إلى دولته كخدم فيها... يتضح بسهولة ان هذين المنهجين متعارضان متضادان، فحيث توجد القومية لا يمكن للإسلام ان ينمو، وحيث يوجد الإسلام، لا يكون هناك مكان للقومية، فمعنى نمو القومية هو أن يعلق الطريق أمام انتشار الإسلام، ومعنى نمو الإسلام هو اقتلاع جذور القومية من أساسها، والآن اصبح من الواضح ان الشخص الواحد الذي يدفع في وقت واحد عن نمو هذين المنهجين معاً، إنما هو يعارض نفسه، فلا يمكن بأي شكل من الأشكال ان يركب شخص قارين لكل منهما اتجاه معاكس في أن واحد، أن من يدعي تبعيته لمنهج، ومع هذا يدافع عن منهج آخر يخالفه تماماً، يعبر عن اضطرابه الذهني، ونرى أنفسنا مضطربين ان نقول لمن يقوم بهذا، انه لا يفهم الإسلام، او انه لا يفهم القومية، أو انه يجهل الاثنين معاً" (أبو الأعلى المودودي، الأمة الإسلامية وقضية القومية، ١٩٨١، ص١٥٣-١٥٥).

بعد أن عرضنا الآراء السابقة وما تحمل في طياتها من أفكار متضاربة حول العلاقة بين الإسلام والقومية، فلا مندوحة لنا من الرجوع إلى الجذور التاريخية للإسلام والقومية ونرى كيف كانت العلاقة بينهما عبر التاريخ لنصل في النهاية إلى حقيقة العلاقة بين الإسلام والقومية ونوعيتها.

بين لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز انه خلق آدم وزوجه حواء في عالم الغيب، وطلب من الملائكة أن تسجد لآدم عليه السلام فسجدوا جميعاً إلا إبليس أبى واستكبر، وكانت حخته الواهية انه خلق من مادة ومعدن افضل من المادة التي خلق منها آدم إذ انه خلق من نار وآدم عليه السلام خلق من طين، ونفخ فيه من روحه جلّت وتعالّت قدرته، وخلق من نفس آدم وزوجه حواء وقال لهما اسكنا الجنة ولا تقربا تلك الشجرة وإياكم وعدوكم إبليس أن يخرجكما من الجنة كيداً وعدواناً منه لآدم وزوجته، غير أن إبليس استطاع أن يغوي آدم وحواء ويكون سبباً في إخراجهما من الجنة، فقد أمر الحق سبحانه وتعالى بمبوط آدم وحواء وعدوهما إبليس إلى عالم الشهادة (عالم الحس) بعضهم لبعض عدو، وقد وعد الحق سبحانه وتعالى رحمة وتلطفاً منه ذرية آدم أن يعث لهم هدى ينير لهم سبل الخير والرشد ويقوي من قدرة الإنسان ويشد ساعده في مقاومة عدوه اللدود إبليس، كما بين الحق سبحانه وتعالى ان هذا الهدى بعثه سبحانه وتعالى ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، وان من يؤمن بهذا النور سيكون له الفوز العظيم،

والذي يصدف عنه يكون له الهلاك والخسران المبين، كما بين الحق سبحانه وتعالى أن هذا الهدى سيأتي إلى بني آدم عن طريق رسل منهم يقصون عليهم آياته سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

يَبْنِي ۖ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ۖ إِنِّي لَمِّنِّي فَمَن ۖ أَتَقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٥﴾

[سورة الأعراف، الآيات ٣٥-٣٦]

وقد بين لنا الباري سبحانه وتعالى مهمة هؤلاء الرسل بأنهم مبشرون للذين آمنوا بهذا الهدى الإلهي المنير ومنذرين للذين ابتعدوا عن النهج الإلهي وأنكروا المصير الذي سوف يلاقه كل طرف في اليوم الآخر. وهذا جميعه يقفل الطريق أمام الناس في اليوم الآخر من التذرع بالحجج الواهية يوم الوقوف أمام الحق سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

[سورة النساء، آية ١٦٥]

وقد شاءت حكمته سبحانه وتعالى أن يبعث كل رسول إلى قومه بلسانهم وعلى أرضهم التي يعيشون عليها ليقطع على الإنسان التبجح والتذرع بحجج واهنة، فإذا ما أرادوا أن يتذرعوا برابطة الدم ونظرية العرق فالرسول يكون منهم، وإذا أرادوا أن يحتجوا على عامل اللغة، فالرسول جاء بلغتهم وإذا أرادوا أن يرفعوا ضد الرسول شعار الأرض والوطن، فالرسول جاءهم على أرضهم وفي وسط منازلهم.

قال تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾

[سورة إبراهيم، آية ٤]

ولقد واجه رسل الحق عليهم السلام جميعا من أقوامهم أشد أنواع الأذى، والسخرية، والاستهزاء، والتكذيب، والطرده، والعداء، والقتال، وهذا ما سنوضحه من خلال عرض بعض النماذج لما حصل مع بعض رسل الحق سبحانه وتعالى.

إن أول رسول بعث إلى قومه ليقودهم إلى سبيل الخير والرشاد هو سيدنا نوح عليه السلام لحاجة قومه الماسة لمن يبين لهم طريق الخير والصلاح بعد أن دب بينهم الفساد، وقد جاء ذكر سيدنا نوح عليه السلام في القرآن الكريم في سورة الأعراف، وسورة يونس، وسورة هود، وسورة "المؤمنون" وسورة الشعراء، وسورة نوح.

"كان الناس بعد آدم عليه السلام يعيشون أمة واحدة على بساطة وسناجة، وهم على الفطرة الإنسانية حتى فشا فيهم روح الاستكبار وآل إلى استعلاء البعض على البعض تدريجياً واتخاذ بعضهم بعضاً أرباباً وهذه هي النواة الأصلية التي لو نشأتهاخضرت وأنبعت لم تثمر إلا دين الوثنية والاختلاف الشديد بين الطبقات الاجتماعية باستخدام القوي للضعيف، واسترقاق العزيز واستدراجه للذليل، وحدوث المشاجرات والمنازعات بين الناس فشحاع في زمن سيدنا نوح عليه السلام الفساد في الأرض، وأعرض الناس عن دين التوحيد وعن سنة العدل الاجتماعي، وأقبلوا على عبادة الأصنام، وقد سمى الله سبحانه وتعالى منها وداً وسوعاً ويغووثاً ويعوقاً ونسراً. وتباعدت الطبقات، فصار الأقوياء بالأموال والأولاد يضيعون حقوق الضعفاء، والجبايرة يستضعفون من دولهم ويحكمون عليهم بما تمهوا أنفسهم فيبعث الله سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام وأرسله إليهم بالكتاب والشريعة يدعوهم إلى توحيد الله وخلع الأنداد والمساواة بينهم" (محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ص ٢٤٨).

إن الحق سبحانه وتعالى بين لنا في كتابه الحكيم بعثة سيدنا نوح إلى قومه حيث قال سبحانه وتعالى:

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

[سورة نوح، آية ١]

واضح من الآية الحكيمة السابقة أن الحق سبحانه وتعالى بعث سيدنا نوح إلى قومه لينذرهم قبل أن يقع عليهم العذاب وان يعودوا إلى رشدهم ولا يناهضوا فطرتهم الخيرة بانسياقهم وراء شهواتهم، وسوف نعرض الآيات القرآنية الحكيمة التي تدل على الرسالة التي نقلها سيدنا نوح إلى قومه، لنعرف بالتحديد إلى أي شيء كان يدعوهم سيدنا نوح عليه السلام.

قال تعالى:

قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا رَبَّكُمْ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّدْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

[سورة نوح، الآيات ٢-٤]

قال تعالى:

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾

[سورة الأعراف، آية ٥٩]

قال تعالى:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٢٦﴾

[سورة هود، آية ٢٥-٢٦]

إن سيدنا نوح عليه السلام كما هو واضح جلي في الآيات السابقة كان يدعو قومه إلى العودة إلى دين التوحيد والفترة بعد أن انتشر الفساد بينهم وأخذت عبادة الأصنام شأها بينهم، أنه ينذرهم بالعذاب في إطار المحبة لهم والخوف عليهم منه أن لم يغيروا من حالهم، انه يهدف إلى أن يقودهم إلى طريق الحق والإيمان بالله سبحانه وتعالى خالق البشرية وجامعها إلى يوم الدين، وسوف نعرف بالتحديد موقف قوم نوح من سيدنا نوح عليه السلام من خلال عرض الآيات القرآنية الحكيمة التالية:

قال تعالى:

قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾

[سورة الأعراف، آية ٦٠]

وقال تعالى:

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرُّكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرُّكَ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرُّوْا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾

[سورة هود، آية ٢٧]

وقال تعالى:

قَالُوا لَيْن لَمْ تَنْتَه يَنْتُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾

[سورة الشعراء، آية ١١٦]

وقال تعالى:

قَالُوا يَنْتُوحَ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِيَمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾

[سورة هود، آية ٣٢]

وقال تعالى:

﴿ قَالُوا أَنْوْمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ ﴾ ﴿١١١﴾

[سورة الشعراء، آية ١١١]

وقال تعالى:

وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرْنَ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرْنَ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾

[سورة نوح، الآيات ٢٢-٢٣]

في الوقت الذي كانت فيه نفس سيدنا نوح عليه السلام تتوق إلى إخراج قومه من الظلمات إلى النور، عن طريق توجيههم إلى بارئهم، والابتعاد بهم عن الأصنام الصماء التي اتخذوها آلهة لهم. إذ خاطبهم بكل رفق وفضاحة موضحاً لهم جميع المداخل التي تقودهم إلى الإيمان. ذهبوا إلى توجيه التهم لشخص سيدنا نوح عليه السلام وإلى من اتبعه من قومه، وهددوا سيدنا نوح عليه السلام بالرحم إن لم ينته عن دعوته لهم بترك الأصنام ويتجهوا إلى الله سبحانه وتعالى، وقد مكروا مكرًا شديداً وتواصوا على التمسك بأصنامهم كوثها من آثار الآباء والأجداد. إن الخلاف بين سيدنا نوح عليه السلام من جهة وبين قومه من جهة أخرى يدور حول قضية التوحيد التي فطر عليها الناس جميعاً والشيء الغريب أن قوم نوح قد رفعوا في وجه سيدنا نوح عليه السلام وهم يكذبونه، ويجادلونه ويهددونه برفع شعار آثار الآباء والأجداد المتجسدة في الأصنام التي كانوا يعبدونها في الوقت الذي كانوا فيه يسخرون من سيدنا نوح ومن اتبعه بالرغم من أن نوح عليه السلام والذين اتبعوه من نفس القوم، وكانوا يتحدثون نفس اللغة، ويقطنون المكان نفسه، فماذا تعني البراءة من هؤلاء الذين يعيشون بين ظهرانيهم ولا يريدون لقومهم إلا كل خير وكل ما يؤدي إليه وفي نفس الوقت يتواصون فيما بينهم بالالتزام التام بالآلهة التي ورثوها عن الآباء والأجداد. وهل كان سيدنا آدم وزوجه عليهما السلام على دين التوحيد أم على دين آلهتهم وأصنامهم، فهم لا يريدون دين الآباء والأجداد، ولو كانوا يريدونه لاتبعوا دين التوحيد الذي عاشه سيدنا آدم وحواء، وفي نفس الوقت لا يريدون أن يتبعوا الحق الذي صرح به سيدنا نوح بلغتهم وعلى أرضهم وكان في نفس الوقت واحداً منهم، فهذا الدليل الأول على رفع شعار القومية المتمثل فيما ورثوه عن الآباء والأجداد فقط للوصول إلى شهواتهم وأغراضهم الذاتية في وجه الحق وأتباعه.

قال تعالى:

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾

[سورة الزخرف، الآيات ٢٢-٢٤]

واضح من الآيات السابقة أن هذا الشعار قد رفعه الكافرون بالحق الذي بعثه الله سبحانه وتعالى ضد رسل الحق الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى بالهدى والنور رحمة للعالمين. وفي كل مرة يتذرعون بالفساد وعبودية الأصنام التي ورثوها عن آباؤهم الذين يمثلون القسم المنحرف من الناس عن دين الفطرة، وبعد ان استفد سيدنا نوح عليه السلام جميع وسائل الحوار مع قومه ولم يؤمن له إلا من آمن من قبل، كان فقد جاءهم الله سبحانه

وتعالى بالطوفان ليهلك به الكافرين وينجي سيدنا نوح ومن معه بالفلك الذي يصنعه سيدنا نوح أمام أعين الكافرين وهم يسخرون منه، وهو يقول لهم ستعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم.

ان الوشائج القومية التي تجمع سيدنا نوح عليه السلام مع قومه يجب ان تعكس ذاتها في نفوس القوم وفي جميع أفعالهم السلوكية نحو رسول القوم الذي هو منهم وجاءهم بلغتهم وعلى أرضهم يدعوهم إلى سبيل الخير والرشد. يجب ان يكن هذا الرسول مصدر إعجاب واعتزاز عند القوم الذي يفخرون بأجدادهم وآبائهم حقاً. ولكن محاربتهم للفكر الذي يدعو إليه جعلهم يسخرون منه ومن معه ويكذبونهم ويهددونهم بالرحم إن لم ينته عن دعوتهم إلى دين التوحيد. وكأنهم لا تربطهم صلة قربي بنوح ومن معه، وقد وصلت درجة العناد بهم لهذا الفكر الذي يدعو إليه ذروتها عندما انسلخ عن سيدنا نوح ابنه وزوجته ورضيا أن يكونا مع الكافرين المغرقين بالطوفان.

وهكذا انتهى الجمع الفاسد المناهض بجانب الخير في الفطرة الإنسانية عن الوجود المادي بملاكهم بالطوفان، وبقي الجمع المؤمن وعلى رأسه سيدنا نوح عليه السلام وبعد مرور السنين دب الفساد بين الناس فبعث الحق سبحانه وتعالى بسيدنا هود إلى قومه عاد يدعوهم إلى الابتعاد عن الفساد ودروبه والتوجه إلى الحق سبحانه وتعالى، وسوف نورد الآيات التي توضح لنا دعوة سيدنا هود إلى قومه لنرى إلى أي شيء كان يدعوهم وبماذا كانوا يواجهونه.

قال تعالى:

﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

[سورة الأعراف: الآيات ٦٥-٦٨]

وقال تعالى:

وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقَوْمُوا لَكُمْ مَالِكُمْ مَنِ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنَّا نَسْتَعِزُّ بِاللَّهِ
مُفْتَرُونَ ﴿٥٤﴾ يَنْقَوْمُوا لَكُمْ مَالِكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّا نَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَنْقَوْمُوا لَكُمْ مَالِكُمْ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ يَرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا
نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ
آلِ هَارُونَ بِسُوءِ قَوْلِ إِيَّايَ أَشْهَدُ اللَّهُ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٨﴾

[سورة هود، الآيات ٥٠-٥٤]

تدل الآيات السابقة بوضوح على أن سيدنا هود كان يدعو قومه إلى عبادة الله وحده وخلع الأنداد بالابتعاد عن الأصنام التي عادوا إليها بعدما دب الفساد بينهم ثانية، بالرغم من أن الأصنام وعبيدها قد انتهى أمرهم بالطوفان الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى على قوم نوح، ولكن الفساد الذي دب ثانية بين الناس جعلهم يتوجهون نحو عبادة الأصنام من دون الله سبحانه وتعالى، لذلك خاطبهم سيدنا هود عليه السلام أن يستغفروا رحيم ويعودوا إلى عبادته وأنه الناصح الأمين لهم في هذه الدعوى، فما كان جواب قومه إلا أن هاجموا بشدة واتهموه بالضلالة، والسفه، والكذب، والجنون، والشيء المذهل والعجيب أنهم سخروا منه ومن الشيء الذي يدعوهم إليه وهو عبادة الله فقالوا كيف نعبد الله وحده ونذر جانباً ما كان يعبد الآباء والأجداد، إن الآباء والأجداد بالنسبة لهم هم في الأصل سيدنا نوح ومن معه من الجمع المؤمن الذين نجّاهم الله سبحانه وتعالى من الطوفان ولكن عندما دب الفساد بينهم بعث الله سبحانه وتعالى لهم سيدنا هود ليقودهم إلى طريق الخير والرشاد، ولكنهم احتجوا عليه بأهله الفاسدين من آبائهم وأجدادهم. وهكذا رفع شعار الآباء والأجداد ثانية بوجه سيدنا هود عليه السلام لمقاومة الحق الذي يدعو إليه.

قال تعالى:

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنَبِّئْنَا بِمَا نَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾
كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧١﴾

[سورة الأعراف، آية ٧٠]

ومما تجدر الإشارة إليه أن قوم عاد كانوا من العرب الذين سكنوا الجزيرة العربية. وقد بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا صالحاً عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله والابتعاد عن الأصنام التي اتخذوها آلهة لهم من دون الله. وقد جاءهم بالناقة التي طلبوا من سيدنا صالح أن يخرجها لهم من الصخرة المقدسة عندهم فلهنوا له بما يدعوهم إليه، إذ كانوا يعظمون تلك الصخرة ويدجون عندها القرابين في رأس كل سنة، فأخرجها الله لهم كما طلبوا، ناقة عشراء تخرج لهم من الصخرة المقدسة عندهم. فكذبوا سيدنا صالحاً عليه السلام وعقروا الناقة. واستحقوا على ذلك غضب الله سبحانه وتعالى فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين جزاء تكذيبهم لرسولهم وعقر الناقة التي أمروا أن لا يمسوها بسوء.

قال تعالى:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾

[سورة هود، آية ٦١]

وقال تعالى:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ مَا يَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَنَجِّنُومُنَ الْجِبَالِ بِيُوتًا فَآذْكُرُوا عَآلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

سورة الأعراف، الآيات ٧٣-٧٤

ومن العجيب جداً أن أساليب أقوام الرسل وشعاراتهم هي متشابهة بصورة كبيرة، فالذين كفروا برسالة سيدنا صالح وطمعوا في صدقه، ذهبوا ليعلموا تمسكهم بعبارة - ما كان يعبد الآباء والأجداد - بالتحديد كما فعل من قبلهم من الأقوام.

قال تعالى:

قَالُوا يَصْلِحْ فَدَكُّتْ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا
تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

[سورة هود آية ٦٢]

وهذا يدل بوضوح على أنهم كانوا فقط ينتمون إلى الكفار والفاستدين من آبائهم وأجدادهم الذين انحرفوا
عن جانب الخير في الفطرة الإنسانية التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها. لذلك فأنهم لا يعترفون بدين آدم،
ونوح، وهود عليهم السلام ولا الذين اتبعوهم من أقوامهم، كما لا يعترفون بهم من الآباء والأجداد.

وقد بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا إبراهيم إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله
ويتخلوا عن عبادة الأوثان التي اتخذوها من دون الله، وقد بين لهم بشتى الطرق
والوسائل عدم جدوى عبادة الأوثان وفي كل مرة لا يجد من قومه إلا العناد والابتعاد عن
الحق والتمسك بأوثان الآباء والأجداد.

قال تعالى:

وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٣﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا مَا
فَنظَلُّ لَهَا عَظَمِينَ ﴿٦٥﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٦٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٦٨﴾

[سورة الشعراء، الآيات ٦٩-٧٤]

وقال تعالى:

وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾
إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا
يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾
وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٧١﴾

[سورة العنكبوت، الآيات ١٦-١٨]

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبِيدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾

[سورة الأنبياء، الآيات ٥١-٥٤]

واضح من الآيات السابقة حرص سيدنا إبراهيم على هداية قومه وما كان يرجوه منهم وهو التوجه إلى خالقهم سبحانه وتعالى وخلع الأنداد التي أشركوها مع الله سبحانه وتعالى، وما كان قومه إلا أن تمسكوا بأصنام الآباء ولأجداد كمها يعلنون. وتكاتفوا على قتل سيدنا إبراهيم أو حرقه في النار، وقد نجاه الله سبحانه وتعالى من كيدهم.

قال تعالى:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجْبَدَهُ اللَّهُ مِنْ تَلْوَانٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾

[سورة العنكبوت، آية ٢٤]

واضح من سلوك الأقبام الأربعة السابقة مع رسل الحق عليهم السلام ان هناك تشابهاً كبيراً في شعاراتهم ومواقفهم اتجاه الحق، ففي كل مرة يظهرون لرسولهم الذي جاء لإنقاذهم من الفساد الذي استشرى بينهم، العناد، والتكذيب، والقضاء التهم والعزم على قتله أو طرده هو ومن اتبعه من القوم، وفي الوقت نفسه يرفعون شعار القومية المتمثل بعبادة الأوثان والأصنام التي كان يقدها آباؤهم وأجدادهم. وبين لنا القرآن الكريم تلك المواقف والشعارات التي كان يرفعها كل قوم في وجه رسل الحق في الآيات القرآنية الحكيمة التالية:

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٠١﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخَّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُبْدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا سُلْطَانَ مُبِينٍ ﴿١٠٢﴾﴾

[سورة إبراهيم، الآيات ٩-١٠]

وقال تعالى:

وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
 ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾

[سورة الأتعام، الآيات ١٠-١١]

وقال تعالى:

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ
 طَآغُوتٌ ﴿٥٣﴾ فَنُؤَلِّعُ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾

[سورة الداريات، الآيات ٥٢-٥٤]

وعلى هذا النهج العقيم الذي ينم عن جهل الأقسام بقيمة رسل الحق سبحانه وتعالى وما جاءوا به هداية لهم، ذهبوا لمقاومة رسل الله بشتى الطرق والوسائل التي عرفها البشر بالرغم من وضوح دعوتهم وثبوت مصداقيتهم، وقد كانت حجة كل قوم أنهم لا يريدون أن يتعدوا عن دين الآباء والأجداد المتمثل بعبادة الأصنام والاعتقاد بالأوهام التي تناسب أهواءهم وأمزجتهم. إن جميع المكائد والشور المستطيرة كان يخططها كل قوم ضد رسولهم بالرغم من المعجزات التي كان يجريها الحق سبحانه وتعالى على أيدي رسله، لتكون أدلة ساطعة مشرقة على صدق دعواهم، هذا بجانب العدد الهائل من الطلبات التي كان يشترطها كل قوم على رسولهم لكي يؤمنوا له. ومن المؤسف حقاً انه كلما تم تلبية هذه الطلبات ازداد القوم نفوراً وبعداً عن رسولهم الكريم ونهجه القويم الذي يدعوا إليه. وكلما حصص الحق أمام أعينهم ازداد القوم غيظاً على رسولهم وأخذوا يقذفونه بالتهمة الباطلة المغرضة، ويخططون إلى طرده من بينهم أو قتله، إن القرآن الكريم يفيض بهذه القصص المفجعة التي كان يقوم بها الإنسان عبر تاريخه ضد أصفياء البشر الذين اختارهم الحق سبحانه وتعالى ليكونوا المبشرين والمنذرين للإنسان لكي يفوز بنعيم الدنيا والآخرة وقد شاءت حكمته سبحانه وتعالى أن ختم المدد الرسالي بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث بعثه بالإسلام إلى الناس كافة بالرغم من أن القرآن نزل على قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم في اللغة العربية وانه عليه وعلى آله الصلاة والسلام ينحدر من اصل عربي.

قال تعالى:

قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ
بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

[سورة الأعراف، آية ١٥٨]

وعندما بعثه الحق سبحانه وتعالى في مكة كان العرب حينئذ يعيشون في عهد الجاهلية، وقد كان أسلافهم الأقدمون ومنهم عاد وثمود على دين الوثنية، وهذا ما اخبرنا به الحق في كتابه المنير عن قوم هود وصالح وعن أهل سبأ في قصة سليمان والهدهد حتى جاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة وكانت تسكنها قبيلة جرهم، وبنى سيدنا إبراهيم عليه السلام الكعبة البيت الحرام، تم تمود بعض الأعراب لمعاشرة كانت بينهم وبين اليهود النازلين بالحجاز، وتسربت النصرانية إلى بعض أفكار الجزيرة، والمجوسية إلى بعضها الآخر، وكان مما يقرهم إلى الوثنية أن الكعبة المشرفة كان يعظمها اليهود والنصارى والمجوس والوثنية جميعاً، فكان لا يأتي مكة زائر إلا حمل معه شيئاً من حجارة الحرم تبركاً وتيمناً، وكان من الأصنام المعروفة بينهم هبل، وإساف، ونائلة وهي التي أتى بها عمرو بن لحي من بلاد الشام، واللات والعزى، ومناة، وود، وسواع، ويغوث، ويعوق ونسر، وقد كانت عقائدهم وعاداتهم الوثنية تنبثق من عدة مصادر، وهي وثنية الصابئة والديانة البرهمية، والدين الخفيف وهو إسلام سيدنا إبراهيم، هذا بجانب أمور اختلقوها من عند أنفسهم كالقول بالسائبة، والوصيلة، والبحيرة، والأنصاب والأزلام، إلى غيرها من الأمور.

"لم يكن العرب يجحدون الله ولكن كانوا لا يعرفونه بحقيقته التي وصف بها نفسه، أحد، صمد، فكانوا يشركون به ولا يقدرونه حق قدره، ولا يعبدونه حق عبادته، كانوا يشركون به هذه الأصنام التي يرمزون بها إلى أسلافهم من الصالحين أو العظماء، أو يرمزون بها إلى الملائكة، وكانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله، .. ولقد حكى القرآن عنهم أنهم كانوا يعترفون بخلق الله للسموات والأرض، وتسخيروه للشمس والقمر، وإنزاله الماء من المزن ... ولكنهم مع إيمانهم بالله كان الشرك يفسد عليهم تصورهم كما كان يفسد عليهم تقاليدهم وشعائرهم، فيجعلون للآلهة المدعاة تقصيصاً في زرعهم وأنعامهم ونصيباً في أولادهم .. وكانوا يعتقدون أنهم على دين إبراهيم، وأنهم أهدى من أهل الكتاب، الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية، لأن اليهود كانوا يقولون، عزيز ابن الله، والنصارى يقولون: عيسى ابن الله، بينما هم كانوا يعبدون الملائكة والجن على اعتبار قرابتهم من الله بزعمهم، فكانوا يعدون أنفسهم أهدى، لأن نسبة الملائكة إلى الله ونسبة الجن كذلك أقرب من نسبة عزيز وعيسى .. وكله شرك، وليس في الشرك خيار، ولكنهم هم كانوا يحسون أنفسهم أهدى وأقوم طريقاً" (سيد قطب، في ظلال القرآن،

ص ٣٩٩٠-٣٩٩١).

ولقد بين لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه المكنون جميع ما نود أن نعرفه عن بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالرسالة وأهدافها، وجميع ذلك يبدو واضحاً في الآيات الحكيمة التالية:

قال تعالى:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٦٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٦٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٦٥﴾

[سورة الشعراء، الآيات ١٩٣-١٩٥]

وقال تعالى:

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَبٍ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾

[سورة الشورى، آية ٧]

وقال تعالى:

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾

[سورة الرمز، الآيات ٢٧-٢٨]

وقال تعالى:

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

[سورة الزخرف، آية ٣]

وبالرغم من نبل الرسالة وطهارة حاملها، وما كان صلوات الله عليه يتمتع به من مكانة عالية في أعين قومه، حيث كان موضع ثقتهم ومكان أماناتهم، وعاش طيلة الفترة السابقة من عمره وهو الملقب بالأمين بينهم، فانهم كذبوه اشد تكذيب وقاوموه اشد مقاومة، بشتى الطرق والوسائل التي كانت معروفة لديهم، بعد ان فشلوا في احتوائه، صلوات الله عليه وعلى آله عن طريق تقلص العروض المادية والمعنوية، ليكف عن دعوتهم إلى دين الحق وطريق الخير والتقوى، ويتبع دين الوثنية والأصنام (دين الآباء والأجداد). وعندما فشلوا في احتوائه إذ وقف صلوات الله عليه كالطود الشامخ أمام قريش واصلحها يدعو الناس إلى دين الحق والتوحيد بلسان عربي مبين، ذهبوا إلى الانتقال للمرحلة الثانية من مقاومته حين عرضوا عليه صلوات الله وسلامه عليه الالتقاء في منتصف الطريق، وهذا يعني أن يتنازل كل طرف عن حق من حقوقه او عن جزء مما عنده للطرف الآخر، وبهذا لا بد لكل طرف من أن يتنازل عن جزء من دينه ويقبل مكانه جزءاً من دين الطرف الآخر.

"في الدر المنثور اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم وابن الأباري في المصاحف عن سعيد بن ميناء مولى أبي البخري، قال: لقي الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأميه بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ولنشترك نحن وأنت في أمرنا فان كان الذي نحن عليه اصح

من الذي أنت عليه قد أخذت منه حظاً وإن كان الذي أنت عليه اصح من الذي نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظاً فانزل الله:

قُلْ يَتَّيِبُهَا لِكُفْرَانِكُمْ ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۗ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ۗ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۗ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۗ

[سورة الكافرون]

وعندما فشلت العرب في الالتقاء بمنتصف الطريق مع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما نزلت سورة "الكافرون"، ذهبت قريش إلى إيذاء النبي صلوات الله عليه شخصياً ومن تبعه من القوم أشد الإيذاء، ومكروا به وياتباعه كل مكر وهو صاحب الخلق العظيم كما وصفه الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، ويكفي أن نتذكر موقفه من أهل الطائف عندما طلب منه جبريل عليه السلام أن يطلب ما يريد انتقاماً لما فعله أهل الطائف بالنبي الكريم عندما ذهب إليهم قبل الهجرة ليدعوهم إلى دين التوحيد، فما كان منه صلوات الله عليه إلا ان قال لعل الله يبعث من أصلاهم من يؤمن بهذا الدين، وكل هذا الخلق الرفيع الذي كان يتمتع به المصطفى صلوات الله عليه لم يبعد عنه وعن أتباعه شرور قريش ومكائد القوم، فقد خططوا لقتله بعد أن سمح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقسم كبير من أتباعه بالهجرة إلى بلاد الحبشة، وقد لاحقتهم قريش حتى في أرض الحبشة، هذا بالإضافة إلى توجيه التهم إلى الرسول الأمين التي تتم عن حقد القوم وعداوتهم القاسية، فقد اتهموه بالجنون والشعوذة، والسحر، والكهانة وجميعهم يعلم أن هذه التهم والمفترقات اختلقها نفوسهم الحاقدة على ما جاء به سيد البشر من هدى ونور للناس كافة، وقد كان الحق سبحانه وتعالى يتولى الرد على ترهات القوم وتخريصاتهم حول شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والآيات القرآنية العربية الحكيمة توضح لنا ذلك:

قال تعالى:

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ۖ الْجَوَارِ الْكُنُفِ ۖ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۖ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۖ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۖ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۖ مُطَاعٍ ۖ ثُمَّ آمِنٌ ۖ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ

﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٧﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٨﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٩﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ [سورة التكويد، الآيات ١٥-٢٧]

وقال تعالى:

فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمَنُونِ ﴿٣٣﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَهْلَهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ
طَاغُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾
[سورة الطور، الآيات ٢٩-٣٤]

وقال تعالى:

وَيَقُولُونَ آيَاتُنَا لَنَارِكُوهَا إِيهَاتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٨﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٩﴾
[سورة الصافات، الآيات ٣٦-٣٧]

وقال تعالى:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾
[سورة الأعراف، آية ١٨٤]

وقال تعالى:

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ [سورة يس، آية
٦٩]

وقال تعالى:

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ [سورة المؤمنون، آية ٧٠]

وقال تعالى:

رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾
وَأَنَّكَ لَعلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [سورة القلم، الآيات ١-٤]

هذه نماذج من الآيات التي كانت تردُّ على مكر القوم وكيدهم لشخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لينكروا الحق الذي جاء به من عند الله هداية لهم بلسانهم العربي، وعن طريق رجل منهم ينتمي إلى افضل

نسب في قريش، وهجومهم على شخص الرسول لم يمنعهم من الهجوم على القرآن العربي الحكيم، إذ أنهم تواصلوا على إلا يسمعو له وان يستخدموا القصص والكتابات الأعجمية للتشويش على القرآن العربي -تحت شعار قومية الآباء والأجداد والأصنام التي كانوا يعبدونها- قال تعالى:

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾

[سورة فصلت، آية ٢٦]

"كلمة كان يوصي بها الكبراء من قريش أنفسهم ويغرون بها الجماهير، وقد عجزوا عن مغالبة أثر القرآن في أنفسهم وفي نفوس الجماهير، "لا تسمعوا لهذا القرآن" فهو كما كانوا يدعون يسحرهم، ويغلب عقولهم، ويفسد حياتهم، ويفرق بين الوالد وولده، والزوج وزوجه، ولقد كان القرآن يفرق نعم ولكن بفرقان الله بين الإيمان والكفر والهدى والضلال، كما يستخلص القلوب له فلا تحفل بوشيجة غير وشيخته، فكان هو الفرقان. "والغوا فيه لعلكم تغلبون" وهي مهاترة لا تليق، ولكنه العجز عن المواجهة بالحجة والمقارعة بالبرهان، ينتهي إلى مهاترة، عند من يستكبر على الإيمان، ولقد كانوا يلغون بقصص اسفنديار ورستم كما فعل مالك بن النضر ليصرف الناس عن القرآن، ويلغون بالصباح والمخرج، ويلغون بالسحج والرجز، ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح، وغلب القرآن لأنه يحمل سر الغلب" (سيد قطب، في ظلال القرآن، ص٣١٢٠).

ومن المذهل حقا انهم بعد إخفاقهم في السيطرة على القرآن وحامل لوائه صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق بث القصص والملاحم الاعجمية، ذهبوا إلى اتهام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يعلم على أيد اعجمية مع علمهم التام بأنه صلوات الله عليه وآله وسلم أمي لا يجيد القراءة والكتابة بالإضافة كون القرآن الكريم يُتلى عليهم في اللغة العربية وقد تولى الحق سبحانه وتعالى الرد عليهم حيث يقول في كتابه المكنون:

قال تعالى:

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ

[سورة النحل، آية ١٠٣]



أَعَجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ

وقال تعالى:

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا
هُدًى وَبَيِّنَاتٌ لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْءَانٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ
يُنَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

[سورة فصلت، آية ٤٤]

وعندما اخفق أهل مكة في الفوز على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومنع الناس من السماع للقرآن، ذهبوا إلى التخطيط لقتله والتخلص منه، وقد بين لنا الحق سبحانه وتعالى في كتابه العربي الحكيم موقف قوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من رسوله ومن رسالته في الآيات الحكيمة التالية:

قال تعالى:

كُنْتُ بُفُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤٤﴾

[سورة فصلت، الآيات ٤٣-٤٤]

وقال تعالى:

يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٦﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ عَلَن صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨﴾ تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ﴿٩﴾ لِنُذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا أَن يُؤْمِنُوا فَهُمْ كَفَرُوا ﴿١٠﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرَهُمْ فَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ
بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٣﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾

[سورة يس، الآيات ١-١٠]

توضح الآيات السابقة أن أكثر قومه لن يؤمن له مهما وضّح لهم السبيل وأُتار لهم الطريق بمختلف الحجج والبراهين التي يأمل أن تقودهم إلى سبيل الحق والرشاد. وهذا ما أطلعنا عليه الحق سبحانه وتعالى بأنهم لن يؤمنوا لعلمه سبحانه وتعالى بحقيقتهم وطبيعة مشاعرهم نحو الحق الذي جاءهم به ليقودهم إلى سبيل الفوز والإيمان، كما وضّح لنا سبحانه وتعالى ان موقف قوم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سيكون موقف المعاند والمنازع، والمكذب والمخارب، كما فعل جميع الأقوام مع رسل الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدَّ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾

[سورة فصلت، آية ٤٣]

وقد مكر القوم برسولهم الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى لهدايتهم إلى سبيل الخير والإيمان وهموا بقتله، وشاء الحق أن يجعل كيدهم في نحورهم وينجي رسوله الكريم، ويسهل هجرته من موطنه مكة إلى المدينة المنورة ليقيم مدينته الفاضلة هو ومن معه من المسلمين العرب منهم وغير العرب، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، وقد استحقوا بذلك وصف الباري سبحانه وتعالى لهم عندما وصفهم بخير أمة أخرجت للناس، فالأمة المشار إليها هنا ليست أمة العرب كما يفهمها بعض البسطاء من الناس، ولكنها تمثل العرب الذين آمنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمين غير العرب الذين آمنوا برسائلته صلوات الله وسلامه عليه، أما الجزء الأكبر من قومه العرب فهم الذين هموا بقتله وخاضوا ضده أشد الحروب وأُشْرَسَهَا.

قال تعالى:

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُبْسِتُواكَ أَوْ يُقْتُلُواكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ
الْمُكْرِمِينَ ﴿٣٠﴾

[سورة الأنفال، آية ٣٠]

ومن الجدير ذكره أن جميع الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون والرسول بينهم كانت مع العرب، لهديتهم إلى النور المبين الذي يصرح به رسوله الكريم سوى غزوة تبوك وقد دفعتهم قوميتهم وشعار الآباء والأجداد أن يعقدوا حلفاً مع اليهود في المدينة ضد ابن قريش ضد ابن بني هاشم، ضد الأمين، في غزوة الأحزاب ليستأصلوا شأفة الإسلام من جذورها، ولكن الحق سبحانه وتعالى نصر رسوله الكريم وهزم جمع الأحزاب شر هزيمة، ويبدو ذلك جلياً واضحاً في الآيات التالية:

قال تعالى:

يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٠٦﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠٧﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٠٨﴾

[سورة الأحزاب، الآيات ٩-١١]

وقد انتهت المواجهة بين قريش "قوم الرسول" وبين الرسول وصحبه صلوات الله عليه وسلم بفتح مكة، عندما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم قراره بخصوص أهل مكة بأنهم طلقاء الحرية والاختيار، وقد كنتم قسم من هؤلاء الطلقاء وغيرهم من المنافقين العداوة لرسالة الإسلام من جهة وإلى الرسول وآل بيته الأطهار من جهة أخرى. وهذا ما تدل عليه الأحداث المفجعة التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فبدأت الأحداث بحروب الردة، واغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه والفتنة التي قتل على أثرها عثمان بن عفان رضي الله عنه فحرب الجمل، وحرب الصفين، وحرب النهروان، واغتيال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومن المؤسف جداً ذكره أن جميع الأحداث السابقة حصلت في الثلاثة عقود الأولى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً" (البداية والنهاية، ص ١٦) وكان معاوية نفسه يفهم هذه الحقيقة أيضاً فقال ذات مرة "أنا أول الملوك" (الاستيعاب، ج ١، ص ٢٥٤، البداية والنهاية، ج ٨، ص ١٣٥).

ولكي يكون طرحنا للأحداث التي حدثت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم موضوعياً ودقيقاً من جهة، وتحرير القارئ العزيز من العواطف والسياسات التوفيقية بين الحق والباطل، التي لجأ إليها الكثيرون عبر التاريخ إما جهلاً منهم وأما للافتتات على الحق وأهله، فلا مندوحة لنا من إلقاء النظرة الفاحصة الدقيقة للوقوف على طبيعة وسمات الناس أو الفئات في المجتمع الذي كان يقوده صلوات الله عليه وسلامه لتعرف معاً أهداف كل من تلك الفئات وأسرارها ومواصفاتها سواء في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم بعد وفاته.

لقد وصف لنا الباربي عز وجل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المؤمنين بأنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، كما وصف لنا بقية الأطراف أو الفئات التي

كانت تعيش مع هذا الجمع الطاهر إذ كانت الآيات القرآنية الكريمة تصفهم لرسول الله ومن معه من المؤمنين وسوف نعرض وصف القران الكريم لهم على شكل نقاط لتوضح ما هو مطلوب بطريقة دقيقة ومختصرة.

أولاً: بين لنا الحق سبحانه وتعالى حقيقة أهل مكة بخصوص الإيمان بالله ورسوله عندما اخبر رسوله في آخر العهد المكي بالقرار القطعي الثابت وهو أن أكثرهم لا يؤمنون ويبدو ذلك بوضوح في قوله تعالى:

لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَيَّ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَاءَ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

[سورة يس، الآيات ٦-١٠]

وبعد أن فتحت مكة وأصبح أهلها طلقاء ليختاروا بين الحق والباطل، فانه لا يخفى على أحد إلى أين سيتجه أكثر أهل مكة في اختيارهم، ولكنهم اسروا ما في أنفسهم للوقت المناسب الذي يسمح لهم بإعلانه وهذا ما سنوضحه في الصفحات القادمة من خلال عرضنا لبعض الأحداث المخجلة التي حدثت في المجتمع الإسلامي. ثانياً: الففة التي كانت تظهر إيمانها وتخفي حقدتها وكرهها للحق وأهله، فقد كشف الحق سبحانه وتعالى هذه الففة المبطنة في مواقع شتى في كتابه العزيز ولكننا سوف نختار نماذج من هذه الآيات لكثرتها لتوضح حقيقة هذه الففة.

قال تعالى:

لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾

[سورة التوبة، آية ٤٨]

واضح أنهم أهل فتنه وكارهون للحق.

قال تعالى:

إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فُسَبِّحْهُنَّ وَوَسِّبْهُنَّ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾

[سورة التوبة، آية ٥٠]

واضح من مضمون الآية أنهم لا يجيئون الخير للففة المؤمنة.

قال تعالى:

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

[سورة التوبة، آية ٦١]



واضح انهم كانوا يقومون بأعمال وأنماط سلوكية كانت تؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعيش بينهم.
قال تعالى:

قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِتْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٦٢﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ
أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٦٤﴾

[سورة التوبة، الآيات ٥٣-٥٤]

انهم يصلون وينفقون من أموالهم في الوقت الذي يكفرون فيه بالله ورسوله.

قال تعالى:

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُو
يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا
يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

[سورة التوبة، آية ٧٤]

انهم أرادوا قتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك حين خرج قسم منهم ليتولوا تنفيذ تلك
المهمة وقد حال الحق سبحانه وتعالى بينهم وبين ما كانوا يهدفون إليه.

قال تعالى:

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ
حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

[سورة التوبة، آية ١٠٧]



قال تعالى:

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾

[سورة التوبة، آية ٥٦]

أختم يـلـفون بـاللـه كـذباً .

قال تعالى:

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُسْبٌ مُسْنَدَةٌ
يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ فَيَقُولُوا
[سورة المنافقون، آية ٤]

قال تعالى:

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ

[سورة النساء، آية ٦١]

عَنْكَ صُدُّوْا ﴿٦١﴾

ترى هل هذه الفئة المنافقة التي وصفتها الآيات السابقة والتي اخترنا نماذج منها قد انتهى أمرها بوفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم اشتد شأنها؟
ثالثاً: وضح لنا الحق سبحانه وتعالى نوعين من الناس الذين كانوا في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم النوع الأول من الناس الذين يحبون الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عند الله سبحانه وتعالى والنوع الثاني من الناس الذين يكرهون الحق ولا يحبونه.

قال تعالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ
﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَيْسَ الْمُهَادَّةُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

[سورة البقرة، الآيات ٢٠٤-٢٠٧]

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ

[سورة المائدة، آية ٦٧]

يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

واضح من الآيات السابقة أنه في الوقت الذي يوجد فيه أناس يشرون أنفسهم ابتغاء مرضاة الله هناك أناس آخرون يكونون الخصام والعداء في قلوبهم للحق وأهله، إذ أن الحق سبحانه وتعالى بلغ رسوله الأمين أن يقوم بتبليغ ما أنزل إليه ولا يخشى هؤلاء الناس كما وعده بأنه يعصمه منهم ومن شرورهم، ترى هل أصبح الناس كافة من جند الحق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أم ماذا حصل؟
رابعاً: إن الحق سبحانه وتعالى خاطب المؤمنين الذين تسرب إلى أذهانهم بعض الأمور التي لا تتسجم مع مبادئ الحق السامية في أكثر من موقع في كتابه العزيز موضحاً لهم أسس العقيدة الإسلامية وما تعكسه من أمور اعتقادية وسلوكية ليقودهم إلى سبيل الإيمان والفوز المبين.

قال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا
تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

[سورة البقرة، الآيات ٣٨-٣٩]

وقال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَاتَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى
الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرٍ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

[سورة التوبة، الآيات ٢٣-٢٤]

وقال تعالى:

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا
أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

[سورة الأنفال، الآيات ٢٧-٢٨]

وقال تعالى:

يَتَّيِبُهَا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُم مِّن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ؕ أَذَلَّةٌ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ؕ أَعَزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ؕ ذٰلِكَ فَضَلُ اللّٰهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

[سورة المائدة، آية ٥٤]

هذه نماذج من الآيات القرآنية الحكيمة التي خاطب بها الحق سبحانه وتعالى المؤمنين ليعدل من بعض الأنماط السلوكية المخافية للحق والإيمان، ويعدل أيضا ما تسرب إلى أذهان بعض المؤمنين عن بعض القضايا المتصلة بالحق الذي وضحه رسول الله أجمل توضيح، كما حذرهم الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من مغبة الافتئات على الدين الإسلامي والتنكر له وألا ينقلبوا على أعقابهم. ترى هل تمسك المؤمنون بإيمانهم واستقامت عقيدتهم، ولم يرتد منهم أحد بعد وفاته صلوات الله عليه أم ماذا حصل لهم؟

خامساً: ورد في القرآن العربي الحكيم لفظ (عربي) ثلاث مرات وجميعها تدل وتشير إلى أن القرآن الحكيم عربي. وقد ورد لفظ (عربياً) ثماني مرات وجميعها تشير إلى أن القرآن الكريم الحكيم قرآن عربي، وقد وردت كلمة (الأعراب) عشر مرات وجميعها تدل على أن الإنسان العربي، وقد اختلف الباحثون حول هذه الكلمة ومدلولها.

بمعنى هل الإعراب تعني العرب الذين لا يسكنون المدن ويعيشون حياة البداوة أو أن الأعراب تعني جمع فئات من العرب، فإذا أردنا أن نجمع بكلمة واحدة عرب الحجاز، وعرب نجد، وعرب العراق، وعرب الشام فماذا نقول الأعراب أم ماذا؟ فلا بد لنا من أن نعي بدقة الآيات الكريمة التي تحدثت عن هذا المصطلح لنقف على المعنى الدقيق له، فالأعراب إما أن يكونوا جزءاً من قوم الرسول وهم العرب وإما أن يكونوا جميع العرب كافة وكلا المفهومين لن يؤثر على ما نود الوصول إليه من عرض لحالة المجتمع الذي كان يقوده صلوات الله عليه وسلامه.

قال تعالى:

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ

[سورة التوبة، آية ٩٧]

عَلِيمٌ حَكِيمٌ

واضح وجللي من الآية الحكيمة السابقة أن الحق سبحانه وتعالى اخبرنا بحكم عام عن الأعراب، بأنهم أشد كفراً ونفاقاً وأهم جديرون ألا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله، بحكم كفرهم ونفاقهم، ولكن أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلموا ذلك لعلم عنده وحكمة شاء لها أن تنفذ، وبعد هذا الحكم العام على الأعراب بدأت الآيات التالية لتقسم الأعراب إلى فئات ولكل فئة وضعها الخاص بما كما سنرى.

قال تعالى:

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ

[سورة التوبة، آية ٩٨]

سَمِيعٌ عَلِيمٌ

هذه الفئة الأولى التي تتربص الدوائر بالمؤمنين وتعد كل ما تنفقه مغرمًا والفئة الثانية من الإعراب هي التي تؤمن بالله واليوم الآخر وينفقون من أموالهم لتقربهم إلى الله.

قال تعالى:

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ
وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ۗ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

[سورة التوبة، آية ٩٩]

والفئة الثالثة هي الفئة الصادقة المنية والسابقة إلى الإيمان وهي تشكل جمع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان.

قال تعالى:

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ

[سورة التوبة، آية ١٠٠]

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ

أما الفئة الرابعة فهي الفئة المنافقة حيث يقول الحق سبحانه وتعالى:

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا
تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾

[سورة التوبة، آية ١٠١]

والفئة الخامسة التي خلطت أعمالا صالحة مع أعمال سيئة

قال تعالى

وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

[سورة التوبة، آية ١٠٢]

أما الفئة الأخيرة فهي الفئة التي أشار إليها الحق سبحانه وتعالى بالآية الكريمة التالية:

قال تعالى:

وَأَخْرُونَ مُرَجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[سورة التوبة، آية ١٠٦]

ترى هل هذه الفئات الستة بمواصفاتها المختلفة والمتغايرة ماذا كانت أهدافها وأدوارها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

يبدو بوضوح وجلاء من خلال ما عرضناه في البنود الخمسة السابقة، ان المجتمع الإسلامي الذي تركه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته، يتكون من عدة شرائح إنسانية، لكل شريحة منها مآربها وأهدافها واعتقاداتها الخاصة بما. فهناك الطلقاء في مكة الذين منهم أئمة الكفر، وفيهم قرار قطعي بأن أكثرهم لن يؤمنوا وهذا ما وضعه لنا القرآن الكريم، وهناك الفئة المؤمنة بمختلف درجات الإيمان عند أفرادها. بالإضافة إلى طبيعة هذا المجتمع وما يحتويه من فئات متفاوتة في الاعتقاد والأهداف فان تاريخ الأقسام والبشر يشهد لهم انهم كان الفساد يدب بينهم بعد رحيل رسل الحق من بينهم، لذلك نجد البلاغ الواضح الدقيق الذي أرسله لنا الحق سبحانه وتعالى لنعي بصورة دقيقة، ماذا يكون عقاب من ينقلب على عقبيه، بعد رحيل المصطفى صلوات الله عليه وسلم، من وسط جمعه المؤمن ومدينته الفاضلة.

قال تعالى:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ
 أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

[سورة آل عمران، آية ١٤٤]

كما وضع لنا الباري عز وجل في كتابه الحكيم مصير الذين يكتمون البيئات التي بينها الحق سبحانه للناس
 ويعرفون الكلم عن موضعه لتلبية أهوائهم الذاتية على حساب الحق المبين أو نزولاً عند رغبة سادتهم طلباً للدنيا
 ومفاتها، ويبدو ذلك بوضوح في قوله عز من قائل:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَانَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ

[سورة البقرة، آية ١٥٩]

أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾

وقال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا آتَانَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ
 أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما سيحدث بعده من اختلاف وتأويل واختلاق
 وتفكك في جسد أمته من بعده، فقد خاطب أصحابه قائلاً "ستبعون سنن من كان قبلكم شيراً بشيراً وذراعاً
 بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا: أتراهم اليهود والنصارى؟ قال: فمن إذن" (البخاري، ج ٤،
 ص ١٤٤، ج ٨، ص ١٥١).

كما قال صلوات الله عليه وسلامه "ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة
 واحدة" (مسند احمد، ج ٣، ص ١٢٠، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، ج ٢، رقم الحديث ٣٩٩٣).

أضف إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم مخبراً ماذا سيفعل أصحابه من بعده حيث قال "يؤتى بأصحابي يوم القيامة إلى ذات الشمال فأقول: إلى أين؟ فيقال إلى النار والله فأقول: يا رب هؤلاء أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك فأقول: سحقاً لمن بدل بعدي" (البخاري، ج ٧، ص ٢٠٩، صحيح مسلم باب الحوض).

وفي ضوء ما تقدم من آيات قرآنية حكيمة وسنة نبوية طاهرة فإن المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يكون أفضل حالا مما كان عليه والرسول بين ظهرانيتهم لأن وفاته تعني بالنسبة للفتن الحاقدة علي الحق وأهله إن الحاجز الأكبر الذي كان يحول بينها وبين تحقيق أهدافها المناهضة للإسلام قد تداعى، ذلك لأن الوحي الذي كان يكشف لرسول الله مكائدهم وأحاييلهم قد انقطع بوفاته صلوات الله وسلامه عليه، لذلك وجدت كل فئة مناهضة للحق واتباعه، فرصتها الذهبية في تحقيق أهدافها، عن طريق اختيار شتى السبل والطرائق الموصلة إلى أهدافها الخبيثة، بغض النظر عن طهر الوسيلة أو خبثها، طالما قد توصل إلى ما ترنو له النفوس التي تتربص الدوائر بالإسلام وأهله، فسواء كانت الوسيلة التأويل للنصوص القرآنية، أم سياسة الدس والوضع في السنة النبوية، فأهم من هذا وذاك، الوصول إلى النيل من الإسلام وأهله، لذلك ليس غريباً أن تكون حروب الردة، وما دار حولها واغتيال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والفتن التي حصلت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأدت بالنهاية إلى اغتياله والحروب الثلاث الضروس التي حصلت في عهد الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، ان هذه الامور كافة ليست غريبة على الانسان لأن سنة الاقوام مع رسلهم تدل على نفس الافعال والأمور التي حدثت بعد انتقال رسل الحق من بينهم، وهناك العشرات من الايات القرآنية الحكيمة التي تشير الى تلك الاعمال والأفعال هذا بجانب ما ذكرنا من آيات قرآنية وسنة نبوية طاهرة تدل على ماذا سيحدث بعد وفاته صلوات الله وسلامه عليه. ولكن الشيء الذي تشيب له النواصي ويبنى له جبين البشرية أسفا وندما أن يتم رفع مستوى الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مستوى ارفع وأعلى من كتاب الله الحكيم الذي ينطبق بالحق، إذ أشير الى جميع اعمالهم المناهضة للحق على انها تأويل النصوص القرآنية حتى بلغ الأمر الى الإشارة للمعارك الضروس، وجز الرؤوس، وسمل العيون واستباحة حرمت ال بيت الرسول، وانتهاك حرمة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقصف الكعبة وانتهاك حرمتها على انها جميعا تدخل تحت التأويل والاجتهاد، وقد ابيحت

شتى المحرمات تحت هذا الشعار بالاضافة الى سياسة الدس والوضع في السنة النبوية.

وجميعنا يعلم علم اليقين ان هذه الرتبة أي المنزلة فوق الكتاب المنير لم تعط حتى للرسول صلى الله عليه

وسلم ودليل ذلك يكمن في الايات التالية:

قال تعالى:

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرَمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرْضَاتِ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[سورة التحريم، آية ١]

قال تعالى:

وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾

[سورة الحاقة، الآيات ٤٤-٤٧]

إن هذه الحروب الثلاث التي حصلت في فترة الخلافة الرابعة كانت السبب المباشر وراء حدوث الانقسامات الفكرية والمذهبية بين المسلمين منذ تلك اللحظات حتى هذه الأيام. والذي يود ان يجتلي حقيقة لك المدارس والمذاهب لا بد له من الوقوف على حقيقة تلك الحروب وأي الأطراف منها على حق وأي منها على باطل والقرآن الحكيم فيه قول الفصل في ذلك، كيف لا وهو يمثل الحق الذي شاعت حكمته أن يكون للناس جميعاً وكاملاً غير منقوص، كما أن الحق سبحانه وتعالى لا يستحي من الحق سواء أكان الذي أخطأ إنساناً عادياً أم رسولا مقرباً، فإذا كان القرآن الحكيم لا يوجد فيه ما يبين لنا إذا ما أردنا الحق دون تحكيم الهوى والمزاج في تلك الحروب وغيرها؟ فأين المصدر الذي يمكن أن نركن إليه؟ قول الطلقاء وأكاذيبهم؟ أم الذين يتربصون الدوائر؟ أم الذين مردوا على النفاق؟ أم الذين هم أشد كفراً ونفاقاً؟ أم الذين ارتضوا بالحياة الدنيا وما فيها من أموال ومالهم في الآخرة من خلاق؟ أم حكام الهوى والمزاج وما يدور في فلكهم من فقهاء سلاطين؟ ان التعرف إلى الحق وأهله أنفسنا من أحابيل أعداء الحق عندما يثيرون النزعات الطائفية والمذهبية بين الفرق الإسلامية بهدف أضعافها جميعاً، كما يساعدنا على إخراج أنفسنا من المهاترات الهابطة في توجيه بعضنا الكفر والزندقة إلى بعض أن الذين يريد الحق يوضحه أولاً لنفسه ويسير في ضوئه، ومن ثم يوضحه للناس دون أن يشتم أحداً من الناس الذين يود أن يبين الحق لهم، ان سنة الشتم واللعن بدأها أقوام الرسل الذين مكروا برسول الله لضعف حججهم ومجافاتهم للحق واتباعه. إن صاحب الحق دائماً وأبداً هدفه الأسمى توضيح الحق للذين يعرفونه والذين لا يعرفونه سواء، لأن هذه هي مهمته ولا يجوز له ان يخرج عن محاور المناقشة الأساسية التي تخاطب العقل الإنساني من خلالها للوصول إلى جانب الخير فيه إلى إلقاء التهم والمهارات الفارغة، وهناك من الناس من يقول أن هذه الأحداث والفتن قد مضت وعفانا الله شرها فلماذا نود أن نخوض فيها؟ وللإجابة عن هذا القول فإننا نقول ان الذي يرفع هذا الشعار لا يتجاوز نوعين من

البشر، فالنوع الأول يخشى في حالة البحث الدقيق والوصول إلى الحق من كشف سواتهم وبطلان تجارتهم التي يتقربون من خلالها إلى أصحاب النفوذ فلذلك نجدهم يرفعون هذا الشعار عبر التاريخ وما زالوا يرفعونه وسيمضون على ذلك لأن رأسمالهم هو السيطرة على عقول عامة الناس والتجارة بذلك للوصول إلى أهدافهم الذاتية على حساب الإسلام ومعالمه، وهذا ما وشجت عليه عروق الأولين من فقهاء السلاطين وتأزرت عليه فروعهم في كل عصر، أما النوع الثاني فيمثل الفئة الصادقة التي تشرئب نفوسها لرؤية المسلمين تحت راية واحدة، فلذلك لا تريد أن تبحث في أي قضية يمكن أن تثير أي نوع من الخلاف بين المسلمين وللحق أن هذه الفئة الصادقة هي الهدف الأسنى لكل داعية يريد تحريرها من مخالف فقهاء السلاطين والوصول بها مورد الحق ليسيروا على صراطهم المستقيم الذين أمروا باتباعه فكيف يمكن لأي إنسان مخلص ان يحرر تلك الفئة الصادقة من تأويلات فقهاء السلاطين الجائرة وفتاواهم الكاذبة إذا لم يقدمهم إلى الحق والسبل المؤدية إليه إن هذه الفئة الصادقة إذا لم تعرف حقيقة ما جرى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فلن تستطيع أن تميز بين الحق والباطل وستبقى العوبة سهلة في أيدي تجار الدين ومن نهج نهجهم وليس حب الخليج سواء الأولى او الثانية عنا بعيد، وكيف كان استغلال تجار الدين لهما. ولأهمية هذا الموضوع لما نحن فيه، فإننا لا نستطيع أن نبحت تلك الأمور في هذا المقام لذلك يحد الرجوع إلى الكتب الصادقة الدقيقة التي بحثت هذا الموضوع في طياتها، أما نحن فهدفنا توضيح علاقة القومية بالإسلام، ولقد أشرنا إلى هذه القضايا بصورة مقتضبة هنا لنبين كيف تحول المجتمع الإسلامي إلى مجتمع إقليمي عنصري شعوبي، قومي، ولقد رافق هذا التحول تأويل القرآن بما يتناسب مع السياسة الحاكمة والتقليل من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم والنيل من أهل بيته الأظهار والافتئات على حقوق المسلمين.

لقد أدت التأويلات الجائرة للنصوص القرآنية والدس في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ابتعاد المجتمع الإسلامي عن المبادئ الإسلامية السامية، حتى وصل الامر الى استباحة دماء آل الرسول صلى الله عليه وسلم في فاجعة كربلاء سنة ٦١هـ وما رافق تلك الكارثة من انعكاسات حادة من أذهان الناس حول الوضع السائد في ذلك الوقت، وفي سنة ٦٢هـ استبيحت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لجيش الشام الذي بعثه يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (انظر التفاصيل في تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٤٨٠-٤٩١) وبعد تلك الأحداث المفجعة التي حدثت في كربلاء وموقعة الحرة ثم استباحة حرمة البيت الحرام مرتين، الأولى سنة ٦٤هـ بقيادة الحصين بن نمير السكوني، والثانية سنة ٧٢هـ بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي. وفي كلتا المرتين تم محاصرة الكعبة وقصفها بالحجارة والنار -وقد احترقت الكعبة في المرة الثانية وتصعد منها ثلاثة مواضع واحترق ما كان عليها من كسوة وما فيها من خشب(انظر التفاصيل القصة في تاريخ الخلفاء، ص ٩٠).

وهكذا بدأت المخالفات الصريحة للإسلام ومبادئه تظهر جلياً على السطح وفي كل مرة يطالب فيها المخلصون لدينهم بتطبيق مبادئ الإسلام يجدون جيش الحاكم جاهزاً لقمعهم واستباحة حرمتهم كما حدث في موقعة كربلاء، وموقعة الحرة، وحصار مكة وغيرها من الثورات المتتالية التي كانت تقمع بريقة لا إنسانية.

وهناك بعض المخالفات التي كانت لها آثار سلبية في أوساط المجتمع ومنها وتثبيت دعائم العنصرية والعرقية بين العرب من جهة وبين الأقوام الآخرين الذين امنوا العرب وحرمانهم من المساواة في الحقوق سواء أكان في الجوانب المالية أم القضائية أم العبادية (انظر التفاصيل في تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٣٢١، ابن الأثير، ج ٤، ص ١٦٣، العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٣٣، ابن خلكان وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١١٥، ابن قتيبة عيون الأخبار، ج ٢، ص ٦١).

وهناك نيران العصبية المشتعلة بين اليمانية والمضرية وقد أشار إلى ذلك ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن ابن عساكر أن نيران النزاعات القبلية كانت تستعر في قلب العاصمة الأموية فكنت ترى في كل مسجد محرابين وكان في المسجد الجامع منبران يرتقيهما إمامان كان كل منهما يناصر شيعته لأن كلا الفريقين لم يكن على استعداد للصلاة خلف أمام ليس من رهنه (انظر التفاصيل في البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٤٥).

والشيء المذهل الذي تشيب له الولدان أن جميع المخالفات الصريحة لمبادئ القرآن والسنة النبوية الطاهرة كانت ومازالت تحدث وتحت وأبل من التفأوى الجائرة التي يحرمها فقهاء السلاطين تقرّباً لساداتهم وإشباعاً لشهواتهم وغرائزهم على حساب الإسلام ومبادئه النبيلة، وما نزلنا نشاهد في هذه الأيام المجتمعات التي تعلن عن نفسها أمام المجتمع الدولي على أساس أنها إسلامية وفي حقيقتها أنها لا تطبق المبادئ الأساسية للإسلام بصورتها الصحيحة. وهذه الحقيقة ليست بحاجة إلى فإاسة شخصية أو سطوة علمية للوقوف على حقيقتها فأبي إنسان يقرأ القرآن ويرى ويحس ويسمع ما يحدث في هذه المجتمعات يجد التناقض الحاد بين الإسلام ومبادئه من جهة وبين الواقع الهابط لتلك المجتمعات وأنماطها السلوكية من جهة أخرى، واختصاراً لفتأوى أصحاب الهوى الذين ما نزلوا يتأجرون بالدين ومبادئه في شتى

أمور الحياة فإننا نوضح القارئ العزيز قول الحق سبحانه وتعالى على لسان مرسله صلى الله عليه وسلم عندما يشهد على قومه وهم العرب يوم المشول أمام الحق سبحانه وتعالى انهم اتخذوا القرآن مهجوراً .

قال تعالى:

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴿٢٧﴾ يُؤْتِلَنِي لَيْتَنِي لِمَ اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

[سورة الفرقان، الآيات ٢٥-٣٠]

إن قول الحق هذا يبين لنا بوضوح وجلاء أن العرب قوم الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذوا القرآن الكريم مهجوراً وسوف يشهد عليهم يوم المثل أمام الحق سبحانه وتعالى، ولن تنفع في ذلك اليوم مختلف التأويلات الجائرة والفتاوى الهابطة التي تم نسجها من مخيلاتهم تزلفاً للسلطة وموائدهم على حساب الهدى الإلهي ومبادئه.

لقد أدت هذه المخالفات الصريحة للإسلام ومبادئه عبر القرون السابقة الى ظهور أوضاع شاذة في المجتمعات الإسلامية تستطيع أن نوجرها بالنقاط التالية:

- ١- تفرق وتفكك القيادة الإسلامية الواحدة إلى عدة قيادات متفاوتة في الأهداف والسلوك
- ٢- الابتعاد عن مرجعية القضاء المتمثل بالقران الكريم والسنة النبوية إلى مرجعية القيادة ورأيها الشخصي.
- ٣- ممارسة أوجه الظلم والدكتاتورية بأشجع أنماطها التي عرفت لدى البشر.
- ٤- ممارسة النزعات القومية والنزعات الإقليمية بين الأقسام التي دخلت في الإسلام وتربص بعض الدوائر ببعض.
- ٥- ظهور العداوة وعدم الثقة بين الشعب وبين الجيش لأنه يدين بالولاء للسياسة الحاكمة وليس لمبادئ الإسلام وأهله، لذلك فالجيش على أتم الاستعداد لتدمير المدن أسوة بالجيوش التي داست المقدسات الإسلامية واستباححت حرمتها وهتكت أغراض المسلمين بطريقة همجية.
- ٦- استبدال بالنظم القانونية والقانونية والاجتماعية والسياسية أنظمة وعادات تخالف الإسلام ومبادئه مخالفة جوهرية.

٧- إيقاع الأذى بأساليبه كلها وطرقه على الذي ينادي بصوت صادق لتطبيق الإسلام ومبادئه في المجتمعات الإسلامية.

٨- ظهور المذاهب المتعددة والجماعات الإسلامية المتناحرة التي يكيل بعضها التهم والترهات لبعض واستغلال ذلك من قبل الأعداء سواء من الداخل ام من الخارج.

٩- ظهور فئة فقهاء السلاطين التي اتخذت على عاتقها تغطية شتى المخالفات الصريحة للإسلام ومبادئه بفتاوى
جائرة على الإسلام وأهله.

لقد تكشفنا سوءات هذه المجتمعات بصورة دقيقة عندما تسارع التقدم الحضاري والتفجر التكنولوجي
في المجتمعات الغربية حديثا وما قابله من تخلف وانحطاط في المجتمعات الإسلامية، فذهب قسم كبير من الكتاب
والمؤلفين الذين لم يصلوا بعد إلى حقيقة التطور الحضاري وأسارره ولا إلى حقيقة الإسلام ومبادئه إلى إعلان الثورة
على الإسلام وأهله لكي يتسنى لهم التقدم في موكب الحضارة العالمية الحديثة ظناً منهم أن الإسلام هو الذي يقف
حاجزاً أمام تقدمهم العلمي والحضاري، وقسم آخر ذهب إلى الحديث والمطالبة بتطوير الإسلام وتحديثه لكي
ينسجم مع المتطلبات العصرية الحديثة لفهمهم السقيم للإسلام ومصدره.

وفي ضوء هذين المطلبين تم تخطيط وتوجيه الحركة الفكرية وما يلزمها من متطلبات في المجتمعات
الإسلامية في هذا القرن فإذا ما أراد الإنسان المخلص لدينه أولاً والغيور على مصلحة مجتمعه ثانياً أن يوضح
أسباب التخلف والفساد التي تعيشها المجتمعات يجد نفسه أمام عدو اشترى يملك مختلف الوسائل والطرق للنيل من
هذا الفرد للحيلولة بينه وبين ما يود توضيحه إلى أبناء مجتمعه.

ومن القضايا التي تبعث الأسى والذهول ان تهب في هذه الأيام بعض الآراء التي تنادي الى الالتقاء بين
الاتجاهين، الاتجاه الديني والاتجاه القومي على جميع المستويات والوسائل الصحفية ليزيد من أوضاعنا الاجتماعية
غموضاً وتناقضاً، إننا في الوقت الذي نعرف فيه حقيقة الهدى الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى هدى ورحمة للعالمين
وهو الإسلام فإننا ما زلنا نحن وأقطاب القومية العربية سواء لا نعرف بالتحديد ما هو الفكر الأيدلوجي للقومية
الذي سيتم وضعه بجانب الإسلام للالتقاء عليهما معاً، أن قريش عندما كانت تطلب من رسول الله صلى الله
عليه وسلم الالتقاء والاتفاق كانوا يدافعون عن دين الوثنية الذي سلب عقولهم عن الحق المبين الذي جاء به
رسولهم الأمين. هذا بجانب كونهم غير مسلمين لذلك وضعوا أنفسهم في الجانب المقابل للإسلام، فالمطلوب من
أصحاب الاتجاه القومي أولاً ان يعلنوا بصراحة هل هم من المسلمين او لا؟ هذا بالإضافة إلى توضيح مدرستهم
الفكرية المتفككة كاملا مع شعارهم القومي.

ان أصحاب التيار القومي لو أرادوا حقا ان ينسجم فكرهم الأيدلوجي مع شعارهم المرفوع لكانوا أشد الناس تمسكا بالكتاب العربي الحكيم الذي لا يضاهيه كتاب آخر عبر تاريخ البشرية باعتراف الناس جميعاً، هذا بجانب التمسك والامثال لجميع ما نادى به النبي العربي الحكيم، هل يعني الشعار القومي العربي أن نتخلى عن بعض ما في القرآن العربي الحكيم وسنة الرسول العربي الأمين لندخل مكانها مقتطفات من الأفكار والمبادئ الأفلاطونية، والارسطية، والديوية، والماركسية، واللينينية؟ أن هذا الشعار يعني لكل إنسان يدرك معاني الألفاظ والكلمات بطريقة سليمة التمسك القوي بكل ما هو عربي، أن العلاقة الوحيدة التي تجمع بين الإنسان العربي او غيره من الأقوام الأخرى مع الإسلام هي أن يكون الفرد أو الإنسان مسلما في الاعتقاد والفكر والسلوك وكل ما يمليه عليه النهج المنير في شتى أمور الحياة بغض النظر عن جذوره العرقية، فعندما يسمى الإنسان مسلما عربيا او مسلما كرديا او مسلما فارسيا او مسلما تركيا، فهذه هي العلاقة الوحيدة التي يسمح بها الإسلام. فالإنسان القومي الذي يطالب بتطبيق أي فكر بدل الإسلام يسلم نفسه عن الإسلام ومبادئه بصورة صارخة.

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن الإسلام يمثل الهدى الذي بعثه الله سبحانه وتعالى، وهتف به سائر الأنبياء والمرسلون ليكون مصدراً للاعتقاد والتشريع وسن القوانين وكل ما يلزم الإنسان من سبل هداية ليقوده إلى نعيم الدنيا والآخرة، أما القومية فهي نظرة عنصرية ضيقة أسست على الكبر والاستعلاء على الآخرين من الناس وكانت وراء هلاك إبليس عندما رفض أوامر السجود لآدم بحجة انه خلق من مادة أفضل من الذي خلق منها آدم عليه السلام. لذلك فمن المحال أن تلتقي القومية بأساسياتها ومرتكزاتها التي بنيت على خيوط واهية أضعف من خيوط العنكبوت مع دين التوحيد، دين الهدى والرحمة الذي أراده الحق أن يكون للبشر كافة إذ لا توجد أية فروق بينهم إلا بتقوى الله ومخالفته، والامثال لأوامره واجتناب نواهيه.

"إن المفاصلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهرية الكامل، الذي يستحيل معه اللقاء على شيء في منتصف الطريق، الاختلاف في جوهر الاعتقاد، وأصل التصور، وحقيقة المنهج، وطبيعة الطريق، إن التوحيد منهج والشرك منهج آخر ولا يلتقيان، التوحيد منهج يتجه بالإنسان مع الوجود كله - إلى الله وحده لا شريك له، ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان، عقيدته وشريعته، وقيمه وموازنه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراتها كلها عن الحياة وعن الوجود، هذه الجهة التي يتلقى المؤمن عنها هي الله، الله وحده بلا شريك، ومن ثم تقوم الحياة كلها على هذا الأساس، غير متلبسة بالشرك في أية صورة من صور الظاهرة والخفية .. وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للداعية وضرورية للمدعوين، إن تصورات الجاهلية تلبس بتصورات الإيمان. وبخاصة في الجماعات التي عرفت العقيدة من قبل ثم انحرفت عنها، وهذه الجماعات هي أعصى من الجماعات على الإيمان في صورته المجردة من الغش والالتواء والانحراف، أعصى من الجماعات التي لا تعرف العقيدة أصلاً، ذلك أنها تظن بنفسها الهدى في

الوقت الذي تتعقد انحرافاتهما وتتلوى واختلاط عقائدها وأعمالها وخلط الصالح وحاول تعديل الجانب الفاسد ... وهذا الإغراء في منتهى الخطورة، إن الجاهلية جاهلية، والإسلام إسلام، والفارق بينهما بعيد. والسبيل هو الخروج عن الجاهلية بجملتها إلى الإسلام بجملته، هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلى الإسلام بكل ما فيه.

وأول خطوة في الطريق تمليداعية وشعوره بالانعزال التام عن الجاهلية: تصوراً ومنهجاً وعملاً، الانعزال الذي لا يسمح بالالتقاء في منتصف الطريق، والانفصال الذي يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية من جاهليتهم بكليتهم إلى الإسلام لا ترقيع ولا إنصاف حلول. ولا التقاء في منتصف الطريق مهما تزين الجاهلية بزبي الإسلام، أو ادعت هذا العنوان. وتميز هذه الصورة في شعور الداعية هو حجر الأساس، شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء. لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه، لا يملك أن يسايرهم خطوة واحدة في طريقهم، ووظيفته أن يسيرهم في طريقه هو بلا مهادنة ولا نزول عن قليل من دينه أو كثير.

وإلا فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح .. "لكم دينكم ولي دين" وما أحوج الداعين إلى الإسلام اليوم إلى هذه البراءة وهذه المفاصلة وهذا الحسم ... ما أحوجهم إلى الشعور بأنهم ينشئون الإسلام من جديد في بيئة جاهلية منحرفة، وفي أناس سبق لهم أن عرفوا العقيدة، ثم طال عليهم الأمد "فقسست قلوبهم وكثير منهم فاسقون" وإنه ليس هناك أنصاف حلول، ولا التقاء في منتصف الطريق، ولا إصلاح عيوب، ولا ترقيع مناهج، إنما هي الدعوة إلى الإسلام كالدعوة إليه أول ما كان" (في ظلال القرآن، ج ٦، ص ٣٩٩٢-٣٩٩٣).

وأخيراً فالمجتمع القومي أو العربي قد يكو إسلامياً، وشيوعياً، ورأسمالياً وإقطاعياً ودكتاتورياً، وهذا يعود إلى نوع المدرسة الفكرية المتبعة في ذلك المجتمع أما المجتمع المسلم، فهو فقط إسلامي لأنه يتبع النهج الإلهي في شتى مناحي الحياة. وعلى هذا الأسس وصف بأنه مجتمع إسلامي هذا إلى جانب أن المجتمع القومي يعد محصوراً في الإنسان الذي ينحدر من أصل قومي واحد دون الأفراد الذي ينحدرون من عرق إنساني آخر بينما المجتمع المسلم هو لكل إنسان يود أن ينيب أو يستقيم على نهج الله القويم دون الالتفات إلى عرقه أو لونه أو جنسه.

المراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إبراهيم دسوقي، تاريخ الفكر السياسي.
- ٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، الميزة مصر، ١٣٥٦هـ.
- ٤- ابن خلكان، وفيات الأعيان، النهضة المصرية، مصر، ١٩٤٨.
- ٥- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٤٨.
- ٦- ابن عبد البر، الاستيعاب، دائرة المعارف، حيدر اباد، الهند، ١٣٣٦هـ.
- ٧- ابن عبد ربه، العقد الفريد، مصر ١٩٤٠.
- ٨- ابن كثير، البداية والنهاية، دار السعادة، جمهورية مصر العربية.
- ٩- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦.
- ١٠- أبو الأعلى المودودي، الأمة الإسلامية وقضية القومية، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٨١.
- ١١- أبو الأعلى المودودي، الخلافة والملك، تعريب احمد إدريس، دار القلم، الكويت، ١٩٧٨.
- ١٢- أبو الأعلى المودودي، نظرية الإسلام والسياسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٥.
- ١٣- أبو الفتوح رضوان، القومية العربية، القاهرة، ١٩٦٨.
- ١٤- السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، ١٩٧٢.
- ١٥- السيد محمد حسين الطباطبائي، نظرية السياسة والحكم في الإسلام، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٦- الياس مرقص، القومية العربية والاسلام.
- ١٧- البيهقي، السنن الكبرى، دائرة المعارف، حيدر أباد، الهند، ١٣٥٥هـ.
- ١٨- الترمذي، كتاب الفتن.
- ١٩- الزمخشري، الكشاف، البهية، مصر، ١٣٤٣هـ.
- ٢٠- السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار الحكومة لاهور، باكستان، ١٣٧٠هـ.
- ٢١- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الاستقامة، مصر، ١٩٢٩م.
- ٢٢- بويد شيفر، القومية عرض وتحليل، ترجمة جعفر خصباك وعدنان الحميدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد، نيويورك.
- ٢٣- حسن شحاته سغان، الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي.
- ٢٤- حسين السيد عباس، القومية العربية بين الفكر والواقع، ١٩٧٣.
- ٢٥- ساطع الحصري، اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية.
- ٢٦- ساطع الحصري، ما هي القومية، دار الملايين، بيروت، ١٩٥٩.

- ٢٧- سنن ابن ماجه، كتاب الفتن.
- ٢٨- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠.
- ٢٩- سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٣.
- ٣٠- صالح العبود، فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٨٢.
- ٣١- صحيح البخاري.
- ٣٢- صحيح الترمذي.
- ٣٣- صحيح مسلم.
- ٣٤- عبد الستار فتح الله، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة جمهورية مصر العربية.
- ٣٥- عبد الله سلوم السامرائي، الإسلام والقومية الإسلام والاممية، بغداد، ١٩٨٥.
- ٣٦- عبد المؤمن يوسف، المسألة القومية بين الجاهلية والإسلام، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٠.
- ٣٧- مسند أحمد، دار المعارف، مصر، ١٩٥٢.
- ٣٨- منيف الرزاز، معالم الحياة العربية الجديدة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٠.
- ٣٩- نخب البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
- ٤٠- يوسف خليل القومية العربية ودور التربية في تحقيقها، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

الفصل التاسع التربية المقارنة

الأبعاد الفكرية والفلسفية للتربية

هدفت الدراسة إلى توضيح ماهية التربية والغرض منها كما فهم الإنسان عبر تاريخه ماهية التربية وغرضها في ضوء معتقداته العامة للوجود، وللإنسان، والحياة الدنيا، كذلك بينت الدراسة أن التربية لا بد لها من إطار فكري عام تصاغ برامجها المتعددة في ضوءه، وتبين أن المبادئ الأساسية للتربية تختلف من تربية إلى أخرى حسب نوع الفكر العام الذي صيغت التربية في ظلله، فقد بينت الدراسة أن المبادئ الأساسية للتربية وأهدافها العامة في ضوء النهج الإسلامي تختلف عنها في ضوء المدارس الفكرية والفلسفية الأخرى، هذا بجانب الاختلافات الجوهرية بين المدارس الفكرية والفلسفية فيما بينها حول مبادئ التربية وأهدافها.

الأبعاد الفكرية والفلسفية للتربية

مقدمة:

تعد التربية من أهم الموضوعات وأقدمها التي عرفها الإنسان منذ تلك اللحظة التي لمست فيها قدمه سطح الكرة الأرضية، بعد أن أمر الحق سبحانه وتعالى بهبوطه إلى هذا الكوكب. وقد مارس الإنسان التربية بوسائلها وأنماطها المتعددة منذ فجر تاريخه حتى هذه الأيام، وسيبقى بحاجة ماسة إلى التربية وموضوعاتها المتعددة، في تحقيق أهدافه الفردية والجماعية حتى يرث الحق سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها.

فالتربية ليست كما يفهمها السواد الأعظم من الناس أنها تعني القراءة والكتابة فقط، لقد عرف الإنسان التربية واستخدمها في تحقيق أهدافه وغاياته قبل أن تعرف القراءة والكتابة، كانت التربية في العصور الأولى من تاريخ الإنسان تأخذ طابع التقليد، والمحاكاة، والممارسة عن طريق الصواب والخطأ لجميع أبناء المجتمع من أجل تأهيلهم بالمهارات، والخبرات، والمعلومات المتعددة التي تساعدهم على تحقيق أهدافهم سواء الفردية أو الجماعية، على هذا النهج التربوي كانت جميع أهدافهم الاجتماعية، والاقتصادية، والزراعية، والسياسية والعسكرية يتم تحقيقها عن طريق الجهد المبذول من قبل أبناء المجتمع الذين تم تأهيلهم وتربيتهم بالطرق المألوفة لهم في تلك الحقبة من الزمن، هذا بجانب تلبية حاجاتهم الفكرية، والعقدية، والتقاليد، والعادات التي كانت جميعها تشكل مركز اهتمام الإنسان منذ فجر تاريخه.

وقد تطورت وسائل التربية من عهد إلى آخر لتناسب التقدم الحضاري الذي نسجه الإنسان عبر تاريخه الحضاري عن طريق التربية لتفي بتحقيق الأهداف المتجددة التي ينشدها الإنسان في شتى الجوانب الحياتية، لذلك كانت التربية عبر تاريخها المديد عملية متجددة من حيث المحتوى، والوسائل، والأساليب، وطرق القياس والتقييم، وثابتة من حيث الغرض الذي ينشده الإنسان منها، فهو يحتاجها كوسيلة في تحقيق أهدافه المتطورة حسب التقدم العلمي والحضاري، وستبقى التربية تلعب هذا الدور بالنسبة للإنسان في المستقبل.

ماهية التربية وغرضها:

اختلفت الآراء والأفكار حول ماهية التربية وغرضها من جيل إلى آخر، ومن مدرسة فكرية إلى أخرى، لتعكس مدى الاختلاف الفلسفي والفكري عند الإنسان حول القضايا الأساسية التي تحمها في شتى أموره الحياتية، فقد اختلفت آراء الإنسان حول أهم القضايا على الإطلاق، وهي: الذات الإلهية، وطبيعة الكون، وعلاقة الفرد بالمجتمع، وطبيعة الإنسان، التي تعكس جميعها آثاراً واسعة النطاق على مجريات الحياة الإنسانية في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فقد كان لهذا الاختلاف حول القضايا الوجودية أثر مباشر وقوي في الاختلاف حول ماهية التربية وغرضها، وهذا ما سنوضحه بالتفصيل عندما نتحدث عن فلسفة التربية في الصفحات القادمة.

أما بالنسبة إلى مفهوم التربية فهي تعني في اللغة "تغذية الجسم وتربيته بما يحتاج إليه من مأكل ومشرب ليشب قوياً معافى قادراً على مواجهة تكاليف الحياة ومشقاتها، فتغذية الإنسان والوصول به إلى حد الكمال هو معنى التربية، ويقص هذا المفهوم كل ما يغذي في الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً وإحساساً ووجداناً وعاطفة" (محبوب، ١٩٨٧، ص ١٥).

"أن التربية عملية مقصودة هادفة موجهة يقوم المربون من خلالها بخلق مواقف تربوية يكون من حصيلة تفاعل الفرد معها تغيرات في السلوك الإنساني، ويخلط البعض بين التربية وبين التعليم، فالتربية ليست مرادفة للتعليم، فهي تتناول شخصية الفرد كلها فهي اعم وأشمل" (عبد الجواد، ١٩٦٢، ص ٣٤).

"أن التربية هي تلك العملية الموجهة نحو تغيير السلوك الإنساني على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي بهدف أن يكون الغد دائما احسن حالا من اليوم متوسلين في ذلك، بمختلف الوسائط المعينة على تحقيق هذه المهمة" (علي، ١٩٨٧، ص ٣٧٠).

يرى الدكتور إسحاق الفرحان أن التربية لا توجد في فراغ، بل هي وعاء وأساليب وإجراءات ينقل بها تراث الأمة من الأجداد إلى الأحفاد، ومن الآباء إلى الأبناء، وبوساطتها تتطور الحضارة عن طريق العلوم المتفجرة والمعارف المتزايدة على نسق ينسجم مع نظرة الأمة ورسالتها في الحياة كما تسهم التربية في تحليل المشكلات الاجتماعية المعاصرة، وتبلور لأجيال الشباب الحلول الفكرية السليمة بأساليب علمية مرضية لتكون انطلاقات الشباب في المجتمع أصيلة غير مستوردة ولا عرضية، بل نابعة من التراث ومتكيفة مع الأحداث على نسق يرضي طموح الشباب ويضمن لهم هويتهم ولامتهم شخصيتها(الفرحان، ١٩٨٣، ص ١٤).

ويرى "الجمالي" إن التربية تعني كل المؤثرات الموجهة التي يراد منها أن تصوغ كيان الإنسان وتهدي سلوكه في كل نواحي الحيلة جسدية أم عاطفية، أم اجتماعية، أم فكرية، أم فنية، أم أخلاقية، أم روحية، فالتربية تشمل كل المنظمات، والعوامل، والأساليب، والطرق التي تدخل في نطاق الفعاليات التهذيبية(الجمالي، ص ١٢٧).

فالتربية كما يراها "فينكس" عملية قسدية يتم عن طريقها توجيه الأفراد الإنسانيين لنمو الأفراد الإنسانيين(فينكس ه. فلسفة التربية، ترجمة محمد لبيب).

بينما يرى "جراتان" التربية على انها من أوسع الميادين التي لا يمكن أن يحيط بها البحث، فهي لا تقتصر على ما نفعله من اجل أنفسنا، وما يفعله غيرنا من أجلنا، لتحقيق غرض محدد، وهو ان نقرب على نحو ما من اكتمال طبيعتنا، بل هي تضع اكثر من هذا، فهي بمعناها الواسع تشمل أيضا العوامل المباشرة التي تؤثر في الأخلاق وفي الملكات البشرية، عن طريق وسائل يختلف عرضها المباشر عن نتيجتها المقصودة كل الاختلاف(جراتان كلنتون، البحث عن المعرفة، ترجمة عثمان نويه، ١٩٦٢).

يرى الباحث أن التربية تعد وسيلة المجتمع الفعالة التي يستطيع عن طريقها تحقيق أهدافه الوجودية، والفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية بما يتفق مع تصور أبناء المجتمع للوجود، وما ينبثق عن هذا التصور من مفاهيم، وعقائد وأفكار وذلك عن طريق استخدام المعلومات كافة، ومجموعة المعارف العلمية، والوسائل التربوية التي توصل إليها الإنسان في تأهيل أفراد المجتمع كل حسب ميوله وقدراته الذاتية ليكونوا على أفضل مستوى فني في تقديم الخدمات المتعددة لمجتمعهم، لذلك فإن التربية تختلف من مجتمع إلى آخر، وذلك يعود إلى تصور أبناء المجتمع للوجود وما يعكسه هذا التصور من مفاهيم خاصة بالقضايا الوجودية الأساسية التي تشكل اهتمامات وطموحات الإنسان بعد تعرفه على حقيقة وجوده وطبيعة كيانه في ضوء ذلك التصور للوجود.

فلسفة التربية:

إن التربية تركز على القضايا التي تعالجها والتي تدور حول طبيعة الإنسان والمجتمع، والحياة والعلاقة بينهما، والمربون في عملهم يثيرون كثيرا من القضايا التي تعالجها الفلسفة وذلك مثل ما يلي:

أ- طبيعة الإنسان الذي نقوم بتربيته.

ب- طبيعة الحياة التي تود أن تقودنا التربية إليها.

ج- طبيعة المجتمع البشري.

د- طبيعة المفاهيم والقيم التي نتطلع إليها.

إن مثل هذه العلاقة الوثيقة بين الفلسفة والتربية جعلت بعضهم يعرف الفلسفة بأنها "النظرية العامة للتربية" (سمعان، ١٩٦٢، ص٨٨).

إن الفلسفة التربوية هي فهم التربية في كليتها الإجمالية، وتفسيرها بواسطة مفهومات عامة تتولى قيادة اختيارنا للغايات والسياسات التربوية .. فهي تتضمن تطبيق الفلسفة الصورية على ميدان التربية (جورج ف. نيلو، مقدمة إلى فلسفة التربية (ترجمة نظمي لوقا) ١٩٧٧، ص٨-٩).

كما عرف آخرون فلسفة التربية بأنها عبارة عن الإطار العام من الآراء والمعتقدات الفلسفية التي تدور حول الإنسان وحول العالم الذي يعيش فيه والتي توجه عملية تربية هذا الإنسان وتوحيدها وتحدد أهدافها ومناشطها (الشافعي، ١٩٧١، ص٢٦).

فالتربية لا يمكن لها أن تنمو وتكتمل وتتواءم في ميدان التطور ما لم تستند إلى فكر فلسفي يغذيها بالجدة والابتكار والإبداع في عالم يسابق العلم ومنجزاته للفكر وتطوعاته، وما دمنا نسأل لماذا نعلم؟ وكيف نعلم؟ فستبقى حاجة التربية إلى الفلسفة ملحة وضرورية(النجار، ١٩٧١، ص٢٤).

إن الأهداف التربوية والغايات العامة التي يود الإنسان أن يحققها من خلال العملية التربوية تنبثق من فهم الإنسان للوجود وأساره وقد اختلفت آراء الإنسان واعتقاداته حول الوجود وأساره مما أدى إلى انعكاس ذلك على اختلاف أهلف الناس وغاياتهم، فالإنسان الذي فهم الوجود من خلال النهج الإسلامي فإنه كونه مفهومًا خصصاً للوجود بشكل عام وللحياة الدنيا وقدرها في الوجود بشكل خاص مما أدى إلى تشكيل مفاهيم، وأهداف وغايات، وطموحات خاصة بهذا الإنسان تختلف عن تلك التي كونها الإنسان الذي اتبع نهجاً فلسفياً بشرياً في فهم الوجود وأساره.

وفي ضوء ذلك فالمجتمع الذي لا يؤمن أفراداً بالمعطيات المادية دون الاعتقاد بالذات الإلهية وما يتصل بالقضايا الميتافيزيقية تكون تربية أبناء هذا المجتمع قد أسست على قواعد وأسس تربوية تسعى إلى تحقيق أهداف هذا المجتمع التي لا تتعدى الجوانب المادية في ضوء الفهم الخاص لهذا المجتمع للحياة الدنيا، وعندها يكون المجتمع قد اتخذ من التربية وسيلة لتحقيق أهدافه في ضوء مفهوم أبنائه للوجود وأساره، والحياة الدنيا وحقيقتها في ضوء فهمهم لها، وهذا هو النمط التربوي الذي نشاهده في هذه الأيام في الدول المادية المتقدمة.

إن من أهم وأخطر المشكلات التي تواجه ميدان التربية في أي بلد هو فقدان هذا الميدان للقاعدة الأساسية التي تتمثل بالأسس الفكرية والأطر الفلسفية المنبثقة من فلسفة المجتمع، هذا مع العلم بان هذه الأسس والأطر يجب أن تكون واضحة المعالم والاتجاهات لجميع فئات الشعب بشكل عام ولرجال التربية بشكل خاص حتى يتسنى لهم صياغة الأهداف التربوية العليا التي تعد بمثابة الطموحات والأهداف لجميع معتنقي تلك الفلسفة أو الفكر. وفي هذا الوضع تكون الأهداف التربوية العليا تشكل الهدف الشعبي العلمي التربوي العام الذي تسعى جميع الفئات المشتركة في العملية التربوية لتحقيقه بشتى الوسائل والأساليب، وبهذا المفهوم تصبح المؤسسات العلمية والتربوية المكان الحصب لبذل الجهود المشتركة لتحقيق الأهداف التي تمثل جميع قطاعات الشعب، بينما في حالة غياب الأسس والأطر الفلسفية في مجال التربية أو في حالة وجود أسس وأطر غير واضحة المعالم والاتجاهات حيث التناقض والتضارب الواضح بين تلك الأسس، فإن هذا الخلل الجسيم قد يؤدي إلى وجود مؤسسات علمية تربوية يكون طابعها العام الظاهري الصالح العام، أما واقعها فيكون متدى للصراع الشخصي، إذ يسعى كل فرد أو ثلة إلى تحقيق مآرب وأهداف وشهوات شخصية بحتة، على حساب الأهداف والأمنيات العليا لأبناء الشعب، وعندها تصبح الجهود المبذولة من قبل الأطراف المشتركة في العملية التربوية، تتصادم بعضها ببعض، بسبب سياسة الخندق والتصادم التي لا تخدم إلا الأهداف والأهواء الشخصية، وبهذه المعطيات يصبح مستقبل الأمة وأهدافها رهينة لنزوات وأطماع وأهداف شخصية لمجموعة من الأفراد، تتصف بالأنانية المفرطة وفقدان الإحساس نحو

القضايا الوطنية. إذ ينظر كل فرد من هذه الجماعة إلى كل شيء من منظاره الشخصي، دون الالتفات إلى المبادئ العامة والمصالح الوطنية.

أضف إلى ذلك بان وضوح الأسس والأطر التربوية، بمكّن رجال التربية من صياغة المناهج التربوية للفروع كافة، من اجل تحقيق الأهداف التربوية العليا المنبثقة من فلسفة المجتمع دون وجود أي تعارض في المناهج الدراسية مع تعدد فروعها ومواضيعها، وعندها يمكن تأهيل الأفراد على أسس تربوية علمية سليمة، تؤدي إلى وجود فئحة تربوية واجتماعياً وسياسياً وعقائدياً، بما يتناسب مع فلسفة المجتمع المعني، وفي ظل هذه المعطيات فان الأهداف والمناهج التربوية تواجه بحماسة منقطعة النظر، من جميع الأطراف المشتركة في العملية التربوية، بسبب الشعور والاتجاه العام عند جميع الأفراد، بأن هذه المناهج التربوية هي من أهم وافضل الوسائل التي تمكنهم من تحقيق أهدافهم التربوية العليا، التي تتفق بصورة كاملة مع معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأحاسيسهم وشعورهم. وإذا لم تصمم المناهج التربوية على هذا الأساس الفكري التربوي السليم، فانه من الاستحالة على المناهج التربوية أن تؤدي إلى تحقيق الأهداف المنشودة التي تم تصميمها من اجل تحقيقها، هذا بالإضافة إلى وجود التعارض والتضارب بين المناهج الدراسية للمواضيع المختلفة.

المدارس الفكرية والفلسفية للتربية:

لقد استخدم الإنسان عبر تاريخه المديد التربية كوسيلة لتحقيق الأهداف المتعددة التي كان يرى فيها الإنسان تحقيق سعادته وطموحاته، ولكن هذه الأهداف كانت وما زالت وستبقى متجددة ومتنوعة من عهد إلى آخر، ومن قرن إلى آخر، ومن مجتمع إلى آخر، ومع هذه الاختلافات كلها في الأهداف بين القرون، والعهود والمجتمعات، إلا أن التربية ما زالت وستبقى الوسيلة الوحيدة التي يتسنى للإنسان عن طريقها تحقيق ما تصبو له النفس البشرية من أهداف تربوية عامة. كنا قد أوضحنا في الفصل الأول مفهوم الحياة الدنيا، وكيف اختلفت الآراء حول المفهوم الحقيقي للحياة الدنيا، وقد بينا في تلك الدراسة وجهة نظر الدين الإسلامي الحنيف للحياة الدنيا على أنها تعد المقدمة التي ينطلق من خلالها الإنسان لنيل رضا الحق سبحانه وتعالى والفوز بجنت النعيم في دار الخلود، وقد بيننا وجهة نظر المدارس الفلسفية حول مفهوم الحياة الدنيا وكيف تمثل مركز اهتمامهم ونهاية طموحاتهم، والسعي فقط لتحقيق ما تنوق له النفس البشرية داخل إطار الحياة الدنيا فقط. ففي الوقت الذي تشابحت فيه اهتمامات المدارس الفكرية حول هذه الأساسية فقد اختلفت آراؤهم حول القضايا الوجودية الأخرى مما أدى إلى وجود الاختلاف في أهدافهم التي لا تتعدى إطار الحياة الدنيا. إن هذا الاختلاف الفكري حول القضايا الوجودية أدى إلى انعكاسات كبيرة في ماهية التربية ومحتواها التي يجب أن تطبق في مجتمع دون الآخر. وفي ضوء هذا الفهم للتربية فان المجتمع الذي لا يؤمن إلا بالمعطيات المادية دون الاعتقاد والتسليم بالأمور الميتافيزيقية،

تكون تربية أبناء هذا المجتمع قد أسست على قواعد وأسس تربوية وعلمية تحقق لهذا المجتمع أهدافه التي لا تتعدى الجوانب المادية من هذه الحياة، وما يهتم الإنسان فقط في حياته المادية بنسبة ما يسعى هذا الإنسان إلى تحقيقها عن طريق إعداد شتى الجوانب المتصلة بالبرامج التربوية من وسائل متعددة وإمكانات بشرية ومادية، وبهذا يكون المجتمع قد اتخذ من التربية وسيلة لتحقيق أهدافه في ضوء نظرة أبناء هذا المجتمع للوجود ولحقيقة الحياة الدنيا، وهذا هو النمط التربوي الذي نلاحظه في هذه الأيام في معظم الدول المادية المتقدمة.

أما بالنسبة إلى المجتمع الذي يعتقد أفرادُه بالنهج الإسلامي كإطار فكري لهم في الدنيا، فإن نظرة هذا المجتمع للوجود بما فيه الحياة الدنيا سوف تختلف عن نظرة أبناء المجتمعات الأخرى التي لا تؤمن بالنهج الإسلامي، ويكمن سر هذا الاختلاف بما يعكسه النهج الإسلامي من أفكار ومعتقدات وأنماط سلوكية في نفوس أتباعه، لذلك فإن أهداف هذا المجتمع الإسلامي تكون أشمل وأكبر من أهداف المجتمعات الأخرى، لذلك فإن التربية التي يمكن بواسطتها تحقيق أهداف هذا المجتمع سوف تختلف عن التربية في المجتمعات الأخرى بمقدار الاختلاف بين أهداف المجتمع المسلم التي تقودنا إلى غايات متصلة بحاضرنا ومستقبلنا في هذه الدنيا، وأهداف أخرى تقودنا إلى تحقيق غايات وجودنا في هذا الكون، وهي الفوز بجنات النعيم في الآخرة، هذا بجانب الاختلاف الشامخ بين النهج الإسلامي المتبع في المجتمع الإسلامي والأطر الفكرية الأخرى المتبعة في المجتمعات غير الإسلامية التي تؤثر بشكل قوي على برامج التربية وانعكاساتها الفكرية والسلوكية في شتى الميادين الحياتية، وسوف نورد المبادئ الأساسية للتربية في ضوء النهج الإسلامي بعد الإشارة إلى المبادئ الأساسية للتربية في ضوء المدارس الفلسفية المتعددة، لنرى معاً أوجه التشابه والاختلاف بين الطرفين.

(١) التربية في ضوء الفلسفة الطبيعية:

كما قد أشرنا في الفصل الأول إلى المبادئ الأساسية للمدارس الفلسفية المختلفة، بما فيها المبادئ الخاصة بالفلسفة الطبيعية التي تشكل في أذهان معتنقيها مفهوماً خاصاً للحياة الدنيا، والكون وطبيعته، والإنسان وخصائصه ومكانته في الكون وهذا بجانب انعكاسات تلك المبادئ في التربية التي ينشدها الإنسان للوصول إلى آماله وطموحاته وأهدافه بمختلف مستوياتها، لذلك فإن هناك مبادئ أساسية للتربية في ضوء الفلسفة الطبيعية تختلف عن غيرها من المبادئ والأساسيات التربوية في ضوء الفلسفات الأخرى، ومن أهم الأساسيات التربوية ما يلي:

١- "العملية التربوية يجب أن تتعدى المجال الفكري لتشمل تربية العقل والجسم، دون التركيز على أحدهما على أساس الأفضلية.

٢- العملية التربوية يجب أن يتم طرحها بالوسائل الطبيعية للتلاميذ.

٣- التقدم بمستوى العملية التربوية يجب أن يتناسب مع مقدار التقدم عند التلاميذ في المستوى العقلي والجسمي.

٤- يجب إعطاء المعلومات التربوية للتلاميذ عندما يكونوا جاهزين للتعلم،
وعندها تكون العملية التربوية طبيعية.

٥- التربية يجب أن تشبع حاجات التلاميذ ورغباتهم.

٦- طالما أن الفرد أهم من الجماعة في ضوء الفلسفة الطبيعية، فيجب التركيز في العملية التربوية على أهداف وحاجات الفرد أولاً.

٧- تعد التربية عملية ديناميكية تفاعلية يجب ان يكون للطالب فيها دور بارز في السيطرة على مجرياتها وأحداثها، وعلى هذا الأساس تكون التربية قد أشبعت الحاجات الطبيعية عند الطلبة.

٨- يكون دور المدرس في العملية التربوية موجهاً لمجرياتها ومساعداً للتلاميذ كيف يتعلمون المواد التعليمية.

٩- الثواب والعقاب يعدا جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية شريطة ان تتم عملية الثواب والعقاب بشكل طبيعي منظم" (Butler, 1969).

(٢) التربية في ضوء الفلسفة المثالية:

يعد أفلاطون، زعيم الفلسفة المثالية أول الذين تحدثوا في النظريات التربوية، فهو يعتقد أن الهدف الأسمى من التربية هو خدمة الدولة، لذلك فإنه يدعو إلى سيطرة الدولة التامة على العملية التربوية حتى يتم إعداد الأشخاص وتربيتهم بصورة تتناسب مع قدراتهم الفردية، هذا بجانب تأهيلهم للمستويات التي تسمح بها قدراتهم الذاتية، فالدولة يجب أن تستفيد من كل فرد من أبناء المجتمع حسب قدراته وإمكاناته الذاتية بعد أن يتم توزيعهم على مجالات الحياة التي تناسب تلك الإمكانيات والقدرات ومن أهم الأسس التربوية التي تعكس المفاهيم التربوية العامة للمبادئ الأساسية للفلسفة ما يلي:

١- "يعد المعلم المثل الأعلى بالنسبة للتلاميذ كما انه المسؤول الأول عن خلق الأجواء والظروف التعليمية المناسبة.

٢- إثارة الدوافع والخوافز نحو التعلم في نفوس التلاميذ تعد من المهام الأساسية للمعلم.

٣- العملية التربوية تبدأ من رغبة المتعلم في التعلم والاعتماد على النفس في الوقت الذي يقوم المعلم بدور الموجه والمساعد في إعطاء التوجيهات.

٤ يجب التركيز على النمو العقلي وإشباعه بالمعلومات التي تساعد على تقوية القوى السببية او الطرق المنطقية في التفكير.

- ٥- يجب أن يكون للعملية التربوية أهداف يسعى إلى تحقيقها عن طريق المحتوى المقدم للتلاميذ.
- ٦- تنمية وتطوير شخصية الفرد في شتى الجوانب المعرفية، والخلقية، والروحية عن طريق العملية التربوية.
- ٧- استخدام جميع الوسائل والأساليب التعليمية التي تساعد الطالب على مواصلة التعليم واكتساب المعرفة.
- ٨- العملية التربوية تفاعل ديناميكي لا يوجد مكان فيها للفرد السلبي او الاتكالي.
- ٩- يقسم أفراد المجتمع إلى ثلاث طبقات حسب مؤهلاتهم التربوية التي أسست حسب قدراتهم الذاتية، اقلها تأهילה طبقة التجار، وأكثرها تأهילה وقدرة الطبقة التي تستلم زمام الأمور في الدولة، وتتوسط هاتين الطبقتين طبقة الجند" (المصدر السابق).

(٣) التربية في ضوء الفلسفة الواقعية:

يعتقد أرسطو زعيم الفلسفة الواقعية أن للتربية في ضوء الفلسفة الواقعية مبادئ أساسية تميزها عن غيرها من الأنماط التربوية الأخرى التي انبثقت من المدارس الفكرية الأخرى. يرى أن الهدف الأساسي الكبير للتربية يكمن في إعداد الفرد ليصل به إلى درجة الكمال الإنساني، ولكي نستطيع أن نصل إلى هذا الهدف السابق فانه يعتقد أن الدولة هي التي تكون بيدها جميع الأمور التربوية، فهلتي تقرر من من أبناءها الذين يجب أن ترعاهم برعايتها لما يتمتعون به من قوى ذاتية عالية، كما تقرر الموت على الذين يعانون من عيوب او قصور خلقية، هذا بالإضافة إلى اعتقاده بحق الدولة في اختيار الزوجات لأبناء المجتمع، ويرى أن الغاية العليا من التربية تكمن في إعداد الأفراد من أجل خدمة المجتمع.

"ويرى فريمان (Freeman) إن أهم المبادئ الأساسية للتربية في ضوء الفلسفة الواقعية هي:

- ١- التربية من أجل الحياة، لذلك يجب أن تكون لها غايات وأهداف ذات فائدة عالية.
- ٢- للتربية بحد ذاتها تعد هدفاً.
- ٣- التربية يجب أن تكون منظمة وتتبع قوانين وإجراءات عملية، ولا يجوز ان تكون عرضة لتنظيم وتخطيط المعلم بأية حال من الأحوال.
- ٤- استخدام المقاييس والمعايير الموضوعية في شتى مجالات التربية.
- ٥- التركيز على البحث والأسلوب العلمي في العملية التربوية.
- ٦- تصميم المناهج على أسس وقواعد علمية.
- ٧- تنمية وتطوير قوة الفرد على التحليل والتعليل، وإعطاء المسببات والأسباب لكافة الأشياء.
- ٨- أن تتم عمليات القياس والتقويم على أسس عملية ثابتة.
- ٩- الدولة تسيطر على جميع مجريات العملية التربوية.
- ١٠- إعداد وتأهيل أبناء المجتمع للدفاع عن كيان الدولة (Freeman, 1977).

(٤) التربية في ضوء الفلسفة الوجودية:

قبل أن نشير إلى المبادئ الأساسية للتربية في ضوء الفلسفة الوجودية، فلا مندوحة لنا من إبراز الحقيقة التالية للقارئ العزيز، وهي أن التربية في ضوء الفلسفة الوجودية لم تعد الجهد النظري الخالص، أي أنها لم تطبق

حتى هذه اللحظة في أي مكان على سطح الكرة الأرضية، ولكن فان (Van) اقترح عدة أساسيات للتربية في ضوء الفلسفة الوجودية حسب فهمه للأساسيات الكبرى التي تنطوي عليها الفلسفة الوجودية وهي:

١- يجب أن ينصب اهتمام العملية التربوية على حاجات الفرد وأهدافه.

٢-تهيئة الأجواء العملية والتربوية المناسبة للفرد يعد الدور الأساسي والأخير للمدرسة.

- ٢- إعطاء الحرية التامة للفرد في اختيار المادة التعليمية وأسلوب التدريس لتلك المادة.
- ٤- دور المعلم في العملية التربوية يشمل إثارة حوافز التلاميذ نحو التعليم وتشجيعهم على الإبداع والابتكار.
- ٥- يجب أن يتعلم الفرد عن طريق التربية جميع مسؤولياته اتجاه نفسه وتنمية قدرته على اتخاذ القرارات الضرورية المناسبة في الظروف المختلفة.
- ٦- يجب أن تنعكس المعلومات والمهارات والخبرات التي تحتوي عليها البرامج التربوية في سلوكيات الفرد واتجاهاته (Van Cleve Morris, 1966).

(٥) التربية في ضوء الفلسفة البراجماتية:

يعتقد جون ديوي أن التربية يجب أن تركز على الفرد كعضو مشارك فعال في مجتمعه وليس كعضو له اهتمامات متباينة مع أهداف مجتمعه، لذلك فإنه يرى أن التربية يجب أن تنظر إلى اهتمامات المجتمع واهتمامات الفرد وتركز عليها جميعها دون الاهتمام بطرف على حساب الجانب الآخر، فالفرد لا يمكن أن ينمو تربوياً إلا من خلال جماعة، لذلك فالواجب على الفرد أن يخدم مجتمعه عن طريق إعداد وتطوير كافة قدراته ومواهبه الفردية. يرى فريمان (Freeman) أن التربية في ضوء الفلسفة البراجماتية تنفرد ببعض المبادئ والأساسيات التي تميزها عن غيرها من الأنماط التربوية الأخرى، وهذه المبادئ هي:

- ١- الفرد يتعلم من خلال العمل والتجربة.
- ٢- التربية من أجل تنمية وتطوير الكفاية الاجتماعية.
- ٣- الدور الريادي للتربية يتجسد في إعداد الأفراد وتأهيلهم لأخذ أماكنهم المناسبة في مجتمعهم.
- ٤- تلبية حاجات الأفراد كل حسب قدراته ومواهبه الذاتية.
- ٥- يجب أن يتم جزء من العملية التربوية عن طريق حل المشكلات التي تقدم للأفراد بهدف تنمية القدرة الابتكارية عندهم.

٥- يجب أن تنمي التربية عند الفرد النواحي الفكرية والجسمية.

٧- طالما أن الأهداف الأساسية للتربية في ضوء الفلسفة البراجماتية تكمن في إعداد الأفراد المنتجين في مجتمعهم، فإن التقويم يجب أن يركز على مدى انسجام وإنتاجية الفرد في مجتمعه (-Freeman, PP. 137). (١٣٨).

(٦) التربية في ضوء الفلسفة الشيوعية:

للتربية في ظلال الفلسفة الشيوعية مزايا ومبادئ تجعلها تختلف عن غيرها من الأفكار التربوية الأخرى التي تنبثق عن المدارس الفكرية، فيرى لينين أن التربية للحياة الدنيا فقط لا تتعدى أطرها السياسية والاجتماعية والثقافية. وهناك عدة مبادئ أساسية للتربية في ظل الفلسفة الشيوعية هي:

- ١- تهدف التربية إلى تكوين العقلية الشيوعية عند أبناء المجتمع المعادية للرأسمالية والملكية الفردية والدين.
- ٢- تنمية الروح الجماعية وتشجيع الخدمة الاجتماعية في نفوس أبناء المجتمع وإخضاع أهداف الفرد ومصالحه إلى أهداف مجتمعه.
- ٣- إنكار الطبقة وإزالة الفوارق بين الطبقات عن طريق توحيد التعليم لجميع أبناء الشعب.
- ٤- سيطرة الدولة على جميع القضايا المرتبطة بالعملية التربوية.
- ٥- إعداد الأفراد للدفاع عن الدولة وتحقيق غاياتها.
- ٦- المساواة بين القوميات والأجناس ودفن النزعات العرقية ومكافحة العقائد الدينية، والإخلاص للفكر الشيوعي وحزبه.

(٧) التربية في ضوء النهج الإسلامي:

يعد الحديث عن التربية في ضوء النهج الإسلامي من أصعب المواضيع التي يمكن أن يتولى القيام بها إنسان، لما لهذا الموضوع من جوانب متعددة متداخلة، ترافقها مدركات خاطئة استقرت في أذهان الناس عبر القرون الماضية، هذا بجانب الغياب الفعلي والواقعي للإسلام ومبادئه من ساحة التطبيق السليم لمدة طويلة من الزمن، وما صاحب هذه المدة من بث المفتريات وتفشي الممارسات المناهضة لمبادئ الإسلام في شتى ميادين الحياة، تحت ستار

الفتاوى الجائرة التي كان ينسجها فقهاء السلاطين من مخيالهم، لتحقيق أهداف دينوية للحصول على هبات أسيادهم والجلوس إلى فئات موائدهم، وتولي مراكز قيادية في مجتمع شعاره المحاباة، والمحسوبة، وتحركه قوى المزاج، والشهوة، والأنانية، على حساب المبادئ الإسلامية الغراء، التي تنادي بتطبيق القوانين العادلة بين الناس في شتى أمورهم الحياتية.

فالتربية في المجتمع المسلم، تعد الوسيلة المثلى في توضيح وإرساء دعائم العقيدة والمثل والقيم في نفوس أبناء المجتمع وفق الإطار الفكري العام للنهج الإسلامي، وما يرافق ذلك من إعداد جميع أبناء المجتمع أفراداً وجماعات، لحشد شتى طاقاتهم التربوية والعلمية وفق قدراتهم الفردية والجماعية، بما يتناسب مع معطيات العصر الحضارية الذي يعيشونه، لتحقيق الأهداف الفردية والجماعية التي ينشدها أفراد المجتمع المسلم وفق تعاليم الإسلام الغراء، فهذا النوع من التربية لن يكتب له النجاح أو التقدم إلا في مجتمع إسلامي يعيش مبادئ الإسلام اعتقاداً وسلوكاً في شتى جوانب الحياة ومظاهرها، فالذي يودنا يقحم نظاماً تربوياً إسلامياً في مجتمع لا يطبق تعاليم الإسلام في شتى أمورهم الحياتية مثله كالذي يود أن يجمع بين الأضداد التي لا يجمع بينها جامع، ويدل ذلك على الجهل الصارخ بمخصائص الإسلام وطبيعته وماهية التربية ودورها في المجتمعات.

وفي ضوء هذا الفهم للتربية ودورها، فلا يجوز بأي حال من الأحوال المقارنة بين التربية المبرمجة لتحقيق أهداف تربوية في المجتمع المسلم، والتربية المبرمجة لتحقيق أهداف تربوية في المجتمعات المادية، للتفاوت الكبير بين هذه المجتمعات والمجتمع الإسلامي في الفهم الدقيق للحياة الدنيا وما يعكسه هذا الفهم من مفاهيم وتصورات في أذهان أبناء المجتمع، تؤدي إلى ولادة وصياغة أهدافهم الفردية والجماعية، هنا بجانب الإطار الفكري والاجتماعي العام للنهج الإلهي وما يعكسه من أنماط سلوكية وفكرية عند أبناء المجتمع المسلم، فالأهداف التربوية التي يسعى المجتمع المسلم لتحقيقها تتصل بدرجة عالية بالفهم الإسلامي الدقيق للحياة الدنيا وقدرها المحدد من الوجود بشكله العام. لذلك فإن الأهداف التربوية لهذا المجتمع الرسالي لا تنحصر فقط في الحياة الدنيا وما يجري داخل إطارها كما يحدث في ضوء الأطر الفكرية الأخرى، بل تشمل طموحات وغايات أبناء المجتمع المتصلة بدار السلام والخلود التي وعد الله بما عباده المتقين. وانطلاقاً من التخطيط السليم في صياغة الأهداف التربوية العامة بطريقة علمية منطقية، لا بد من أن تكون المعادلة التي يتم من خلالها صياغة الأهداف المتعلقة بالحياة الدنيا تتفق مع بقية هذه الحياة في ضوء الفهم الإسلامي السليم، وكذلك الحال بالنسبة للأهداف المتصلة باليوم الآخر، وطالما أن الفهم الإسلامي السديد للحياة الدنيا، والآخرة يبين لنا بوضوح وجلاء إن الحياة الدنيا وما فيها من متاع وآمال تعد بمثابة دار الابتلاء والاختبار للفوز في اليوم الآخر، فإن هذا الفهم الصائب الدقيق يجب أن يعكس في مضمون الأهداف التربوية ونوعيتها للمجتمع المسلم، حيث تكون نغمة الأهداف وغاياتها تصب في تحقيق أهداف عامة سامية متصلة بالآخرة، أما بالنسبة للأهداف التربوية المتعلقة بالحياة الدنيا، فيجب أن تكون جميعها بمثابة الأهداف القريبة الأجل، التي تقودنا إلى الأهداف السامقة التي توصلنا إلى دار الخلود والسلام في جنات عدن التي أعدها الحق سبحانه وتعالى لعبادة المخلصين.

إن الذين يريدون أن يقارنوا بين التربية في ضوء النهج الإسلامي وبين التربية في ظلال الأطر الفكرية الأخرى يجب عليهم أن ينطلقوا من معادل الاختلاف الرئيسة ليصلوا إلى سدرة الصواب في عملية المقارنة، إن الفرق الشاسع بين النهج الإسلامي والأطر الفكرية البشرية يعكس تلقائياً وبصورة كاملة في مختلف الجوانب والأسس الأساسية للتربية، لذلك فإن الذين يريدون تطبيق مبادئ وأنظمة تربوية وما يتبعها من أهداف، ومناهج، وأساليب، وطرق قياس وتقويم، وفلسفات تعليمية متبعة في الدول الغربية في مجتمع إسلامي، إنما يريدون سلخ أبناء

هذا المجتمع الإسلامي عن هويتهم الفكرية، التي ينظرون من خلالها إلى حقائق الكون والوجود ليغدوا تبعاً للأطر الفكرية البشرية، التي لا تتعدى مبادئها الحياة الدنيا وما جسد فيها من مفاتن وزخارف، تشد الإنسان بشهواته إليها، وبهذا يكونوا كقوم موسى عندما طلبوا من نبيهم موسى أن يجعل لهم آلهة من المخلوقات المحسوسة وهو يدعوهم إلى الإنابة للواحد الأحد سبحانه وتعالى، نعم انهم يريدون ان يعبدوا عجلاً أصم من دون الحق سبحانه وتعالى لأنهم لا ينطلقون إلا من قناعاتهم بالأمور المحسوسة الملموسة فقط وما تعود عليهم هذه القناعات من أهداف مادية، ان مجازاتنا للغرب او للشرق، في ميدان العلوم والمعارف الحضارية، لن تكون أبداً عن طريق تطبيق أنظمتهم وقوانينهم ونظرياتهم الاجتماعية والتربوية في مجتمعاتنا كما يفهمه دعاة هذا التوجه، والسبب وراء ذلك يعود إلى أن هذه الأنظمة والقوانين والنظريات الاجتماعية والتربوية أسست وبنيت في ضوء نظرتهم للوجود بشكله العام والحياة الدنيا بشكلها الخاص، ودور الإنسان وطبيعته في هذا الوجود، فإذا أردنا أن يكون مفهومنا الفكري للوجود كمفهومهم الذي يقتصر على الأمور المادية فقط، فعندها يمكن أن تكون هذه الأنظمة والقوانين والنظريات صالحة للتطبيق بين ظهرانينا، وفي تلك الحالة يكون الاستعمار والغزو الفكري الثقافي قد حقق جميع مقاصده وأهدافه.

أما إذا أردنا أن نحقق قفزات علمية تربوية باهرة تجعلنا نتقدم نحو الصفوف الأولى مع الأمم والقوميات الأخرى، بل نكون أفضلها على الإطلاق كما كان سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمته في صدر التاريخ، فيتوجب علينا ان نمارس جميع معتقداتنا الفكرية في مختلف جوانب الحياة ونأخذ جميع ما توصل اليه الغرب والشرق بما ينسجم مع نهجنا الإسلامي، مع بذل الجهد الحثيث المتواصل لسد الفجوة العلمية بيننا وبينهم، والتزاحم معهم على الاكتشافات والاختراعات العلمية المتعلقة بشتى شؤون الحياة. وإنما سنجد عند تلك المرحلة أن القرآن الكريم سيكون بمثابة الموجه والمرشد العام لمسيرتنا العلمية، لما يحتوي بين ثنايا آياته الشريفة من علوم دفينه.

لقد سبقنا الغرب في الاكتشافات المتصلة بعلم الأجنة، على الرغم من ان مراحل تكوين الجنين موجودة في الآيات القرآنية الكريمة منذ مرحلة تنزيل القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكنا نتلوها ليلاً ونهاراً في مختلف الأمصار وشتى بقاع الأرض، دون أن تثير فينا روح البحث العلمي والفضول المعرفي، وهناك الشيء الكثير من العلوم والمعارف التي نمر عليها مروراً سريعاً دون الوقوف عندها والتأمل في أبعادها، والقيام بالبحوث العلمية حولها للوصول إلى أبعادها وغاياتها، وهذا يعود بالطبع إلى خصائص التاريخ الإسلامي. وما صنعه المسلمون في العهود السابقة من أمور كثيرة هي في حقيقتها مخالفة للإسلام وروحه وللقران الكريم وآياته وللسنة النبوية الطاهرة ومدلولاتها مما جعل التخبط واضحاً جلياً في المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ بين الشعاع الإسلامي المرفوع، والممارسات اليومية في شتى ميادين الحياة لمختلف فئات المجتمع، ولكي نصل إلى جذور مشكلاتنا الرئيسية والتعرف إلى الحلول المنهجية الإسلامية الصحيحة لها لا بد من الإشارة بصورة سريعة إلى الأمور والأحداث التي أدت إلى ظهور الخلل والفساد في المجتمع الإسلامي وما أسس على هذه الأحداث من مدارس فكرية مذهبية زادت بشكل مباشر من إثارة الخلافات والفتن هذا بجانب الافتئات على الآيات القرآنية عن طريق إخراجها عن مداراتها السليمة لتسويغ انحرافات معينة من جانب، ومهاجمة المذاهب الأخرى من جانب آخر، وما صاحب ذلك من الدس والوضع في سيرة نبينا الطاهرة وإخراج الأحاديث النبوية عن معانيها النبيلة للوصول إلى أهداف شهوية، حتى ألف المسلمون على مر الأيام أموراً في شتى أمورهم الحياتية تخالف النهج الإسلامي المنير. فوجدوا أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه من التخلف، والتبعية، والانقسام والفوضى الفكرية التي تعج وتموج في

أذهانهم ليشكلوا بذلك أسوأ نموذج إنساني عن الإسلام الذي مسخ في أذهان غير المسلمين بسبب الانحرافات الحادة والتناقضات العجيبة، والشهوات المفرطة، والدكتاتورية المطلقة التي تفوح بنسائمتها المجتمعات الإسلامية، هذا بجانب الأحداث المفجعة المخجلة التي تحدث بين الفينة والأخرى بين المسلمين، مثل القتل، والتعذيب، والتشريد، والظلم والاستبداد، وإطلاق الشهوات، وإعطاء الولاية للغرب والشرق ضد الإسلام وأهله، إن جميع هذه الأمور تحدث مع الأسف الشديد تحت شعار الإسلام المعتدل تارة والإسلام الحديث تارة أخرى، حتى أصبحنا نعيش في مجتمعات إسلامية لا تطبق شيئاً واحداً نقيماً من القرآن الكريم والسنة النبوية الطاهرة، إن الذي نراه اليوم من الجمود، والتخاذل، والوقوف مع المشركين، والانحراف الحاد عن تعليمات النهج الإلهي هو نتيجة الانحراف المتراكم عبر العصور الماضية في المجتمعات الإسلامية.

إن هذه المجتمعات التي انحرفت عن النهج الإسلامي في مختلف الجوانب السياسية، والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، والقضائية، والتربوية، هي بحاجة إلى هوية فكرية تيسر في ضوءها ويتم الاحتكام إليها في شتى القضايا الحياتية، أما أن نبحث عن الحلول الاقتصادية أو التربوية في مجتمع ليس له هوية سوى إشباع الشهوات بطريقة مفرطة عن طريق الظلم والاستبداد، والمحاباة، والازدواجية في اتخاذ القرارات، إننا بهذا العمل نظل الإسلام الذي نبحث فيه عن حلول جزئية لمجتمعات تسودها الشهوة واللذة، والعداوة للإسلام، إن هذه العداوة سواء التي تحصل داخل المساجد وأروقة المجتمع الأخرى حتى تصل إلى أعلى مراتب الدولة في التعامل مع أعداء الإسلام ضد أبناء المجتمع المسلم تمثل العدو الأول لأي تجمع إسلامي يريد أن يشق طريقه بين صفوف المسلمين، بهدف تنقية المفاهيم الإسلامية الهابطة التي استقرت في أذهان الناس عبر العصور السابقة والعودة بهم إلى منابع النهج الإسلامي الحقيقية.

إن الذين يبحثون وراء نظرية تربوية إسلامية أو نظرية اقتصادية إسلامية أو نظرية اجتماعية إسلامية أو إلى غيرها من النظريات عليهم أولاً أن يعوا الحقيقة التالية وهي أن الإسلام يمثل نظاماً حياتياً شاملاً للإنسان في مجتمع مسلم.

وان هذه النظريات والأفكار الإسلامية تمثل التكامل والتناسق بعضها مع بعض ولا يجوز عليها التجزئة لأنها جميعاً تنبثق من مصدر واحد أو تتفق معه وهو النهج الإلهي المنير، لذلك لا بد من وجود المجتمع المسلم الذي يطبق النهج الإسلامي في مختلف جوانبه المتعددة أولاً ثم بعد ذلك البحث والتنقيب لإيجاد الحلول لأي مشكلة قد تنشأ في المجتمع المسلم الفاضل، أما أن نقضي الوقت الطويل في البحث عن الحلول الإسلامية الجزئية لمجتمعات لا تطبق النهج الإسلامي في سائر أمورها الحياتية، فهذا يمثل التخبط وعدم وضوح الرؤية بجانب الوقت الذي امرنا باستخدامه بما يرضي الله سبحانه وتعالى.

أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وصحبه الأبرار استطاعوا بالفكر الإسلامي أن يكونوا خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وذلك يعود إلى مسيرتهم الصادقة السليمة في ضوء الإسلام، ففي الوقت الذي كانوا فيه يرسون دعائم الإسلام في الأرض، كانوا يطلبون تحقيق أهدافهم الدنيوية بشتى الوسائل المعروفة لديهم في ذلك الزمن بما ينسجم مع الفكر الإسلامي، وقد ظهر ذلك في مختلف أمورهم المدنية والعسكرية والاجتماعية بصورة منقطعة النظير في الانسجام بين طلبات الدنيا وأهداف الآخرة، وما رافقه من فهم سديد للفكر الإسلامي وما يعكسه هذا الفكر على الأمور المتعلقة بالحياة الدنيا والأمور المتعلقة بالآخرة، وقد وصف لنا الإمام علي عليه الرحمة والسلام حالة المسلمين عندما انثالوا عليه ليقبل منهم البيعة.

"دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وان الأفاق قد اغامت والمخجة قد تنكرت، وأعلموا أني إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العائب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً" (نهج البلاغة، الجزء الأول، ص ١٨١-١٨٢).

واضح من قوله عليه السلام ان المجتمع المسلم مقبل على عدة سبل بعدما كان هذا المجتمع الرسالي جائئاً على الطريق المستقيم، ولكن لا بتعداد قسم من الناس عن هذا الطريق القويم مع استخدام الوسائل المتعددة للالتفاف على الحقائق الناصعة، جعل هذا الطريق نكراً لبعض الناس في المجتمع الإسلامي إما جهلاً به وإما قصداً لتلبية أهواء ومقاصد ذاتية، وقد أدى هذا الوضع الفوضوي للمجتمع المسلم إلى ولادة عدة مدارس مذهبية زادت من مظاهر الانقسام والخلافات، وكلما تقدم الزمن بالمجتمع المسلم أدى ذلك إلى نشوء مدارس مذهبية متعددة تنخر المجتمع الإسلامي وتفت عضده سواء على المستوى الفكري العام، أم المستوى التربوي والاجتماعي. هذا بجانب بث الأفكار القومية والإقليمية بين أوساطها لإثارة الفتن والأحداث الدائمة والمستمرة داخل المجتمع الإسلامي. كل هذه المؤامرات والأحداث تجري في المجتمع الإسلامي المقسم في الوقت الذي يسعى فيه الغرب والشرق للوصول إلى ذروة المجد في التقدم العلمي والتكنولوجي والحضاري. وإقامة وحدات خاصة بها، أما المجتمعات الإسلامية المفتتة فما زال الخلاف يستشري في شرايينها الرئيسية حول الشعارات الفكرية المرفوعة.

وبعد هذا الغياب الطويل للإسلام ومبادئه عن التطبيق الشامل لجميع أفكاره وقيمه داخل المجتمع الإسلامي وما يعكسه هذا التطبيق على التربية وأسسها داخل المجتمع الإسلامي لا بد لنا من التعرف إلى التربية ومبادئها الهامة في ضوء النهج الإسلامي معتمدين بذلك على القرآن الكريم وسنة نبينا الأمين بجانب ما توصل إليه الإنسان من معلومات ومعارف تربوية تنسجم مع الإطار الفكري العام للمجتمع الإسلامي.

إن أهم الفروقات التي تميز المجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات ان المجتمع الإسلامي تسري بين جنباته وداخل مؤسساته أنماطاً تربوية مميزة وشجعت وأسست على مفاهيم خاصة للإنسان والكون الفيزيقي والميتافيزيقي، والفهم الدقيق الساطع للحياة الدنيا شكلت هذه المفاهيم الحقيقية أنماطاً سلوكية خاصة يتميز بها أفراد المجتمع الإسلامي عن غيرهم من البشر، فالقران الحكيم وسنة نبينا الكريم يمثلان المصدر الوحيد للتربية العامة في المجتمع الإسلامي وكل ما يتصل بهذه التربية من أهداف عامة، ومناهج أسست على علم شامل ودقيق غير قابلة للشك والفساد والتجديد، لأنها صالحة لكل زمان ومكان، وللشك كافة بمختلف ألوانهم وجنسياتهم، هذا بجانب نظام القياس والتقويم الفريد الذي يحتوي عليه الدين الاسلامي، ان جميع هذه الحلقات الأساسية التي تكون العملية التربوية العامة في المجتمع المسلم هي ثابتة، وشاملة، وصالحة لكل زمان ومكان، ولجميع أنواع البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم، وأما الجانب التعليمي المتصل بهذه العملية التربوية فهو العنصر المتغير في العملية التربوية ليناسب الإنسان عبر تاريخه وتقدمه الحضاري وما توصل إليه من معلومات ومعارف عن طريق جهده المتواصل في البحث والتنقيب عن كافة الأمور المحيطة به في وقتنا الحاضر وما سيصل إليه في المستقبل من معلومات ومعارف، ووسائل تعليمية.

إن العملية التعليمية في المجتمع الإسلامي تحتاج إلى إنشاء مؤسسات علمية تربوية لتولي المهام العلمية التربوية في إعداد وتعليم أبناء المجتمع المسلم بما ينسجم مع الإطار الفكري العام للمجتمع لكي يكون العلم في خدمة المجتمع وأبنائه، وتكون التربية في حلقاتها الثلاث: الأسرة، والمجتمع، والمؤسسة العلمية تسير جميعها وفق إطار فكري واحد بعيداً عن التناقض والازدواجية، ويكون بعضها مكملاً للآخر دون ظهور أي تعارض. أن

المشكلة الأساسية التي تنخر المجتمعات الإسلامية جاءت من التناقض الموجود بين الشعار الإسلامي المرفوع وبين الأنماط السلوكية الممارسة في تلك المجتمعات، والأفكار التربوية المناهضة للإسلام وتعليماته التي تعج بها المؤسسات التربوية، والتربية الأسرية المغايرة في اغلب الظروف للأنماط الاجتماعية السائدة في المجتمع الإسلامي والبرامج التربوية المطبقة في المؤسسات العلمية، لذلك فان المؤسسات العلمية التربوية في المجتمع الإسلامي يجب ان تكون هويتها الفكرية إسلامية، وجميع ما يجري في أروقتها من أبحاث علمية سواء أكانت في الجوانب الإنسانية أم في الجوانب العلمية التطبيقية تسير وفق الفكر الإسلامي، وما يرافق تلك البحوث العلمية من ممارسات وأنماط سلوكية، وأساليب إدارية يجب ان تنسجم مع روح الإسلام وجوهره.

إن التعليم في ضوء التربية الإسلامية للمجتمع المسلم يعتمد على مبادئ فكرية تربوية سامية هي:

- ١- الاعتقاد التام بجميع ما جاء في القرآن الكريم وما ثبت من سنة نبينا الكريم مع وضع جميع ما جاء فيهما حيز التطبيق في مختلف شؤون الحياة ومتطلباتها بما ينسجم مع المراحل التي يمر بها المجتمع الإسلامي.
- ٢- التعامل مع الذات الإنسانية وحدة واحدة دون التركيز على جانب دون آخر.
- ٣- العقل الإنساني مقيد ذو قوة متناهية فلا يجوز إقحامه في الأمور التي لا يقوى عليها، هذا بجانب استخدامه إلى أقصى الغايات في الأمور التي تقع ضمن قدراته وطوق وسائله.
- ٤- الإيمان بالغيب كما جاء من عند الله سبحانه وتعالى دون محاولة التحذلق في مكوناته لأن علمه خارج عن قدرات الإنسان وخص الحق سبحانه وتعالى علم الغيب بذاته.
- ٥- تكافؤ الفرص أمام أفراد المجتمع المسلم في شتى الأمور المتعلقة بالعملية التربوية وعلى امتداد مراحلها.
- ٦- يقوم كل فرد من أفراد المجتمع ببذل قصارى جهده حسب ما وهبه الحق سبحانه وتعالى من قدرات وطاقات خاصة به لتحقيق الأهداف الفردية والجماعية للعملية التربوية بما ينسجم مع تعليمات الدين الإسلامي.
- ٧- الاعتماد على مبدأ الشورى في اتخاذ القرارات في مختلف الأمور التربوية التي لم يرد فيها نص قرآني حكيم، او حديث نبوي شريف.
- ٨- المشرف الأول على أعمال الفرد المتعددة وفي جميع الجوانب والمراحل تقوى الله الذي استقر في قلب الفرد المؤمن انعكاساً لاعتقاده السليم بالذات الإلهية وما يدور حولها من قضايا وجودية متصلة بالكون الفيزيقي والميتافيزيقي.
- ٩- استخدام مختلف النظريات والأساليب المتبعة في المناهج الدراسية، وأساليب التعليم، والقياس والتقويم بما ينسجم مع النهج الإلهي وتعليماته.
- ١٠- العلم واجب على كل مسلم قادر على القيام به ويجب على الدولة الإسلامية بذل جميع الجهود لتوفير المؤسسات العلمية لكافة أبناء المجتمع وتسهيل ذلك حسب ظروف الدولة وإمكاناتها.
- ١١- تعليم الأفراد وتفجير طاقاتهم الكامنة حسب قدراتهم الذاتية التي وهبها الحق سبحانه وتعالى بقدر للأفراد.
- ١٢- تلبية ميول ورغبات الأفراد في انتقاء المجالات التخصصية التي يريدونها.
- ١٣- إثارة الدوافع وتشكيل الحوافز عند أبناء المجتمع على طلب العلم دون اللجوء إلى إجبارهم او توجيه العقوبة لهم لأن الاندفاع نحو العلم يجب ان يكون ذاتياً ينبع من داخل الفرد.
- ١٤- التعامل مع مختلف الأفراد الإنسانيين داخل المؤسسات الفردية وخارجها في ضوء نظرة الإسلام للإنسان وما تفيدته البحوث الإنسانية التي تجرى على الأفراد المسلمين في مجتمع مسلم يطبق تعليمات الإسلام في شتى أمور الحياة.

- ١٥- يطلب العلم النافع الذي يعود بالخير على الإنسان في ضوء النهج الإسلامي للخير والشر.
- ١٦- يتم التركيز على أنواع العلوم والمعارف التي تساعد بقدر أكبر على تحقيق الأهداف التربوية العامة للمجتمع المسلم.

أهداف التربية الإسلامية

تسعى التربية في المجتمع الإسلامي إلى تحقيق الأهداف التربوية التالية:

- ١- تمكين الإنسان من تحقيق الغاية الوجودية التي خلق من أجلها وهي عبادة الله سبحانه وتعالى والفوز برضاه.
 - ٢- تأهيل الإنسان وفق المعتقدات الفكرية، والأنماط السلوكية، والقوانين والأنظمة الإنسانية في شتى أمور الحياة ليفوز في الامتحان الشامل الذي أقره الحق سبحانه وتعالى على الإنسان في الحياة الدنيا.
 - ٣- تقود الإنسان وتوجهه نحو مصدر الخير والهدى سواء في وجوده المؤقت في الحياة الدنيا أم في وجوده الخالد في اليوم الآخر.
 - ٤- تساعد الإنسان وتقوي من شكيمة في مقاومة عدوه اللدود ابليس والتخلص من أحابله وتسويلاته.
 - ٥- تساعد الإنسان على إرساء قواعد العدل وتثبيت دعائم المساواة بين الناس في مختلف قضاياهم الحياتية.
 - ٦- تساعد الإنسان في الوصول إلى أعلى منزلة بين سائر المخلوقات.
 - ٧- تحرير العقل الإنساني من ضغوط الشهوات والمحافظة على مكانته القيادية في ذات الإنسان.
 - ٨- تحرير العقل الإنساني من مختلف الخرافات والأساطير التي تدور حول الكون الميتافيزيقي والكون الفيزيقي.
 - ٩- تساعد الإنسان على التركيز على جانب الخير في ذاته والابتعاد عن جانب الشر وما يعكسه من اعتقادات فاسدة وأنماط سلوكية هابطة تؤدي إلى إثارة الفحشاء والبغضاء والعداوة بين الإنسان وأخيه.
 - ١٠- تسعى إلى بث التعاون والإخاء بين الناس ونبذ شتى الأفكار والأساليب التي تؤدي إلى الاستكبار والاستعلاء، والتفوق العرقي.
 - ١١- تعميق جذور الإيمان ورفع مستوى التقوى في نفوس التلاميذ لتكوين وإعداد الإنسان الصالح.
 - ١٢- تنمية روح الجهاد والتضحية بالنفس من أجل المبادئ السامية التي ينادى بها النهج الإلهي.
 - ١٣- تأهيل أفراد المجتمع بمختلف العلوم والمعارف التي تساهم في تحقيق أهداف المجتمع المسلم بما يتفق مع النهج الإلهي وما ينسجم مع التطور الحضاري الإنساني عبر العصور والقرون.
 - ١٤- إعداد أفراد المجتمع بشكل علمي تربوي سليم يسمح لهم بدرء الشبهات عن الإسلام ومجتمعه، والمساهمة الفاعلة في عملية الغزو الفكري والصراع الأيدلوجي على المستوى العالمي في شتى المجالات والمحافل العلمية والسياسية، والاقتصادية والعسكرية والرياضية.
 - ١٥- إعداد الدعاة وتأهيلهم بمختلف العلوم والمعارف التي تسمح لهم بتوصيل رسالة الحق سبحانه وتعالى، وتوضيح معالم الحق والهدى للناس كافة، بما ينسجم مع تعليمات النهج الإلهي وما يتفق مع المفاهيم العلمية الحديثة والأساليب الحضارية المتقدمة التي يشهدها العصر الحديث.
- وخلاصة القول أن التربية تختلف من مجتمع إلى آخر حسب الإطار الفكري أو الفلسفي العام للمجتمع الذي تطبق فيه التربية، وينعكس الاختلاف على المبادئ التربوية العامة والأهداف العامة للتربية، مما يؤدي تلقائياً إلى الاختلافات في المناهج الدراسية، والأساليب التربوية، والأنماط السلوكية داخل المؤسسات العلمية وخارجها.

المراجع العربية

- ١- إبراهيم الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٧١.
- ٢- إسحاق الفرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٢.
- ٣- الشيخ الركابي، خطاب الحية في النظام الايسيتمولوجي، دار النهضة الإسلامية، بيروت، ١٩٩٠.
- ٤- جراتان كلنتون، البحث عن المعرفة، ترجمة عثمان نوية، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٢.
- ٥- جورج ف. نيلو، مقدمة الى فلسفة التربية (ترجمة نظمي لوقا) القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٧.
- ٦- حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٥.
- ٧- سعيد إسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧.
- ٨- صادق سمعان، الفلسفة والتربية، محاولة لتحديد ميدان فلسفة التربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٢.
- ٩- صلاح العرب عبد الجواد، اتجاهات جديدة في التربية الصناعية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢.
- ١٠- عباس محجوب، أصول الفكر التربوي في الإسلام، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٨٧.
- ١١- عبد الحميد احمد ابو سليمان، أزمة العقل المسلم، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ١٩٩٢.
- ١٢- عبد الله دخيل الفياض، تاريخ التربية عند الأمامية، الدار المتحدة للنشر، العراق، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢.
- ١٣- علي خليل ابو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٩٨٥ م.
- ١٤- فينكس ه. فلسفة التربية، ترجمة محمد لبيب، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥.
- ١٥- محمد الجمالي، آفاق التربية الحديثة في البلاد النامية.
- ١٦- محمد حسين فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٧- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩.
- ١٨- النجار، فلسفة التعليم في دولة عصرية، مجلة الفكر المعاصر، العدد ٧٢، ١٩٧١.
- ١٩- نهج البلاغة، الجزء الأول، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

المراجع الأجنبية:

- 1-Buttler, J. Donald, Four Philosophies and their practice in Education and Religion, 3 ded. Harper and Row, New York, 1969.

- 2-Freeman, Physical Education in a changing society, Houghton Mifflin company. U.S.A. 1977.
- 3-Van Cleve Morris, Existentialism in Education: what it means, Harper and Row, New York, 1966.

الفصل العاشر
الفكر الإداري المقارن

الأبعاد الفكرية والفلسفية للإدارة

هدفت الدراسة إلى توضيح الأبعاد الفكرية والفلسفية للإدارة وكيف انعكست على أهداف الإدارة وأنماطها الإدارية. وقد أشار الباحث إلى أغلب النظريات الإدارية والأساليب الإدارية المتعددة التي ابتدعها الإنسان لتحقيق أهدافه وطموحاته، وكذلك بين الباحث مبادئ الإدارة وأسلوبها في ضوء الفكر الإسلامي، وقد تبين أن هناك فروقات واضحة بين النظريات الإدارية وأسلوبها الإداري في ضوء الفكر الإسلامي حول فهم طبيعة الإنسان وأهدافه في هذا الوجود، وكيفية التعامل معه.

الأبعاد الفكرية والفلسفية للإدارة

مقدمة

يعود تاريخ الإدارة إلى فجر تاريخ الإنسان حين مارس الإدارة على أبناء جنسه على امتداد الحقب التاريخية. لقد مارسها وهو في العصور الحجرية عندما كانت التجمعات البشرية قليلة العدد ومحدودة الغايات والأهداف، وقد رافقت الإدارة الإنسان في تقدمه الحضاري، وكانت من الأسباب المباشرة في هذا التقدم الحضاري للإنسان حتى يومنا هذا، وسوف تبقى الإدارة تلعب الدور البارز في تقدم الإنسان نحو تحقيق أهدافه وغاياته.

تعد الإدارة من الضروريات الأولى للإنسان إذ يستطيع الإنسان من خلالها وعن طريقها الوصول إلى غاياته وأهدافه المنشودة وفق دائرة معلوماته عن نفسه، وعلاقة الإنسان مع أخيه الإنسان، وعلاقة الإنسان بالوجود، ومكانته في العالم، وفهم الإنسان للحياة الدنيا، وما تعكسه هذه المعلومات عن تلك القضايا الحساسة على تصرف الإنسان في الظروف المختلفة، لذلك تعددت الأنماط الإدارية ومفاهيمها بسبب تعدد مفاهيم الإنسان ومنطلقاته حول القضايا السابقة، فإذا عطفنا بنظرنا إلى صفحات التاريخ الإنسانية فإننا نجد التفاوت الكبير في السلوك الإداري عند الإنسان، حيث نجد النمط الإداري الفرعوني، كما نجد شريعة حمورابي وطريقته في الإدارة، كما نلاحظ المفاهيم العشائرية والقبلية للإدارة، هذا بجانب رؤية المفاهيم المنظمة للإدارة في نظام الإمبراطوريات السابقة، ويضاف إلى هذه الأنماط الإدارية الطريقة الرسالية في الإدارة التي كان يتحلى بها أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه جميعاً.

الإنسان والإدارة:

يعد الإنسان العامل الأول والأخير بالنسبة للإدارة، ولولا الإنسان وغاياته وأهدافه لما عرفت الإدارة وما تم اكتشافها، ولكن الإنسان تعامل مع الإدارة على أساس أنها السبيل الوحيد الذي يوصله إلى ما تتوق له النفوس وإلى ما ترنو له الطموحات والأمال، فالإنسان يعد مخلوقاً غانياً خلقه الباري عز وجل بهذه الصورة البديعة والقدرات المتميزة، فهو يسعى باستمرار إلى تحقيق غاياته، كما أنه لا يقوم بأي عمل إلا من أجل غاية معينة، لذلك فإن المحرك الأول بالنسبة للإنسان هي غاياته التي يسعى إلى تحقيقها، وقد تختلف بعض هذه الغايات عن بعض، فمنها ما يستطيع الإنسان الفرد أن يحققها عن طريق جهوده الفردية، ومنها ما يريد العون والمساعدة من أناس آخرين ليقوى على تحقيقها، لذلك توجه الإنسان بكل ما أعطي من قوة إلى الإدارة منذ فجر تاريخه، وسوف يبقى هذا الرباط القوي، والاعتماد المباشر من الإنسان على الإدارة لتحقيق غاياته وأهدافه حتى نهاية الحياة الدنيا.

إننا في الوقت الذي نقر ونعترف فيه بان الإنسان كائن غائي في جميع تصرفاته وأفعاله، فإننا نعترف في الوقت نفسه أيضا بأن الغايات الإنسانية يختلف بعضها عن بعض، كما أن غايات الإنسان الواحد تختلف من ظرف إلى آخر، فهذا الاختلاف في الغايات عند الإنسان أدى إلى تحذير الخلافات بين الناس، كما أدى إلى اختلاف الإنسان حول مفهوم الإدارة وماهيتها. إن السبب الرئيسي لاختلاف غايات الإنسان، يعود إلى مفاهيم الإنسان المتباينة حول أهم القضايا التي تشكل المعتقدات، والغايات، والطموحات، والآمال عند الإنسان، لقد اختلف الإنسان مع أخيه الإنسان حول حقيقة النفس الإنسانية، وطبيعة النفس الإنسانية، ومكانة الإنسان في الكون، والإنسان والخلود، وعلاقة الإنسان مع الجماعة، ومصادر المعرفة عند الإنسان، وحقيقة الذات الإلهية، وحقيقة البعث والحساب، وحقيقة الحياة الدنيا. إن غايات الإنسان وأهدافه تتشكل وفق مفهومه للقضايا او الموضوعات السابقة، فيسعى إلى تحقيق هذه الأهداف والغايات تحت المظلة الفكرية التي كونها عن تلك الموضوعات، لذلك اختلفت المفاهيم الإدارية وأنماطها عند الإنسان لاختلاف المظلة الفكرية التي انبثقت عنها غايات الإنسان وأهدافه.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى توضيح أساسية هامة مفادها أن الإدارة بشتى أنواعها وعلى اختلاف مستوياتها تختلف بعضها عن بعض باختلاف المدرسة الفكرية التي يعيش في ظلها أفراد مجتمع معين عن مجتمع آخر.

أسلوب الدراسة:

سوف نكتفي بعرض موجز لأهم النظريات الإدارية التي ابتكرها الإنسان وهو يسعى إلى تطوير النظم الإدارية، وتوضيح الأبعاد الفكرية لهذه النظريات لنرى نوعية الفكر الذي تنطلق منه هذه النظريات. ثم نعرض بعضاً من الأنماط الإدارية مع الإشارة إلى منطلقاتها الفكرية، وبهذا نكون قد بينا الإدارة ومنطلقاتها الفكرية في ضوء الفكر الإنساني، ثم نبين الأبعاد الفكرية للإدارة في ضوء النهج الإلهي مع توضيح النمط الإداري في رسالة الإسلام.

الإدارة في ضوء الفكر الإنساني:

لقد حاول الإنسان عبر تاريخه المديد أن يعي عدة أمور هامة تؤثر بشكل قوي على معتقداته وأنماطه السلوكية اتجاه الآخرين، فقد حاول الوصول إلى حقيقة وجوده على هذا الكوكب، كما حاول التوصل إلى كنهه وحقائق القضايا الفيزيقية والميتافيزيقية التي لها علاقة مباشرة او غير مباشرة على تشكيل أفكاره ومعتقداته، فقد اعتمد الإنسان في بحثه ودراسته على تشكيل أسلوبيين أساسيين. أما الأسلوب الأول فيمثل الإنسان الذي اعتمد على قدراته فقط دون الاستعانة بما جاء من عند الخالق عز وجل هدى ورحمة للعالمين. وأما الأسلوب الثاني فيمثل الإنسان الذي اعتمد على النهج الإلهي بالإضافة إلى قدراته

الذاتية في الوصول إلى الحقائق المتصلة بالقضايا سواء التي لها علاقة بعالم الغيب أم بعالم الشهادة، لذلك ظهر الخلاف الحاد بين الناس الذين اتبعوا الأسلوب الأول حول أبرز وأهم القضايا التي تهم الإنسان، مما أدى إلى اختلاف اعتقاداتهم وأنماطهم السلوكية، وغاياتهم الوجودية، كما ظهر خلاف جوهري بين الذين اتبعوا النهج الإلهي وبين الذين اتبعوا الأسلوب الأول، مما أدى إلى ظهور الاختلافات الحادة بين الإنسان وأخيه حول أبرز القضايا وأهمها. إن جميع الاختلافات كان لها الأثر المباشر القوي على تشكيل غايات الإنسان وأهدافه في هذا الوجود. ففي الوقت الذي يعتقد فيه أتباع الأسلوب الأول، أن جميع الآمال، والطموحات، والغايات تبدأ وتنتهي داخل أطر الحياة الدنيا، فإن أتباع الأسلوب الثاني يعتقدون أن الحياة الدنيا وما جسد فيها من آمال وطموحات، وغايات تعد اختصاراً وامتحاناً للإنسان يؤهله إلى الخلود في دار الأمن والسلام في اليوم الآخر.

إن الذين نظروا إلى الحياة الدنيا على أساس أنها مبلغ اهتماماتهم ونهاية طموحاتهم انعكس ذلك الاعتقاد على المفهوم الإداري في سعيهم نحو تحقيق غاياتهم وأهدافهم في هذا الوجود، لذلك نجدهم يفهمون كل شيء منطلقين من قاعدة الحياة الدنيا فقط، وما يسعى إليه الإنسان داخل هذه الحدود، فعلى هذا الأساس نجد أن علم الإدارة بجميع موضوعاته الأساسية والفرعية لا يتعدى تحقيق الأهداف السياسية، والاقتصادية والفكرية، والاجتماعية المتصلة جميعها في الحياة الدنيا فقط.

إن موضوع الإدارة يعد من أقدم الموضوعات التي لازمت الإنسان منذ فجر تاريخه، وقد سعى الإنسان لاختيار القائد الذي يتصف بالقوة البدنية والمادية، وفي بعض الأحيان توفر إحداها كافياً لاختيار رجل العشيرة أو القبيلة، أو رجل القبائل ليسعى بالتالي إلى تحقيق الأهداف المادية المتعددة لجميع الناس المرتبطين به إدارياً.

إننا سوف نغض النظر عن تاريخ الإنسان الإداري القلم وتتركز في هذه الدراسة على النظريات الإدارية وأساليبها التي تعد من نتاج الإنسان في العصر الحديث لنرى المنطلقات الفكرية لها والأهداف التي ينشدها الإنسان من خلالها.

منذ الوقت الذي أخذت فيه الثورة الصناعية في أوروبا تشق طريقها بدأ التفكير حول الإدارة وموضوعاتها يأخذ الصورة الجدية والإبداعية عند الإنسان، فقد ظهرت المدرسة الإدارية الكلاسيكية والتي تضم عدة نظريات في الإدارة، أهمها؛ نظرية الإدارة العلمية، والنظرية البيروقراطية، ونظرية المبادئ الإدارية. إن جميع هذه النظريات تنظر إلى الإنسان من منطلق فكري واحد، وهو أن الإنسان كائن اقتصادي يمكن ضبطه وإثارته نحو العمل والإنتاج الفعال عن طريق التعامل معه بسياسة رفع الأجور أو خفضها.

إن الجوانب الضعيفة للمدرسة الكلاسيكية كما وضحتها الدكتور مهدي حسن وزميله في كتابهما "مبادئ

الإدارة نظريات ووظائف" تكمن في الأمور التالية:

١- لقد عكس دعاة هذه اللفظ فهماً محدوداً لطبيعة الإنسان فقد رأوا فيه كائناً جامداً كالألة إذ يجب إعادة

قولته بشكل يتناسب والعمل المطلوب منه (James, 1958).

٢- إن بعض المبادئ التي جاءت بها هذه المدرسة لم تكن قائمة على التجربة ولم تكن عملية التطبيق، بل إنها تتناقض مع بعضها البعض كما هو الأمر بالنسبة لمبدأ وحدة الأمر ومبدأ التنسيق (حسن، وقاسم، ١٩٨٤).

لقد جاءت المدرسة السلوكية كرد فعل على المدرسة الكلاسيكية بتفرعاتها متهمتها بإيها بأنها أهملت العنصر الإنساني ولم توليه الأهمية اللازمة، ورغم أنها تؤرخ لبداية حركة العلاقات الإنسانية بالعشرينات والثلاثينات من هذا القرن، فإن بدايتها كانت اثر الحرب العالمية الأولى مباشرة التي أثارت اهتماماً بالعلاقات الإنسانية (Davis, 1972).

لقد احتوت المدرسة السلوكية على عدة مدارس ونظريات أبرزها مدرسة العلاقات الإنسانية، ومدرسة تنمية التنظيمات، ونظرية X، ونظرية Y، ونظرية سلم الحاجات، ونظرية العوامل الوقائية والعوامل الدافعية، ونظرية النموذج المختلط، ونظرية الشبكة الإدارية، ونظرية اللامركزية.

لقد جاءت المدرسة السلوكية بتفرعاتها المختلفة لتعوض عن نقص في صحة افتراضات سابقتها المدرسة الكلاسيكية، وفي محاولة عمل ذلك فقد اتخذت تماماً الصورة المعاكسة، فركزت على الإنسان وحاجاته المختلفة، إذ افترضت أن الإنسان كائن عاطفي، وأنه مجموعة من المشاعر والعواطف والانفعالات، يجب فهمها والعمل على إرضائها، وقد استمرت هذه المدرسة في الضرب على هذا الوتر، إلى درجة لم تفرق معها بين كون الوظيفة عملاً رسمياً يقوم به الموظف لقاء اجر، وبالتالي عليه أن يقدم تنازلات، وإنما ليست مكاناً وجد من اجل إسعاد العامل على حساب الأهداف التنظيمية، لذلك فأنصار هذه المدرسة يخلطون بين دور الإنسان كموظف او عامل وبين دوره الآخر كإنسان له محيطه الشخصي، وبالتالي فقد خلطوا بين حاجات الإنسان العليا مثل تحقيق الذات، وافترضوا ان المكان الطبيعي لتحقيقها هو التنظيم ولا مكان غيره وهو أمر مشكوك في صحته" (حسن وقاسم، ١٩٨٤).

لقد كان للعيوب التي تجسدت في المدرسة الكلاسيكية ونظرياتها وفي المدرسة السلوكية ونظرياتها اثر مباشر في بروز اتجاهات حديثة نحو الإدارة تمثلت في مدرسة النظم والنظرية الموقفية، والإدارة بالأهداف.

لقد ركزت مدرسة النظم في الإدارة على نظرية النظام العام "ويعرف النظام بشكل عام، بأنه الكيان المنظم والمركب الذي يجمع ويربط بين أئباء وأجزاء تؤلف في مجموعها تركيباً كلياً موحداً" (Richard, 1973).

إن المكونات الأساسية التي تميز النظام المفتوح هي: المدخلات (In Puts)، والأنشطة (Activities)، والمخرجات (Out Puts).

إن الاتجاه الجديد الذي انطلقت منه النظرية الموقفية "Contingency Theory" يؤكّد على تعدد المواقف الإدارية والتغيرات التنظيمية المتعددة والعلاقات المتشابكة مع بعضها البعض من جهة ومع البيئة الداخلية والخارجية من جهة أخرى، وتؤدي إلى عدم التسليم بنمط إداري واحد يصلح لكافة الظروف والمناسبات، وكذلك

الأمر فليس هناك هيكل تنظيمي يمكن أن يتحدى به كنموذج في كافة المستويات الإدارية، وذلك يعود إلى اختلافات في شخصية القائد، والتابعين، وطبيعة المهمة، والمدة الزمنية والبيئة المحيطة.

أما بالنسبة إلى الإدارة بالأهداف "Management by objectives" فهي نظرية بسيطة تقوم على فرضيات بديهية تعتمد على الإدارة المشتركة، أي إشراك جميع العاملين ما أمكن في وضع القرارات وتحديد الأهداف والنتائج المتوقعة في العمل سوية وبالتعاون، ومن ثم تحقيق تلك الأهداف" (خيري، ١٩٧٥).

كما عُرِفَت الإدارة بالأهداف بأنها وضع أهداف التنظيم او جزء منه كأساس لتحقيق كفاءة أكثر، ولتهيئة دوافع وحوافز للمديرين، إلى جانب ذلك تشخيص العوامل التي تعوق التنفيذ دون تحقيق الأهداف بغية التغلب عليها، ومراجعة النتائج دورياً، ووضع أهداف جديدة إن استدعت الضرورة" (حلاوي، ١٩٧٦).

تمثل مدرسة النظم والنظرية الموقفية والإدارة بالأهداف مداخل مختلفة للتحليل التنظيمي، إذ أن هذه المدارس توفر أساساً جديداً لفهم ديناميكية التنظيمات الإدارية والمتغيرات التي تؤثر عليها، فهي تقر بأنه على الرغم من قيمة النظريات الكلاسيكية والسلوكية فإنها لا تفسر كافة جوانب التنظيم، ذلك أن النظريات الكلاسيكية لا تأخذ المتغيرات البيئية الخارجية بعين الاعتبار إذ ينحسر تصورهما للبيئة لما يحصل داخل التنظيم وحسب، وهذا ما تحاول مدرسة النظم أن تضيف إليه أبعاداً جديدة بتعريفها الأوسع لمعنى التنظيم، وكذلك فإن النظريات الكلاسيكية والسلوكية تشنعت في مناداتها بأن هناك طريقة تنظيمية أفضل في كل الظروف ... ان الاتجاهات الإدارية السابقة لم تأخذ بعين الاعتبار صعوبة تحديد النمط الإداري الأفضل بمعزل عن الظروف المحيطة، وهذا ما أكدت عليه النظرية الموقفية التي رأيت أنصارها أن طبيعة الموقف والظروف في وقت ما والتكنولوجية والإنسانية هي التي تحدد النمط الإداري الأفضل، فالأسلوب الإداري المناسب في ظروف معينة هو غير ذلك في ظروف مختلفة" (حسن وقاسم، ١٩٨٤).

ولكي نجتلي حقائق النظريات الإدارية والمنطلقات الفكرية التي اعتمدها في فهمها للإنسان، فلا مندوحة لنا من أن نعرض بعضاً منها، ونرى معاً كيف حاول الإنسان أن يفهم أخاه الإنسان من أجل ضبطه وتسخيرها لزيادة الإنتاج والكسب المادي.

نظرية الإدارة العلمية (Scientific Management)

يعد العالم الأمريكي فردريك تيلر المفكر الرئيسي في تطوير إنتاج المؤسسات عن طريق الإدارة العلمية للمؤسسات وإنه اعتمد فكرته الإدارية في ضوء الافتراضات التالية (Taylor, ١٩١١):

- ١- ان من طبيعة الأفراد أن لا يبذلوا قصارى جهدهم في العمل.
- ٢- يجب أن يتقاضى العمال من الأجور كل حسب عطائه وإنتاجه.
- ٣- أن السبب في قلة الإنتاج يعود إلى الضعف الإداري وليس من العمال.
- ٤- ان من مسؤولية الإدارة أن تعين الأفراد حسب كفايتهم ومناسبتهم للعمل وطبيعته.

- ٥- تدريب العمال على احدث الوسائل والطرق التي تزيد من إنتاجها.
- ٦- إزالة الخطأ الشائع من أذهان العمال ومفاده عدم إنجاز العمل بسرعة لغرس صورة طيبة في ذهن المسؤول عن العامل الذي يتأني بإنجاز عمله.

نظرية X ونظرية Y (Douglas Mc Gregor)

تعد هاتان النظريتان من إنتاج العالم الأمريكي دوقلاس مقرير حيث انطلق من فهمه الخاص لطبيعة الإنسان ليقرر بعض الافتراضات التي تكون النظرية X، وافتراضات أخرى حول طبيعة الإنسان تكون القاعدة الأساسية لنظرية Y (Mc Gregor, 1960).

افتراضات نظرية X:

- ١- إن الإنسان بصورة عامة لا يحب العمل.
- ٢- يحاول الإنسان باستمرار تجنب العمل بقدر استطاعته لذلك.
- ٣- طالما الإنسان يكره العمل فيجب ضبطه وتخويفه بإنزال العقوبة من أجل إجباره على بذل الجهد لتحقيق أهداف المؤسسة.
- ٤- الإنسان العادي بصورة عامة يفضل الابتعاد عن المسؤولية لذلك يجب ان يوجه لتأدية عمله.

افتراضات نظرية Y:

- ١- إن بذل الجهد الفكري والجسمي للإنسان يعد حاجة طبيعية مثل حاجته إلى اللعب والراحة.
- ٢- إن عملية الضبط والتهديد ليست هي العملية المثلى لتوجيه وحشد جهود الأفراد لتحقيق أهداف المؤسسة، ولكن يستطيع الأفراد ان يتعهدوا بإدارة وضبط أنفسهم من أجل حشد الجهود المتاحة لتحقيق أهداف المؤسسة.
- ٣- إن تعهد الأفراد بتحقيق الأهداف يمكن ربطه بمنح الجوائز في حال تحقيق تلك الأهداف المرسومة.
- ٤- إن الإنسان العادي بصورة عامة تحت الظروف الجيدة يرغب في تولي المسؤولية.
- ٥- توفر إمكانية وقدرة الأفراد بنسبة عالية في التفكير لوضع الحلول لمشكلات المؤسسة والمشاركة في حلها.
- ٦- تحت الظروف الصناعية الحديثة يمكن الاستفادة من الإمكانيات والكفايات العقلية للأفراد إذ أن هذه القدرات ما زالت كامنة في النفوس.

نظرية الحاجات الانسانية: (Abraham H, Maslow)

يقترن اسم هذه النظرية باسم العالم الأمريكي ابراهام ماسلو الذي اعتمد في وضع هذه النظرية على ثلاثة افتراضات هي: (Maslow, 1954).

١- الإنسان عبارة عن كائن حي ذي رغبات وحاجات حيث أن الرغبة او الحاجة غير المشبعة تؤثر في سلوك الفرد إلى أن يتم إشباعها.
٢- إن حاجات الإنسان ورغباته قد تختلف حسب أهميتها فمنها ما هو أساسي مثل الطعام ومنها ما هو ثانوي مثل احترام الذات والاعتبار من قبل الآخرين.

٣- ينتقل اهتمام الإنسان من الحاجة المهمة إلى الحاجة الأقل أهمية في حالة إشباع تلك الحاجة المهمة.
تحتوي هذه النظرية على خمسة عناصر أساسية يمثل كل عنصر فيها نوعاً معيناً من الحاجات الإنسانية وقد رتبت حسب أهميتها وهي:
أ- الحاجات الجسمية (طعام، شراب، ملجأ) (Physiological Needs).

ب- حاجة الأمان والابتعاد عن الخوف (Safty and Security)

ج- الولاء الاجتماعي (Social and Belonging)

د- احترام النفس والاعتبار من الآخرين (Status and Esteem)

هـ- تحقيق الذات (Self – Actualization)

نظرية هيرزبرج (Herzberg)

ترتكز هذه النظرية على عنصرين أساسيين، فالعنصر الأول يحتوي على ثمانية بنود تدور حول نوعية العمل وظروفه، وتوفر هذه العناصر قد يؤدي إلى الرضى الوظيفي عند العاملين، ولكن ليس من الضروري أن تؤدي إلى إثارة الحوافز في نفوس العاملين نحو العمل وهذه البنود هي (Herzberg, 1956):

١- ضمان استمرارية العمل.

٢- المرتب الشهري.

٣- الجو المحيط بالعمل.

٤- المكانة الاجتماعية الجيدة بين العاملين.

٥- سياسة المؤسسة.

٦- الكفاية الفنية للمشرفين على العمل.

٧- نوعية العلاقات الاجتماعية بين العاملين، المشرفين، الفنيين.

٨- مقدار الربح الإضافي او العلاوات.

أما بالنسبة إلى العنصر الثاني من النظرية فيحتوي على ستة بنود يؤدي توفرها إلى إثارة الحوافز لدى العاملين في المؤسسة للمضي قدماً نحو تحقيق أهداف المؤسسة وهذه البنود هي:

١- مقدار التحصيل أو الإنجاز في العمل.

٢- اعتبار الجهد المبذول وتقديره للفرد من قبل المسؤولين.

٣- نوعية العمل ومدى مناسبه للفرد.

٤- مسؤولية الفرد داخل المؤسسة.

٥- النمو الوظيفي (نظام الترقيع).

٦- النمو والتطور الشخصي للفرد.

نظرية ERG

تعد هذه النظرية من أهم الأعمال التي قام بها العالم الأمريكي (Alderfer) من أجل وضع أسس ومفاهيم معينة للانطلاق نحو إثارة الحوافز لدى العاملين داخل المؤسسة بهدف زيادة الإنتاج، وقد ارتكزت النظرية على معرفة الحاجات الإنسانية داخل حدود المؤسسة وتتكون هذه النظرية من ثلاثة عناصر رئيسة هي (Alderfer, 1972):

١- حاجات الوجود (Existence Needs) الجوع، العطش، الملحاً، ظروف العمل المحيطة، الربح.

٢- الحاجات الاجتماعية (Relatedness Needs) نوعية العلاقات بين أفراد المؤسسة.

٢- حاجات النمو (Growth Needs) التقدم الوظيفي في المؤسسة.

نظرية المساواة Equity Theory

يعود ظهور هذه النظرية إلى جهود العالم الأمريكي آدمز (Adams) وتعتمد هذه النظرية على فكرة واحدة مفادها وجود التناقض بين الجهود المبذولة من قبل الفرد داخل المؤسسة ومقدار المكافأة التي يحصل عليها الفرد سواء أكانت مادية أم معنوية، فإذا ما شعر الفرد أن جهوده المبذولة تفوق قيمة المكافأة فإنه يسعى إلى تقليل جهده المبذول، وكلما زاد التناقض زاد التقليل من الجهد (Adams, 1963).

إن النظريات الإدارية السالفة الذكر تشكل بعضاً من الجهود التي قام بها الإنسان بهدف تحقيق المكاسب المادية للمؤسسات عن طريق فهم طبيعة الإنسان ودوافعه نحو العمل، لذلك اقتصرت دراسة الإنسان على الجوانب المادية الخالصة. كيف لا؟ وهذه الجوانب المادية هي التي كانت وراء دراسة الإنسان لأخيه الإنسان بهذه الصورة المبتورة التي جعلت من الإنسان كائناً يستجيب فقط للمؤثرات المادية.

وعلى هذا الأساس المادي للإنسان ذهب الإنسان إلى التوسع في دراسة أخيه الإنسان لإثارة نحو العمل تارة وإثارة نحو التعلم تارة أخرى، فإذا ما أمعنا النظر في نظريات التعلم فإننا نجد أنها تنطلق من المنطلق المادي للإنسان، فهذا التصور المادي للإنسان ودوره المادي في الوجود ينبثق أصلاً من المدارس الفكرية المادية التي ترى أن الإنسان تكمن تطلعاته وأهدافه، وغاياته، ومستقبله في الحياة الدنيا فقط، فلا يوجد شيء ينتظر الإنسان بعد خروجه من الحياة الدنيا لذلك أسقطت جميع الحقائق الوجودية المتصلة بالعالم الميتافيزيقي والتي لها علاقة قوية ومباشرة في حاضر الإنسان ومستقبله.

وعلى الطريق نفسه سلك الإنسان في فهم أخيه الإنسان وهو يسعى إلى التوصل إلى أفضل الأنماط والأساليب الإدارية، وسوف نعرض نماذج منها لنرى معاً المنطلق الأيدلوجي والفكري لها.

١- الأسلوب العلمي في الإدارة: Scientific Management Movement

يعتبر فريدريك تيلر (Taylor - 1956) أول من ادخل هذا الأسلوب الإداري للمؤسسات في الولايات المتحدة بشكله المنظم بالرغم من أن الأفكار الرئيسة لهذا النهج الإداري عبارة عن تجمع أفكار لبعض المفكرين الإنجليز والفرنسيين والأمريكيين ولكن دور تيلر البارز يرجع إلى ترتيب هذه الأفكار بصورة منسقة ومنظمة مما سهل عليه قبول هذا الأسلوب في المؤسسات الأمريكية.

اعتمد هذا الأسلوب على الفكرة التالية: وهي أن فعالية الإنتاج تعتمد على اختيار العامل المناسب للعمل المناط به، لذلك يجب تطوير هذا العامل للمستوى الذي يمكنه من إنجاز عمله بكفاية عالية وذلك بما يتناسب مع قدراته الفردية.

لذلك اهتم هذا الأسلوب الإداري بالتكنولوجيا الحديثة وجميع الوسائل والطرق التي يتم من خلالها جمع المعلومات العلمية الدقيقة، التي تؤدي إلى تحسين وتطوير سبل العمل وطرائقه بهدف زيادة الإنتاج. ويمكن القول إن هذا النهج الإداري يهدف إلى ضبط المتغيرات المتعددة التي تؤثر على سير وإنجاز العمل داخل المؤسسة لتحقيق أهداف المؤسسة دون الالتفات إلى حاجات وأهداف الأفراد الفردية. ويعتبر تيلر أن الثورة الفكرية التي سادت المؤسسات الصناعية في الولايات المتحدة في هذا القرن هي بمثابة الانعكاسات الجوهرية لهذا النهج الإداري الجديد.

وهناك عدة خبراء من مختلف الجنسيات ساهموا بقدر كبير في نشر هذا الأسلوب الإداري، في الوقت الذي كان فيه تيلر ينشر هذا الأسلوب في الولايات المتحدة، فان هنري فايول (-1841 Henri Fayol, 1841) الذي كان فيه تيلر ينشر هذا الأسلوب في فرنسا في الوقت الذي ركز فيه تيلر على الطبقة الدنيا في المؤسسة. فإن فايول ركز على الطبقة العليا في المؤسسة إذ اعتمد في نشر فكره الإداري على أساسيتين هما: ١- إن الأساسيات العامة في الإدارة يمكن تطبيقها في المهام الإدارية لجميع المؤسسات المختلفة.

٢- إن المعلومات الإدارية التي يجب تعريف المسؤولين بها تنبثق من

النظرية الإدارية لتلك المؤسسة.

كما أن هناك عدة خبراء ساهموا بشكل فاعل في نشر هذا النهج نذكر منهم كارل بارث (١٨٦٠-١٩٣٩) هنري كانت (١٩١٩-١٩٦١) وفارنك قلبرت (١٩٢٤-١٨٦٨). لقد طور تيلر الواجبات الإدارية للمسؤول العام عن المؤسسة على ضوء هذا النهج عند تطبيق هذا الأسلوب الجديد لتشمل الآتي:

- ١- ملاحظة وجمع شتى المعلومات المتعلقة بالأفراد داخل المؤسسة، والأقسام المختلفة، والمؤسسات المشابهة، والظروف المحيطة والداخلية للمؤسسة بشتى أنواعها المادية، والبشرية، والفنية.
- ٢- تغيير المهام الوظيفية القديمة لكل موظف بما يتلاءم مع قدراته الفردية بناء على أسس علمية مدروسة.
- ٣- اختيار وتدريب العاملين بشكل علمي سليم.
- ٤- التعاون المستمر بين القيادة والعاملين للتأكيد بأن العمل يجري بأفضل وأنجع الطرق العلمية.
- ٥- تقسيم وتوزيع المسؤوليات والأعمال بين الأفراد بصورة علمية تنسجم مع القدرات الفردية لكل فرد.
- ٦- اتباع خطة تعزيز وحفز تعتمد على زيادة الإنتاج للفرد.
- ٧- تنظيم وترتيب المعدات والأجهزة بصورة تسهل عملية الاستخدام من قبل العاملين دون حدوث تداخل واضطراب في سير العمل.

وهناك عدة إيجابيات يمكن الاستفادة منها في حالة تطبيق هذا النهج الإداري وهي:

- ١-انتظام وارتباط الموظفين بمختلف مستوياتهم بالسياسيات المرسومة للمؤسسة والعمل.
 - ٢-التزام جميع العاملين داخل المؤسسة بقوانين العمل وإجراءاته.
 - ٣-سهولة عمل الإداريين او المسؤولين بشكل عام بعد تحديد وتنسيق المهام لكل دائرة، قسم وفرد داخل المؤسسة.
 - ٤-إنجاز العمل في الوقت المحدد.
 - ٥-يستخدم بصورة فعالة في حالة تعرض المؤسسة للإفلاس او الفناء.
- وعلى الرغم من هذه الإيجابيات الباسقة فان هناك عدة سلبيات افرزها هذا النهج داخل المؤسسات التي تم تطبيق هذا النهج فيها وهي:
- ١- في ضوء هذا الأسلوب الإداري تقل إمكانية التداخل والتفاعل الاجتماعي بين أفراد المؤسسة طالما لا يسمح لبعضهم التدخل في أعمال بعضهم الآخر.
 - ٢-طالما في ضوء هذا النهج، يتم تحديد مكان ومجال العمل لكل فرد داخل المؤسسة، بهدف تقليل الجهود او الوقت الضائع لاستخدام تلك الجهود والأوقات بزيادة الإنتاج، يسق في أذهان الأفراد فكرة أنهم يعاملون على أساس أنهم معدات وأجهزة بشرية ليس إلا.
 - ٣-يقتصر نظام التعزيز والثواب في ضوء هذا الأسلوب على كمية الإنتاج اليومي للفرد.
 - ٤- إن عملية تحديد المهام والأعمال بصورة تامة للأفراد يقلل من او يحول دون ظهور الإبداع والابتكار، هذا بجانب الانعكاسات السلبية على نفوس العاملين التي تفرزها روتينية العمل.
- وأخيراً يعد هذا الأسلوب الإداري من اكثر الأساليب الإدارية التي انتشرت في مطلع هذا القرن وبالذات في الولايات المتحدة وبعد هذا الأسلوب المحرك الأساسي لولادة أسلوب إداري جديد وهو الأسلوب الإنساني.

٢-الأسلوب الإنساني Human Approach

بزغ الأسلوب الإنساني في الإدارة إلى حيز الوجود بعد أن بدأت سلبيات الأسلوب العلمي في الإدارة تلوح في الأفق، إذ تبين لدى الإداريين أن هناك عدة سلبيات افرزها الأسلوب العلمي في نفوس الأفراد داخل المؤسسات التي تم تطبيق الأسلوب العلمي للإدارة فيها.

ومن اشهر الذين ساهموا في نشوء هذا الأسلوب الإداري الجديد أولفر شلدون (Oliver Sheldon) شيستر بارنارد (Chester Barnard, 19880-1961) التون مايو (-1880 Elton Mayo) رويشيلز برقر (Roethilsberger, 1989-1974) ودوغلاس مكريقر (Douglas Mc

Gregor) الذي يعد من أشهر الذين ساهموا في ظهور هذا الأسلوب الإداري عن طريق إنجازته العملي الرائع في النظريات الإدارية وأخص بالذكر نظرية X ونظرية Y.

لذلك يمكن أن نعد الأسلوب الإداري الجديد قد ظهر إلى حيز الوجود كرد فعل للأسلوب السائد في ذلك الوقت وهو الأسلوب العلمي في الإدارة إذ كان جل اهتمام هذا الأسلوب هو التركيز على العمل دون الالتفات إلى الأفراد وداخل المؤسسة ومطالبهم المختلفة مما أدى إلى امتعاض الأفراد من هذا الأسلوب الإداري لما أفرزه من سلبيات مقيتة في نفوسهم.

لذلك فإن علماء الاجتماع كان لهم الفضل في ولادة الأسلوب الإنساني الجديد، إذ اعتبروا القاعدة الفكرية العلمية السليمة التي يجب ان تركز عليها المؤسسة تنطلق من الأساسيات التالية:

١- المؤسسة تعد نظاماً اجتماعياً أولاً ومن ثم يمكن الالتفات إلى الصفات الفسيولوجية والميكانيكية للأفراد.

٢- التركيز على الجو الاجتماعي لحل وخارج المؤسسة وكيفية تعامل الأفراد اجتماعياً أثناء العمل.

٣- تقوية وتعزيز الوشائج والولائج بين الأفراد داخل المؤسسة.

ومن أبرز العوامل التي ساهمت في شيوع هذا الأسلوب الإداري الجديد ظهور نظرية X ونظرية Y حيث ساهمتا في دحض بعض الأساسيات التي بني عليها الأسلوب العلمي في الإدارة وهي:

١- بطلان صحة الأساسية الأولى التي بني عليها الأسلوب العلمي في الإدارة وهي ان جميع الموظفين يحتاجون إلى رقابة دائمة أثناء العمل.

٢- عدم صحة أن الموظفين يمكن تشجيعهم وتعزيزهم نحو العمل بالأمور المادية فقط.

٣- عدم صحة النظرة إلى الأفراد على أنهم كسالى نحو إنجاز أعمالهم.

٤- هناك عدة أمور يمكن أن تساهم بشكل بارز في إثارة الفرد لتحسين ورفع مستوى إنتاجه مثل التفاعل والتماسك الاجتماعي بين الأفراد داخل المؤسسة، والاعتبار والاحترام من قبل الآخرين، والنمو الوظيفي داخل المؤسسة، والنجاح في العمل.

لذلك ركز الأسلوب الإنساني في الإدارة على عدة عناصر أساسية لتساعد الإداريين والمسؤولين على تنمية التعاون الاجتماعي والإنساني بين الأفراد داخل المؤسسة وهي:

١- تشجيع الأفراد على المشاركة في اتخاذ القرارات الإدارية.

٢- توزيع الأعمال والمهام على الأفراد بما يتناسب مع قدراتهم ومؤهلاتهم حتى يشعر الفرد باستمرار انه أمام تحد من قبل طبيعة ونوعية العمل.

٣- تحسين وتطوير وسائل وسبل الاتصال والتفاعل بين الإدارة والموظفين.

وفي ضوء هذا النهج الإداري يكون جل اهتمام الإداري يتركز على التفاعل الاجتماعي بين الأفراد وتوسيع وتطوير الإطار الخلفي والإنساني عندهم، هذا بجانب العمل على اتباع الطرق والأساليب الإنسانية الموحدة مع جميع الأفراد داخل المؤسسة.

كما ينطلق هذا الأسلوب من أساسية كبرى وهي إتاحة وتوفير الجو الاجتماعي والوظيفي الملائم للأفراد إذ يفرز هذا الجو المريح والمناسب لكل فرد توجهاً ودافعاً داخلياً في نفوس الأفراد نحو المؤسسة، وبالتالي فإنهم سوف يبذلون قصارى جهدهم من أجل الحفاظ على المؤسسة وتحقيق أهدافها، لأن الإنسان بطبعه يحب أن يحافظ على استمرارية كل شيء يجلب له السعادة.

٣- أسلوب الإدارة بواسطة الأهداف: (Management by Objectives (MBO)

يعتبر بيتر دركر (Peter Drucker) أول من تكلم عن هذا الأسلوب الإداري في عام ١٩٥٤ في كتابه الموسوم بـ "ممارسة الإدارة" وقد أخذ هذا الأسلوب عدة أسماء منها: الإدارة بواسطة النتائج (Management by results) والإدارة عن طريق توحيد الأهداف.

وقد شاع استخدام هذا النهج الإداري في المؤسسات التجارية والصناعية الكبيرة في بادئ الأمر وأخيراً تم تطبيقه في المؤسسات التربوية في العقد السابع من القرن العشرين.

وجل اهتمام هذا الأسلوب هو التركيز على الأهداف العامة للمؤسسة إذ يؤدي إلى دفع جميع الإداريين على شتى مستوياتهم الإدارية من تحديد أهدافهم الإدارية والمساحة الإدارية المسؤول عنها، مما يسهل من القيام بعملية القياس والتقويم وتوقع النتائج من كل قسم أو إداري.

هنالك عدة عناصر أساسية كانت بمثابة المحور الأساسي الذي يرتكز عليه هذا الأسلوب الإداري وهي:

١- يبنى هذا الأسلوب على تكامل عدة أجزاء من نظريات مختلفة في مجال الإدارة وفروعها الأساسية مثل نظرية الحاجات لماسلو (Maslow's Self- Fulfillment) ونظرية Y لمقرير (Mc Gregor's Theory Y) ونظرية عوامل التعزيز من أجل التحصيل لهزبرغ (Herzberg) ونظرية الحاجات من أجل التحصيل لمكلياند (Mc Clelland).

٢- إن الإنسان الذي يناط به هدف معين أو محدد تنبثق عنده الرغبة في بذل قصارى جهده لتحقيقه بنسبة أعلى من الإنسان الذي لم يوكل إليه هدف محدد.

٣- في حالة التزام الفرد بشيء معين فإنه يسعى بكل قوة مستخدماً جميع إمكانياته وقدراته وأساليبه من أجل تحقيقه.

٤- إن الأفراد يفضلون أن يتم تقييمهم على أسس ومعايير واضحة.

إن هناك عدة خطوات أساسية يجب اتخاذها عند تطبيق هذا النهج الإداري في أية مؤسسة نذكر منها:

١- تخطيط وتنظيم أهداف المؤسسة بمستوياتها المتعددة إذ تتدرج من الأهداف العامة البعيدة المدى إلى القريبة المدى وإلى الأهداف اليومية لكل من المؤسسة والدائرة والقسم والأفراد، ويجب توضيح هذه الأهداف لجميع الأفراد داخل المؤسسة.

٢- قيام كل وحدة من وحدات المؤسسات بتخطيط وتنظيم العمل على ضوء الأهداف المناطة بها.

٣- تطوير وتوسيع أطر التفاعل والاتصال كماً ونوعاً بين الإدارة والموظفين حتى تصل في أغلب الأحيان إلى المستوى اليومي.

٤- مشاركة العمال او الموظفين داخل المؤسسة في تحديد الأهداف التربوية المرجو تحقيقها.

٥- تحديد الأهداف بوضوح بكافة مستوياتها وصياغتها بطريقة تسهل عملية القياس والتقييم.

إن الدراسات الميدانية التي أجريت على عدد من المؤسسات التي استخدمت هذا الأسلوب الإداري مع تقارير بعض الخبراء الذين بلغ عددهم ٢٨ خبيراً، أفادت بأن فوائد جمة يمكن تحقيقها عن طريق استخدام هذا الأسلوب في المؤسسات وهي:

١- صياغة الأهداف بدقة متناهية.

٢- ربط أهداف الأفراد داخل المؤسسة بالأهداف العامة للمؤسسة.

٣- سهولة عملية المراجعة للأهداف ومدى تحقيقها باستمرار.

٤- ربط الأهداف الجزئية للدوائر والأقسام بالأهداف العامة للمؤسسة.

٥- زيادة وتوسيع أطر التفاعل والاتصال بين المدير والموظفين.

٦- تطوير كفاية المدير الإدارية من حيث التخطيط، التنسيق، التفاعل الاجتماعي، والتقييم.

٧- تشجيع المدراء والأفراد داخل المؤسسة على القيام بواجباتهم والمهام المطلوبة منهم على خير ما يرام.

٨- سهولة ترتيب الأعمال حسب الأولوية.

٩- سهولة التدقيق والبحث عن جذور وبواعث الضعف والخلل داخل المؤسسة.

١٠- سهولة وضع وصياغة خطة العمل لكل وحدة من وحدات المؤسسة.

١١- سهولة ربط عملية التقييم بالإنجاز الفردي للموظف او العامل.

١٢- صياغة وتحديد الأهداف بطريقة تسهل عملية القياس والتقييم.

١٣- المرونة في إحداث التغيير عند الضرورة.

١٤- تحديد مواعيد وتاريخ الانتهاء من تحقيق بعض الأهداف او الأعمال المعينة.

إن لكل نهج إداري صفاته الإيجابية التي تعد بمثابة الوجه الباسق المنير لهذا النهج لما يعكسه من تمكين المؤسسة التي تعتمده في تحقيق أهدافها ورغباتها، كما أن هناك بعض السلبيات التي تكتنف النهج الإداري المتبع داخل المؤسسة. إذ تؤدي هذه السلبيات في أغلب الظروف إلى الحد أو التقليل من مستوى النجاح أو الإنجاز المرتقب للمؤسسة، وقد تؤدي هذه السلبيات في بعض الحالات إلى فشل المؤسسة في تحقيق أهدافها. وبعد أن فرغنا من الحديث عن الصفات الإيجابية لهذا الأسلوب الإداري، فلا بد من أن نعطف بنظرنا إلى النقاط السلبية التي يمكن أن تطفو على السطح في حالة تطبيق هذا النهج الإداري. ومن أبرز الصفات السلبية ما يلي:

- ١- تحتاج عملية التخطيط، والتنظيم، وتوضيح الأهداف وخطط العمل للأفراد إلى وقت طويل.
- ٢- الحاجة الماسة إلى الأعمال المكتتبية بشكل واسع لكتابة التقارير عن سير العمل وتوقع الإنتاج لمختلف الجهات المعنية داخل المؤسسة.
- ٣- تجاهل وإهمال الأهداف التي يصعب قياسها والتي تتعلق عادة بالأمور الاجتماعية والنفسية.
- ٤- يستخدم فقط في المؤسسات التي يكون فيها تأهيل الموظفين بدرجة جيدة.
- ٥- عدم مناسبة هذا النهج الإداري لأغلبية الإداريين وذلك بسبب مشاركة الموظفين أو المستخدمين بصياغة الأهداف.

٤- أسلوب تخطيط البرامج وتحديد ميزانيتها. pp bs

٥- الأسلوب الدكتاتوري في الإدارة.

٦- الأسلوب الديمقراطي في الإدارة.

إن جميع هذه الأساليب التي اتبعها الإنسان في الإدارة تدل على الفهم الجزئي للإنسان لمستقبله في هذا الوجود، إذ أن الإنسان حاول أن يفهم نفسه وأخاه الإنسان من خلال الجانب المادي فقط والمترتب في الحياة الدنيا وما جسد فيها من أهداف وغايات إنسانية فقط، فذهب لنسج حضارته الإدارية وفق المنطلق الفكري للإنسان ومكانته في الوجود، لذلك نستطيع القول أن الفلسفات المادية والمذاهب الفكرية المادية عكست نفسها في النظريات الإدارية وأساليبها، لذلك كان التركيز منصبا على الكسب المادي، وزيادة الإنتاج داخل أطر المفاهيم الإنسانية للحياة الدنيا فقط.

وجدير بالذكر أن نشير إلى أساسية هامة وهي أن النظريات الإدارية وأساليبها انطلقت أيضا من موضوع فكري فلسفي وهو علاقة الفرد بالجماعة، فالفلسفة المثالية، والفلسفة الواقعية، والفلسفة الشيوعية تنادي بتقديم أهداف الجماعة على أهداف الفرد، بينما ترى الفلسفة الطبيعية، والفلسفة الوجودية تقديم مصلحة الفرد على مصلحة

الجماعة، بينما ترى الفلسفة البراجماتية أن العلاقة بين الفرد والجماعة يجب أن تكون تبادلية.

الإدارة في ضوء الفكر الإسلامي

يعد الحديث عن الإدارة في الإسلام من أصعب الموضوعات على الإطلاق على أي كاتب يود أن يتناول هذا الموضوع بدرجة عالية من الموضوعية، لما له من آثار واسعة النطاق على المذاهب والمدارس الإسلامية المتعددة التي تنظر إلى هذا الموضوع من منطلقات متفاوتة، مما أدى إلى فهم النصوص القرآنية، وتأويلها بطرق متعددة لتتسجم مع الهدف المنشود الذي تسعى إليه كل طائفة، هذا بجانب سياسة الدس والوضع في السنة النبوية المطهرة من جهة، والتكليف الزائد في التأويل من جهة أخرى، ويشهد التاريخ بأحداثه المؤلمة التي وقعت على كاهل المسلمين في شتى البقاع والأمصار، سواء أكان ذلك في أم القرى، أم في المدينة الفاضلة، أم في البصرة، أم في غيرها من المدن الإسلامية كيف استغل المسلمون موضوع الإدارة أو الإمارة في الإسلام من أجل تحقيق أهدافهم الدنيوية عن طريق سحق الطرف الآخر الذي لا يشاركونه الرأي، فإذا أمعنا النظر في الأحداث التاريخية السابقة نجد أن النفوس قتلت، والعيون سملت، وسياسة جز الرؤوس وقصف بيت الله الآمن وتدميره، واستباحة مدينة رسول الله بجيش يزيد، واستباحة حرمت آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق القتل والسبي، وقصف المدن الإسلامية وتدمير بيوتها على رؤوس المسلمين، إن جميع هذه الأحداث وقعت في الماضي سواء البعيد أو القريب، وما زالت تحدث في الأيام الحاضرة، وستبقى تحدث في الأيام القادمة ما لم يحل المسلمون الألغاز والشراك التي تم نسجها حول موضوع الإدارة في الإسلام. إن الصورة الحاضرة للمسلمين التي تدل على تمزقهم وتشردمهم وعداء بعضهم لبعض تدل بشكل ساطع على سوء فهمهم لهذا الموضوع الهام جداً، إن الحديث قد يطول عن المصائب والأحداث المفجعة التي حدثت للمسلمين وما زالت تحدث في هذه الأيام ولكننا روماً للاختصار نكتفي بالإشارة الموجزة التي أشرنا إليها في السطور السابقة.

إن المسلمين في هذه الأيام، الذين تتداعى عليهم الأمم كتداعي الأكلة على قصعتها، تكمن مشكلتهم الأولى في الابتعاد عن النظام الإداري الذي خطه لنا رب العزة في كتابه الحكيم، حيث يتساءلون عن الحل للخروج من الهاوية التي وصلوا إليها عن طريق تغليب شهواتهم على حساب الإسلام وتعليماته المؤتلة. وعندما تجابه هذه الأسئلة بان الحل يكمن في اتباع نص واحد فقط في القرآن العربي الحكيم، نجدهم يتدرعون بأعدارهم الواهية التي تدل على انحرافهم عن جادة الصواب وإثارة الشكوك والأوهام التي وشجت عليها عروق الأولين، ليحرموا المسلمين فرصة الصعود من الهاوية التي وصلوا إليها بأيديهم عن طريق ابتعادهم عن الهدى، الذي أرسله الحق سبحانه هدى ورحمة وبشرى للعالمين، ولو خاطبنا مسلمي هذه الأيام بالنصوص القرآنية التالية وقلنا لهم أين موقفكم منها رحمكم الله، فما سيكون الجواب؟

قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٦٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٢﴾

[سورة النساء، الآيات ٥٩-٦١]

أين المسلمون عن هذه النصوص القرآنية التي تقودهم من الهاوية إلى القمة؟

ألم توجد هذه النصوص في القرآن الذي بين أيديهم؟ هل فكر كل واحد منهم بأولي الأمر منهم، ومن هو ولي أمرهم الذي يجب ان يطاع وينفذ أحكام القرآن بينهم. هل فكر المسلمون ماذا سيؤول إليه حالهم لو أن لهم ولي أمر واحد يتحدث باسمهم جميعاً؟ هل فكر المسلمون بالسيطرة على شهواتهم وأهوائهم واتباع ما يأمرهم به كتاب الله، وينتهوا بنواهيهِ. هل فكر المسلمون بالتناقض الكبير بين أقوالهم ومعتقداتهم، وبين أفعالهم وأنماطهم السلوكية على شتى الصعد والاتجاهات؟ يبدو بوضوح ان المشكلة الأولى التي يعيشها المسلمون في هذه الأيام تكمن في عدم تطبيقهم لما يأمرهم به الحق ، وعلى رأس هذه الأمور الموضوع الإداري المتمثل في أولي الأمر.

إن الإدارة في الإسلام لم تؤسس أطرها الأساسية على معلومات إنسانية محدودة ومتعارضة عن الإنسان، والكون، والحياة، بل أسست على معلومات دقيقة ثابتة وصلتنا عن طريق الأنبياء والرسل من عند الخالق سبحانه وتعالى. لقد شيد الإنسان مدارسه الفكرية والفلسفية، والسياسية، والعسكرية وفق مفهومه الفطير للذات الإلهية، والكون، والحياة الدنيا، وطبيعة الإنسان ومكانته في الكون وعلاقة الإنسان بالجماعة، وحقيقة النفس الإنسانية. والشيء المذهل الذي تشيب له الولدان ان نجد هذه النظريات المتعددة التي أسست في ضوء الفكر الإنساني تطبق وتمارس في المجتمعات التي تعد نفسها إسلامية على المسرح الدولي. وليت هذه النظريات تم تطبيقها تحت مظلة القانون الواحد الذي يطبق على الناس كافة كما يحدث في الدول المتقدمة بل حتى هذه النظريات الإنسانية تم التعامل معها بطريقة مزاجية فوضوية.

في الوقت الذي شيدت فيه النظريات الإدارية في الفكر الإنساني على معلومات إنسانية فرضية حول القضايا التي تهم الإنسان، فإن الإدارة في ضوء الفكر الإسلامي شيدت في ضوء حقائق جاءت من عند الحق سبحانه وتعالى وهذه الحقائق هي:

١ خلق الحق سبحانه وتعالى الإنسان ليقوم الإنسان بعبادته تشريعاً وليس تكويناً .

قال تعالى:

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾

[سورة الذاريات، الآيات ٥٦-٥٧]

٢ فطر الحق سبحانه وتعالى الذات الإنسانية على دين الحق والتوحيد تشريعاً وليس تكويناً .

قال تعالى:

فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ
ذَلِكَ الدِّينِ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[سورة الروم، آية ٣٠]

٣- لقد أعطى الحق سبحانه وتعالى الإنسان حرية الاختيار بين الخير المتمثل في اتباع النهج الإلهي القويم وبين الشر المتمثل باتباع همزات الشياطين وتسويلاهم للإنسان في تزيين شهواتهم ورغباتهم لأبعاده عن سبيل الخير ليشاركه نفس المصير في اليوم الآخر.

قال تعالى:

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ
فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

[سورة البقرة، آية ٢٥٦]

٤- لقد ركب الحق سبحانه وتعالى في النفس الإنسانية جانبي الفجور والتقوى لكي يستطيع الإنسان أن يمارس حرية الاختيار بين سبيل الخير وأفعاله فيه وبين سبيل الشر وأفعاله فيه بملء إرادته دون قيود خارجية على قراره.

قال تعالى:

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن
دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

[سورة الشمس، الآيات ٧-١٠]

٥- عدو الإنسان اللدود في هذا الوجود الشيطان وأجناده من الجن والإنس إذ يريدون إبعاد الإنسان عن سبيل الحق الذي وضعه البارئ عز وجل للإنسان عن طريق الرسل، وذلك عن طريق تزيين الشهوات للإنسان.

قال تعالى:

قَالَ يَتَابِلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَافِرٍ مِنْ حَمِيمٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٧﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٤١﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٤٢﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٤﴾

[سورة الحجر، الآيات ٣٢-٤٠]

٦- إن مكانة الإنسان في الكون تكمن في أساسيتين هامتين، أولاهما أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وهذا ما وضحه لنا الباري عز وجل في قوله عز من قائل:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[سورة البقرة، آية ٣٠]

أما بالنسبة إلى الأساسية الثانية فهي تكمن في وضع الإنسان ومكانته في اليوم الآخر في ضوء ما قدمت يداه وهو يمارس مهمة الخلافة في الحياة الدنيا، فإذا كان من الذين اتبعوا نهج الحق سبحانه وتعالى فيكون مصيره في عِلِّيِّين وهي أفضل مرتبة لمخلوق خلقه سبحانه وتعالى، وأما إذا كان من الذين أدبروا عن نهج الحق القويم في الحياة الدنيا، فإن المونل سيكون في الأذليين، وهو أدنى رتبة تعطى لمخلوق خلقه الحق سبحانه وتعالى.

٧- إن الحياة الدنيا بالنسبة للإنسان تعد دار اختبار وامتحان ليؤول مصيره في اليوم الآخر وفق ما عمل فيها من أعمال خير أو أعمال الشر. والذي لا يعي هذه الحقيقة يكون من الغافلين الذي استهوته الدنيا بزخارفها ومفاتها ليغدو عبداً لها تنتهي وتبدأ آماله وطموحاته داخل إطارها المحدود.

قال تعالى:

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢٠٦﴾

[سورة الملك، آية ٢]

قال تعالى:

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا

[سورة الكهف، الآيات ٧-٨]

صَعِيدًا جُرُورًا ﴿٨﴾

٨-ان علاقة الفرد بالجماعة لا ترتبط بمصلحة طرف على حساب الآخر، فلا يوجد اهتمام بأهداف الفرد ومصالحه على حساب الجماعة وأهدافها، ولا تقوم الجماعة على مصلحة الفرد وأهدافه، فالعلاقة بين الطرفين يظلمها الدستور الإلهي، فالذي يخالف الدستور يعد مخالفا سواء أكان فرداً أم مجتمعاً، هذا بجانب الأهداف الضرورية لأبناء المجتمع هي نفسها الأهداف التي تسعى الجماعة إلى تحقيقها وفق تعليمات النهج الإلهي، فعندما تخالف الجماعة شرع الحق سبحانه وتعالى فالمؤمن لا يوالي هذه الجماعة حتى ولو كان على رأسها اقرب المقربين إليه، أما في حالة مخالفة الفرد لشرع الله سبحانه وتعالى فيجب على الجماعة ان تقيم حدود الله عليه التي وضحها في كتابه العزيز.

قال تعالى:

يَتَّيِبُهُمُ اللَّهُ لِيَأْتِيَهِم بِالذِّكْرِ الْمُبِينِ ﴿٢٠٧﴾ وَأَمْ نُوَلِّى الْأَعْمَىٰ أَبًا وَالصُّبْحَانَ مَا يُدْرِكُ الْبُصْرَةَ أَفَلَا يَرَىٰ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٠٨﴾

الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠٩﴾ [سورة التوبة، آية ٢٣]

وقال تعالى:

الرَّانِيَةِ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٠﴾ [سورة النور، آية ٢]

٩- إقامة العدل بين الناس على اختلاف مذاهبهم، ومعتقداتهم، وأجناسهم وألوانهم وفق القضاء الإسلامي الذي بينه الحق في كتابه الحكيم.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء، آية ٥٨]

١٠- لقد أحاط الحق سبحانه وتعالى الذوات الإنسانية بقدسية هائلة إذ حرم قتلها إلا بالحق، ومن يقترب قتل نفس بغير حق متعمداً فلن يقبل منه وسيكون من الخاسرين في اليوم الآخر.

قال تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ عَيْبَكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة الأنعام، آية ١٥١]

وقال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآيات ٩٢-٩٣]

١١- هناك نوعان من الناس، فالنوع الأول لا يريد إلا الأهداف والآمال والغايات المرتبطة فقط بالحياة الدنيا مبتعدين كل البعد عن الآخرة، أما النوع الثاني فانهم يطلبون الدنيا وما فيها من أهداف وطموحات وغايات في ضوء النهج الذي أرسله الحق سبحانه وتعالى ليفوزوا في امتحان الحياة الدنيا من أجل إرضاء الحق سبحانه وتعالى وتحقيق الفوز العظيم في اليوم الآخر في جنات النعيم التي أعدها الله سبحانه وتعالى لعباده المتقين.

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾

[سورة يونس، الايات ٧-٨]

قال تعالى:

وَمَنْ يَمْشِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾

[سورة البقرة، آية ٢٠١]

١٢- إن قدرات الإنسان متفاوتة من فرد إلى آخر ويطلب من كل فرد ان يقوم بالأعمال المناطة به حسب قدراته وطاقاته التي جسدها فيه الحق سبحانه وتعالى.

قال تعالى:

لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۗ إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

[سورة البقرة، آية ٢٨٦]

١٣- إن كل إنسان مسؤول عن جميع ما يصدر عنه من أعمال وأفعال على المستويات كافة، وفي جميع مجالات العمل في الحياة الدنيا، وسوف تحاسبه نفسه على ذلك يوم المثل أمام الحق، لذلك فإن الإنسان المؤمن تكون عنده الرقابة الداخلية أولاً ، لأنه يعلم علم اليقين أنه إذا استطاع أن يخدع الناس فإنه لن يستطيع أن يغير أي شيء قد تم تسجيله في كتاب أعماله وأفعاله.

قال تعالى:

وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عَنَقِهِ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ
كُتُبِكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ [سورة الإسراء، الآيات ١٣-١٤]

١٤- أن القسم الأكبر من الناس لا يحبون الحق ولا الحقيقة وقد يبذلون
قصارى جهدهم لطمس الحق ومقاومة اتباعه أينما ثقفوا.

قال تعالى:

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

[سورة الإسراء آية ٨٩]

١٥- إن طريق الصعود إلى قمة القمم دون سائر الأمم والأقوام تكمن في الإيمان بالله، والأمر بالمعروف، والنهي
عن المنكر، فهذه السبيل قد تم توضيحها للإنسان في كتاب الحق سبحانه وتعالى وما سلكته أمة من الأمم إلا
وتربعت على قمة الأخلاق، والأجساد، والفضائل.

قال تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَوْ أَمَّنْ أَهْلُ الْكُتُبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [سورة آل عمران، آية ١١٠]

الأسلوب الإداري في ضوء الفكر الإسلامي:

انطلاقاً من الحقائق الثابتة التي اطلع الحق سبحانه وتعالى الإنسان عليها عن
طريق كتبه ورسله والتي أشرنا إليها في الصفحات السابقة فإن الأسلوب الإداري في
ضوء تلك الحقائق يختلف عن الأساليب التي اختارها الإنسان في ضوء الفرضيات التي
ابتدعها، وهذا الاختلاف يمتد إلى أساسيتين هامتين. أولاً، الاختلاف حول الأهداف
التي يسعى إليها كل أسلوب، ففي الوقت الذي تسعى فيه الأساليب الإدارية التي شيدت
على فرضيات إنسانية إلى السيطرة على الإنسان وإثارة حوافزه نحو الإنتاج لزيادة
الكسب المادي، فإن الأسلوب الإداري في ضوء الفكر الإسلامي يسعى إلى تحقيق أهداف
تتعلق بوجود الإنسان ومستقبله في هذا الوجود، حيث يتم التركيز على جوانب الخير في
الإنسان، وتوضيح معالم الحق له عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، هذا بجانب إثارة
جميع دوافع الحب والإيثار والتضحية والصدق والإخلاص والتعاون في ذات الإنسان لكي
يطلب الدنيا وما فيها من أهداف وغايات لتقربه إلى الفوز العظيم في اليوم الآخر، أضف
إلى ذلك الهدف النبيل الذي ينشده أتباع هذا الأسلوب الإداري في محاولة توضيح رسالة
الحق سبحانه وتعالى إلى عباده لكي يتساوا جميعاً أمام التشريع الإلهي دون تمييز على

المستوى الدنيوي والفوز العظيم في اليوم الآخر، إن هذا الشعور النبيل الذي يحمله الإنسان تجاه أخيه الإنسان هو الذي يجب أن يسود بين الناس إذا ما أرادت البشرية أن تخرج من جحيم الدنيا إلى نعيمها، ومن عذاب الآخرة إلى نعيمها، ولكن هيهات أن يفهم الغافلون من الإنس هذا الشعور الذي تكنه النفوس لهم، أما الأساسية الثانية فتبدو واضحة جلية في اختلاف القواعد الأساسية لكلا الأسلوبين.

إن الأسلوب الإداري في ضوء الفكر الإسلامي يتميز بعدة صفات مستمدة بشكل مباشر من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وهي على النحو التالي:

١- إقامة دعائم العدل وممارسته في شتى المؤسسات، والأمور الحياتية، وفق التشريع الإلهي بين الناس كافة، على اختلاف مذاهبهم، وألوانهم، وأجناسهم، وقومياتهم، وغاياتهم.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء، آية ٥٨]

وقد أشار صلوات الله عليه وسلامه الى هذه الأساسية بكل وضوح حيث قال: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضع ويتركون الشريف، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" (البخاري، كتاب الحدود).

٢- تقديم رسالة الحق إلى الناس عن طريق الحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال والتي هي أحسن لإقناعهم في التركيز على الخير في أنفسهم أولاً وفي الوجود ثانياً مبتعدين كل البعد عن جانب الشر سواء في نفوسهم ام في الحياة الدنيا.

قال تعالى:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل، آية ١٢٥]

٣- اللين ورقة التعامل مع الآخرين والابتعاد عن الغلظة والقسوة في شتى أنواع التعامل الاجتماعي سواء أكان داخل المؤسسات أم خارجها.

قال تعالى:

﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية ١٥٩]

[سورة آل عمران، آية ١٥٩]

وقال تعالى:

وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ [سورة الشعراء، آية ٢١٥]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" (متفق عليه).

٤- الرقابة الذاتية في إنجاز العمل وإتقانه عند العاملين كافة، سواء أكانوا في موضع القيادة أم في منزلة التبعية، انطلاقاً من فهمهم الدقيق لقدرة الحق سبحانه وتعالى على مراقبتهم في جميع ما يظهرون وجميع ما يبطنون، هذا بجانب رغبتهم في ثواب الحق سبحانه وتعالى في اليوم الآخر على إنجازهم لأعمالهم بالصورة الدقيقة بما يتناسب مع قدراتهم وطاقاتهم.

قال تعالى:

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا

[سورة يونس، من الآية ٦١]

وقال تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾

[سورة الكهف، آية ٣٠]

٥- إن شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرز سمات هذا الأسلوب إذ أن الأفراد كافة على اختلاف مواقعهم الوظيفية مطالبون بممارسة هذا الشعار لوأد الغش، والخداع، والكذب، والاستغلال منذ اللحظات الأولى سواء في المؤسسات التربوية، أو المؤسسات الاقتصادية، أو المؤسسات الاجتماعية.

قال تعالى:

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ

[سورة آل عمران، ١١٠]

قال تعالى:

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ

[سورة التوبة، آية ٧١]

اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (رواة مسلم).

٦- يعد التعاون والتواد، والترحم، والحب شعاراً لكل فرد نحو الأفراد الآخرين سواء أكانوا في موضع القيادة أم كانوا في موقع التبعية، وهذا جميعه يؤدي إلى خلق جو اجتماعي متميز داخل المؤسسات وخارجها مما يزيد الإنتاج في جميع أعمال الخير.

قال تعالى:

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءٌ بَيْنَهُمْ

[سورة الفتح، من الآية ٢٩]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه" (متفق عليه).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (متفق عليه).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن كيفية نصره وهو ظالم، فقال تأخذ فوق يديه وتمنعه عن الظلم فذلك نصرك له" (متفق عليه).

٧- الشورى في اتخاذ القرارات التي لم يوجد فيها نص أو حديث نبوي شريف، وتجري عملية الشورى ضمن إطار الأفراد الذين سوف يتخذون قراراً معيناً في موضوع يتعلق بهم دون غيرهم، لذلك فإن عملية الشورى في أي مؤسسة تربوية تقتصر فقط على الأفراد المعنيين بتلك المؤسسة، وكذلك يجري الأمر بالنسبة للقرارات الأخرى المتعلقة بشؤون أخرى لم يوجد فيها آيات قرآنية أو سنة نبوية مطهرة.

قال تعالى:

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ

[سورة الشورى، آية ٣٨]

يقول إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام سألت يوماً رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو وقع لنا بعدك ما لم نجد له حكماً في القرآن أو نسمع منك فيه شيئاً فماذا نفعل؟ فقال صلوات الله عليه وسلامه: "اجمعوا العابدين من أمتي واجعلوه بينكم شورى ولا تقضوا برأي واحد" (تفسير روح المعاني، ج ٢٥، ص ٤٢).

٨- أن يعفو عن الأفراد العاملين فيما يرجع إلى شخصه ولا ينتقم منهم لنفسه، وأن يقوم بتطبيق العرف فيما بينهم بما يتفق مع الشرع الإسلامي، هذا بجانب إعراضه عن الجاهل منهم وأن يأخذه بالمداراة

لإبطال نتائج جهله وتقليل فساد أعماله، بمعنى لا ينظر الى المؤسسة وما فيها من خلال شخصه، وأهدافه، ورغباته، كما ألف الناس في هذه الأيام، إن جميع الأمور تجري وفق ما يرغب فيه المسؤول أو يرغب عنه. قال تعالى:

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ [سورة الأعراف، آية ١٩٩]

٩- الحزم والشدة وعلو الأمانة عند إيقاع القصاص على الذين يجتازون الحدود التي بيّن لها الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم وفق القصاص الذي أقره الباري عز وجل لكل حد من الحدود.

قال تعالى:

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾

[سورة النور، آية ٢]

١٠- وضع الإنسان في مكانه المناسب بما يتناسب مع قدراته ومؤهلاته دون تمييز أو هضم لحقوق الأفراد على اختلاف مواقعهم على الهرم الإداري للدولة أو المؤسسة.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة النساء، آية ٥٨]

نتائج الدراسة:

لقد تبين معنا من خلال عرض النظريات الإدارية وأساليبها، التي ابتدعها الإنسان في ضوء افتراضات معينة، تم صياغتها في ضوء فهم الإنسان لطبيعة ذاته، ومكانتها في الكون، بجانب رؤيته المحدودة للوجود، الذي تمخض عنه فهم خاطئ لحقيقة الحياة الدنيا، لذلك جاءت هذه النظريات وأنماطها الإدارية، لتركز على السيطرة على الإنسان، وتوجيهه نحو زيادة الإنتاج بهدف زيادة الكسب المادي، كما تم التعامل مع الإنسان في شتى أمور من خلال النظرة المادية فقط والمرتبطة بالحياة الدنيا.

أما بالنسبة إلى الإدارة في ضوء الفكر الإسلامي وأسلوبها الإداري، فإن الحقائق التي أطلعنا عليها الحق عن طريق كتبه ورسله، شكلت قاعدة الانطلاق للإدارة وأسلوبها الفريد، لذلك فإن هذه الإدارة تهدف إلى تبصير الإنسان بحقيقته، وحقيقة وجوده في هذا الكون، ومكانته في هذا الوجود، وحقيقة الحياة الدنيا، وتوضيح حقيقة عدوه إبليس الذي يتوعد على مدار الساعة لإخراجه عن طريق الحق، كما تهدف إلى التركيز على جانب الخير في الحياة الدنيا للفرز في اليوم الآخر، لذلك فإن تحقيق الأهداف والغايات الإنسانية

في الحياة الدنيا تكون وفق هذا النهج وفي ضوء هذه الإدارة سبيلاً للوصول إلى الغاية الكبرى وهي الفوز برضا الحق سبحانه وتعالى ونيل جنته.

فمن الطبيعي آتخذ أن نجد أساسيات الأسلوب الإداري في ضوء الفكر الإسلامي واضحة ساطعة في كتاب ابن الإسلام وفارسه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي أرسله إلى أحد ولاته مالك الأشتر حيث يقول فيه "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر .. أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه ... وأمره ان يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عن الجمحات فان النفس أمانة بالسوء إلا ما رحم الله .. فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فالملك هোক وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الأنصاف منها فيما أحببت او كرهت، وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم .. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوق من ولاك .. ولا تندمن على عفوك ولا تبجحن بعقوبة، إياك ومساماة الله في عظمته والتشبه في جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال .. ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عبادته، ومن خصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب، وليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد، وليكن احب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية ... وليكن أبعد رعيتك منك وأشؤمهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها. فلا تكشف عن عيوبك ما غاب عنها فإتما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك .. ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى، يجمعها سوء الظن بالله ... والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على أن لا يطروك، ولا ييجحوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العزة، ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلةسواء، فان في ذلك ترهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة .. ولا تنقضن سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية .. واكثر مدارس العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك .. فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله وإمامك وأنقاهم جيها وأفضلهم حلماً ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء ممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف .. ثم تفقد من أمورهم ما يتفقدوه الوالدان من ولدهما ... وان افضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم ... ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا يضيق به الأمور، ولا تحكمه الخصوم، ولا يتمادى في الذلة ولا يحصر في الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم،

وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزهيه إطرء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، يأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك .. ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختباراً، ولا تتوهم محاباة وأثرة .. فامنع من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين البائع والمبتاع ... ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والغنى، فان في هذه الطبقة قانعاً ومعتزاً، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتبع، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول "لن تقدر أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتبع" (نهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده، ج ٣، ص ٨٢-١١١).

نستطيع أن نستخلص من كتاب إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر الذي عهد إليه بلوية مصر الأسس الإدارية التي تمثل نموذجاً رائعاً في الإدارة للمؤسسات التربوية في المجتمع الإسلامي وهي:

١- أن يتقي القائد الله ويؤثر طاعته على سائر الطاعات والولاءات الأخرى
وان ينصر الله بقلبه وبده ولسانه وذلك باتباع ما أمر به في كتابه
وبينه رسوله الأمين صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- أن يسيطر القائد على شهوات نفسه ويرتفع بها عند الجمحات والهزات ويسمو بها عند اتخاذ القرارات.

٣- أن تكون أحب الذخائر والكنوز للقائد ذخيرة التقوى وكنز الأعمال الصالحة.

٤- أن يشح الوالي أو القائد بنفسه عن جميع الأمور والمسائل التي لا تحل له في تعامله مع الآخرين.

٥- أن يسعى القائد باستمرار إلى رحمة الرعية والمحبة لهم واللفظ بهم.

٦- أن يعفو القائد ويصفح عن رعيته في مواقع الزلل والخطأ التي لا يتوجب القصاص مثلما يحب القائد أن ينال العفو والصفح من خالقه سبحانه وتعالى.

٧- أن لا يندم القائد على عفو قام به تجاه رعيته مهما كانت النتائج المترتبة على ذلك العفو.

٨- عدم التبحر باتخاذ القرارات التي تؤدي إلى إنزال العقوبات على الموظفين.

٩- عدم التسرع في إصدار الأحكام والقرارات خاصة بالمسائل التي تستحق التريث ولا ضرورة لاتخاذ القرارات السريعة بخصوصها.

١٠- أن لا يدع مكانته القيادية تدخل الغرور في قلبه ومخيلته، كونه فوق الناس بسلطانه، فان ذلك الغرور يقوده إلى العظمة والجبروت، فان الله أعظم وأكبر منه.

١١- أن يقرب القائد إليه أهل الورع والصدق، وان يحثهم على عدم اطرائه او تبجيله، خاصة في الأمور التي لم يقيم بها.

١٢- على القائد ان يتبع السنن الصالحة السائدة في المجتمع، ولا يحدث سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن الصالحة.

١٣- على القائد أن يحرص على مدارس العلماء ومناخنة الحكماء، للوصول الى ما يصلح به شؤون العامة.

١٤- على القائد ان يختار الإداريين من الذين يرى فيهم مخافة الله ورسوله، وأنفاهم حيباً، وأفضلهم حليماً، وبيطياً عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء.

١٥- أن يثني القائد على الأعمال الحسنة التي يقوم بها الأفراد والجماعات، بمقدار تلك الأعمال، بطريقة يدفع بها أصحاب الأعمال الحسنة إلى الأمام، ويحفز الآخرين إلى القيام بالأعمال الحسنة.

١٦- أن يختار للوظائف الإدارية الذين لا تضيق بهم الأمور، ولا يتمادى في الزلة، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدنيه إطرأ ولا يستميله إغراء.

١٧- على القائد ان يراعي مدى ملائمة الدخل المادي للعمل الوظيفي الذي يقوم به الفرد، بغض النظر عن مستواه الإداري، لكي يشبع حاجاته المعيشية ويبعده عن النظر إلى الأساليب السلبية لإشباع تلك الحاجات.

١٨- أن يركز القائد على توفير فرص النماء الاقتصادي للأفراد عن طريق طرح البرامج الواعدة.

١٩- أن يوفر الأجواء المريحة للموظفين، مما يجعلهم يندفعون نحو أهدافهم وأهداف مجتمعهم بحمة عالية ونفسية هادئة ومطمئنة.

٢٠- أن يساعد على إيجاد جو من التنافس البناء والابتعاد بالأفراد عن الأجواء التنافسية السلبية.

٢١- أن يعامل الطبقة الدنيا والمساكين واحتجاجين من الموظفين، بلين ورقة تجعلهم يشعرون بكرامتهم وإنسانيتهم، وان يمنحهم الفرصة للتحدث إليه في شؤونهم بحرية تامة.

٢٢- أن يعطي من وقته أياماً معلومة لعامة الناس للتحدث إليه في شؤونهم بحرية تامة، وان لا يطول ابتعاده عنهم.

وخلاصة القول أود أن انوه بحقيقة هامة مفادها ان النظريات الإدارية وأساليبها التي ابتكرها الإنسان يمكن أن تكون باهرة من حيث تأديتها للغايات المرجوة، ولكن مع أناس يؤمنون بنفس الأطر الفكرية والفلسفية التي شيدت في ضوئها تلك النظريات والأساليب، وقد تكون فاشلة تماماً إذا ما تم ممارستها وتطبيقها على أناس يؤمنون ويسلكون في ضوء مدرسة فكرية تختلف مع المدرسة التي شيدت في ضوئها تلك النظريات والأساليب، فعلى سبيل المثال نجد أن شتى النظريات الإدارية وأساليبها المتعددة تجيز إرسال الأفراد إلى جبهات القتال بالإكراه إذا رفضوا ذلك بحجة الدفاع عن الوطن، ولكننا نجد في المقابل أن الإدارة في ضوء الفكر الإسلامي لا تسمح بهذا الإكراه على الإطلاق، كما أنني أود أن أسوق مثلاً آخر لأبين التمايز الساطع بين كلا النوعين من

الإدارة يتعلق في إثارة الحوافز عند الأفراد. عندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم تجهز الجيوش لغزو المدينة، أمر بتجهيز جيش لغزو العدو المتمركز في شمال الجزيرة العربية في سنة تعد من السنين القاسية من الناحية الاقتصادية، لذلك سمي الجيش بجيش العسرة، بينما الطرف المقابل يمتلك شتى الإمكانيات المادية والعسكرية، وقد تخلف عن نداء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المنافقون بعد أن اختلقوا أعداء صدقهم بها رسول الله، وبعد أن جهز الجيش صلوات الله وسلامه عليه اعتذر لنفر من المسلمين لعدم توفر إمكانية اصطحابهم معه في الجيش، فما كان منهم إلا أن ألحوا عليه في الطلب، فلما تبينوا انه لا مجال لهم للذهاب إلى لقاء العدو الذي يفوقهم بالعدد والعدة فاضت أعينهم حزنا على عدم الذهاب إلى القتال.

قال تعالى:

وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحِمْكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ [سورة التوبة، آية ٩٢]

ترى كيف يمكن أن نفهم عملية استثارة الحوافز عند هذا النفر من المسلمين في ضوء النظريات الإدارية أو نظريات التعلم في إثارة الحوافز في نفوس الأفراد التي ابتكرها الإنسان الحديث المعاصر؟ انه لمن الاستحالة ان نجد تفسيراً أو جواباً شافياً إلا في الحقائق الفكرية للمدرسة التي ينتمي إليها هذا النفر من الناس، ترى هل الإنسان المعاصر سيحاول جاداً تطبيق هذا النمط الإداري؟

المراجع العربية

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الدكتور أنور محمد الشرفاوي، **التعلم نظريات وتطبيقات**، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٧.
- ٣- أحمد حسين يعقوب، **النظام السياسي في الإسلام**، عمان ، ١٩٩٠.
- ٤- البخاري، **كتاب الحدود**.
- ٥- **تفسير روح المعاني**، جزء ٢٥.
- ٦- تيسير الدويك وآخرون، **أسس الإدارة التربوية**، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
- ٧- الدكتور حسن الحيارى، **التصور الإسلامي للوجود**، دار البشير، عمان، ١٩٨٩.
- ٨- الدكتور عبد الرحمن الضحيان، **الإدارة في الإسلام**، دار الشروق، جدة، ١٩٨٦.
- ٩- عبد الله الدينوري **الإمامة والسياسة**، دار المعرفة، لبنان.
- ١٠- عثمان خيرى، **الإدارة بالأهداف**، القاهرة، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، منشور رقم ١٧٢ سنة ١٩٧٥.
- ١١- الدكتور محمد التيجاني، **فاسألوا أهل الذكر**، مؤسسة الفجر، لندن، ١٩٩١.
- ١٢- محمد علي حلاوي، **مصطلحات إدارية مختارة**، بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٦.
- ١٣- الدكتور مهدي حسن والدكتور محمد قاسم، **مبادئ الإدارة، نظريات ووظائف**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، ١٩٨٤.
- ١٤- **نهج البلاغة**، شرح الأستاذ محمد عبده، الجزء الرابع، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ١٥- الدكتور يوسف قطامي، **سيكولوجية التعلم والتعليم الصفي**، دار الشروق، عمان، ١٩٨٩.

المراجع الأجنبية:

- 1-Abraham H. Maslow, Motivation and personality (New York, Harper and Row, 1954).
- 2-Andrew D. Szilagy, etil, Organizational behhavior, and performance, (2nd ed.) santa Monica, California, 1980.
- 3-Clayton P.Alderfer, Existence, Relatedness, and Growth (New York, Free Press, 1972).
- 4-Douglas McGregor, The Human side of Enterprise New York, Mcgraw-Hill, 1960).
- 5-Frederik W. Taylor, Scientific Management (New York, Haper and Raw, 1911).
- 6-Herzbreg, B. Mausner, and B. Snyderman, The Motivation to work, (2nd ed.) New York, Wiley, 1959.
- 7-James G. March and Herbert A. Simon. Organizations, New York, John Wiley and Sons, Inc, 1958.
- 8-J. Stacy Adms, "Toward an Understanding of inequity:.. Journal of Abnormal and Social psychology, November 1963.
- 9-Keith Davis, Human Behavior at work. 4th ed . san Francisco: Mc Graw-Hill Book company, 1972.

- 10-Lawrence A. pervin, Personality: theory and research 4th edition,
New York, John wiley and sons, inc, 1984.
- 11-Leonc, etal, Management concepts and Application, Harper and
Row, U.S.A, 1983.
- 12-Paul Hersy, etal, Management of Organizational Behavior, (Fourth
ed). Englewood Ciffs, N. J 1982.
- 13-Richard A. Johnson. The Theory and Management of system,
N.Y: Mc Graw-Hill inc, 1973.
- 14-Stephen J. Knezevich, Administration of public Education, (3rd
ed.) U.S.A. 1975.

الفصل الحادي عشر
ماهية الحكمة وأنواعها

الحكمة

هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مفهوم الحكمة وأهميتها بالنسبة للإنسان في كلا الدارين، كما تناولت أنواع الحكمة ومصادرها وعلاقة الحكمة بالعلم، وعلاقة الداعية بالحكمة، وقد اعتمدنا في ذلك على القرآن الحكيم بعد أن عرضنا آراء الباحثين والمؤلفين وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن هناك نوعان من الحكمة: الحكمة المطلقة وهي للحق سبحانه وتعالى، والحكمة المقيدة وتقسّم إلى الحكمة النقلية ومصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، والحكمة المكتسبة، وهي التي يستطيع أن يصل إليها الإنسان عن طريق البحث والدراسة للمجالات المعرفية، وإن هناك علاقة طردية عالية بين الحكمة والعلم، أضف إلى ذلك أن الإنسان بحاجة ماسة إلى الحكمة بنوعها إذا ما أراد أن يجتلي سر وجوده ويحقق أهدافه في ضوء ذلك.

المقدمة

تعد الحكمة من أكثر الكلمات التي شدد انتباه الإنسان وتفكيره عبر تاريخه المديد لما لها من وقع خاص على النفس الإنسانية، وما تعكسه من فوائد جمة على حاضر الإنسان ومستقبله في الحياة الدنيا والآخرة، فكل إنسان منا يتوق إلى أن يوصف من قبل الآخرين بهذه الكلمة التي تشكل مصدر اعتزازه وتحقيق ذاته من وجهة نظره أمام أبناء جنسه، فالحكمة بجانب كلمة الحرية تعدان من أكثر المصطلحات التي تشرّب لها النفوس البشرية سواء عند الذين نالوا نصيباً منها ام الذين ما زالوا يلهثون وراء نصيبهم، والحق أن الإنسان هتف ونادى عبر تاريخه بماتين الكلمتين بشتى الطرق والأساليب التي عرفها طيلة تقدمه الحضاري، ولكن الذين عاشوا في ظلها أناس قليلون، وتاريخ الإنسانية يشهد على صحة ذلك من كثرة المظلومين والمضطهدين، والسفهاء، والجهلاء، والدليل الأقوى يكمن في قول الحق سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم عندما وصف أكثر الناس بأنهم لا يعلمون، وفاسقون، وظالمون، وجاهلون.

تعريف الحكمة:

الحكمة ليست بالشيء السهل البسيط الذي يمكن ان يحصل عليه الإنسان دون بذل الجهد الحثيث في طلب العلم والرجوع إلى المصادر المعرفية التي تفيض بالحكمة ونورها، فالحكمة كما يصفها اللغويون تعني العدل، الحلم، ما يمنع من الجهل، ما يمنع من الفساد، كل كلام موافق للحق، وضع الشيء في موضعه، صواب الأمر وسداده.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال "الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمره الصدق، وما أنعم الله على عبده بنعم أعظم، وأرفع، وأجزل، وأبهى من الحكمة" (الطباطباتي، الميزان في تفسير القرآن، ص ٤٠٤).

يرى ابن سينا أن الحكمة "صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب مما ينبغي ان يكسبه فعلة لتشرق بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود، وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسن الطاقة الإنسانية" (عون، الفلسفة الإسلامية في المشرق، ١٩٨٢، ص ٢٩٦).

والحكمة عند سيد قطب رحمة الله عليه تعني "ثمره التعليم بالقران الكريم، وهي ملكة يتأتى معها وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، ووزن الأمور بموازينها الصحيحة وإدراك غايات الأوامر والتوجيهات" (قطب، في ظلال القران، ص ١٣٩).

يرى الطباطبائي، رحمه الله، الحكمة إنها "القضايا الحقة المطابقة للواقع من حيث اشتغالها على سعادة الإنسان كالمعارف الحقة الإلهية في المبدأ والمعاد، والمعارف التي تشرح حقائق العالم الطبيعي من جهة مساسها بسعادة الإنسان، كالحقائق الفطرية التي هي أساس التشريعات الدينية" (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ص ٣٩٥).

"وقد عدّ صاحب البحر المحيط تسعة وعشرين رأياً في الحكمة منها:

الإصابة في القول والعمل، ومنها الفهم، ومنها الكتابة، ومنها إصلاح الدين وإصلاح الدنيا" (محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، ١٩٧٤، ص ٢٢٨).

"فالحكمة هي نفاذ البصيرة إلى سنن الحوادث ومجريات الأمور، وإتقان العمل، والتصرف دون صدام مع قوانين الظواهر، وفي ضوء ظروف العصر الذي تواكبته" (الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ١٩٧٨، ص ٥١).

وفي ضوء هذا المفهوم السابق للحكمة ذهب الفلاسفة إلى تعريف الفلسفة عندما أرادوا إعلاء شأنها على أنها حب الحكمة.

أنواع الحكمة:

في ضوء التعريفات السابقة للحكمة، فالحكمة تحتاج إلى العلم الكامل والشامل والدقيق للشيء الذي يريد أن يتخذ الإنسان فيه رأياً سديداً لا يتأبه خطأً أو فساداً. هذا بجانب الالتزام التام بما هو حق دون تأثر العواطف والجوانب الأخرى في اتخاذ القرار الحكيم، ونحن نعلم جميعاً أن الإنسان يتصل بهذا الوجود الفيزيقي (عالم الشهادة) والميتافيزيقي (عالم الغيب). وقد حاول قسم من الناس التعرف إلى طبيعة الأشياء ومكوناتها التي تتصل بعالمنا الفيزيقي والميتافيزيقي عن طريق النهج الإلهي (الدين الإسلامي) والقسم الآخر من الناس ذهب إلى طريق الاعتماد على العقل الإنساني مما أدى إلى ظهور المدارس الفكرية الفلسفية المتعددة، والشيء الذي لا بد من إبرازه في هذا المقام أن الإنسان لا يستطيع أن يجتلي جميع الحقائق المتصلة بالعالم الفيزيقي، هذا بجانب عجزه الساطع في التعرف إلى شتى المعلومات والمعارف التي ينطوي عليها العالم الميتافيزيقي، وذلك يعود لكون الإنسان مخلوقاً، وكل ما هو مخلوق مقيد، والمقيد له حدود لا يمكن أن يصل إلى درجة الحكمة المطلقة بعالم الشهادة وعالم الغيب، هذا بجانب الشهوات التي وشجت عليها النفس الإنسانية وما تمليه من ضغوط على الإنسان بحذف الابتعاد عن الحق واتباع الشهوات والأهواء الذاتية.

فالحكمة المطلقة لن تكون إلا للقوة المطلقة التي تفعل ما تريد ولا يجد حدودها شيء فهي مطلقة الإرادة والحرية، فهذا النوع من الحكمة للخالق سبحانه وتعالى فهو العليم الحكيم الذي خلق كل شيء والفعال لما يريد، والذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، وقد أعطى كل قدره، ولا يفوته شيء ولا يصدر عنه إلا الحق تعالت وجلت قدرته عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

وفي مقابل هذه الحكمة المطلقة هناك الحكمة الجزئية أو المقيدة، وهي التي يستطيع الإنسان أن يصل إلى لبها ويتفياً ظلها البانعة ويلوذ بها من شر عدوه السرمدى إبليس وجنده، ويفوز بنعيم الدنيا والآخرة، وهذا النوع من الحكمة لا يستطيع الإنسان أن يصل بطاقاته الذاتية إلى المعلومات كافة، ومجموعة المعارف، ومكونات الأمور المتعلقة بعالم الغيب والشهادة والتي تعد من مستلزمات هذه الحكمة، لذلك فإن الحكمة المقيدة أو الجزئية تقسم

إلى قسمين: فالقسم الأول يدعى الحكمة النقلية وهي التي بعثها لنا الحق سبحانه وتعالى عن طريق كتبه ورسله لكي نعيش في ضوئها ونهتدي بنورها في الحياة الدنيا والآخرة . ولا يوجد مصدر لهذا النوع من الحكمة سوى النهج الإلهي، لأن هذه الحكمة خارج متناول قدرات الإنسان الذاتية، فليس للإنسان بد من أن يأخذها من مصدرها الأساسي، وإذا ما حاول أن يبحث عنها بوسائل وطرق أخرى فمن الخيال أن يصل إليها لأنها خارج قدرات البشر، أما القسم الثاني من الحكمة فيدعى الحكمة المكتسبة، لأن الإنسان يستطيع أن يصل إلى هذا البحث والدراسة وطرق أبواب المعرفة المختلفة ليحتل شتى الحقائق والمعلومات المتعلقة بفرع أو أكثر من فروع المعرفة، فإذا ما وصل إلى هذا المستوى يطلق عليه كلمة حكيم في هذا الفرع المعرفي أو ذاك.

أهمية الحكمة

إن الإنسان عبر تاريخه وحاضره ومستقبله بحاجة ماسة إلى كلا النوعين من الحكمة، الحكمة النقلية والحكمة المكتسبة لكي يعي حقيقة نفسه، وحقيقة وجوده على هذا الكوكب، وحقيقة الحياة الدنيا، وحقيقة الآخرة وما ينتظره فيها من مصير، وما يجدر الإشارة إليه أن الإنسان بشكل عام قد نأى بجانبه عن الحكمة القليلة، التي بعثها الحق سبحانه وتعالى ورحمة وتلطفاً بعباده ليأخذ بيدهم إلى طريق النور والسؤدد، بالرغم من أن هذه الحكمة جاءت من عند العليم الحكيم ذي الحكمة المطلقة، الذي لا يصدر عنه سوى الحق، والعدل، والصواب، والعلم، والذي لا يفوته شيء من جميع الأمور ومكوناتها، أما بالنسبة إلى الحكمة المكتسبة فقد بذل الإنسان جهداً عظيماً في مجالات البحث والتنقيب والدراسة وطرق أبواب العلوم المتعددة بهدف الوصول إلى جميع ما تصل إليه طموحاته وأهدافه، والحق ان الإنسان قد نجح عبر تاريخه نجاحاً مذهلاً في كشف الحقائق المتصلة بالعالم الفيزيقي هذا بجانب الاختراعات العلمية الحديثة التي يشهدها العالم في هذا القرن.

ولكن الإنسان كما ذكرنا آنفاً بحاجة ماسة لكلا النوعين وخاصة الحكمة النقلية لأن الإنسان الذي يصدف عنها يعد جاهلاً مهما أوتي من العلوم التي تؤهله ان يمتلك قدراً كبيراً من الحكمة المكتسبة، وذلك يعود إلى أن الحكمة النقلية تتصل بقضايا الإنسان المتصلة بكلا الدارين، دار الفناء (الحياة الدنيا) ودار الخلود (الآخرة) وما تعكسه من آراء وقرارات صائبة تتعلق بشؤون الإنسان في كلتا الدارين. أما بالنسبة للحكمة المكتسبة فهي تتصل فقط بالحياة الدنيا وأمورها، وكما نعلم فإن الحياة الدنيا تعد مدخلاً للدار الآخرة فكل ما تحتوي عليه من جمع وزينة تعد متاعاً قليلاً إذا ما قورنت بما تحتوي عليه دار السلام والخلود، لذلك فان الحق سبحانه وتعالى وصف الأنظمة كلها والناس كافة الذين يصدفون عن النهج الإلهي وما ينطوي عليه من حكمة نقلية بأنهم يرتعون في مراعي الجاهلية، وأنهم جاهلون. فالإنسان الذي يعرف شتى العلوم المتصلة بالحياة الدنيا من علم الفضاء، وعلم الطب، وعلم الفيزياء بأنواعه، وعلم الكيمياء، بأنواعه وبقية العلوم التي عرفها عبر تاريخ الحضاري وليس له نصيب من الحكمة النقلية يعد جاهلاً، لأنه جهل الحقائق الكبرى المتصلة بالإنسان وطبيعة خلقه، وأهداف وجوده، ومكانته في الكون، والإنسان ومصيره في اليوم الآخر، لذلك وصف الحق سبحانه وتعالى هؤلاء بالجاهل والجاهلية كما يبدو لنا جلياً في الآيات الحكيمية التالية:

قال تعالى:

قُلْ أَغْفِرُ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ [سورة الزمر، آية ٦٤]

وقال تعالى:

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

[سورة المائدة، آية ٥٠]

"إن معنى الجاهلية يتحدد بهذا النص، فالجاهلية - كما يصفها الله ويحددها قرآنه - هي حكم البشر للبشر لأنها هي عبودية البشر للبشر. والخروج من عبودية الله، ورفض الوهية الله، والاعتراف في مقابل هذا الرفض بالوهية بعض البشر وبالعبودية لهم من دون الله، إن الجاهلية - في ضوء هذا النص - ليست فترة من الزمان ولكنها وضع من الأوضاع. هذا الوضع وجد بالأمس، ويوجد اليوم، ويوجد غداً، فيأخذ صفة الجاهلية، المقابلة للإسلام، والمناقضة للإسلام، والناس في أي زمان وفي أي مكان - أما أنهم يحكمون بشريعة الله - دون فتنة عن بعض منها - ويقبلونها ويسلمون بما تسليماً، فهم إذن في دين الله وإما أنهم يحكمون بشريعة من صنع البشر - في أي صورة من الصور - ويقبلونها فهم إذن في جاهلية، وهم في دين من يحكمون بشريعته، وليسوا بحال في دين الله، والذي لا يتغي حكم الله يتغي حكم الجاهلية، والذي يرفض شريعة الله يقبل شريعة الجاهلية، ويعيش في الجاهلية" (قطب، في ظلال القرآن، الجزء الثاني، ص ٩٠٤).

العلم والحكمة:

وما يجدر الإشارة إليه أن الحكمة تبنى على العلم اليقيني الثابت الذي لا ينتابه شك أو جهل بغض النظر عن نسبة الشك أو الجهل لأنها مهما كانت ضئيلة فإنها تفسد الحكمة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تُشيد الحكمة على فرضيات، ونظريات، وظنون، وتأملات، وتوقعات، لأن الحكمة تعني اتخاذ القرار أو الرأي السديد المبني على معلومت دقيقة ثابتة لا تتحمل الخطأ، لقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعث لنا الحكمة عن طريق كتبه ورسله دون توضيح جميع المعلومات ومجموعة المعارف التي بنيت عليها تلك الحكمة، وقد يكون السبب وراء ذلك يعود إلى عدم قدرة الإنسان على فهم واستيعاب تلك المنظومة الواسعة من المعلومات والمعارف، أو قد يكون السبب لعدم قدرة اغلب الناس على اتخاذ الآراء الحكيمة حتى لو عرفوا تلك المعلومات لما وشحت عليه النفس الإنسانية من الجدل والمناورة، وحب الالتفاف على الحقائق التي لا تناسب الأهواء الذاتية. هذا بجانب أن الباري شاءت إرادته أن ينيب له ويستقيم على صراطه المستقيم المسلمون من البشر عن طريق إيمانهم ومخافتهم منه دون رؤيتهم له أو للأمر الغيبية التي جعلها بعزته وجلاله غيباً .

إن القرآن الكريم وصفه الحق سبحانه وتعالى بالحكيم لأنه يحتوي على الآيات القرآنية التي انبثقت عن حكمته سبحانه والتي أسست على العلم اليقيني الثابت الذي لا ينتابه باطل ولا يتخلل إليه شك، ولو كان القرآن كما يدعي الخراصون بعيداً عن العلم لثبت بطلانه على مر السنين، ونجح الإنسان في ساحة التحدي التي رسمها القرآن للناس الذي لا يؤمنون بهذا القرآن ومصدره الإلهي، ومن الأسس الأساسية والمعجزة لهذا القرآن انه ينطق بالعلم والحق على مر العصور مع اختلاف الأنماط الحضارية والإبداعية للإنسان، لأنه لا ينتابه جهل، أو ضعف، أو شك يخشى أن يكتشف من خلال التقدم العلمي والحضاري للإنسان، لذلك ليس غريباً ان نجد القرآن الحكيم يقدم المعلومات للإنسان ويخاطبه في مطلع القرن الهجري الأول بالأسلوب والطريقة نفسها التي يخاطب بها الإنسان في مطلع القرن الخامس عشر مع الاختلاف الحاد في المعلومات، والعلوم، والتقدم الحضاري بين الإنسان في كلا القرنين، وسيبقى يخاطب ويقدم نفس المعلومات للأجيال القادمة بالطريقة نفسها والأسلوب نفسه مع تقدمها العلمي الهائل الذي سوف تحققه مع مرور السنين، فجميع ذلك يدل على ان جميع ما في القرآن أسس وشيد على علم قاطع ذي دلالة ثابتة، لذلك احبرنا الباري أن هذا الكتاب الحكيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه جاء من عند العليم الحكيم.

قال تعالى:

أَذِ الذِّبْنَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا حَاءَهُمْ إِنَّهُمْ لَكُنْتُمْ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

[سورة فصلت، الآيات ٤١-٤٢]

وكيف يعوز القرآن الحكيم العلم وهو من عند العليم الخبير الذي وسع علمه السموات والأرض ومن فيهن، ولا يغيب عنه شيء ولا يفوته شيء، فهو العلام الحكيم الذي لا يصدر عنه إلا الحق، لعلمه الشامل بجميع ما في الوجود من موجودات، فالحق سبحانه وتعالى وصف لنا ذاته بأنه يعلم كل شيء وان علمه قد وسع ما في الوجود من أسرار، ومكونات، ومعلومات، فلا يعزب عنه شيء من الأشياء كافة.

قال تعالى:

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

[سورة طه، آية ٩٨]

فالقران الكريم جاءنا من عند العليم الحكيم بشتى القضايا والأمر المتعلقة بالوجود وأساره وجميع العلوم المتصلة بجميع موجوداته، وقد تم تفصيل هذا الكتاب المنير بناء على العلم الإلهي المديد الذي لا تحده بداية او نهاية، المحيط بكل شيء في الوجود ومحتوياته.

قال تعالى:

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

[سورة الأعراف، آية ٥٢]

وقال تعالى:

أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٤٦﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤٧﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٤٨﴾

[سورة العلق، الآيات ٣-٥]

فالإنسان كغيره من المخلوقات له حدود وطاقات معينة جسدها فيه الخالق سبحانه وتعالى، ولا يستطيع ان يتجاوز هذه الطاقات والقدرات مهما حاول ان يأخذ بالأسباب لأنه ذو طاقات محدودة تقف واجمة عند حدود معينة، فالعلم الذي وصل للإنسان عن طريق القرآن الكريم لا يستطيع بأية حال من الأحوال ان يصل إلى هذا العلم معتمداً على قدراته وطاقاته الذاتية، ودليل ذلك يكمن في أن الأمور التي لم يتم تعليمها للإنسان من خلال القرآن الكريم بقيت مجهولة بالنسبة للإنسان. وستبقى على هذه الحالة حتى يرث الحق سبحانه وتعالى الأرض ومن عليها، ومن هذه الأمور التي شدت انتباه الإنسان وفشل في الوصول إلى ماهيتها، الروح التي تسكن جسمه. حتى ذهب الناس إلى توجيه الأسئلة للرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه مستفسرين عن الروح وماهيتها فجاء القول الفصل من الحق سبحانه وتعالى ليبين أمر الروح ويوضح ان الإنسان ما وصله من العلم الإلهي إلا القليل.

قال تعالى:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

[سورة الإسراء، آية ٨٥]

فالإنسان المسلم الذي يؤمن بالنهج الإلهي لهووم، وينطلق في شتى أموره الحياتية منبياً مستقيماً لهذا النهج المنير، يجب أن يؤمن أيماناً حازماً بالحكمة النقلية التي جاءت عن طريق القرآن الكريم وسنة نبينا الحبيب، وينعم في نورها ويعيش في ظلها، هذا بجانب بذل الجهود الحثيثة في طلب العلم، والبحث والتنقيب، والدراسة في شتى العلوم المتعلقة بالحياة الدنيا للوصول الى المنابع الأساسية للحكمة المكتسبة، والتي يستطيع أن يصل إليها

الإنسان بقدراته الذاتية التي جسدها فيه الحق سبحانه وتعالى، وبهذا يكون الإنسان قد استفاد من الحكمتين النقلية والمكتسبة مما يعود عليه بالفائدة في كلتا الدارين.

أما بالنسبة للذين يقحمون أنفسهم وعقولهم في الأمور التي لا يقوى عليها الإنسان لأنها خارج طوق وسائله وقدراته فانهم يصدفون عن الطريق القويم الذي يقود الإنسان إلى سدرة الحق والصواب. إن الحق سبحانه وتعالى نهي عباده المخلصين عن الخوض في الأمور التي لا يستطيع علم الإنسان أن ينفذ إليها، لما يعكسه من آثار سلبية على حقيقة الأمور والقضايا التي يجب أن تشكل أسس الاعتقاد السليم عند الإنسان الذي يقف عند حدود الطاقة الإنسانية.

قال تعالى:

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾
[سورة الإسراء، آية ٣٦]

ومما يؤسف له حقا أن كثيراً من الناس قد ذهبوا إلى الحديث، والتأمل، وإثارة الشكوك والظنون حول القضايا التي تعد خارج قدرات البشر، لقد تحدثوا عن الأمور الغيبية ومكوناتها وكأنها واقع محسوس، مما أدى بهم إلى الاعتقاد بالأمور والقضايا المتناقضة التي لا يجمع بينها جامع سوى الفلتات الذهنية، والتخرصات الظنية، وتأملات أصحاب الشهوات وتحياتهم، فقد تعددت بهم السبل والآراء حتى ابتعدوا عن حقيقة الأمر وسداده. إن الذين يصلون إلى درجات متقدمة من العلم هم اقدر الناس على التيقن من حقيقة القرآن الحكيم وما يحتوي عليه من علم الهي، فهم الذين يعرفون تمام المعرفة ان هذا القرآن لا يمكن أن يكون بأي حال من الأحوال إلا من عند الحق سبحانه وتعالى، وذلك لأنه يحتوي على علوم وحكمة لا يمكن للإنسان أن يصل إليها عن طريق قدراته الذاتية، لذلك ليس غريباً أن نجد عشرات العلماء الافذاذ من مختلف التخصصات المعرفية ومن مختلف شعوب الكرة الأرضية قد ساقهم علمهم إلى الإيمان بالقران الحكيم مصدراً ومضموناً.

قال تعالى:

هُمُ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْحِكْمَ، أَكْبَرُ مَا دُرُّهُ مُجَكَّرٌ هَبَّ أُمُّ الْكَوْكَرِ، مَعَهُ مُتَشَدِّدٌ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي
مَأْمُونٍ فَتَبِعُوا مِيرَاةَ شَامِدٍ نَبِيَّاتٍ أَنْبِيَاءِ تَوَّابٍ وَأَسْبَابِ تَأْوِيلِ اللَّهِ مَعَهُ أَمْرٌ إِلَّا اللَّهُ
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾
[سورة آل عمران، آية ٧]

ويجد بنا بعد الذي قدمناه من حقائق حول القرآن الحكيم ومصدره الإلهي ومحتواه الذي يزخر بالعلم والحكمة النقلية، ان نشير إلى أعداء الحق والحقيقة الذين يعدون القرآن العربي الحكيم وسنة نبينا الأمين معنًا للتخلف والانحطاط وحاجزاً يحول دون التقدم ومجارة الأمم الأخرى، أننا قد لا نلومهم كثيراً على هذا السلوك طمأ أننا نعرف تمام المعرفة أنهم يجهلون حقيقة القرآن الكريم وما ثبت من سنة رسولنا الكريم، أنهم فهموا الإسلام كتاباً وسنة من خلال الممارسات المشوهة التي يقوم بها لفيق من الناس هنا وهناك، إذ أسست هذه الممارسات الشاذة على التأويلات الجائرة للنصوص القرآنية والدس في سنة نبينا الكريم وتأويلها بما ينسجم مع أهوائهم وأهواء سادتهم عبر تاريخهم الطويل في تعاملهم مع النهج الإسلامي. لذلك أمسى الإسلام مشوهاً في أذهان عامة الناس. إنه لا بد من التمييز الواضح بين الإسلام الحقيقي الذي يشاد بنيانه الساطع على الكتاب الكريم والسنة النبوية في شتى أمور الحياة، وبين الممارسات التي يقوم بها الناس والتي تتصل فقط ببعض الأمور الإسلامية، تاركين وراء ظهورهم الأمور التي تشكل الهيكل الأساسي والبنية الأساسية الخلقية للمجتمع الإسلامي، فالإسلام الحقيقي هو منار العلم ومحنة أنظار العلماء والباحثين، ولا ينتج عنه إلا مجتمعاً إسلامياً يتميز بالعدل، والإيثارة، والتعاون، والتماسك، والحب، والتضحية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والى غيرها من السمات الإسلامية الغراء التي تعكس ذاتها داخل المجتمع المسلم، أما ما نراه من ظلم وكذب وفسق، وخيانه، وغش في هذه المجتمعات الحالية فهي نتيجة للانحرافات الحادة التي استقرت في أذهان الناس، وليس لها أية علاقة بالنهج الإسلامي المنير.

ولكن شياطين الإنس والجن ومن استهوتهم طريقتهم ذهبوا إلى نصب شرك العدا للحق، والعلم، والحكمة النقلية التي يفوح بها النهج الإسلامي عبر تاريخ البشرية، ولو أراد الحق سبحانه وتعالى لما فعلوا ذلك، ولكن حرية الاختيار التي وهبها الحق للإنس والجن دون سائر مخلوقاته جعلتهم يمارسون شتى الأساليب والطرق

المشبعة بالعداء والكراهية للنهج الإسلامي الذي يفيض بالعلم والحكمة. ومن أساليب العداء السرمدية التي يكنها هذا الفريق ضد الحق واتباعه، إثارة الشكوك والمفتريات حول النهج الإسلامي المنير، وقد تجد هذه المناورات المنحرفة قبولاً تاماً عند الذين في قلوبهم مرض والذين غرهم الحياة الدنيا بزخرفها وزينتها ودليل هذه العداوة يبدو ظاهراً جلياً في قوله عز من قائل:

كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجَسٍ عَلِيًّا. أَلَيْسَ الْإِنسَانُ أَحْسَنَ حَدِيثًا لِمَنْ بَدَأَهُ رَبُّهُ إِذْ أَنبَأَهُ بِآيَاتِنَا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الَّذِي يُخْرِجُنِي مِنَ بطنِ امْرَأَتٍ وَأَنْ يَقُولَ لِمَ كُنْتُ كَافِرًا؟ [سورة الأنعام، آية ١١٢]

مصادر الحكمة:

لقد شاءت حكمة الحق سبحانه وتعالى ان يبعث لنا الرسل والأنبياء تترى بالكتاب والحكمة لينير للإنسان السلي ويتركه يختار بنفسه بعد أن جسد فيه الملكة العقلية ووهبه حرية الاختيار، والشيء المؤسف حقاً ان الإنسان بشكل عام عبر تاريخه مع الأنبياء والرسل كان منابذاً للحكمة التي بعثها الحق سبحانه وتعالى رحمة وتلطفاً بعباده، بهدف مساعدتهم على اختيار افضل السبل المؤدية إلى سدرة الحق والصواب في الدارين، الأولى والآخرة، فقد ذهب الإنسان إلى الاستهزاء بالرسل والاستخفاف بهم وبكل ما جاءوا به من عند الحق سبحانه وتعالى، حتى الكتاب الحكيم الذي بعثه لنا الحق سبحانه وتعالى كان موضوعاً لتكذيبهم وإثارة شكوكهم وقد بين لنا الباري سبحانه وتعالى ان القرآن الكريم قد جاءنا من لدن خبير عليهم، لا يتنابه الباطل مطلقاً لأنه أسس بنيانه على علم، وحكمة إلهية لا يعزب عنها شيء.

قال تعالى:

الرَّكَنُ كُنْتُ أَحْكَمَتَّ أَيْنُهُمْ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ [سورة هود، آية ١]

وقال تعالى:

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [سورة الزمر، آية ١]

وطالما أن القرآن الكريم قد بني وأسس على علم الله سبحانه وتعالى وحكمته المطلقة فان الحكيم سبحانه وتعالى وصف لنا كتابه الكريم، وآياته، بالحكمة، كيف لا وهي تنطق بالحق المبين الذي لا يتسلل إليه الشك او الخطأ او الفساد.

قال تعالى:

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ [سورة يونس، آية ١]

وقال تعالى: **وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ** [سورة يس، الآيات ١-٢]

لقد كانت مهمة خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه وسلامه مثل غيره من الأنبياء والرسل تعليم الإنسان الكتاب والحكمة لينير لهم سبل السلام، والوئام، والمحبة، والإيثار، والتضحية، والتعاون، والأخاء، والعدل، والفوز بنعيم الدنيا والآخرة. لقد لقي صلوات الله عليه من الإساءة، والتكذيب، والتطريد، والتشهير، وحبك المؤامرات لقتله فقط - لأنه يود أن يزيكهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويوصلهم إلى سدرة الحق في الدنيا والآخرة، وبدلاً من تقديم جزيل الشكر والامتنان للحق سبحانه وتعالى لبعثه فيهم رسولا منهم مخلصا لهم وأمينا على أسرارهم وأماناتهم، ونموذجا يحتذى بخلقه وعطفه ورحمته، ذهبوا إلى منابذته والوقوف في طريقه بشق السبل والطرق الشريرة التي عرفها البشر.

قال تعالى: **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**

[سورة آل عمران، آية ١٦٤]

وقال تعالى:

هُمَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [سورة الجمعة، آية ٢]

ومما يهيج الأسي ويفجر القلوب دما وأسفاً وندماً ان المسلمين قد ابتعدوا عن مصدر الحكمة النقلية المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، عندما حاولوا البحث عن المعلومات والأسباب والمسببات التي ترتكز عليها الحكمة النقلية، مما جعلهم يقحمون العقل الإنساني بأمور خارج طوق وسائله، مما أثار بينهم الاختلافات الطائفية وتعددت آرائهم واعتقاداتهم حول القضية الواحدة، حتى تاهت بهم السبل وتقطعت بهم الأسباب، فكان من الأجدر بنا معشر المسلمين أن نعيش بنعيم الآيات القرآنية الحكيمية وفي ظلال السنة النبوية الشريفة، ويعد الاعتماد الكلي على مصدر الحكمة النقلية (الكتاب والسنة النبوية) يجب أن توجه جميع الطاقات لنيل العلوم والمعارف المتعلقة بالحكمة المكتسبة، التي تتصل بشق الأمور والقضايا المتعلقة بالحياة الدنيا، ليقوم الإنسان المسلم بمهام الخلافة في الأرض على أفضل نموذج واحسن سبيل.

ولكن الهوى الذي تموج به النفوس البشرية، كان وراء الانحراف الحاد عند المسلمين، حيث ذهب رجال الهوى والشهوة إلى تحرير الفتاوى الجائرة والفساد في السنة النبوية الشريفة بما ينسجم مع أهواء أسيادهم، لتثبيت دعائم الحكم والسلطان للذين لا يستحقونه، والذي سنحت له الظروف أن يجتلي تاريخ المسلمين وكيف تعاملوا مع الإسلام، لا يفاجئ بما يفرزه الواقع الهابط في أمور تدل على الفساد العظيم الذي يستشري في جسد أبناء المجتمع، إذ نجد التخبط الواضح والتناقض الصارخ بين الشعارات الإسلامية والوطنية المرفوعة من جهة وبين الممارسات الشاذة التي يمارسها أبناء المجتمع في شتى أمورهم الحياتية، وهذا التناقض الذي دفع أمير الشعراء احمد شوقي ليستنكر هذا الوضع حيث يقول:

شعوبك في شرق البلاد وغربها كأصحاب كهف في عميق سيات
يايمانهم نوران ذكر وسنة فما بالهم في حالك الظلمات

في الوقت الذي حاول فيه دعاة الإصلاح إلى توضيح هذا التناقض للناس وحثهم على الاعتماد على مصدر الحكمة النقلية، الكتاب والسنة النبوية، وطرح التناقض جانباً بين الاعتقاد والسلوك، ذهب المرجفون والذين في قلوبهم مرض إلى إثارة الشكوك والأقاويل الباطلة حول الإسلام عن طريق التعريض لكتاب الله على انه لا يناسب هذه المرحلة الحديثة من الحضارة الإنسانية وانه بحاجة إلى تحديث ليناسب ظروف المرحلة الحالية، والشيء المذهل حقاً الذي يكشف مدى تخبطهم، وعدم وعيهم وحقدهم على الإسلام أنهم عدوا القرآن الحكيم والسنة النبوية الشريفة مثالا للتخلف والرجعية، وانهما يحولان دون التقدم الحضاري الحالي الذي تشهده الشعوب المعاصرة، فقد طالبوا علنا بالتخلي عن مصدر الحكمة النقلية ليتسنى لهم ما تزونا له نفوسهم وتطيب له خواطرهم. وفي ظلال هذه المعطيات الحاقدة ظهرت مجموعة من الكتاب لتقدم الإسلام الحديث والمعاصر بطريقة تتم عن ضعف هؤلاء الكتاب في فهم حقيقة الإسلام من جهة وفهم حقيقة المجتمعات الحالية من جهة أخرى. ان السبيل السليمة لعلاج ما نحن فيه من ضعف وفساد يكمن في إزالة التناقض بين ما ترفع من شعارات وما تمارس من أنماط سلوكية وذلك عن طريق الاعتماد الكلي على مصدر الحكمة، الكتاب الحكيم والسنة النبوية الطاهرة، وشحن الهمم في طلب العلم والمعرفة في شتى دروب المعرفة والقضايا الحياتية التي نعيش، وبهذا العمل نكون قد سعدنا بنعيم الحكمتين الحكمة النقلية، والحكمة المكتسبة.

الحكمة والدعوة:

أن الدعوة إلى النهج الإسلامي ليست بالأمر السهل اليسير الذي يستطيع القيام به كل إنسان بغض النظر عن طاقاته وقدراته وحصيلة معارفه، فالدعوة لهذا النهج كانت مهمة أصفياء البشر الذين اختارهم الحق سبحانه وتعالى ليعلموا الناس الكتاب والحكمة، ويشروهم وينذروهم لقاء اليوم الآخر وما سيكون فيه من ثواب وعقاب، كل حسب ما عملت يداه في الحياة الدنيا وبعد ان ختم المدد الرسالي بخاتم الأنبياء والرسل أصبحت هذه الدعوة مهمة أمناء الرسل وهم الفقهاء المخلصون الذين أنابوا واستقاموا للنهج المنير، ولا يخشون في الحق لومة لائم لفهمهم الساطع السليم لحقيقة النهج الإسلامي وما يعكسه في نفوس اتباعه من أنماط سلوكية وفكرية متميزة، ملؤها الصدق والأمانة والإخلاص، والتضحية لمبادئ هذا النهج فالذي يود ان يدعو للنهج الإسلامي لا بد من الوقوف على جميع الحقائق العلمية التي يطوي عليها، والحكمة التي يفيض بها النهج ليغدو قادراً على فهم حقيقة هذا النهج، الذي يغرس في أذهان اتباعه فهما دقيقا للحياة الدنيا وما تجسد فيها من مفاتن وشهوات، وحقيقة الآخرة وما ينتظر الإنسان فيها من ثواب وعقاب، وطبيعة النفس الإنسانية وخصائصها، ونظرة الإنسان إلى الحقيقة وكيف تعامل معها عبر تاريخه ودور العقل الإنساني في الوصول إلى الحقيقة، ومعرفة الخلافات الجوهرية وأسبابها بين النهج الإسلامي والنهج البشري المتمثل في المدارس الفكرية والمذهبية، التي ابتدعها الإنسان عبر تاريخه.

ان جميع هذه القضايا تشكل في نفس للداعية فهما حقيقياً متميزاً تمكنه في اختيار افضل وانجح الأساليب، وطرق الحوار في دعوة أخيه الإنسان إلى الحق الذي بعثه الحق سبحانه وتعالى هدى للعالمين. أما إذا كان هناك نقص عند الداعية في فهم طبيعة النهج وخصائصه التي تميزه عن غيره من الأطر الفكرية، فان هذا النقص سوف يعكس نفسه في سلوك الداعية، ومدى فهم المدعوين لطبيعة النهج وخصائصه، مما يؤدي بالتالي الى سوء فهم النهج الإسلامي على حقيقته في أذهان الناس، وظهور الانقسامات الفكرية بينهم، وتعدد بهم السبل، حيث يغدو كل حزب بما لديهم فرحون.

فالدعوة إلى النهج الإسلامي تحتاج إلى الداعية أن يكون ملماً بشئ الأمور والمعلومات والعلوم التي تمكنه من أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة وان يجادل بالتي هي أحسن. مصداقاً لقوله تعالى:

أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [سورة النحل، آية ١٢٥]

على هذه الأسس يرسى القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويعين وسائلها وطرائقها ويرسم المنهج للرسول الكريم وللدعاة من بعده بدينه القويم، فلننظر في دستور الدعوة الذي شرعه الله في هذا القرآن، ان الدعوة دعوة إلى سبيل الله لا لشخص الداعي ولا لقومه، فليس للداعي من دعوته إلا انه يؤدي واجبه لله، لا فضل له يتحدث به، لا على الدعوة، ولا على من يهتدون به وأجره بعد ذلك على الله.

والدعوة بالحكمة، والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم والقدر الذي يبينه لهم في كل مرة حتى لا يتقل عليهم ولا يشق بالتكاليف قبل استعداد النفوس لها، والطريقة التي يخاطبهم بها والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل او حسن نية، فان الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر والتأنيب والتوبيخ، وبالجدل بالتي هي احسن بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبیح حتى يطمئن إلى الداعي ويشعر ان ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ولكن الإقناع والوصول إلى الحق، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق حتى لا تشعر بالهزيمة، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها عند الناس، فتعد التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكبريائها والجدل بالحسنى هو الذي يطمئن من هذه الكبرياء الحساسة، ويشعر بالجدل أن ذاته مصونة، وقيمتها كريمة، وان الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها والاهتداء إليها في سبيل الله لا في سبيل ذاته ونصره رأيه وهزيمة الرأي الآخر، ولكي يطمئن الداعية من حماسته واندفاعه يشير النص القرآني إلى أن الله هو الأعلّم بمن ضل عن سبيله وهو الأعلّم بالمهتدين فلا ضرورة للحاجة في الجدل إنما هو البيان والأمر بعد ذلك لله" (قطب، في ظلال القرآن، الجزء الرابع، ص ٢٣٠١-٢٣٠٢).

ويرى العلامة الطباطبائي رحمه الله في هذا الموضوع "والتأمل في هذه المعاني يعطي أن المراد بالحكمة -الله اعلم- الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا ابهام، والموعظة هي البيان الذي تليّن به النفس، ويرق له القلب لما فيه صلاح السامع من العبر، وجميل الثناء ومحمود الأثر ونحو ذلك.

والجدال هو الحجة التي تستعمل لقتل الخصم عما يصير عليه وينازع فيه من غير ان يريد به ظهور الحق .. فينطبق ما ذكره تعالى من الحكمة والموعظة، والجدال، بالترتيب على ما اصطلاحوا عليه في فن الميزان بالبرهان والخطابة والجدل غير انه سبحانه قيد الموعظة بالحسنة، والجدال بالتي هي احسن ففيه دلالة على أن من الموعظة ما ليست بحسنة ومن الجدال ما هو احسن وما ليس بأحسن ولا حسن، والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ومن الجدال بأحسنه" (الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، المجلد الثاني عشر، ص ٣٧١-٣٧٢).

ومن المؤسف حقاً، أن نجد كثيراً من الذين يدعون إلى الله، لا يتبعون هذا النهج الرسالي النبيل، الذي يدعوهم إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن، فذهبوا إلى الدعوة بطريقتهم الخاصة التي تعكس مقدار حماستهم تارة ومقدار إقحامهم العقل في أمور لا يقوى عليها العقل الإنساني، بحجة الواقع الذي تعيش وطبيعة الظروف والملايسات الفكرية والاجتماعية والسياسية التي يعيشون تحت وطأها تارة أخرى، هذا

بجانب عدم الإلمام التام بالنهج الإسلامي عند قسم منهم، مما جعلهم يتخبطون يميناً ويساراً تبعاً للظروف المحيطة بهم، ومن الأفضل لنا جميعاً ان نترك مهمة الدعوة للذين أوتوا نصيباً من العلم والحكمة من الحق سبحانه ليكونوا خير الداعين إلى هذه السبيل، وهذا النهج الإسلامي المنير، ويكون همنا الوحيد في التفكير والتخطيط في كيفية الالتفاف حولهم ومناصرتهم على أعدائهم ليشقوا طريقهم في تثبيت دعائم العدل في الأرض، عن طريق تطبيق مبادئ الإسلام بين الناس، وبهذا التفكير الجاد والسلوك السليم، يكون كل فرد منا قد تبوأ ما آتاه الله سبحانه وتعالى من قدرات وإمكانات، وهذه السبيل هي التي توصلنا إلى ما نرنو إليه أفئدة المسلمين في فجاج الكرة الأرضية.

الخلاصة:

فالحكمة تعني اختيار القرارات وتبني الآراء واختيار الأساليب والطرق السلوكية في ضوء معرفة تامة أسست على علم ثابت لشتى الجوانب المتعلقة في الشيء الذي يود الإنسان ان يختار فيه قراراً، او يتبنى رأياً، او يتخذ نمطاً سلوكياً، والإنسان بحاجة ماسة إلى الحكمة في جميع القضايا الأساسية المتصلة في الدنيا والآخرة فهو يحتاج إلى كلا النوعين من الحكمة، الحكمة النقلية ومصدرها الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، والحكمة المكتسبة ومصدرها أمهات الكتاب ودور المعرفة، والجهد البشري الحثيث في طلب المعرفة، وهناك علاقة تامة بين الحكمة والعلم حيث تبني الحكمة على علم ثابت لا يشوبه نقص بأي حال من الأحوال، والذي يود أن يدعو إلى النهج الإلهي لا بد له من ان يتمتع بقدر من الحكمة يستخدمها في دعوته للناس ويختار افضل الأساليب والطرق المؤدية إلى تحقيق أهدافه.

المراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٣- أبو القاسم الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت.
- ٤- السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب الإسلامي، قم، إيران، ١٩٧٢.
- ٥- حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية، دار علم الكتب، الرياض، ١٩٨٥.
- ٦- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ١٩٨٠.
- ٧- عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤.
- ٨- فيصل بدير عون، الفلسفة الإسلامية في المشرق، مكتبة الحرية الحديثة، ١٩٨٢.
- ٩- ماجد عرسان الكيلاني، تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ١٩٧٨.
- ١٠- محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨١.
- ١١- محمد حسين فضل الله، أسلوب الدعوة في القرآن، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٢- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٣- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.